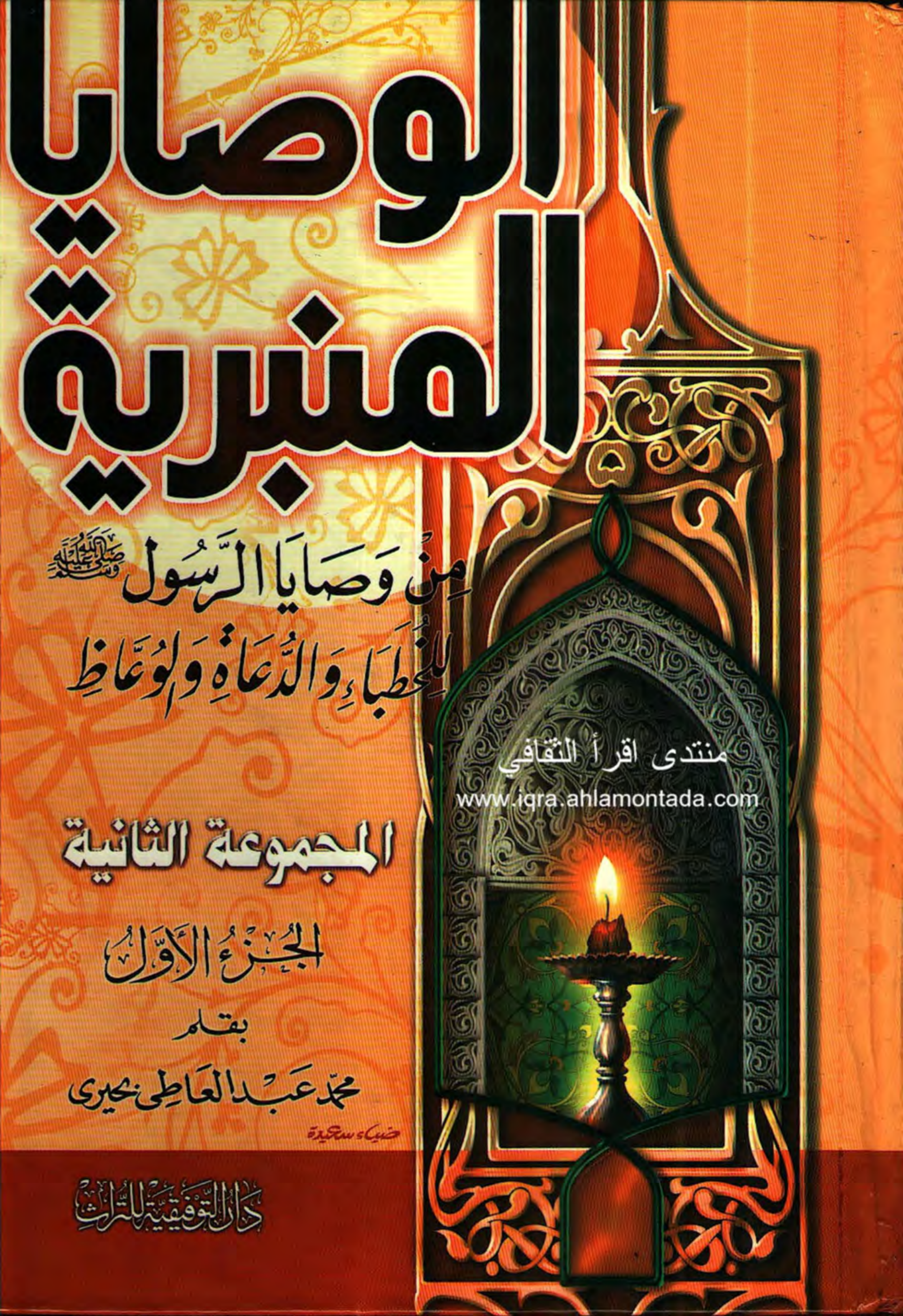

الوصايا المنبرية
من وصايا الرسول ﷺ
للخطباء والدعاة والوعاظ
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com
المجموعة الثانية
الجزء الأول
بقلم
محمد عبد العاطي بحيري
دار التوفيقية للتراث

الوصايا المنبرية

مِنْ وَصَايَا الرَّسُول ﷺ

لِلْخُطَبَاءِ وَالدُّعَاةِ وَالْوُعَّاظِ

كتبه

محمد عبد العاطي بحيري

المجموعة الثانية

الجزء الأول

دار التوفيقية للتراث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

الكتاب: الوصايا المنبرية في وصايا الرسول- مجموعة٢ ج١
تأليف: محمد عبد العاطي بحيري
الناشر: دار التوفيقية للتراث - القاهرة
رقم الإيداع: ٢٠١٠/٤٤٧٠

دار التوفيقية للتراث

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

تليفون: ٢٥١٠٥٦٦٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين... رب الأرباب. ومجرى السحاب. ومسبب الأسباب. ومنزل الكتاب. وخالق الخلق من تراب.. ذلت لجبروته الصعاب.. وخشعت لملكوته الرقاب.. ويسبح الرعد بحمده والسحاب.. والبرق والسراب.. والشجر والدواب..

سبحانه سبحانه. غافر الذنب. وقابل التوب. شديد العقاب إذا دعى أجاب. سريع الحساب. عظيم الجناب. كريم وهاب. نحمده سبحانه وتعالى حمداً عدد ما أحاط به علمه، وخط قلمه، وأحصى كتابه، ورضيت نفسه، فهو أهل الثناء والمجد. أحق ما قال العبد، وكلنا له عبيد، لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، ولا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، جل ثناؤه ولا إله إلا هو. لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله.. وحده لا شريك له. نظر بعين الاختيار إلى آدم فحظى بسجود ملائكته. وإلى ابنه شيث فأقامه فى منزلته، وإلى نوح فنجاه من الغرق بسفينته. وإلى الخليل إبراهيم فكساه حلة خلته، وإلى إسماعيل. فأعان الخليل فى بناء كعبته. وافتداه بذبح عظيم من ضجعته، وإلى شعيب، فأعطاه الفصاحة فى خطبته وإلى يعقوب فرد حبيبه إلى حبيبته، وإلى يوسف، فأراه البرهان همته. وإلى داود فألان له الحديد على حدته، وإلى سليمان فسخر له الريح يتنقل بها فى مملكته. وإلى أيوب فياطوبى لركضته وإلى يونس فسمع نداءه فى ظلمته. وإلى زكريا فقرن سؤاله ببشارته، وإلى عيسى فكم أقام له ميتًا من حفرته. وإلى محمد ﷺ فخصه ليلة المعراج بالقرب من حضرته. والوصول إلى سدرته.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، وأمين وحيه، وخاتم رسله. وبشير رحمته، ونذير نقمته، بعثه بالنور المضئ، والبرهان الجلى، أظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة، فكان أكرم

خلقـه وأرحم عباده بـعباده. فـآمن به الضب، وسلمت عليـه الأشجـار، وخاطبـته الأحجـار. وخير مــن طلعت عليه الشمـس، وأشرق عليه النهـار اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، وعلى أصحابه الأطهار، وأتباعه الأبرار كلما غدا طائر أو طار.

الله فـــضـل خــيــــر الخلق بـالكـرم
وأفـــضل الـناس من عـــرب ومـن عـــجم
هو الـنبـى الذى فـــاقـت فـــضـــائـله
وخــــصــــه الله بـالتـنـزيـل والحكـم
اخـــتــصــه بكـتــاب بيـن علـم
هدى الـعــبــاد به مـن غـــمـــة الظـلم
الله فــــضـلـه.. الله أكــــرمـــــه
الله أرسـلـه مـن جــــــمـلـة الأمم
صلـوا عليــــه عــبـــاد الله كـلكـمـــو
إنّ الـصـــلاة عليـــه تـنجى من الـنقـم

أما بعد..

أحبتى الكرام..

وبعد أن قدمنا لقرائـنا الأعزاء، وأحبتنا فى الله مجموعـة من الوصايا المنبرية من وصايا الرسول ﷺ المجموعة الأولى، إذ بأحبتى الكرام يوالون الاتصال علىَّ أن نتمم مَا بدأناه من هذه الوصايا فى مجموعـة ثانية، وها أنا أقدم لهم بعونه وطوله وفضله، ومنه وكرمه تلك المجموعة المباركة. فلله الحمد والفضل والمن. فبحبله نعتصم ولأمره نستـسلم. وإليه نجـأر. وإياه نستـعين. وعليـه نتوكل ونحـمده على مواهـبه التى لا نحصيـها عددًا، ولا نعرف لها أمدًا. وكـما هى طريقتنا فى الوصايا النبـوية العظيمة المباركة، نسـتفتح بنص الوصيـة، ثم نتناولها بالشرح الموجز من خـلال شروح السنة المطهرة، ثم نعيش فى ظلالها، نستنشق من عـبيرها الفواح، ونسير فى نورها.. لأن

ربنا عز وجل نور. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] وقرآنه نور. ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨] وجبريل أمين الوحى، نور. ورسولنا محمد ﷺ نور.

ومهـمته التى جـاء من أجلها هى إخـراج الناس من الظلمات إلى النور وكـلامه الذى يرشد به أمته، ويوجه به أتباعه نور.

فـإذا كانت هذه إرادة الله عـز وجل. فى هذه الأمـة النورانيـة. أمة ربهـا نور، وقرآنها نور، ونبيها نور، وكلامه نور، فكيف تعيش فى الظلمات؟

وقـد راعيت فى هذه الوصـايا أن تكون نصـوصهـا من صـحيح السنة المطهـرة وراعيت أقـوال الأعلام من الأئمة الكرام. والقصص المهـذبة الصحيحـة والله تعالى أسأل أن يهـدينا سواء السبيل. كـما نسأله سبـحانه أن يجعل ألسنتنا مطيـعة لأمره. وقلوبنا مطمئنة بذكره. وعقولنا مسـترشدة بعلمه وأبداننا هينة لينة لطاعته. اللهم كن لنا سمعًـا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا، يا سمـيع، يا بصير. يا صادق. اللهم جـملنا بحسن الأدب والإخلاص، واسلك بنا طريق السـنة، وجنبنا طريق البدعة، فـأنت ملاذنا إن ضاقت الحيل، وملجؤنا إذا انقطع الأمل. يا رب العالمين.

أحبتى الكرام. إن كان من خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان، وإن كان صوابًا فمن الله، فله الفضل والحمد أولاً وآخرًا وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد.

أولاً: الطريق إلى الإيمان بالله

الوصية رقم (١)

* محبة الرسول ﷺ أصل الإيمان *

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**والذى نفسى بيده، لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[١].

صدق رسول الله ﷺ.

أحبتى فى الله..

وقد ورد فى مسند الإمام أحمد أن لهذا الحديث سببًا. فعن زهرة بن معبد عن جده قال: كنَّا مع النبى ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: والله يا رسول الله، لأنت أحب إلىَّ من كل شىء إلا نفسى، فقال النبى ﷺ:

«**والذى نفسى بيده، لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحبَّ إليه من نفسه**» فقال عمر: فأنت الآن أحبُّ إلىَّ من نفسى، فقال رسول الله ﷺ: «**الآن يا عمر**» أى الآن كمل إيمانك يا عمر[٢].

وهذه الوصية التى بين أيدينا بدأت بالقسم، ورسول الله ﷺ صادق فى كل ما يقوله، حتى ولو لم يقسم، فما باله ﷺ إذا حلف؟ والحلف يفيد تأكيد الكلام. لكن لماذا أقسم رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين؟ ليدلنا ويلفت أنظارنا إلى أهمية ما بعد القسم. وهو قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم..**» والأسلوب وإن كان خبريًا فى اللفظ إلا أنه إنشائى فى المعنى، فكأنه يقول للأمة: أحبونى، لأن حبى واجب عليكم، بل هو من تمام الإيمان، ولن يكمل إيمانكم إلا إذا أحببتمونى أعظم من أنفسكم

---

(١) صحيح: متفق عليه رواه البخارى ومسلم وابن ماجة والنسائى.

(٢) صحيح: رواه أحمد فى مسنده.

وأموالكم وأولادكم، بل والناس أجمعين.. صلوات ربى وسلامه عليك يا رسول الله..

قال أبو الزناد: هذا من جوامع الكلم الذى أوتيه ﷺ لأنه قد جمع فى هذه الألفاظ اليسيرة، معانى كثيرة، لأن أقسام المحبة ثلاثة: محبة إجلال وعظمة، كمحبة الوالد، ومحبة شفقة ورحمة، كمحبة الولد، ومحبة استحسان ومشاكلة، كمحبة سائر الناس، فجمع ﷺ أصناف المحبة فى محبته.

قال ابن بطال - رحمه الله -: ومعنى الحديث والله أعلم -: أن من استكمل الإيمان علم أن حق الرسول وفضله آكد عليه من حق أبيه وابنه، والناس أجمعين، لأن بالرسول استنقذ الله أمته من النار، وهداهم من الضلال[١]...

فالمراد بهذا الحديث: بذل النفس دونه ﷺ.

أحبتى فى الله..

وكيف لا نحبه وقد أحبه كل شئ؟ حتى الجمادات أحبته يقول أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ عن جبل أحد: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**» حتى عنون البخارى - رحمه الله - لهذا الحديث بقوله: [باب أحد يحبنا ونحبه] وعند مسلم «**إنَّ أحدًا جبل يحبنا ونحبه**»[٢].

قال النووى: الصحيح المختار أن معناه: أن أحدًا يحبنا حقيقة، جعل الله فيه تمييزًا يحب به، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ...**﴾ [البقرة: ٧٤] وكما حن الجذع اليابس إليه.

نعم حن الجذع إليه كما يحن الصبى إلى أمه، أو مثل حنين الناقة كما فى بعض الروايات.. فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ كان يخطب إلى جذع، فلما صُنع له المنبر، فتحول إليه، حنَّ الجذع، فأتاه رسول الله ﷺ فاحتضنه، فسكن، وقال: «لو

---

(١) شرح ابن بطال (١/ ٤٢) وصحيح مسلم بشرح النووى (١/ ١٢٤) رقم (٦٢) والديباج على مسلم (١/ ٦٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٧٧٤) ومسلم والترمذى وقال: حسن صحيح ورواه أحمد.

لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة»(١) ورواه ابن ماجة بهذا اللفظ عن أنس بن مالك ﷺ وفى سنن الدارمى من حديث ابن بريدة - أن رسول الله ﷺ. قال: «**اختر أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه، فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك فى الجنة، فتشرب من أنهارها وعيونها فيحسن نبتك وتثمر، فيأكل أولياء الله من ثمرتك ونخلك، فعلت**»(٢) فاختار أن يغرسه رسول الله ﷺ فى الجنة.. بأبى أنت وأمى يا رسول الله.. ألم يُسلم عليه الحجر؟! ألم يسبح فى كفه الحصا؟!

قال ﷺ: «**إنى لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علىَّ قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن**»(٣).

أحبه الحيوان الأعجم، فعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان فى نفر من المهاجرين والأنصار، فجاء بعير، فسجد له، فقال أصحابه: يا رسول الله، تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك... فقال ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**»(٤).

أحبتى فى الله...

إنَّ رب العزة والجلال ذكر أهل الإيمان منته وفضله عليهم بمبعث الحبيب محمد ﷺ ليعرفوا قدر هذه النعمة، فيشكروا الله عليها ويحمدوه فقال مولانا: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وأهل الإيمان هم الذين يستشعرون هذه المنة، ويعرفون قدرها حق المعرفة فقد كانوا قبل مبعثه فى غاية من الضلال، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، كانوا

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (٢١٧٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه الدارمى فى سننه برقم (٣٢) جـ١/١٨ وقال محققه: صحيح.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٤٢٢٢) وأحمد فى مسنده.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده ورواه الترمذى وصححه الألبانى فى تخريج المشكاة رقم (٣٢٥٥).

فى جاهليـة جهلاء، وضـلالة عمياء... نظر الله إلى أهل الأرض فـمقتـهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب..

يقول جـعفـر بن أبى طالب - رضى الله عنه وأرضاه - مـخبرًا النجـاشى ملك الحبشة، لما سـأله، قال: كنَّا عبَّاد أوثان، نأكل الميتة، ونشـرب الخمر، ونقطع الرحم ونأتى الفواحش، حتى بعث الله فـينا محمدًا ﷺ فأخـرجنا الله به من الظلمات إلى النور...

فكيف لا نحـبـه وقد أخـرجنا الله عـز وجل به من الظلمـات إلى النور.. من ظلمات الشرك إلى نور الهداية والتوحيد؟

إن محبته ﷺ سبب لذوق حلاوة الإيمان، فـقد قال النبى ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمـان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار»**[1].

وحلاوة الإيمان معناها: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق فى الدين، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا.. فما أشرفها من ثمرة؟!

محبة الرسول ﷺ سبب فى مرافقته ﷺ يوم القيامة فى أعالى الجنان، فقد سأل أحد الصـحب الكرام خير الأنـام، فقال: يا رسـول الله، متى الساعـة؟ قال: **«وما أعددت لها؟»**

قال الرجل: حب الله ورسوله...

قال ﷺ: **«فإنك مع من أحببت»**.

قال أنس رضي الله عنه: فمـا فرحنا بعد الإسلام فرحًـا أشد من قول النبى ﷺ للرجل: **«فإنك مع من أحببت»**.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وغيرهم.

قال أنس رضي الله عنه: فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم[١].

وجاء في حديث آخر رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحبّ قومًا، ولم يلحق بهم؟

فقال رسول الله ﷺ: «**المرء مع من أحب**»[٢].

أحبتي في الله..

يزعم كل واحد منّا أنه يحب النبي ﷺ لكن هل نحن صادقون في هذه الدعوى؟

لقد ذكر العلماء علامات ومقاييس لمعرفة محبة النبي ﷺ في قلب المسلم وعدمه، فإذا توافرت هذه العلامات في شخص فليحمد الله عز وجل على وجود حب صادق للنبي ﷺ في قلبه، وإذا فقد تلك العلامات أو بعضها، فليحاسب نفسه قبل أن يحاسب في يوم يجعل الولدان شيبًا، ولا يحاول خداع الله تعالى والمؤمنين، فالمخادع إنما يخادع نفسه، قال تعالى: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...**﴾ [النساء: ١٤٢] وقال: ﴿**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ٩].

* فما هي علامات حبكم للرسول المصطفى ﷺ ؟

العلامة الأولى: الحرص على رؤيته وصحبته:

ويكون فقد على المسلم أشد من فقد أي شيء آخر في الدنيا.. إن من المعروف أن غاية ما يتمنى المحب أن يسعد برؤية حبيبه، فمحب الحبيب محمد ﷺ يتمنى دائمًا أن يسعد برؤيته ﷺ في الدنيا والآخرة، وحينما يعطى له فرصة اختيار، فأحب

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣٩) والبخاري بنحوه.

(٢) صحيح: متفق عليه.

شيء وأغلى شيء يختاره رؤيته.. يحدثنا الإمام مسلم عن أحد الصادقين في محبته للنبي ﷺ ماذا اختار حينما أتيحت له فرصة الاختيار؟

يقول هذا المحب الصادق، وهو ربيعة بن كعب ﷺ: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوء، وحاجته، فقال لي: «**سل**» فقلت: يا رسول الله، **أسألك مرافقتك في الجنة**، فقال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.. يرون أن مرافقة رسول الله ﷺ ورؤيته أعظم عندهم من أي شيء آخر..

وهذا محب آخر هو ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب له، قليل الصبر عنه.. أتاه ذات يوم وقد تغير لونه، ونحل جسمه، يعرف في وجهه الحزن، فسأله الحبيب محمد ﷺ عن تغير حاله، فقال له: ما بي ضر، ولا وجع، غير أني إذا لم أرك، اشتقت إليك، واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، ثم تذكرت الآخرة، وأخاف أن لا أراك هناك لأني علمت أنك سترفع مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة، كنت في منزلة هي أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل، فذلك حين لا أراك أبدًا فأنزل الله قوله[١] تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠] هكذا كان الصادقون في محبته.. لكن كيف نحن من محبة هؤلاء للرسول الأعظم ﷺ؟ ألسنا قد أحببنا أشياء كثيرة واستبدلناها بهذه المحبة؟ نبذل الشئ الكثير من الوقت والمال لمشاهدة ما نحبه، ثم نضيع العديد من حقوق الله تعالى، وحقوق نبيه ﷺ وحقوق الناس وهذا مثال آخر من أمثلة محبته ﷺ:

في غزوة حنين خُيّر الأنصار بين مرافقته ﷺ وبين الشاة والبعير، فرضوا أن يذهب الناس بمتاع الدنيا إلى بيوتهم، ويذهبون هم بالنبي الحبيب ﷺ إلى رحالهم.. فقد روى البخاري عن عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ قال: لما أفاء الله على رسوله

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٧١).

يوم حنين، أعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا - أى حزنوا - إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم الحبيب المصطفى ﷺ فقال: «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً، فهداكم الله بى؟ وكنتم متفرقين، فألفكم الله بى؟ وعالة فأغناكم الله بى؟**» فكلما قال شيئًا، قالوا: الله ورسوله أمنُّ، قال: «**ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ**».

قال - كما فى رواية أحمد فى المسند -: «**ألا تجيبوننى؟ ألا تقولون: أتيتنا طريدًا فآويناك؟ وأتيتنا خائفًا فأمناك؟!**

ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟!

لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا، لسلكت وادى الأنصار وشعبها.. الأنصار شعار، والناس دثار.. إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض».

ومعنى: الأنصار شعار المقصود شدة قربهم منه ﷺ فهى استعارة لطيفة.. أو أنه أراد أنهم بطانته وخاصته، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم وفى حديث أبى سعيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار...**».

قال: فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسمًا وحظًا[1].

وهذا محبٌّ صادق آخر.. إنه فاروق هذه الأمة.. ومواقفه فى المحبة لا تتناهى.. نراه وهو يرتحل من دار الفناء إلى دار البقاء، وأهم ما يتمناه أن يدفن بجوار حبيبه الكريم، يحدثنا فى ذلك الإمام البخارى عن عمرو بن ميمون أن عمر

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد واللفظ له ورواه الترمذى.

ابن الخطاب ﵁ قال لابنه عبد الله: يا عبد الله بن عمر انطلق إلى عائشة أم المؤمنين ﵂ فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها فوجدها جالسة تبكى فقال: يقرأ عليك عمر السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه..

فقالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرنه به اليوم على نفسى.. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر، قد جاء.

قال: ارفعونى، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟

قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت.

قال: الحمد لله.. ما كان من شىء أهم إلىَّ من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملونى، ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى، ردونى إلى مقابر المسلمين[١].

فأى حب بعد هذا الحب، حب فى دار الفناء، وحب فى دار البرزخ.. وهذا صديق الأمة الأكبر ﵁ يحزن حزنًا شديدًا لفراق الحبيب المصطفى ﷺ وليس وحده، ولكنه كان أول من ألم به الحزن قبل أن يفارق حبيبه. حين خطب الحبيب فقال:

«إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال راوى الحديث - أبو سعيد الخدرى -: فبكى أبو بكر ﵁ فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله عن عبدٍ خيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر ﵁ أعلمنا»[٢].

---

(١) صحيح: رواه البخارى برقم (٣٧٠٠) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخارى برقم (٣٦٥٤).

وفى رواية أخرى عن معاوية: «فلم يلقنها إلا أبو بكر ﷺ فبكى، وقال: نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأبنائنا يا رسول»[١].

حتى لما حضرته ﷺ الوفاة، قال: أى يوم هذا؟ قالوا: يوم الاثنين قال: فإن مت من ليلتى فلا تنتظروا بى إلى الغد، فإنَّ أحب الأيام والليالى إلىَّ أقربها من رسول الله ﷺ[٢].

الله أكبر.. إنه حب الحبيب للحبيب.. صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله ورضى الله عنك يا صديق الأمة..

العلامة الثانية: بذل النفس والمال دون الحبيب ﷺ:

يترقب المحب الصادق بكل اشتياق الفرصة التى يبذل فيها نفسه، وكل ما يملك فداء لحبيبه، والمحبون الصادقون كانوا دائمًا على أتم الاستعداد لفدائه بالنفس وبكل عزيز عليهم.. والذين كانوا بعد عصره، كانوا يجدون حسرة فى قلوبهم على فوات هذه الفرصة، والمتتبع لسيرة النبى ﷺ مع أصحابه وأحبابه. يجد منهم محبة منقطعة النظير.. فداء له بالنفس والمال ففى أثناء الهجرة لما أدركهما سراقة بن مالك بن جعشم على فرسه، قال أبو بكر: يا رسول الله، هذا الطلب قد لحق بنا.. وبكى أبو بكر لماذا؟ بكى خوفًا.. خوفًا على نفسه.. لا بل خوفًا على حبيبه محمد ﷺ فقال له الحبيب ﷺ: «**لمَ تبكى**»؟

فقال: أما والله ما على نفسى أبكى، ولكن أبكى عليك - أى خوفًا على حياتك فقال له الحبيب: «**لا تحزن إنَّ الله معنا..**» ثم دعا عليه رسول الله قائلاً: «**اللهمَّ اكفناه بما شئت**» فساخت قوائم فرسه[٣]..

وبينما كان رسول الله ﷺ وصاحبه فى طريقهما إلى الغار، كان أبو بكر يمشى ساعة بين يديه، وساعة خلفه، حتى فطن رسول الله فقال: «**يا أبا بكر، تمشى ساعة**

(١) حسن: مجمع الزوائد كتاب المناقب (٩/ ٤٢) للهيثمى.
(٢) صحيح: رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح.
(٣) صحيح: رواه أحمد فى مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر (١/ ١٦٦) برقم (٣).

بين يدى، وساعة خلفى؟» فقال: يا رسول الله، أذكر الطلب - أى المطاردين - فأمشى خلفك، ثم أذكر الرصد أى الكمين - فأمشى بين يديك..

فقال: «**يا أبا بكر، لو كان شىء، أحببت أن يكون بك دونى؟**» ومعناه هل لو كان شىء يصيبنى، فهل تحب أن يكون واقعًا بك؟

قال: نعم، والذى بعثك بالحق، ما كانت لتكون من ملمة - أى مصيبة - **إلا أن** تكون بى دونك، فلما انتهيا إلى الغار.. قال أبو بكر: مكانك **يا رسول الله**، حتى أستبرئ لك الغار، فدخل واستبرأه[1]..

ويقول للحبيب المصطفى ﷺ: إن قتلت فإنما أنا رجل واحد، **وإن قتلت أنت**، هلكت أمة بأسرها..

وهذا **زيد بن الدثنة** رضي الله عنه يخرجه أهل مكة إلى الحرم كى **يقتلوه، فيجتمعون** حوله، فيقول له أبو سفيان: أنشدك **بالله** يا زيد، **أتحب محمدًا عندنا الآن فى مكانك** نضرب عنقه، وأنت فى أهلك؟

قال: **والله** لا أحب أن محمدًا الآن فى مكانه الذى هو فيه، **تصيبه شوكة تؤذيه** وإنى جالس فى أهلى..

وهذا **سعد بن الربيع** رضي الله عنه كان فى آخر لحظات حياته، لكن كان **هناك شىء يشغل** باله، ماذا كان ذلك الشىء؟

يحدثنا ابن هشام بأن النبى ﷺ بعد معركة أحد، قال **لأصحابه**: «**من رجل ينظر إلى ما فعل سعد بن الربيع؟ أفى الأحياء هو أم فى الأموات؟**» **فقال رجل من** الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، **فنظر فوجده جريحًا فى القتلى**، وبه رمق، قال: **قلت له**: إن رسول **الله** ﷺ **أمرنى أن أنظرك أفى الأحياء أنت أم فى** الأموات؟ قال: أنا فى الأموات، فأبلغ رسول **الله** ﷺ **عنى السلام وقل له: إنَّ سعد**

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٤٢٣٧) وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه (١٠/٥٢).

ابن الربيع، يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًّا عن أمته، وأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم: إنَّ سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله تعالى، إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف..

قال: ثم لم أبرح، حتى مات[١]...

رضى الله عنك يا سعد بن الربيع، وأسكنك فسيح جناته.. فيم فكر هذا المحب الصادق فى آخر لحظة من لحظات عمره؟ ماذا شغل باله؟ أعياله وأولاده؟ أم ماله وتجارته؟ لا هذه ولا تلك.. وإنما الذى شغل باله وهو يجود بآخر أنفاسه الطاهرة؟ لا شيء سوى سلامة حبيبه ﷺ.

* **العلامة الثالثة: امتثال أوامره، واجتناب نواهيه:**

إنه لا يختلف اثنان فى أن المحب لمن يحب مطيع.. ولله در من قال فيمن يدعى محبة الله:

تعصى الإله وأنت تظهر حبه
هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

والمحب لا يقف عند تنفيذ تعليمات حبيبه فقط، بل يلاحظ بكل دقة تغيرات وجهه، وإشارات عينيه، لعله يدرك ما يحبه حبيبه، فيفعله، أو يعرف ما يبغض حبيبه فيبتعد عنه.. وحين نتأمل أحوال المحبين الصادقين فى ذلك نجد العجب العجاب.. فعن جابر رضي الله عنه قال: استوى رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة يومًا - فقال: «**اجلسوا**» فسمع ذلك ابن مسعود رضي الله عنه فجلس على باب المسجد، فرآه رسول الله ﷺ: فقال: «**تعال يا عبد الله بن مسعود**»[٢] انظروا إلى هذا الحب الصادق.. إن ابن

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير وسير أعلام النبلاء.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (١٠٩١).

مسعود ﷺ لم تطاوعه نفسه أن تتأخر عن تنفيذ أمر حبيبه ﷺ حتى يدخل المسجد، ثم يجلس فى الصف، بل جلس على باب المسجد فى لحظة سماعه أمر حبيبه ﷺ..

ولم يكن هذا دأب ابن مسعود ﷺ فقط، بل هكذا كان جميع المحبين الصادقين يسارعون فى امتثال أوامره وتنفيذ تعاليمه.. فهل فعلنا نحن ذلك؟

ويوم أن حرم الله الخمر.. يقول أحد المحبين الصادقين، وهو أنس بن مالك خادم النبى الأمين ﷺ يقول: كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر فى بيت أبى طلحة، وما شرابهم إلا الفضيخ، فإذا منادٍ ينادى: ألا إن الخمر قد حرمت.. فقال لى أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فأهرقتها.. فجرت فى سكك المدينة..

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن يحب الله ورسوله، وممن يحبهم الله ورسوله..

اللهمَّ يا من به يستغيث المذنبون، ويا من إلى ذكر إحسانه يفزع المضطرون ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون.. يا أنس كل مستوحش غريب، ويا فرج كل مكروب كئيب.. ويا غوث كل مخذول فريد.. ويا عضد كل محتاج طريد استعملنا فى طاعتك.. وارزقنا حسن الإنابة إليك، وأذقنا حلاوة مغفرتك يا رب العالمين..

الوصية رقم (٢)

* وصية نبى الله نوح عليه السلام *

عن عبد الله بن عمرو ﭬ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ نبى الله نوحًا عليه السلام، لما حضرته الوفاة، قال لابنه: إنى قاصٌّ عليك الوصية: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع، والأرضين السبع، لو وضعت فى كفة، ووضعت لا إله إلا الله فى كفة، لرجحت بهن، ولو أن السموات السبع، والأرضين السبع كن حلقة مبهمة، لقصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شىء، وبها يرزق كل شىء، وأنهاك عن الشرك والكبر**»[(١)].

صدق رسول الله ﷺ . .

أحبتى فى الله . . .

إنَّ نبى الله نوحًا عليه السلام ظل يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، مدة طويلة من الزمان، ذكر القرآن الكريم أنها ألف سنة إلا خمسين عامًا . . قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا . . .**﴾ [العنكبوت: ١٤] دعاهم بشتى الطرق . . تارة يدعوهم فى السر، وتارة يدعوهم فى العلانية . . لكن قلوبهم كانت متحجرة غليظة ولذا قال: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا . .**﴾ [نوح: ٥ - ٩].

وطيلة هذه المدة وهم يؤذونه بجميع أنواع الإيذاء: بالقول، وبالفعل باللسان . . بالسب والشتم واللعن والطعن . . رموه بالجنون - رموه بالسحر . . رموه بالكذب . .

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده والبخارى فى الأدب المفرد (٤٢٦) وصححه الألبانى.

واستهزءوا به أشد الاستهزاء.. وبالفعل ضربوه وآذوه.. حتى أوحى الله إليه.. **﴿وأُوحى إلىٰ نوحٍ أَنَّهُ لن يؤمن من قومك إلاَّ مَن قَدْ آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾** [هود: ٣٦] ثم أمره أن يصنع السفينة، ويحمل فيها أهله من المؤمنينَ والمؤمنات، ثم من كلٍ زوجين اثنين.. حتى نادى على ابنه، وقال له: **﴿يا بُنَيَّ اركَب مَّعَنا ولا تكُن مَّع الكافرين..﴾** [هود: ٤٢] فأجابه الولد.. أجابه الابن الذى لم يعرف معنى لا إله إلا الله.. ولم يدرك معانيها.. ولم يؤمن بها.. قائلاً: **﴿قالَ سآوى إلىٰ جبلٍ يعْصِمُنى من الْماء قالَ لا عاصم اليوْمَ من أمْرِ اللَّه إلاَّ من رَّحِم وحالَ بيْنهُما الْموْجُ فكان من الْمُغْرقين..﴾** [هود: ٤٣] غرق مع من غرق من المشركين.. لأنه لم يكن من الموحدين.. ولذا قال نوح كما حكى القرآن معاتبًا مولاه: **﴿ونَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فقالَ ربِّ إنَّ ابْنِى من أهْلِى وإنَّ وعدَك الْحقُّ وأنت أحْكَمُ الْحاكمين﴾** [هود: ٤٥] لكن ماذا كانت الإجبة من اللطيف الخبير؟! ماذا كانت الإجابة من السميع البصير؟ **﴿قالَ يا نُوحُ إنَّهُ ليْس منْ أهْلِك إنَّهُ عملٌ غيرُ صالحٍ...﴾** [هود: ٤٦] أى أنه ليس من أهل التوحيد والإيمان.. ليس من أهل لا إله إلا الله..

أحبتى الكرام..

ومن أبناء نوح عليه السلام من كان من أهل التوحيد والإيمان، **فأوصاه نوح قبل** أن يفارق الحياة الدنيوية.. أوصاه بـ (لا إله إلا الله) ووصى بها بعد ذلك خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام أبناءه.. **﴿ووصَّىٰ بها إبْراهيمُ بنيه ويعْقُوبُ يا بنِيَّ إنَّ اللَّه اصْطفىٰ لكُمُ الدّين فلا تمُوتُنَّ إلاَّ وأنتم مُّسْلمُون﴾** [البقرة: ١٣٢].

ووصى بها يعقوب أبناءه قبل أن يفارق الحياة.. **﴿أمْ كُنتُمْ شُهداء إذْ حضر يعْقُوب الْموْتُ إذْ قال لبنيه ما تعْبُدُون من بعْدى قالُوا نعْبُدُ إلهك وإله آبائك إبْراهيم وإسْماعيل وإسْحاق إلهًا واحدًا ونحْنُ لهُ مُسْلمُون﴾** [البقرة: ١٣٣].

كل نبى من الأنبياء أوصى أتباعه أن يقولوا: لا إله إلا الله.. كل الأنبياء رفعوا راية التوحيد عالية خفاقة... قال رسول الله ﷺ: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون**

مـن قـبلى: **لا إله إلا الله، وحـده لا شـريك لـه**»[١] وقال: «**أفضل الـذكر: لا إله إلا الله..**»[٢].

وهذه الكلمـة العظيمة المبـاركة يعلنهـا المسلمون فى الأذان، وفى الإقـامة، وفى خطبهم، وفى مسـاجدهم، وفى أذكارهم، صباحًا ومـساءً، وفى كل حين لا إله إلا الله.. عليها نحيا.. وعليها نموت.. وعليها نلقى الله إن شاء الله..

لا إله إلا الله أخلو بها وحدى..

لا إله إلا الله أفنى بها عمرى..

لا إله إلا الله أدخل بها قبرى..

لا إله إلا الله يغفر بها ذنبى..

لا إله إلا الله هى أعلى وأفـضل شـعب الإيمـان. قـال ﷺ: «**الإيمـان بضع وستون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله..**»[٣].

لا إله إلا الله.. تفتح لقـائلها أبواب الجنة الثمانيـة، كما جاء فى حـديث مسلم «**ما منكم من أحد يتوضأ، فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء**»[٤].

لا إله إلا الله هى الأمان من وحشة القبور، وهول المحشر..

لا إله إلا الله هى أعظم سبب لتحرير العقل من الخرافات والأوهام والأباطيل..

لا إله إلا الله.. هى سبب الرفـعة والعزة والعلو، فلقـد عز بها بلال الحـبشى، وسلمان الفارسى، وصهيب الرومى.. وذل بسبب تركـها أشراف قريش، كأبى جهل وأبى لهب..

---

(١) **حسن**: أخرجه مالك فى الموطأ وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٠٢).

(٢) **حسن**: رواه الترمذى وابن مـاجه وابن حبان والحاكم وصـححه الألبانى فى صـحيح الجامع (١١٠٤).

(٣) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود للألبانى (٤٦٧٦) وابن ماجه (٥٧).

(٤) رواه مسلم وغيره.

لا إله إلا الله . هي سبب الشجاعة والإقدام، فكلما ازداد الإنسان علمًا بها، وعملاً بمقتضاها ازداد بذلك جرأة وشجاعة وإقدامًا في الحق، ولا أدل على ذلك من حال الأنبياء

لا إله إلا الله . هي السبب الأعظم في تفريج الكربات الدنيوية والأخروية ولذلك لما كان يونس عليه السلام في بطن الحوت. ﴿فنادىٰ في الظُّلُمات أن لاَّ إله إلاَّ أنت سبحانك إنِّي كُنت من الظَّالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] فاستجاب الله له، وفرج كربته ﴿فَاسْتَجبنا لهُ ونجيناه من الغمِ وكذلك نُنجِي الْمُؤْمنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

لا إله إلا الله هي التي تثقل الموازين تثقل ميزان العبد يوم القيامة، كما في وصية نبي الله نوح عليه السلام لولده.

قال موسى يارب، علمني شيئًا أدعوك به، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله قال: يا رب، كل عبادك يقولونها قال. يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضيين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله.

فقل لا إله إلا الله. اجعل حب لا إله إلا الله أكبر من أي حب كبر، وتعلق به قلبك.

اجعل لا إله إلا الله وقودًا تضيء به قناديل قلبك، فتنجلي ظلمته. . اجعل لا إله إلا الله، مدادًا ترتوي به أقلام أفكارك. اجعل لا إله إلا الله هي سبيل فوزك بالجنة، والنجاة من النار ﴿فَمن زحزح عنِ النَّار وأُدخل الْجَنَّةَ فَقَدْ فَاز..﴾ [آل عمران: ١٨٥]

لا إله إلا الله هي سبب عدم الخلود في النار، لمن استحق دخولها.

لا إله إلا الله الكلمة الطيبة المضروبة مثلاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أَصلُها ثَابتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء..﴾ [إبراهيم ثابت في قلب المؤمن وفرعها - وهو العمل الصالح - صاعد

إلى الله عز وجل - فالكلمة الطيبة هى كلمة الإخلاص، والشجرة الطيبة هى النخلة وقد شبه الله عز وجل كلمة الإخلاص بالنخلة، لأمور منها: **أولاً**: أن النخلة لابد لها من ثلاثة أشياء: عرق راسخ، وأصل قائم، وفرع عال، كذلك الإيمان، لابد له من ثلاثة أشياء: تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان..

ثانيًا: أن النخلة لا تنبت فى كل أرض، كذلك كلمة التوحيد لا تستقر فى كل قلب، بل فى قلب المؤمن فقط.

لا إله إلا الله... آخر واجب على المكلف، فمن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله، دخل الجنة.. لحديث معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة**»[1].

لا إله إلا الله، أفضل الحسنات وأعظمها وأحسنها، لحديث أبى ذر ﷺ أنه قال: يا رسول الله، علمنى عملاً يقربنى من الجنة، ويباعدنى من النار، قال: «**إذا عملت سيئة، فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها**..» قال أبو ذر: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «**هى أفضل الحسنات**»[2]

أحبتى فى الله..

وإن من مقتضى لا إله إلا الله وحقها على من نطق بها؛ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا، والعمل بطاعة الله، وترك معاصيه..

وقد وجد فى الناس اليوم خلق كثير يقولون هذه الكلمة، لكنهم لا يقيمون الصلاة، أو لا يؤدون الزكاة، وقد قال أناس للحسن البصرى - رحمه الله -: إنَّ ناسًا يقولون: من قال لا إله إلا الله، دخل الجنة، فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدَّى حقها، وفرضها دخل الجنة..

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود (٣١١٦) وصحيح الجامع (٦٤٧١).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣١٦٢)

وقال وهب بن منبه - رحمه الله - لمن سأله: أليس **لا إله إلا الله** مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان، فتح، وإلا لم يفتح لك... وأسنانها سائر أركان الإسلام وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل**»[1].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكان له حرزاً من الشيطان يومه ذاك حتى يمسي، ولم يأت أحدٌ بأفضل مما جاء به، إلا رجلٌ عمل أكثر منه**»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دخل السوق، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتاً في الجنة**»[3].

أحبتي الكرام..

ومن وصية نوح لابنه: «**وسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء**» إنه يوصيه بأن يذكر الله عز وجل بها، ويعلل ذلك بأنها صلاة كل شيء.. لأن كل ما في الكون يسبح بحمد ربه.. ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾ [النور: ٤١].

السموات السبع تسبح   والأرضون السبع تسبح.. وكل من فيهن يسبح..

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم.

(٢) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي.

(٣) **حسن**: رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي **(٣٤٢٨)**.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..﴾ [الإسراء: ٤٤].

الملائكة تسبح، ﴿وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥].

ألم تعلم أن الرعد يسبح بحمده؟ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ..﴾ [الرعد: ١٣].

تسبحه نغمات الطيور
يسبحه الظل تحت الشجر
يسبحه النبع بين المروج
يسبح دومًا أريج الزهر
يسبحه النور بين الغصون
وسحر المساء وضوء القمر

الكون كله يسبح بحمده.. ولكن لا تفقهون تسبيحهم...

الطير سبحه والوحش مجده
والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه
والنحل يهتف حمدًا فى خلاياه
والناس يعصونه جهرًا فيسترهم
والعبد ينسى وربى ليس ينساه

وقد ورد فى فضائل هؤلاء الكلمات ما يأتى:

١ - أنهن أحب الكلام إلى الله عز وجل، لحديث سمرة بن جندب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أحب الكلام إلى الله عز وجل أربع، لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(١).

٢ - أنهن أحب ما طلعت عليه الشمس في الدنيا، لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس**»(٢).

وقد ورد في فضلهن ما ثبت في مسند الإمام أحمد وشعب الإيمان للبيهقي عن أم هانئ ﷺ قالت: مر بي رسول الله ﷺ فقلت: إني قد كبرت وضعفت، أو كما قالت، فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة، قال: «**سبحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل، واحمدي الله مائة تحميدة، تعدل لك مائة فرس، مسرجة ملجمة، تحملن عليها في سبيل الله، وكبري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة، وهللي مائة تهليلة**»(٣).

فتأملوا هذا الثواب العظيم المترتب على هؤلاء الكلمات، فمن سبح الله مائة تسبيحة أي قال: سبحان الله، مائة مرة، فإنها تعدل عتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، وخص بني إسماعيل بالذكر، لأنهم أشرف العرب نسبًا.. ومن حمد الله مائة، أي قال. الحمد لله مائة مرة، كان له من الثواب مثل ثواب من تصدق بمائة فرس مسرجة منجمة، أي عليها سراجها ولجامها لحمل المجاهدين في سبيل الله.. ومن كبر الله مائة مرة، أي قال: الله أكبر مائة مرة، كان له من الثواب مثل ثواب من أنفق أو أخرج مائة بدنة مقلدة متقبلة..

ومن هلل، أي قال: لا إله إلا الله مائة مرة، فإنها تملأ ما بين السماء والأرض.

٣ - ومن فضائل هذه الكلمات: أنهن مكفرات للذنوب:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) **حسن**: رواه أحمد باسناد حسن قاله المنذري في الترغيب.

لحديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «**ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر**»(١) والمراد بالذنوب المكفرة هنا أي الصغائر..

وقد مرّ النبي ﷺ بشجرة يابسة، فضربها بعصاه، فتناثر الورق فقال ﷺ: «**إنَّ الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لتساقط من ذنوب العبد، كما يتساقط ورق هذه الشجرة**»(٢).

٤ - ومن فضائل هؤلاء الكلمات: أنهن غرس الجنة..

لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»(٣).

والقيعان جمع قاع، وهو المكان المستوى الواسع من الأرض، يعلوه ماء السماء، فيمسكه ويستوى نباته.. كذا فى النهاية لابن الأثير..

والمقصود: أن الجنة ينمو غراسها سريعًا بهذه الكلمات، كما ينمو غراس القيعان من الأرض ونبتها... وقال ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة فى الجنة**»(٤).

٥ - ومن فضائل هذه الكلمات، أنها خفيفة على اللسان، ثقيلة فى الميزان

---

(١) **حسن**: رواه النسائي والترمذى واللفظ له وقال: حديث حسن وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٥٦٩).

(٢) **حسن**: رواه الترمذى وأحمد ورجاله رجال الصحيح وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٥٧٠).

(٣) **حسن**: رواه الترمذى والطبرانى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٦٠).

(٤) رواه البزاز بإسناد جيد وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٥٣٩).

قال ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يصبح: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، وإذا أمسى كذلك لم يواف أحد من الخلائق بمثل ما وافى**»(٢).

وفي رواية عند مسلم وأحمد والترمذي: «**من قال حين يصبح، وحين يمسي: سبحان الله العظيم وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ذلك، أو زاد عليه**»(٣).

٦ - ومن فضائلهن، أنهن ينعطفن حول عرش الرحمن، ولهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن، كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه **أن رسول الله** ﷺ قال: «**إن مما تذكرون من جلال الله، التسبيح والتحميد، ينعطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل، تذكر بصاحبها أما يحب أحدكم أن يكون له، أو لا يزال له من يذكر به**»(٤).

٧ - ومن فضائلهن: أنهن الباقيات الصالحات، وأنهن يحفظن صاحبهن من النار: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**خذوا جنتكم**» أي حصنوا أنفسكم - قالوا: يا رسول الله، عدو حضر؟

قال: «**لا، ولكن جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة، مجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات**»(٥).

---

(١) رواه البخاري وأحمد وغيرهما.

(٢) **صحيح**: صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٥٠٩١).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وذكره الألباني في صحيح الجامع (٦٤٢٥).

(٤) **صحيح**: رواه ابن أبي الدنيا والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ورواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٥٦٨).

(٥) **صحيح**: رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ورواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٢١٤).

أحبتى الكرام..

والحديث عن فضائل هذه الكلمات المباركات يحتاج إلى أكثر من هذا، لكن نكتفى بذلك، وما ذكرناه فيه فائدة إن شاء الله تعالى..

ثم نأتى إلى النهيين اللذين نهى سيدنا نوح ولده عنهما، وهما:

[**الإشراك بالله، والكبر**] وقد ذكرناهما فى وصايا غير هذه الوصية فلا داعى للإعادة أو الإطالة..

والله تعالى أسأل أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - اللهمَّ اجعلنا لك خاشعين، ولنبيك متبعين وللناس متواضعين، واحشرنا مع سيد النبيين، واغفر لنا ذنوبنا بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين، ويا أجود الأجودين، يا رب العالمين.

الوصية رقم (٣)

* مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله *

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما فى غدٍ إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتى المطر أحد إلا الله، ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»(١).

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله..

الإيمان بالغيب من صفات أهل الإيمان من المتقين، قال تعالى فى مفتتح كتابه فى أول سورة البقرة ﴿**الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**..﴾ [البقرة: ١ - ٤] ما جزاؤهم؟ وما ثوابهم؟ ﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ٥].

فأول صفات أهل الإيمان [أنهم يؤمنون بالغيب].

والوصية تؤكد على معنى فى غاية الأهمية، وهو انحصار علم الغيب عند الله عز وجل، أو لله سبحانه وتعالى، فلا يعلم الغيب أحدٌ إلا الله، وقد ذكر النبى ﷺ أنواعًا من الغيوب، التى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، فكأنه يريد أن يوجهنا ويرشدنا إلى أن هذه الأمور لا تبحثوا عنها، ولا تنشغلوا بالبحث عنها، لأنكم لا تصلون فيها إلى قليل أو إلى كثير، لأنها من خصوصيات الله تبارك وتعالى..

---

(١) رواه البخارى.

﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وفى بعض الروايات عند البخارى أن النبى ﷺ قرأ بعد أن بين أولئك الخمس، قرأ قوله تعالى: ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ [لقمان: ٣٤].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أوتى نبيكم علم كل شىء سوى هذه الخمس..

وتخصيص هذه بالذكر، لتعلقها بحياة الإنسان ورزقه ومصيره، فلا ينبغى أن يفهم من الآية وكلام الرسول ﷺ أن أمور الغيب محصورة فى هذه الخمسة، لكنها خصت دون غيرها، لأنها تتعلق بأمور الإنسان وتختص به، منذ أن كان جنينًا إلى ساعة ومكان موته، إلى قيام الساعة التى يجهل وقوعها، حتى ولو كان قاب قوسين منها أو أدنى..

فالآية الكريمة المباركة تقريع للإنسان، الذى يتطلع ويسأل عن موعد الساعة، فيقال له: يا أيها السائل عن الساعة أيان مرساها، أنت تسأل ومع ذلك لا تعلم معاشك، ولا تعلم ماذا تكسب غدًا، مع أنه فعلك وزمانك، ولا تعلم أين تموت، مع أنه شغلك ومكانك، فكيف تعلم قيام الساعة، ومتى تكون؟

إن مولاك ما أعلمك كسب غدك مع أن لك فيه فوائد، تبنى عليها الأمور من يومك.. ولا أعلمك أين تموت مع أن لك فيه أغراضًا، تهيئ أمورك بسبب ذلك العلم.. وإنما لم يعلمك ماذا تكسب غدًا، لتكون دائمًا متوكلاً عليه، معتمدًا عليه وحده.. ولم يعلمك الأرض التى تموت فيها كى لا تأمن الموت فى أى مكان.. فإذا لم يعلمك ما أنت فى حاجة إليه، فكيف يعلمك ما لا حاجة لك إليه، وهو علم الساعة؟!

وكذا البر بالوالدين باستطاعتك فعله، بإكرامهما، وباستطاعتك عدم فعله بإيذائهما . .

وكذا يدخل فى ذلك رد الأقدار بالأقدار . . فالجوع قدر، وندفعه بقدر الطعام وتناوله . . والمرض قدر، ونرده بقدر التداوى، وقد قيل: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقى بها، أترد من قدر الله شيئًا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هى من قدر الله»**[1].

ولما انتشر الطاعون فى أرض الشام، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيها، فأراد أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجراح - أمين الأمة رضي الله عنه -: أتفر من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، أفر من قدر الله إلى قدر الله[2] - فالطاعون مرض، والمرض قدر من أقدار الله عز وجل - فالفرار منه إلى الأرض الصحيحة، التى ليس بها مرض، وهو فرار إلى قدر الله أيضًا . .

ثم يضرب عمر بن الخطاب لأبى عبيدة رضي الله عنهما مثلاً بالأرض الخصبة، وأنه إذا كان يرعى فى أرض جدباء، لا كلأ فيها، ولا خضرة، ثم انتقل إلى أرض أخرى خصبة مليئة بالعشب، فإنه ينتقل من قدر الله إلى قدر الله.

والمسلم يؤمن بأن القدر يدفع بالقدر، فالمرض قدر، لا يدفعه إلا قدر التداوى قال ﷺ: **«تداووا عباد الله، فإن الله تعالى، لم يضع داء، إلا وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم»** (الشيخوخة).

فإذا قعد المسلم عن مدافعة الأقدار مع القدرة على ذلك، كان آثمًا، فإن لم يدفع قدر الجوع بالأكل، هلك ومات عاصيًا لله عز وجل . .

أحبتى فى الله . .

المسلم يعلم أن الأعمال بخواتيمها، فإن كان آخر عمل الإنسان خيرًا، فإن هذا

---

(١) **ضعيف**: رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه والترمذى وضعفه الألبانى.

(٢) رواه البخارى وغيره.

يبشر بالخير والثواب، ومن كان خير عمله شرًا، أخذ به، ففى حديث تطور خلق الإنسان، يقول النبى العدنان ﷺ: «فوالله **إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة. حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل النار. فيدخل النار**»[١].

فالمسلم عليه أن يسارع إلى الخيرات، لأن الأجل غير معلوم، ويبذل ما فى وسعه ويترك النتائج على الله..

المسلم لا يتخذ القدر حجة للتواكل، ومبررًا للمعاصى، ولكنه يتخذ القدر سبيلاً إلى تحقيق الأهداف السامية، والغايات النبيلة، فينطلق إلى البناء والتعمير واستخراج كنوز الأرض، والانتفاع بالخيرات العظيمة، التى أودعها الله عز وجل فى باطنها.. ولذا قال فى محكم كتابه: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥] وبذلك يربطه الإيمان بالقدر برب هذا الوجود وخالقه، وعلى المسلم أن لا يتواكل، ولكن يكون فهمه للقدر. كما فهمه الرسول ﷺ وصحابته، فقد كان ﷺ جالسًا ذات يوم، وفى يده عود ينكث به (يخط على الأرض) فرفع رأسه، فقال: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**» قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «**لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ**﴾[٢] [الليل: ٥ - ١٠].

أحبتى الكرام..

بقى أن نتساءل ما هى ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر؟

إنَّ للإيمان بالقضاء والقدر ثمرات كريمة منها:

أولاً: أن فى رضا المؤمن بقضاء الله وقدره قوة له، وهذا سر انتصار المسلمين فى

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم.

أحبتي الكرام..

والغيب نوعان: غيب كلي، وهو ما لا يعلمه إلا الله وحده، كالخمس المذكورة في قول الله عز وجل، وقول رسوله وحبيبه ﷺ.

وغيب جزئي، وهو ما غاب عن شخص دون غيره، فما يراه شخص في مكان ما، هو غيب عمن غاب عن ذلك المكان..

فهيا أحبتي الكرام لنقف مع هذه الخمس وقفة سريعة:

أولها: لا يعلم ما في غدٍ إلا الله..

قال تعالى: ﴿**قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ...**﴾ [النمل: ٦٥].

فمن يعلم ما في غد من خير إلا الله؟!

ومن يعلم ما في غدٍ من شر إلا الله؟!

قال تعالى على لسان حبيبه: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - وهو يبين العلم الممنوح للعباد والعلم الممنوع قال: ثم منعهم سبحانه علم ما سوى ذلك - أي علم ما سوى ما ينفعهم - مما ليس في شأنهم، ولا فيه مصلحة لهم، ولا نشأتهم قابلة له، كعلم الغيب، وعلم ما كان وعلم ما يكون، والعلم بعدد القطر، وأمواج البحر، وذرات الرمال، ومساقط الأوراق، وعدد الكواكب ومقاديرها وعلم ما فوق السموات، وما تحت الثرى، وما في لجج البحار، وأقطار العالم، وما يكنه الناس في صدورهم.. وما تحمل كل أنثى، وما تغيض الأرحام وما تزداد، إلى سائر ما عزب عنهم علمه.. ممن تكلف معرفة ذلك، فقد ظلم نفسه، وبخس من التوفيق حظه، ومن لم يحصل إلا على الجهل المركب، والخيال الفاسد في أكثر أمره..

أحبتى فى الله . .

لا يعلم ما فى غد إلا الله عز وجل . . لا يعلمه سحرة، ولا كهنة، ولا عرافون والإتيان إلى السحرة والعرافين والكهان، الذين يدعون علم أنهم يعلمون الغيب فيه خطورة على دين المسلم . .

وقد حذر النبى ﷺ من مجرد سؤال هؤلاء لما يحدثون فى دين الناس من لَبْس وخداع . . فقال ﷺ : «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»[١].

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**من أتى عرافًا، فسأله عن شىء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[٢].

والكاهن هو الذى تخدمه الشياطين، فيخبرونه بالمغيبات وبما يسترقون من السمع، فيضيف إلى تلك الكلمة الواحدة، التى استرقتها الشياطين مائة كذبة حتى يلبس على الناس.

قد سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان، فقال لهم رسول الله ﷺ : «**إنهم ليسوا بشىء**».

قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحيانًا بالشىء يكون حقًّا . .

فقال ﷺ : «**تلك الكلمة من الحق، يخطفها الجنى، فيقرها فى أذن وليه، قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**»[٣] وعند البخارى: «**إنَّ الملائكة تنزل فى العنان، وهو السحاب، فتذكر الأمر، قُضى فى السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[٤].

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٤) رواه البخارى.

والعراف: قيل هو الكاهن، وهو الذى يخبر عن المستقبل، وقيل: اسم عام للكاهن والمنجم، ومن يضرب الودع، أو يقرأ الكف وغيرهم من الدجاجلة الأفاكين، وتصديق هؤلاء يكون كفراً بالله تعالى من وجهين:

١ - تصديقهم بما يقولون وبما يدعون من كذب وافتراء، أنهم يعلمون شيئًا من الغيب.

٢ - عمل ما به شرك من ذبح أو تقرب، أو إراقة دماء أو لبن فى مكان معين دون ذكر اسم الله تعالى، ونحو ذلك..

والسحر يعتمد ويقوم على ثلاثة أركان:

الكفر بالله - الكذب - الاستعانة بشياطين الجن.

فليحذر المسلم أن يذهب إلى هؤلاء، لأنهم يلبسون عليه أمره، وربما أورثوه الشك فى دينه.. بخلاف ما إذا استرشد، وسأل أهل العلم والتقى.. فالعلماء هم الذين يبصرون الناس بالهدى..

فإذا علم المسلم وأيقن أن السحرة لا يعلمون الغيب، فإنه لا يذهب إليهم ولا يأتيهم.. ومما يدل على ضعف السحرة والكهان والعرافين أنهم يستعينون بالضعفاء، وهم الجن، والجن لا يعلمون الغيب، ومما يدل على ضعفهم أن الله سخر الجن لسليمان عليه السلام، فلما مات بقى سنة كاملة، وهو متكئ على عصاه، والجن مسخرة تخدمه، ولا يعلمون أنه قد مات إلا بعد أن أكلت دابة الأرض (الأرضة) من عصاه، فلما انكسر العصا، خرَّ سليمان فعلمت الجن بموته، وتبين لهم أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين.. كما قص الله عز وجل: ﴿**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝١٢ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ۝١٣ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ [سبأ: ١٢ - ١٤].

فالجن أذل وأحقر من أن يعلموا الغيب، أو أن يملكوا ضرًّا أو نفعًا. وكذا السحرة والمشعوذون والعرافون والكهان، ومن يدعون علم الغيب.. ومما يدل على ضعف أولئك، أنهم لا يستطيعون أن يعملوا السحر، إلا بأخذ أثر من آثار من يريدون أنَ يعملوا له السحر.

كما أنهم لا يستطيعون أن يسحروا من تحصن بالأذكار، والأوراد الشرعية قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

وبالذكر يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.. قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صرعه، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنسي.

أحبتي لكرام..

البند الثاني: [**ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله**].

وهذه المسألة مما يشكل على بعض الناس، فيظنون أن الطب اليوم قد توصل إلى معرفة ما في الأرحام، وليس الأمر كما يزعمون، فالله تعالى قال: ﴿ **ويعلم ما في الأرحام..** ﴾ ولفظ (الأرحام) عام يشمل الإنس والجن والوحش، وما في البحر من ذوات الأرحام، والطيور ذوات الأرحام.. فلا يعلمْ جميع ما في هذه الأرحام إلا الله، ولا يحيط بها إحاطة شاملة تامة إلا الله عز وجل..

ثم إنهم لا يعلمون ما في الأرحام، إنما يحاولون ويجتهدون، ويتوقعون، فيقولون هو بنسبة كذا ذكر، وبنسبة كذا أنثى، ثم قد يقع ما توقعوه، وقد لا يقع، كما قالوا..

ثم إنهم لا يتكلمون عما في الأرحام، إلا بعد ظهور علامات، وبعد فترة معينة.. وإنهم مهما أوتوا من العلم، فلن يستطيعوا معرفة أمرين:

الأول: جميع ما في الأرحام - الثاني: معرفة ما في الأرحام قبل مرور أربعين يومًا على النطفة..

وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفارى أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ بأذنى هاتين يقول: «**إنَّ النطفة تقع فى الرحم أربعين ليلة، ثم يتسور عليها الملك، فيقول: يا رب، أذكر أو أنثى، فيجعله الله ذكرًا أو أنثى، ثم يقول: يا رب، أسوى أو غير سوى، فيجعله الله سويًا أو غير سوى، ثم يقول: يا رب، ما رزقه؟ ما أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقيًا أو سعيدًا**»[١]..

فهذا الملك لا يعلم إلا بعد مضى أربعين يومًا، فإذا علم أحد بعده فلا يكون من علم الغيب المطلق..

وقال ابن مسعود ﷺ: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إنَّ أحدكم يجمع خلقة فى بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله وعمله، وشقى أو سعيد..**»[٢].

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾ [الرعد: ٨ - ٩] فالله عز وجل يخبرنا عن تمام علمه، الذى لا يخفى عليه شىء، وأنه محيط بما تحمله الحوامل، سواء كان ذكرًا أم أنثى، حسن أم قبيح.. أبيض أم أسود طويل أو قصير، شقى أو سعيد ﴿**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ..**﴾ [النجم: ٣٢].

البند الثالث: [ولا يعلم متى يأتى المطر أحدٌ إلا الله..]:

﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ..**﴾ [الشورى: ٢٨] يتوقع الفلكيون نزول الغيث، ويقولون: الفرصة مهيأة لنزول الأمطار، وتتجمع الغيوم فى السماء، وتنذر الحالة بأن المطر سوف ينزل. ولكن فى اللحظات الأخيرة، يصرف الله الرياح، كيف يشاء فتذهب بهذه الغيوم القائمة دون أن تنزل من السماء قطرة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

واحدة إذا تأخر الغيث.. إذا تأخر المطر، الذى يغيث العباد والبلاد، فزع الناس إلى ربهم يصلون صلاة الاستسقاء يناشدون ربهم أن يعفو عنهم، وأن يسقيهم... يخرجون تائبين من معاصيهم، متطهرين من أوزارهم، فى ثياب رثة يتذللون إليه.. ولذا شرع الإسلام صلاة الاستسقاء.. وليست خاصة بالأمة المحمدية، ولكنها كانت لمن قبلنا، فهذا نبى الله موسى وكليمه عليه السلام يخرج مع قومه بين يدى ربه لصلاة الاستسقاء، فدعا الله عز وجل، ولكن المطر لم ينزل، فسأل موسى ربه: يا رب، صلينا ولم ينزل المطر، فقال: إن بينكم رجلاً عاصيًا، فأمره أن يخرج من بينكم حتى أتقبل منكم.. فقال موسى لقومه: يا أيها الناس، فيما بينكم رجل عاصٍ، فليخرج من بيننا، حتى يتقبل الله منا.. فنظر الرجل حوله، فلم يجد أحدًا غيره عاصٍ، فقال فى نفسه: يا رب، استرنى، ولا تفضحنى، فإنى تائب إليك الآن.. ولم يخرج، فعاد موسى عليه السلام، وصلى صلاة الاستسقاء، فتقبل الله، ونزل المطر، فقال موسى: يا رب، صلينا ولم يخرج العاصى وأنزلت المطر، فقال الله عز وجل: يا موسى، لقد تاب إلىَّ توبة نصوحًا ومن أجله رزقتكم المطر، فقال: يا رب، دلنى عليه، فقال: يا موسى، سترته وهو عاصٍ، فكيف أفضحه بعد ما تاب إليّ؟!

وخرج نبى الله سليمان عليه السلام بقومه، ليصلوا صلاة الاستسقاء فوجد نملة ملقاة على ظهرها، رافعة قوائمها إلى السماء، تدعو الله عز وجل، وتقول: اللهمَّ إنا خلق من خلقك، فلا تؤاخذنا بذنوب بنى آدم، واسقنا من غيثك.. فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعاء نملة..

فالاستسقاء بصلاة الاستسقاء مشروع، لكن الاستسقاء بالأنواء غير مشروع، بل هو عمل من أعمال الجاهلية الأولى، لأن المشركين كانوا ينسبون نزول المطر إلى الأنواء.. أى منازل النجوم أو القمر، وقد قال الله عز وجل: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة: ٨٢].

روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال فى قوله تعالى: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ...**﴾ أى شكركم أنكم تكذبون، وتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا[1]..

---

(١) **حسن**: رواه أحمد في مسنده والترمذي وغيرهما.

وعن زيد بن خالد الجهنى ﷺ قال صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء، كانت من الليل، فلما انصرف، أقبل على الناس، فقال: **هل تدرون ماذا قال ربكم؟** قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «**أصبح من عبادى مؤمنَ بى وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بى، وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بى ومؤمن بالكواكب**»[1]

فقد جاء فى أول الحديث (صلى لنا) أليست الصلاة لله عز وجل؟ والنجوم لا دخل لها بنزول المطر لكنها (زينة، ورجوم، وعلامات)؟ قال الإمام البخارى فى صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء الدنيا، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك، أخطأ، وأضاع نفسه، وتكلف ما لا علم له به.

فالمطر لا يعلم وقت نزوله إلا الله عز وجل لأنه من اختصاص الله تعالى وما يخبر عنه خبراء الطقس، أو الأرصاد الجوية، فهو من باب التوقعات لا الجزم، لذا ينبغى أن يقدموا المشيئة، فيقولوا نتوقع نزول الأمطار غدا إن شاء الله تعالى. ﴿**وَلَا تَقُولَن لشىء إِنِّى فَاعِلٌ ذلك غدا ﴿٢٣﴾ إلاَّ أَن يشَاء اللَّهُ..**﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]

أحبتى الكرام.

فماذا عن البند الرابع؟

❊ **البند الرابع:** [**ولا تدرى نفس بأى أرض تموت إلا الله..**]:

فليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض فى بحر أو برٍ أو سهل أو جبل إلا الله تبارك وتعالى.

روى أن يهوديًا كان يحسب حساب النجوم، فقال لابن عباس: **إن شئت نبأتك**

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

نجم ابنك، وأنه يموت بعد عشرة أيام، وأنت لا تموت حتى تعمى وأنا لا يحول عليَّ الحول، حتى أموت..

قال: فأين موتك يا يهودى؟

فقال: لا أدرى، فقال ابن عباس: صدق الله حيث قال: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**..﴾ [لقمان: ٣٤] فرجع ابن عباس، فوجد ابنه محمومًا، ومات بعد عشرة أيام، ومات اليهودى قبل الحول، ومات ابن عباس أعمى[١]..

قال الله تعالى: ﴿**أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾ [النساء: ٧٨] يروى أن نبى الله سليمان عليه السلام، كان يتبدى له ملك الموت، فيجلس معه فيحادثه، فدخل عليه رجل يومًا من الأيام وملك الموت معه، فإذا بملك الموت يحد النظر إلى هذا الرجل، فلما مضى ملك الموت، قال الرجل: يا نبى الله، من هذا؟

قال سليمان عليه السلام: هذا ملك الموت..

قال الرجل: ويلى! إنه كان ينظر إلىَّ نظرًا شديدًا، فأريد يا نبى الله أن تأمر الريح أن تحملنى من هنا إلى أقصى بلاد الهند..

فأمر سليمان الريح فحملته إلى أقصى بلاد الهند، وبعد يوم جاء ملك الموت فقال له سليمان: مالك كنت تنظر إلى هذا الرجل نظرًا حديدًا؟

قال: لأننى كنت أعجب من أمره، لأننى أمرت أن أقبض روحه بعد لحظات فى بلاد الهند، فلما جاء الوقت المحدد، فلا مفر ولا محيص من تنفيذ أمر الله، فذهبت إلى المكان المحدد، فوجدته واقفًا هناك فقبضت روحه.. ﴿**وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**..﴾ [لقمان: ٣٤].

أمــــر علـى المقـــــابر كلَّ حـــــين

ولا أدرى بـأى الأرض قـــــبـــــرى

---

(١) تفسير القرطبى (١٤/ ٧٥).

وأفـــــرح بـالـغـنـى إن زاد مـــــالـى

ولا أبكـى علـى نقـــصـــان عـــمــــرى

ورسول الله ﷺ يقول: «**إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة**»(١)

أحبتى فى الله.

ما هو البند الخامس من مفاتيح الغيب؟ إنه [**لا يعلم متى الساعة إلا الله**]:

نعم. لما سئل النبى ﷺ عن الساعة أمره الله عز وجل أن يقول: ﴿ **يسأَلُونَك عن السَّاعة أيَّان مُرْساها قُل إنَّما علمها عند ربي لا يجليها لوَقْتها إلاَّ هُو ثَقُلَتْ في السَّموات والأَرْضِ لا تَأْتيكُمْ إلاَّ بغْتَة يسْأَلُونك كَأَنَّك حفيٌّ عنها قُلْ إنَّما علْمُها عند اللَّه ولَكن أَكْثَر النَّاس لا يعْلَمُون** ﴾ [الأعراف. ١٨٧]

ولما سأله جبريل عليه السلام متى الساعة؟

قال «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**».

قال فما أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحـفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان..**»(٢)

ولما خسفت الشـمس على عهد النبى ﷺ قام النبى ﷺ فزعًـا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد، فصلى»(٣)

فإذا كان النبى ﷺ لا يعلم متى السـاعة، فغـيره من بب أولى بل إنَّ ملكًا من الملائكة العظام، وهو إسرافيل، الذى وكل بالنفخ فى الـصور، **لا يعلم متى يؤمر** قال ﷺ «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن قرنه، وأحنى جـبهته، وأصغى سمعه،**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والطبرانى وصـححه الألبانى فى الصحيحـة (١٢٢١) وصحيح الجامع (٣١١)

(٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) رو البخارى ومسلم

ينظر متى يؤمر» قال المسلمون - أي الصحابة -: يا رسول الله، فما نقول؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**»[١]

وقال ﷺ: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة، ما على الأرض من دابة إلا وهى تصيح يوم الجمعة، مصيخة حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة، إلا ابن آدم..**»[٢]

اللهم لا تحرمنا من فضلك بتقصيرنا، ولا تجعل ذنوبنا حائلاً دون رحمتك. اللهم إنا نرفع إليك أكف الضراعة أن تنعم برحمتك علينا يا أكرم الأكرمين.

اللهمَّ إنا نتوسل إليك بما توسل به عبادك الصالحون، وأولياؤك المقربون أن تجعل لنا من الفهم عنك وعن رسولك ما نبلغ به منازل الصديقين، ونحشر به فى زمرة العلماء العاملين، واغفر لنا برحمتك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على حبيبك، وخير رسلك محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان فى صحيحه والترمذى وأحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٩٢).

(٢) **صحيح** رواه أحمد فى مسنده.

الوصية رقم (٤)

* الإيمان بالملائكة *

عن أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**إنى أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط**، والذى نفسى بيده، **ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته، ساجد لله** عز وجل[١] - وفى رواية عن أنس: «**ما فيها موضع شبر إلا وفيها جبهة ملك ساجد، يسبح لله بحمده**»[٢]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

هذا الحديث العظيم يشير إلى أن الملائكة موجودون، ولهم عالمهم الخاص بهم. والمسلم مطالب بأن يؤمن بهذا العالم الغيبى من الملائكة الكرام، بل إنه جزء لا يتجزأ من كمال الإيمان. لما سئل الأستاذ الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ **عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...»**[٣]

وقال تعالى فى مختتم سورة البقرة، وهى آيات عظيمة مباركة: ﴿**آمن الرَّسُولُ بمَا أُنزِلَ إِلَيْه من رَّبِّه والْمُؤْمنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللَّه وملائكته وكُتُبه ورُسُله...**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

والحديث الذى معنا يخبر عن هذا الصنف الجليل، والمؤمن يؤمن بما أخبر الله عز وجل عنهم، وعن خلقهم، وعن وظائفهم.

فما هى مادة خلقهم؟

---

(١) **حسن**: رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن مردويه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢ ١).

(٣) رواه مسلم وغيره.

الملائكة خلق عظيم، وعددهم كثير لا يحصيه إلا الله، خلقهم الله من النور، وطبعهم على الخير، فهم لا يعرفون الشر، ولا يفعلونه، ولا يأمرون به، ﴿**لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم ٦] ﴿**يسبحون اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٢] ولا يسأمون من عبادته من تسبيح، وتحميد، وتهليل، وتكبير، منهم الساجد، ومنهم الراكع، ومنهم القائم

وقد أخبرنا حبيبنا ﷺ عن مادة خلقهم، فقال فى الحديث الذى روته عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**»(١)

فمادة خلقهم النور، لكن لم يبين لنا الحبيب ﷺ أى نور هذا الذى خلقوا منه، لذلك فإننا لا نستطيع أن نخوض فى هذا الأمر، لمزيد من التحديد، لأنه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث

ولا ندرى متى خلقوا، فالله عز وجل لم يخبرنا بذلك، ولكنه أعلمنا فى القرآن الكريم أن خلقهم سابق لخلق أبينا آدم عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿**وإذ قال رَبُّكَ لِلْمَلائكة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً..**﴾ [البقرة ٣] والمراد بالخليفة هو آدم عليه السلام، وأمرهم بالسجود له حين خلقه، فقال لهم ﴿**فإذا سويته ونفخت فيه من رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ..**﴾ [الحجر ٢٩]

والملائكة متفاوتون فى الخلقة، تفاوتًا كبيرًا، فقد صح أن جبريل - عليه السلام - له ستمائة جناح، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت جبريل له ستمائة جناح**»(٢)

وعن جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**أُذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله، من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»(٣)

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح** رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٤٦٤).

(٣) **صحيح** رواه أبو داود وصححه الألبانى فى الصحيحه برقم (١٥١) وصحح الجامع (٨٥٤)

أحبتى فى الله.

والملائكة ليسوا ذكوراً، ولا إناثًا، فهم مخلوقون خلقًا خاصا، فهم عباد مكرمون، ولذلك قال الله عز وجل منددًا بالكافرين ﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون**﴾ [الزخرف: ١٩] وقال تعالى: ﴿**إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى (٢٧) وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا..**﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨].

قال أهل العلم: من صفهم بذكورة فسق، ومن وصفهم بأنوثة كفر

والملائكة معصومون، مفطورون على الطاعة، فهم يسبحون بحمد الله، ويعبدونه دائمًا، ويذكرونه آناء الليل وأطراف النهار، يقول الله عز وجل - عن الملائكة: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]

وقال تعالى ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك**﴾ [البقرة: ٣٠].

والملائكة تتأذى مما يتأذى به ابن آدم، إنهم يتأذون من الرائحة الكريهة والأقذار والأوساخ، ففى الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «**من أكل الثوم والبصل والكراث، فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم**»(١)

وقد بلغ الأمر بالرسول ﷺ أن أمر بالذى جاء فى المسجد - ورائحة الثوم أو البصل تنبعث منه - أن يخرج إلى البقيع(٢)

هذا فى الثوم أو البصل أو الكراث وهى مباحة، فما بالك بمن يشرب الدخان والسجائر، وما شاكلها ؟!

---

(١) رواه مسلم واللفظ له ورواه النسائى

(٢) رواه مسلم.

والملائكة منهم من يسكن السماء، كما دلت القصة التي معنا، وفى حديث المعراج، قال ﷺ «**فرفع لى البيت المعمور، فسألت جبريل عليه السلام، فقال: هذا البيت المعمور، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك**»[1] وفى رواية: «**ثم لا يعودون**»

ومن يسكن السماء، وهم الحفظة. قال تعالى ﴿ **لَهُ معقباتٌ من بين يديه ومن خَلْفه يحفظُونه من أمرِ الله..** ﴾ [الرعد ١١] ومنهم الكتبة، الذين يكتبون الأعمال. ﴿ **وإنَّ عليكُمْ لحافظين ۝١٠ كراما كاتبين ۝١١ يعلمون ما تفعلون** ﴾ [الانفطار: ١ - ١٢]

ومنهم من اختص بنزع أرواح العباد، عندما تنتهى آجالهم، التى قدرها الله لهم قال تعالى: ﴿ **قُلْ يتوفَّاكم مَلَكُ الموت الَّذى وُكِّل بكُمْ ثُم إِلَىٰ ربكم تُرْجَعُون** ﴾ [السجدة: ١١] والذين يقبضون الأرواح. أكثر من ملك، قال تعالى: ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكُم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفَّته رُسلنا وهُمْ لا يُفرطُون..** ﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢]

وإذا ما أرادوا نزع روح كافر، أو مشرك، أو أحد المجرمين، نزعوا روحه نزعًا شديدًا عنيفًا، ليس فيه رفق ولا هوادة قال تعالى ﴿ **ولو ترىٰ إذْ يتوفَّى الَّذين كفرُوا الْملائكةُ يضْربُون وُجوههُمْ وأدْبارهم وذُوقُوا عذاب الْحريق** ﴾ [الأنفال: ٥٠].

أما المؤمنون فإن الملائكة تنزع أرواحهم نزعًا رفيقًا، وتبشرهم وتثبتهم ﴿ **إنَّ الَّذين قالُوا ربُّنا اللَّهُ ثُم استقامُوا تتنزَّلُ عليهم الْملائكة ألاَّ تخافُوا ولا تحزنُوا وأبشرُوا بالْجنَّة الَّتي كُنتُمْ تُوعدُون ۝٣٠ نحنُ أوْلياؤُكُم فى الحياة الدُّنْيا وفى الآخرة ولكُمْ فيها ما تشْتهي أنفُسكُمْ ولكُم فيها ما تدَّعُون** ﴾ [فصلت ٣٠ ٣١]

ومن الملائكة الموكلون بالأمطار والنبات يقول ابن كثير - رحمه الله -: ميكائيل موكل بالقطر والنبات، اللذين يخلق منهما الأرزاق فى هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به، بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب، كما يشاء الرب جل جلاله[2]

---

(١) **صحيح** رواه النسائى وغيره وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٦٦).

(٢) البداية والنهاية ١/ ٥ لابن كثير

ومنهم من هو موكل بالسحاب، كما في الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب، حيث شاء الله**»(١)

وقد يسقى بلاداً دون بلاد، أو قرية دون أخرى

وقد يؤمر أن يسقى زرع رجل واحد دون سواه، كما فى حديث مسلم من حديث أبى هريرة رضي الله عنه الذى فيه «**سمع صوتًا فى السحابة يقول: اسق حديقة فلان...**»(٢)

ومنهم الموكلون بالجبال، وقد أرسله الله تعالى إلى حبيبه ﷺ يستأمره فى إهلاك أهل مكة، الذين آذوه ففى الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبى ﷺ: «**يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن كلال فلم يجبنى إلى ما رأيت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت فيها جبريل، فنادانى، فقال:إن الله عز وجل، قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال، لتأمره بما شئت فيهم قال:** فنادانى ملك الجبال، **وسلم علىَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك،** وأنا ملك الجبال، **وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك، فما شئت؟** إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين **لفعلت؟ فقال النبى** ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا...**»(٣)

ومنهم حمله العرش والعرش أعظم المخلوقات، محيط بالسموات وفوقها والرحمن مستو عليه، يحمله من الملائكة ثمانية ﴿**وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ..**﴾ [الحاقة: ١٧]

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٥٥٣)

(٢) الحديث بطوله فى صحيح مسلم برقم (٢٩٨٤)

(٣) رواه البخارى (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥)

أحبتى فى الله

والملائكة بعضهم أفـضل من بعض، فقد جاء جبـريل عليه السلام إلى النبى ﷺ فقـال له: ما تعدون أهل بدر فـيكم؟ قال «**من أفضل المسـلمين**»(١) فقال جـبريل: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة

فـالملائكة يتـفاضلـون فيـمـا بينهم، ومن رؤساء الملائكـة: جبـريل ومـيكائيل وإسرافيل، وملك الموت. لما سئلت السيـدة عائشة رضي الله عنها بأى شىء كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة، إذا قام الليل؟ قالت إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: «**اللهم رب جبـريل وميكائيل وإسرافـيل، فاطر السمـوات والأرض، عالم الغيب والشـهادة أنت تحكم بين عبادك فيـما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لمـا اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم**»(٢)

فهـذا دليل قاطع على أفضلية هـؤلاء الملائكة، وكرامتهم عند الله عـز وجل أما جبريل عليه السلام، فله اسم آخر (روح القـدس) وقد وصفه مولاه بالقوة والأمانة، فقال: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ ﴿١٩﴾ ذى قُوَّة عند ذى الْعَرْشِ مَكينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمينٍ ﴿٢١﴾ وما صاحبُكُم بمجْنُون..**﴾ [التكوير ١٩ - ٢٢]

وقد خصه مـولاه بأشرف وظيفة، وهى السفـارة بينه وبين رسله عليهم السلام؛ فكان ينزل بالوحى عليهم، وعلى خاتمهم سـيدنا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رب الْعَالمين ﴿١٩٢﴾ نزل به الروح الأمين ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِك لتكُون من الْمُنذرِين**﴾ [الشعراء ١٩٢ - ١٩٤]

وصح أنه رافق الحـبـيب المصطفى ﷺ فى أعظم رحلة تمت فى الوجـود، وهى إسراء النبى ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس ومعراجه منه إلى ما بعد سدرة المنتهى بالملكوت الأعلى

---

(١) رواه البخارى (٣٦٩٢)

(٢) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

وأما ميكائيل فكما ذكرن أنه موكل بالمطر، الذى فيه حياة الأرض والنبات والإنسان وأما إسرافيل - عليه السلام فموكل بالنفخ فى الصور.

وأما ملك الموت، فبقبض الأرواح وهناك ملائكة الجنان وقائدهم (رضوان) و(مالك) خازن النار وهناك ملائكة (الحافون من حول العرش. وهؤلاء يسبحون بحمد ربهم، ويقدسونه، ويمجدونه، قال تعالى ﴿ **وترى الْملائكة حافِّين من حوْل العرشِ يُسبِّحُون بحمْد ربهِم..** ﴾ [الزمر ٧٥

وهناك فى النار خزنة لها مع (مالك) وهم الزبانية، وعددهم تسعة عشر ملكًا، وكلهم الله عز وجل بعذاب أهل النار، ويذيقونهم أشد العذاب.

قال تعالى: ﴿ **سأُصْليه سقر** ﴿٢٦﴾ **وما أدراك ما سقر** ﴿٢٧﴾ **لا تُبْقى ولا تَذَرُ** ﴿٢٨﴾ **لوَّاحةٌ لِّلْبشرِ** ﴿٢٩﴾ **عليها تسعة عشر** ﴾ [المدثر ٢٦ - ٣]

وقال تعالى: ﴿ **وقال الَّذين في النَّار لخزنة جهنم ادعوا ربَّكُمْ يخفف عنَّا يومًا من الْعَذاب** ﴿٤٩﴾ **قَالُوا أَو لمْ تكُ تأْتيكُم رسُلُكُم بالبينات قالُوا بلَىٰ قالُوا فَادْعُوا وما دعاءُ الْكافِرين إلاَّ فِى ضلالٍ** ﴾ [غافر ٤٩ ٥]

أحبتى الكرام.

وهناك ملائكة موكلون بالأجنة، عندما يستقر الإنسان فى رحم امه، يكون أول ما يكون نطفة، فيوكل الله به ملائكة يطورون هده النطفة ويصورونها فى الأرحام، ويكتبون رزقها، وأجلها، أصاحبها شقى أم سعيد، وفى الحديث: «**إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد...**»(١)

وفى حديث آخر «**وكل الله بالرحم ملكًا، فيقول: أى ربِّ نطفة.. أى رب علقة، أى ربِّ مضغة...**»(٢)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجه وأبو

(٢) متفق عليه.

وهناك ملائكة السؤال في القبر، قال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ..**﴾ [إبراهيم: ٢٧] في الآخرة: أي عند الموت يقال للملكين: منكر ونكير

وهناك ملائكة تحضر صلاة الجمعة، قال ﷺ «**إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا طووا الصحف جاءوا يستمعون الذكر**»(١)

والملائكة تؤمن مع الإمام بعد قراءة فاتحة الكتاب، كما في الحديث: «**إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة، غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٢)

الملائكة تحضر مجالس الذكر مجالس القرآن مجالس العلم. مجالس التسبيح والتحميد والتهليل مجالس الاستغفار، والصلاة على النبي المختار.

قال سيد الأبرار ﷺ: «**إنَّ لله ملائكة يطوفون في الطرقات يلتمسون مجالس الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم - عز وجل - وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك.. فيقول لهم: وهل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك.. فيقولوا: كيف لو رأوني؟ يقولون: كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا.. قال: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقول: لم يروها، قال: وكيف لورأوها؟ قالوا: يكونوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فممَّ يتعوذون؟ قالوا: من النار فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله لم يروها، فيقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة.**

فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم..»(٣)

---

(١) رواه البخاري (٨٧٧) ومسلم (١٤١٦) وأحمد وغيرهم

(٢) رواه البخاري (٧٤) ومسلم (٦٢١) وأحمد

(٣) رواه مسلم.

الملائكة تحف الذين يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم في بيوت الله. «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١)

الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم، تكريمًا له، ورضا بما يصنع، كما قال ﷺ «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علما، سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع**»(٢)

الملائكة يصلون على معلم الناس الخير كما قال معلم الناس كل الخيرات ﷺ: «**إنَّ الله وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلمي الناس الخير**»(٣)

الملائكة تحب من يحبه الله تعالى، وتبغض من يبغض الله، كما جاء في الحديث: «**إذا أحب الله عبدًا، نادى جبريل. إن الله يحب فلانًا. فأحبه، فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء، إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض..**»(٤)

الملائكة تلعن الكفرة، قال تعالى ﴿**إنَّ الَّذين كفروا وماتُوا وهم كُفَّارٌ أُولَئك عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّه والْملائكَة والنَّاس أجمعين.**﴾ [البقرة: ١٦١]

ولا يلعنون الكفرة فحسب، بل يلعنون من يفعلون ذنوبًا معينة، يلعنون المرأة التي لا تستجيب لزوجها: ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أن تجيء، لعنتها الملائكة حتى تصبح**» وفي رواية: «**حتى ترجع**»(٥)

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي

(٢) **حسن**: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٧)

(٣) **حسن**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح وحسنه الألباني في صحيح الترغيب(٨١).

(٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم

(٥) رواه البخاري.

وتلعن الملائكة من يشير إلى أخيه بحديدة أو سلاح، قال ﷺ «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[١] ولعن الملائكة يدل على حرمة هذا الفعل، لما فيه من ترويع لأخيه ولأن الشيطان، قد يطغيه فيقتله، خاصة إذا كان سلاحًا من تلك الأسلحة الحديثة، التي قد تنطلق لأى خطأ، أو لمسة غير مقصودة، وكم حدث أمثال هذا

الملائكة تلعن من سب أصحاب الرسول ﷺ قال ﷺ «**من سب أصحابى، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[٢]

الملائكة يلعنون من يحدثون فى دين الله، بالخروج على أحكامه، والاعتداء على تشريعه، أو يؤوون من يفعل ذلك ويحمونه، قال ﷺ «**من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[٣]

أحبتى الكرام.

بقى أن نتساءل ما ثمرات الإيمان بالملائكة؟

وللإيمان بالملائكة ثمرات عظيمة منها

١ - عدم الوقوع فى الخرافات، فعندما أطلعنا الله - عز وجل - على أمر هذه الأرواح المؤمنة وأفعالها، فإنه بذلك قد حفظنا وجنبنا الوقوع فى الخرافات والأوهام التى يقع فيها من لا يؤمنون، وهذه نعمة عظيمة، تستحق الشكر الدائم لمولانا سبحانه وتعالى على عنايته بعباده، ورعايته لمصالحهم.

٢ - الاستقامة على أمر الله عز وجل، فإن من يستشعر وجود الملائكة معه، وعدم مفارقتهم له، ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله وشهادتهم على كل ما يصدر منه من أقوال وأفعال، وحركات وسكنات، ليستحى من الله عز وجل وجنوده، فلا يخالفه فى أمر، ولا يعصيه فى سر ولا علانية، فكيف يعصى الله عز وجل، من علم أن كل شىء محسوب عليه ومكتوب، ومسطر ؟!

---

(١) رواه مسلم والترمذى وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٧٢).

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الكبير وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (٢٣٤).

(٣) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود للألبانى برقم (٤٥٣) وصحيح سنن النسائى (٤٧٣٤).

٣ - ومن ثمرات الإيمان بالملائكة (الطمأنينة) فالمسلم مطمئن إلى حماية الله له، فقد جعل الله عليه حافظًا، يحفظه من الجن والشياطين، ومن كل الشرور.

٤ - محبة الله عز وجل له فعندما يؤمن المسلم بالملائكة وأعمالهم، ويرى كيف الله - عز وجل - وكل ملائكة بالسماء، وملائكة بالأرض، وملائكة بالجبال، وملائكة بالسحاب. إلخ كل دلك من أجل هذا المخلوق. من أجل الإنسان وراحته، يتوجه إلى الله بالشكر، فتزداد محبة الله فى قلبه، ويعمل على طاعته.

٥ - الصبر على طاعة الله، ومواصلة الجهاد فى سبيل الله، وعدم اليأس، والشعور دائمًا بالأنس والطمأنينة، فعندما يصبح المؤمن غريبًا فى وطنه وبين أهله وقومه، حينما يدعوهم إلى الله تعالى، ويجد منهم الصدَّ والاستهزاء، يجد المؤمن من ملائكة الله أنيسًا ورفيقًا يصحبه ويطمئنه ويشجعه على مواصلة السير فى طريق الهداية، لأنه متيقن أن جنود الله معه، يعبدون الله كما يعبد، ويخافون الله كما يخافه، ويتوجهون إلى خالقهم، كما يتوجه هو إلى خالقه، فيشعر أنه لا يسير وحده إلى الله ولكن يسير مع موكب إيمانى مع الملائكة، ومع الأنبياء عليهم السلام، ومع السموات والأرض، وباقى مخلوقات الله التى تسبح بحمده.

٦ - ومن ثمرات الإيمان بالملائكة العلم بعظمة الله تعالى وقوة سلطانه، فما أضعف الإنسان حين يصر على معصية الله تعالى. وهو يعلم أن البيت المعمور فى السماء السابعة، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون فى اليوم التالى، بل يأتى غيرهم وغيرهم إلى أن تقوم الساعة، وأن ملكًا واحدًا من هؤلاء الملائكة، يستطيع بقدرة الله أن يطبق جبلين احدهما على الآخر قال تعالى: ﴿**وخُلق الإنسانُ ضعيفا**﴾ [النساء: ٢٨] ولكن المؤمن يعرف عظمة الله تعالى وقوته وسلطانه، ويقدره حق قدره، فلا يعبد احداً غيره، ولا يطيع أحدًا سواه.

اللهمَّ آمنا بك ولم نرك، وآمنا بملائكتك الكرام، فاللهم اجعلهم لنا شاهدين ولطاعتك معينين، واجعلهم لنا في الجنة زائرين آمين يا رب العالمين

الوصية رقم (٥)

* لا تتنازعوا فى القضاء والقدر

عن أبى هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى القدر، فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ فى وجنتيه الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم أن لا تتنازعوا فيه**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

مقاليد أمور الخلق كلها بيد الله عز وجل، وتصاريف أقدارهم بيده سبحانه وهو الذى قدر ما هو كائن لهم أو عليهم، وهو الذى قسم عليهم أرزاقهم ولا راد لإرادته.

لذلك كان لزامًا على المؤمن أن يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره، وهو من تمام الإيمان وأساس من أساسياته ولذلك لما سأل جبريل المصطفى ﷺ عن الإيمان، ماذا قال له؟ قال له. «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقضاء والقدر، وتؤمن بالبعث**»(٢)

والوصية التى بين أيدينا تنهانا عن الحديث والخوض فى القدر، وقد جاء ذلك صريحًا فى بعض أقواله ﷺ مثل قوله: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا**»(٣)

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى تخريج مشكاة المصابيح رقم (٩٨) وصحيح سنن الترمذى برقم (٢١٣٣).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم وغيره.

(٣) **صحيح**: رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٤٥).

وسبب وصية النبى ﷺ بأن لا نتنازع فى القدر، أنه قد خرج على أصحابه الكرام. مجموعة منهم، ورد عند الطبرانى أن المتنازعين كان عددهم أربعين من صحبته الكرام رواه عن ثوبان قال.

اجتمع أربعون رجلاً من الصحابه، ينظرون فى القدر والجبر، فيهم أبو بكر وعمر ﷺ فنزل الروح الأمين، جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، اخرج على أمتك، فقد أحدثوا، فخرج عليهم فى ساعة لم يكن يخرج عليهم فيها، فأنكروا ذلك منه، وخرج عليهم ملتمعا لونه، متوردة وجنتاه، كأنما تفقأ بحب الرمان الحامض، فنهضوا إلى رسول الله ﷺ حاسرين أذرعهم ترعد أكفهم، وأذرعهم، فقالوا: تبنا إلى الله ورسوله فقال «**أولى لكم إن كدتم لتوجبون، أتانى الروح الأمين، فقال: اخرج على أمتك، يا محمد فقد أحدثوا**»(١)

خرج عليهم وهم يباحثون فى شان القدر، فيقول بعضهم لبعض: إذا كان الكل بالقدر، فلم الثواب والعقاب ـ كما قالت المعتزلة ـ؟ والآخر يقول: فما الحكمة فى تقدير بعض للجنة، وبعض للنار؟ فيقول الآخر لأن لهم فيه نوع اختيار كسبى.

فيقول الآخر ومن أوجد ذلك الاختيار والكسب، وأقدرهم عليه، وما أشبه ذلك فغضب رسول الله ﷺ غضبًا شديدًا، حتى صار وجهه وخداه من شدة حمرته، كأنه حب الرمان. لكن لماذا غضب؟

لأن القدر سر من أسرار الله تعالى، وطلب سره منهى، ولأن من يبحث فيه لا يأمن من أن يصير قدريًّا، أو جبريا، والعباد مأمورون بقبول ما أمرهم الشرع من غير أن يطلبوا سر ما لا يجوز سره.

فقال لهم على سبيل الإنكار أبهذا أمرتم؟ أى بالتنازع فى القدر - أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك الله من كان قبلكم من الأمم، بسبب هذا التنازع. ثم قال لهم. أقسمت عليكم، ألا تنازعوا فيه، ولا تبحثوا فيه بعد هذا(٢)

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير (٢/ ١١٤) برقم (١٤٠٧)

(٢) تحفة الأحوذى (٥/ ٤٢١)

حبتى فى الله.

الناس فى الخلق متفاوتون، هذا طويل وهذا قصير، وهذا جميل. وذاك قبيح أو دميم. وهذا هو قدر الله عز وجل فى خلقه. والمسلم يؤمن بقضاء الله تعالى وقدره، فلا ينبغى أن يحتقر نعمة من نعم الله عليه ولا يتمنى ما عند الآخرين، بل ينبغى أن يكون راضيًا بقضاء الله وقدره، فلأن هذا ركن من أركان الإسلام، الذى لا يتحقق إلا به.

المسلم يؤمن أن القدر ما قدره الله عز وجل. فالله خلق الخلق، ويعلم ما توسوس به نفوسهم، وخلق لهم ما يعملون وعلمه فى الأزل قال تعالى: ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾ [الصافات: ٩٦] والأمر كله بيده ﴿**قل إن الأمر كله لله**﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال سبحانه: ﴿**وإليه يرجع الأمر كله**﴾ [هود: ١٢٣] والمسلم الحق يعلم تمام العلم أن إيمانه بالقضاء والقدر، يربطه برب هذا الوجود وخالقه، لأن هذا الكون كله يسير وفق حكمة عليا، وإرادة مختارة، مما يعطى المؤمن قوة، تبعثه على النشاط والاجتهاد، والهمة العالية مع هذا الكون بنفس راضية مطمئنة. قال تعالى: ﴿**وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾ [الحجر ٢١].

والمؤمن الحق يعلم علم اليقين، أنَّ إيمانه بقدر الله عز وجل مستمد من إيمانه بصفات الله العلى، وأسمائه الحسنى، ومنها: العلم، والإرادة فهو سبحانه: ﴿**وهو بكل شىء عليم**﴾ [الحديد: ٢] ﴿**وهو على كل شىء قدير**﴾ [الحديد: ٣] وهو سبحانه فعَّال لما يريد.

أحبتى الكرام.

إن كل شىء يحدث الآن، إنما يقع ويحدث وفق إرادة الله عز وجل وقدره قال تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير**﴾ [الحديد ٢٢]

وقال تعالى: ﴿**قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون**﴾ [التوبة: ٥١]

إن المسلم الحق هو الذى يؤمن أن وقوع الإرادة، أو قضاء الله عـز وجل وتحققها بالهيـئة التى قـضاها الله عـز وجل، هو قدر الله الذى قدره. ونضـرب على ذلك مثلاً: الله عـز وجل قضى أن البذرة إذا كانت صـالحة ووضعت فى الأرض، ورويت بالماء، تنبت بإذن الله، فإذا وضـعت فى الأرض، ورويت بالماء، وأنبتت، فهـذا قدر الله عز وجل، وكـذلك قضى الله تبارك وتعـالى، أن النار تحرق ما يقع فـيها، فـهذا قضاء من الله تعالى، فإذا وقع فيها شىء واحترق، فهو قدر الله.

أحبتى الكرام.

وينبغى أن يعلم المؤمن أن مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والإيجاد.

فالعلم أن تؤمن بعلم الله سبحانه وتعالى بالأشياء قبل كونها، قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْزُبُ عن رَّبِّك من مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ** ﴾ [يونس: ٦١]

المؤمن يعلم أن ربه قـد أحاط علمـه كل شىء. أحاط علمـه بكل ما كـان فى الماضى، والكائن فى الحاضر، وما سيكون فى المستقبل، فعلم جميع أحوال العباد من الطاعات، والمعاصى والأرزاق والآجال، قال تعالى ﴿**اللَّهُ الَّذى خَلَق سبع سَمَوَاتٍ ومن الأَرْضِ مثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بينهن لتَعْلَموا أَنَّ اللَّهَ على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ علْمًا**﴾ [الطلاق: ١٢]

وأما الكتابة، فالمؤمن يعلم علم اليقين، ويؤمن بأن مـولاه سبحانه كتب ما علمه بعلمـه القديم فى اللوح المحـفوظ، قـبل أن يخلق الخلق بخمـسين ألف سنـة، قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تعلَمْ أَنَّ اللَّهَ يعلَمُ مَا فِى السماء والأرضِ إنَّ ذَلك فِى كتَابٍ إنَّ ذَلك عَلَى اللَّه يسيرٌ**﴾ [الحج: ٧]

ورسولنا ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخـلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١)

---

(١) رواه مسلم والترمذى

ما المشيئة، فالمسلم يؤمن أن مشيئته تعالى نافذة، وقدرته شاملة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وللعبد مشيئة، لكن مشيئة العبد مرتبطة بمشيئة مولاه جل في علاه.

وأما الإيجاد، فهو أن تؤمن أن الله تعالى خالق كل شيء، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ خالق كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر: ٦٢].

ولا يجوز لأحد أن يحتج بقدر الله ومشيئته على ما يرتكبه من معصية الله فلا يصح أن يقول أحد: كتب الله عليَّ أن اسرق، فأنا ذاهب لأنفذ قدره. أو يقول: كتب الله عليَّ أن أشرب الخمر، وأنا أنفذ قدر الله

هذا خطأ وضلال. فهل اطلع المدعى على علم الله أنه قدر له أن يفعل هذا فتعله. مع العلم بأن علم الغيب لم يطلع عليه أحد إلا هو سبحانه.

والمسلم يعلم أن ما قدِّر له سيكون، وما لم يقدر له لن يكون، قال ﷺ: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، ولا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(١)

وقد أوصى رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال له: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، فلن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف**»(٢)

أحبتي الكرام.

لكن ما هي أنواع القدر؟ لقد قسم العلماء الأقدار إلى ثلاثة أنواع:

الأول: نوع لا قدرة على دفعه أو رده، ويدخل في ذلك نواميس الحياة الكونية،

---

(١) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٩٥٧).

وقوانين الوجود، وما يجرى على العبد من مصائب، وما يتعلق بالرزق، والأجل والصورة التى عليها، وأن يرزق فلان بالولد دون فلان قال تعالى: ﴿**والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ [يس: ٣٨] وقال سبحانه: ﴿**لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور** ﴿٤٩﴾ **أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير**﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠] وقال سبحانه: ﴿**في أى صورة ما شاء ركبك**﴾ [الانفطار: ٨] فهذا النوع من الأقدار لا يحاسب عليه العبد، لأنه خارج عن إرادته وقدرته فى دفعه أو رده.

الثانى: نوع لا قدرة للعبد على إلغائه، ولكن فى إمكانه تخفيف حدته، وتوجيهه، ويدخل فى ذلك الغرائز، والصحبة، والبيئة، والوراثة. فالغريزة لا يمكن إلغاؤها، ولم نؤمر بذلك، وإنما جاء الأمر بتوجيهها إلى الموضع الحلال، الذى أذن فيه الشارع الحكيم، وحث عليه، وكتب بذلك الأجر، لحديث النبى ﷺ: «**وفى بضع أحدكم صدقة**»(١) والصحبة لابد منها، لأن الإنسان مدنى بطبعه، وإنما جاء الأمر بتوجيه هذا الطبع إلى ما ينفع. ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ [التوبة: ١١٩] والبيئة التى يولد فيها الإنسان ويعيش، لا يمكن أن يعتزلها ولم يأمره بذلك، وإنما يقع فى القدرة، التغير والانتقال إلى بيئة أكرم وأطهر، مثل الرجل الذى قتل تسعة وتسعين نفسًا، فقد أوصاه العالم، أن يخرج من أرضه. لأنها أرض سوء.

وهنا لا يكون الحساب على وجود ما ذكرناه من غريزة، وصحبة وبيئة، وإنما على كيفية تصريفها وتوجيهها

الثالث: نوع للعبد القدرة على دفعها وردها، فهى أقدار متصلة بالأعمال الاختيارية، والتكاليف الشرعية، فهذه يتعلق بها ثواب وعقاب. ويدخل فى قدرتك الفعل وعدم الفعل معا، وتجد أنك مخير ابتداء وانتهاء فالصلاة والصيام باستطاعتك فعلها، وعدم فعلها، فإن أقمتها وأديتها أثابك الله، وإذا تركتها، عاقبك.

---

(١) رواه مسلم وغيره

معاركـهم مع أعداء الله، ومعظمهـا كانوا فيهـا قلة، ولكنهم كانوا أقوياء بعقـيدتهم ودينهم، لأنهم تربوا علـى قوله تعـالى: ﴿**قُل لَن يصيبنا إلاَّ ما كتب اللَّهُ لنَا..**﴾ [التوبة: ٥١] وعلى حديث «**من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله..**»(١) وكان سيـدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لسيدنا خـالد بن الوليد رضي الله عنه: احرص على الموت، توهب لك الحياة.

ويبعث خالد بن الوليد إلى رستم، يقول له لقد جئتك بقوم يحبون الموت، كما تحبون الحياة

ثانيًا: الرضـا والاطمئنان: فنفس المؤمـن راضيـة، مطمئنة لعـدل الله وحكمتـه ورحمتـه، يقول عمر رضي الله عنه والله لا أبالى على خير أصـبحت، أم على شر لأنى لا أعلم ما هو الخير لى، ولا ما هو الشر لى»

وعندما مات ولد للفضيل بن عياض - رحمه الله - ضحك، فقيل له: أتضحك وقد مات ولدك؟ فقال: ألا أرضى بما رضيه الله لى

يقول الأصمـعى - رحمه الله - دخلت البادية يومًا، فوقـعت عينى على امرأة جميلة جدًا، وبجوارها رجلٌ ما رأيت أقبح صـورة منه، ولا أنكر صوتًا منه فسألتها: ما هذا مـنك يا أمة الله؟ فابتـسمت وأدركت مـا فى نفسى وقـالت لى: إنه زوجى، فذهلت من قولهـا، وأخذتنى دهشة شديدة، وقلت لهـا أيكون هذا الجمال، لذلك القبح؟

فإذا هـى صالحـة، عارفـة بدينها، مـؤمنـة بربها، قالت يا هذا لا تعترض على نظام الله فى كـونـه وتدبيـره لشـئـون خلقـه، فلعله أحـسـن فيـمـا بينـه وبين الله، فجعلـنى ثوابه، أو لعلى أسأت فيمـا بينى وبين الله، فجعله عقـابى، أفلا أرضى بما رضى الله لى؟!(٢)

وهذا هو الصحابى الجلـيل سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه الذى كان مـجاب الدعوة،

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى التوكل عن ابن عباس وضعفه الألبانى

(٢) سمير الصالحين للشهاوى (٢/ ١٧٦) ط/ دار التأليف

والذى فداه الرسول ﷺ بنفسه يوم أحـد، فقال له: «**ارم سعـد، فداك أبى وأمى**»[١] هذا الصحابى لما تقدم به السن، كُف بصره فقالوا له: يا سعد، **إنك مجاب الدعوة**، وأنت تدعو للناس، فـيستجيب الله لك، فـهلاّ دعوت الله لنفسك، ليـعيد إليك نور عينيك؟ فأجابـهم سعد إجابة المؤمن المحتسب، وقال: إنَّ رضـائى **بقضاء الله، أحب** إلى من رجوع بصرى إلى.

وكـان من دعـاء إبراهيم بن أدهم - رحـمـه الله -: اللهم رضنى **بقـضـائك،** وصبرنى على بلائك، وأوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ وعلى والدى.

ثالثًا: التمسك وعدم الانهيار للمصيبة، أو الحدث الجلل:

قال علقمة - رحمه الله　　الرجل الذى يرضى إذا أصابتـه مصيبة، **فيسلم لأنها** من عند الله عز وجل

فلطم الوجـوه، وشق الجيوب، وضـرب الفخـذ، وإهمال **العبـد لنظافة جـسده** بتطويل شعره وأظافره، وشاربه، والانصراف عن الطعـام، **هذا فيه سخط، واعتراض** على قضاء الله وقدره.

إذا بـلـيـت فـــــــثـق بـالله وارض بـه
إن الـذى يـكـشـف الـبـلـوى هـو الله
إذا قـضى الله فـاسـتـسلم لـقـدرته
مـا لأمـرى حـيلة فـيـمـا قـضى الله
اليـأس يقـطع أحـيـانًا بصـاحـبـه
لا تـيـأسـن فنعـم الـقـادر الله

والنبى ﷺ يقول: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى **(٢٩٩٧)** وصحيح سنن ابن ماجه (١٢٩)

للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»[١]

فالمسلم ينظر إلى المصيبة على أنها قدر من الله عز وجل، يجب أن يقابلها بالصبر، فقد تكون من ورائها حكم عظيمة، لا يعلمها إلا الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١٦].

والمسلم يرجو أن تكون هذه المصيبة تخفيفًا له من عذاب يوم القيامة، كما قال حين سئل: أى الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا، اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة، ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشى على الأرض ما عليه خطيئة**»[٢]

وكتب عمر إلى أبى موسى الأشعرى ﷺ أما بعد فإن الخير كله فى الرضا، فإن استطعت أن ترضى، وإلا فاصبر

وما أجمل قول القائل:

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها

صبر الكريم فإنه بك أكرم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما

تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم

اللهم رضنا بقضائك، وصبرنا على بلائك، واجعلنا من الشاكرين لنعمائك.

اللهم أذقنا برد عفوك، اللهم أدم لنا رضاك.

---

(١) رواه مسلم وأحمد عن صهيب.

(٢) **صحيح**: رواه ابن ماجه وأحمد والدارمى والترمذى وقال حديث حسن صحيح صححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢ ٣٤) وصحيح الجامع (٩٩٢)

اللهم عافنا فى أبدانــنا وأرواحنا وأعراضنا، اللهمَّ كره إلينا كل ســوء وكل شر، وكل فساد

اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وطاعتك يا أرحم الراحمين. اللهم أجرنا من سائر محن الدنيا والدين، واحشرنا يوم القيامة مع الأنبياء والصالحين.

الوصية رقم (٦)

* الإيمان بوجود الجن *

عن جابر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن، من أولها إلى آخرها، فسكتوا فقال ﷺ: «**لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودًا منكم، كنت كلما أتيت على قوله. ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد**»[(١)]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

إن فى مضمون هذه الوصية النبوية المباركة دعوة إلى تدبر القرآن الكريم كما تدبرته الجن حينما قرأ النبى ﷺ عليهم سورة الرحمن، فكان كلما مر على آية: ﴿**فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ قالوا: ولا بشيء من آلائك نكذب، فلك الحمد. لأن الخطاب للإنس والجن، ومعناها: بأى نعمة مما أنعم الله به عليكم تكذبون وتجحدون نعمه سبحانه وتعالى، بترك شكره، وتكذيب رسله، وعصيان أمره؟!

فيكون ردهم: لا نكذب بشيء منها، فلك الحمد على نعمك الظاهرة والباطنة، ومن أتمها نعمة الإيمان والقرآن.

لكن متى حدث ذلك؟ متى حدثت قراءة الرسول ﷺ لسورة الرحمن؟ لقد حدثت فى ليلة الجن. ومتى كانت ليلة الجن؟

يخبرنا عن ذلك علقمة حين سأل عبد الله بن مسعود ﷺ: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الحن؟

---

(١) **حسن:** حسنه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى برقم (٣٢٩١) والصحيحة رقم (٢٤٠٥) وصحيح الجامع برقم (٥١٣٨).

فقال ابن مسعود ﷺ: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه، فالتمسناه فى الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل.

قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا، إذا هو قد جاء من قبل حراء - أى من ناحية غار حراء.

فقلنا: يا رسول الله، فقدناك، فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة، بات بها قوم.

فقال ﷺ: «**أتانى داعى الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن**».

قال عبد الله: فانطلق بنا رسول الله ﷺ يرينا آثارهم، وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد، فقال: «**لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم**» ثم قال النبى ﷺ: «**فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم**»(١)

أحبتى الكرام.

هذا يدل دلالة واضحة على وجود الجن، لذا يجب الإيمان بوجودهم لأن الذى أخبرنا بذلك إنما هو من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى. أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ بوجودهم، وبأحوالهم وكذلك القرآن الكريم، الذى قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**..﴾ [الأحقاف: ٢٩ ٣١]

أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ فى الوصية التى نعيش فى ظلالها أن الجن استمعوا إلى سورة الرحمن، وأنصتوا لها، وفهموا ما فيها، فينبغى أن نكون مثل أولئك

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود

الصالحين منهم. لأنهم مثل بنى آدم فيهم الصالح والمفسد، وفيهم المؤمن، وفيهم الكافر، وفيهم الشياطين والعفاريت قال تعالى. ﴿وَأَنَّا منَّا الْمُسْلمُونَ ومنَّا الْقَاسطُونَ فَمنْ أَسلم فَأُوْلَئك تحَرَّوْا رشدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسطُون فَكَانُوا لجَهَنَّمَ حطَبًا﴾ [الجن: ١٤ - ١٥] وقال أيضًا فى آية قبلها: ﴿وَأَنَّا منَّا الصَّالحُون ومنَّا دُونَ ذَلك كُنَّا طَرَائق قددًا﴾ [الجن: ١١] والمؤمن يعلم من كتاب ربه، ومن سنة رسوله وحبيبه ﷺ أن الجن قد خلقهم الله عز وجل من النار، قال الواحد القهار: ﴿وخَلَق الْجَانَّ من مَّارِجٍ من نَّارٍ﴾ [الرحمن. ١٥] ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ من قَبْل من نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧] وقال الرسول الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ «**خلقت الملائكة من نور، وخلقت الجان من مارج من نار، وخلق آدم، مما وصف لكم**»[١]

والجن يأكلون ويشربون، ويتناكحون ويتناسلون، قال ﷺ: «**لا يأكل أحدكم بشماله، ولا يشربن بها، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بها**»[٢] وقد أخبرنا حبيبنا محمد ﷺ أن الشياطين يأكلون مع الإنسان إذا لم يذكر اسم الله تعالى، ويحضرون موائد البشر، يأكلون مما يتساقط منها، فقال ﷺ «**إنَّ الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة، فليمط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ، فليلعق أصابعه، فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة**»[٣]

وقال ﷺ: «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء**»[٤]

وينبغى على المسلم أن يعلم أن لكل إنسان قرينًا من الجن، حتى سيد البشر ﷺ

---

(١) رواه مسلم وقد سبق.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه

قال عبد الله بن مسعود ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياى، ولكن الله أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير**»[١]

وقد أراد متمرد من الشياطين أن يقطع الصلاة على رسول الله ﷺ وهو يصلى فى الليل، وأراد أن يلبس عليه صلاته. فماذا حدث؟

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**إنّ عفريتًا تفلت علىّ البارحة، ليقطع علىّ صلاتى، فأمكننى الله منه، فأخذته، فأردت أن أربطه على ساريه من سوارى المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخى سليمان: رب اغفر لى، وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى، فرددته خاسئًا**»[٢]

وفى رواية أنه كان إبليس اللعين، كما فى السلسلة الصحيحة للألبانى: «**لو رأيتمونى وإبليس، فأهويت بيدى، فما زلت أخنقه، حتى وجدت برد لعابه بين إصبعى هاتين: الإبهام، والتى تليها، ولولا دعوة أخى سليمان، لأصبح مربوطًا بسارية من سوارى المسجد، يتلاعب به صبيان المدينة**»[٣]

والجن مأمور مثل الإنسان بطاعة الرحمن، وأن يجعلوا حياتهم كلها طبقًا لما أراده الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَمَا خلَقْت الْجن وَالإِنس إلاَّ ليَعْبُدُون**﴾ [الذاريات: ٥٦] ورسولنا ﷺ مرسل إلى الإنس والجن، قال ﷺ: «**وأرسلت إلى الخلق كافة**»[٤]

وليعلم المسلم أن الله عز وجل قد منح الجن قدرات خاصة لم يمنحها للإنس جميعًا ومن هذه القدرات، سرعة التنقل الفائقة، والقوة العظيمة التى تدل على عظمة الخالق جل وعلا، كما جاء فى قصة نبى الله سليمان عليه السلام، عندما أراد أن

---

(١) رواه مسلم وأحمد.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) السلسلة الصحيحة للألبانى برقم (٣٢٥١)

(٤) رواه مسلم.

يثبت لملكة سبأ، عظم ما أعطاه الله عز وجل من نعم عظيمة، وآلاء جليلة، قال تعالى ﴿قَال يا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قبل أَن يَأْتُونِي مسْلمين (٣٨) قَال عفْرِيتٌ منَ الْجِنِّ أَنَا آتِيك به قَبْل أَن تَقُوم من مَّقَامك وإِنِّي عَلَيْه لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَال الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَاب أَنَا آتِيك به قَبْل أَن يرتدَّ إِلَيْك طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٨ - ٤٠] وهم يستطيعون التحليق في الفضاء الخارجي، ولذلك كانوا يستمعون إلى السماء، وينقلون أخبارها إلى الكهنة، بعد أن يضيفوا كثيرًا من الأكاذيب إليها، فلما بعث حبيبنا محمد ﷺ حُرست السماء بالشهب والملائكة كما قال الله عز وجل: ﴿وأَنَّا لَمَسنا السماء فَوجدناها مُلئت حرسا شديدا وشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ منْهَا مَقَاعد للسمعِ فَمن يستَمِعِ الآن يجدْ لهُ شِهابًا رَّصدا﴾ [الجن: ٨ ، ٩] وقد سخر الله عز وجل الجن لنبيه سليمان عليه السلام، كانوا يغوصون له في البحر، ويستخرجون له من خيراته، ويبنون له القصور الشامخات، وقد جعلهم الله عز وجل من جنوده، قال تعالى ﴿ومن الْجِنِ من يَعْمَلُ بين يدَيْه بِإِذْن ربه ومن يَزِغْ مِنْهُمْ عنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ من عَذَاب السعير (١٢) يعملُون لَهُ ما يشاءُ من مَحاريب وتماثيلَ وجفَانٍ كَالْجواب وَقُدُورٍ رَّاسيَات اعْمَلُوا آل داوُود شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢ ، ١٣].

والجن قادرون على التشكل بأشكال جسنة، وأشكال قبيحة، وقد أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب السود، لأن الشياطين تتمثل في صورتها قال جابر بن عبد الله: أمرنا رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، حتى إن المرأة تقدم من البادية بكلبها، فنقتله، ثم نهى رسول الله عن قتلها، وقال: «**عليكم بالأسود البهيم ذي النقطتين، فإنه شيطان**»(١) وقال: «**إنَّ الهوام من الجن، فمن رأى في بيته شيئًا، فليحرج عليه ثلاثًا** - أي فلينذره ثلاث مرات - **فإن عاد، فليقتله، فإنه شيطان**»(٢)

وقد كان هناك فتى على عهد رسول الله ﷺ (حديث عهد بعرس) تزوج حديثًا، فخرج رسول الله ﷺ إلى الخندق، فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله ﷺ بأنصاف

(١) رواه مسلم.

(٢) **ضعيف**: رواه أبو داود.

النهار، فيرجع إلى أهله فاستأذنه يومًا، فقال له: «**خذ عليك سلاحك، فإنى أخشى عليك بنى قريظة**» فأخذ الفتى سلاحه، ثم رجع، فوجد امرأته واقفة أمام حجرتها، فدخل البيت، فوجد حية على الفراش، فأهوى عليها بالرمح، فضربهاَ به، ثم خرج من الحجرة، ولكن الحية أسرعت نحوه، وأمسكت به، فما يدرى أيهما كان أسرع موتًا، الحية أم الفتى؟ فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إنَّ بالمدينة جنًّا قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئًا، فآذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم** - أى ظهر بعد ذلك - **فاقتلوه، فإنما هو شيطان**»(١)

وقد يتصور الجنى فى صورة إنسان، كما حدث من الجنى الذى ظهر لسيدنا أبى هريرة رضي الله عنه يقول: وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتانى آت، فجعل يحثو (يسرق) من الطعام، فأخذته، وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إنى محتاج، وعلىَّ عيال، ولى حاجة شديدة. قال: فخليت عنه. فأصبحت، فقال النبى ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟**» قال: فقلت: يا رسول الله! شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، وخليت سبيله. فقال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله «**إنه سيعود**»، فرصدته، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. فقال: دعنى، فإنى محتاج، وعلىَّ عيال، لا أعود. فرحمته، فخليت سبيله.

فأصبحت، فقال لى رسول الله ﷺ: «**يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟**» قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا، فرحمته، فخليت سبيله. قال: «**أما إنه قد كذبك وسيعود**» فرصدته الثالثة، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعنى، أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: وما هى؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى: ﴿**الله لا إله إلا هو الحى القيوم**﴾. حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله.

---

(١) رواه مسلم.

فأصبحت، فقال لى رسول الله ﷺ : **«ما فعل أسيرك البارحة؟»** قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها فخليت سبيله، فقال ﷺ : **«ما هى؟»** قلت: قال لى: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية، وقال لى: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال رسول الله ﷺ . **«أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟»** قلت: لا فقال: **«ذاك شيطان»**(١)

والجن يسكنون الأماكن الخربة، والأماكن النجسة، والأماكن المظلمة ويسكنون الحشوش والمزابل والقمائم، قال ﷺ **«إنَّ هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء، فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث»**(٢) والحشوش جمع حُش، وهى الكُنف ومواضع قضاء الحاجة. قال الخطابى: وأصل الحش جماعة النخل المتكاثفة، وكانوا يقضون حوائجهم إليها قبل أن تتخذ الكنف فى البيوت.

ومعنى محتضرة: أى تحضرها الجن والشيطان، وتنتابها لقصد الأذى(٣)

والجن يتوالدن، ولهم ذرية، كما ذكر القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ من دُونِي وهُمْ لَكُمْ عدوٌّ بئس للظَّالمين بدلاً ..** ﴾ [الكهف: ٥]

أحبتى فى الله.

والجن يوسوسون لبنى الإنسان، ويزينون لهم المعاصى، ويشككون المسلم فى ربه ومولاه. قال ﷺ : **«يأتى الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ ومن خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه، فليستعذ بالله، ولينته»**(٤)

إنهم يسعون بالفساد، وتقطيع الأرحام، ونشر الحقد والحسد، والضغينة بينهم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يوقِع بَيْنَكُمُ الْعَداوة والْبَغْضاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**

---

(١) رواه البخارى.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود (٦) وابن ماجة (٢٩٦) وصححه الألبانى.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبى داود (١/٨)

(٤) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

ويصُدَّكُم عن ذكْر اللَّه وعن الصَّلاة فَهَل أَنتُم مُّنتَهُون ﴾ [المائدة: ٩١] وقال سبحانه: ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعدُكُمُ الْفَقْرَ ويأْمُرُكُم بالْفحْشَاء وَاللَّهُ يعدُكُم مَّغْفرَةً مّنْهُ وَفَضْلاً..** ﴾ [البقرة: ٢٦٨]

ولذلك فإن ابليس اللعين يبعث جنوده، ويبثـهم فى الأرض للفساد فيها، ويكون أقربهم إليـه منزلة، أكثرهم فسـادًا قال ﷺ: «**إن إبليس يضع عـرشه على الماء، ثم يبعث سـراياه، أدناهم منه منزلة، أعظمـهم فتنة، يجىء أحـدهم فيـقول: فعـلت كذا، وكذا، فيقول له: ما صنعت شيئًا، ثم يجىء أحـدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال: فيدنيه، فيقول له - أى إبليس اللعين -: نعم أنت**»[1]

فهـو يفـرح بخراب البـيوت العـامرة، وتشـريد النفوس الآمنة، قـال ﷺ: «**إنَّ الشيطان قـد يئس أن يعبده المصلون، ولكن فى التـحريش بينهم**»[2] والتحريش يعنى الإغراء وتحريض البعض على الآخر فهو يسعى بينهم بالفتن والخصومات والشحناء والبغضاء.

والجن والشـيـاطين لأجل هذا أعـداء للإنسـان، وعـداوة الجنى للإنسى ليـست مستحدثة، وإنما هى عداوة قديمة، منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَان لَكُم عدُوٌّ فَاتَّخذُوهُ عدُوًّا إِنَّمَا يدْعُو حزْبَهُ ليَكُونُوا منْ أَصحاب السَّعير** ﴾ [فاطر ٦].

وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ أَعْهدْ إِلَيْكُمْ يا بنِى آدم أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَان إِنَّهُ لَكُمْ عدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [يس ٦]

والمسلم يعلم ويصدق بأنه إذا لم يطع ربه، ويتحصن بذكـره وتسبيحه وتهليله. أصـابه عدوه بمس، أو بنحـوه. قـال أبى بن كعـب: كنت عند النبى ﷺ فجـاء أعرابـى، فقال يا نبـى الله، إن لـى أخًا به وجع. قال: «**ما وجعه؟**» قال: به لمم

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذى

- أى أصيب بمس الجن، قال: «**فأتنى به**» فأتاه به، فوضعه بين يديه، فعوذه بفاتحة الكتاب، فقام الرجل كأن لم يشكُ شيئًا قط[١]

ومن ذلك ما رواه يعلى بن مرة، قال: خرجت مع النبى ﷺ فى سفر فلما كنا ببعض الطريق، مررنا بامرأة، ومعها صبى لها، فقالت: يا رسول الله هذا أصابه بلاء، وأصابنا منه بلاء، فإنه يصرع فى اليوم أكثر من مرة، قال: «**ناولنيه**» فأعطته إياه، ففتح فمه، فنفث فيه ثلاثًا، وقال: «**بسم الله، أنا عبد الله، اخسأ عدو الله**» ثم أعطاه للمرأة، وقال: «**تنتظرينا هنا، ونحن راجعون، وتخبرينا بما فعل**»

قال يعلى: فذهبنا ثم عدنا إلى هذا المكان، فوجدناها ومعها ثلاث شياه فقال: «**ما فعل صبيك؟**» قالت: والذى بعثك بالحق ما رأينا منه شيئًا إلى هذه الساعة، وخذ من هذه الشياه.

فقال «**انزل فخذ منها واحدة، ورد لها البقية**»[٢]

قال تعالى: ﴿**الَّذين يَأْكُلُون الربا لا يَقُومون إلاَ كما يَقُوم الَّذي يتخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ من الْمسِ..**﴾ [البقرة: ٢٧٥]

فالمسلم فى معركة مستمرة مع الشيطان وأعوانه حتى يلقى الله عز وجل. والمسلم لا يتبع الشيطان فى طريق غوايته، بل يحذر دائمًا من وسوسته، لأنه سبب الضلال فى كل وقت، وفى أى مكان، فهو الذى زين للأمم السابقة طرق الشرك بالله تعالى، ودعاهم إلى تكذيب الرسل، وقد أخذ على نفسه العهد أن يضل الناس جميعًا إلا من المخلصين المؤمنين الموحدين قال تعالى حكاية عنه: ﴿**قَال فَبعِزَّتك لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجمعين ﴿٨٢﴾ إلاَّ عبادَك منهُمُ الْمُخْلَصين**﴾ [ص: ٨٢ ، ٨٣] وقال عن إضلال إبليس للأمم السابقة: ﴿**وزين لَهُمُ الشَّيْطَانُ أعْمالهمْ فَصدَّهُم عنِ السبيلِ فَهُمْ لا يهْتَدُون**﴾ [النمل: ٢٤]

---

(١) رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٢) رواه أحمد فى سنده.

إنه الشيطان كلما هم المسلم بطاعة صرفه عنها، وكلما ابتعد عن معصية، قربه منها، فهو يكره أن يرى الإنسان فى طاعة، فهو يوسوس له فى صلاته، وفى وضوئه، وفى دعائه، وفى قراءته لكتاب الله، فينبغى على المسلم أن يفطن إلى كل هذا، فيتعوذ بالله منه. قال سبحانه: ﴿ **وإمَّا ينزغَنَّك من الشَّيْطَان نَزْغٌ فَاسْتَعذْ بِاللَّه إنَّهُ هُو السميع الْعَليمُ** ﴾ [فصلت ٣٦]

فهذا عثمان بن أبى العاص ﷺ يأتى إلى النبى ﷺ فيقول له: يا رسول الله، إنَّ الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى يلبسها على، فقال رسول الله ﷺ «**ذاك شيطان، يُقال له: خنزب، فإذا أحسسته، فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثًا**»(١)

قال: ففعلت، فأذهبه الله عنى

وقال ﷺ: «**إذا نودى للصلاة، أدبر الشيطان، وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، فإذا قضى التثويب، أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى**»(٢)

ومع كل هذا يأتى يوم القيامة، فيتبرأ من ابن آدم، ويتهمه بالتقصير ﴿ **وَقَال الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِى الأَمْرُ إنَّ اللَّه وعدكُم وعْد الْحقِّ ووَعدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كان لى عَلَيْكُم مِّن سُلْطَان إلاَّ أَن دعوتُكُمْ فاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلا تَلُومُونِى وَلُوموا أَنفُسَكُم مَّا أَنا بمُصرِخكُمْ وما أَنتُم بمصرِخى إنِّى كفرت بِمَا أَشْرَكْتُمُونِى من قَبْلُ إنَّ الظَّالمين لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

والذين ينكرون الجن ليس لهم حجة، ولا سند. بل إن من أنكره فقد كفر، لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو أنه أنكر آيات القرآن الكريم التى دلت على وجوده، وأنكر الأحاديث المتواترة عن سيد الخلق ﷺ وإن كان هؤلاء لا يؤمنون بالغيب، فإن هناك أشياء كثيرة من الغيب لا ندركها، ولكن ندرك تأثيرها، فالكهرباء

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.

مثلاً لا نراها ولكن نـدرك تأثيرها، وكذلك الجاذبية والروح، فـإن كانوا ينكرون هذه الأشياء، فليمسك أحدهم بسلك الكهرباء، ويزعم أنه غير موجود لأنه لا يراه.

أحبتى الكرام.

وبقى أن نتساءل كيف نتحصن من الشيطان، وكيف نحترز منه؟

أولاً: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى ﴿**وَإِمَّا ينزغَنَّك من الشَّيْطَان نزْغٌ فَاسْتَعذْ باللَّه إِنَّهُ هُو السميعُ الْعَليمُ**﴾ [فصلت: ٣٦] ولقول النبى ﷺ كما فى الصحيحين: «**إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[١]

ثانيًا: قراءة المعوذتين: ﴿**قُلْ أَعوذُ بربِّ الْفَلَقِ**﴾ ﴿**قُلْ أَعُوذُ بربِّ النَّاسِ**﴾ ولحديث النسائى وغيره: «**يا بن عباس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟** قال: بلى يا رسول الله، قال: «**قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، هاتين السورتين**»[٢]

ثالثًا: قراءة آية الكرسى ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ ما فِي السموات وما فِى الأَرْضِ من ذَا الَّذى يَشْفَعُ عندهُ إِلاَّ بِإِذْنه يعْلَمُ مَا بين أَيْديهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحيطُونَ بشيْءٍ منْ علْمه إِلاَّ بمَا شَاءَ وسع كُرْسيُّهُ السَّموَات وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حفْظُهمَا وَهُو الْعَلِيُّ الْعَظيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]

للحديث الذى تقدم - وهو قصة الشيطان مع أبى هريرة، قال له: أطلقنى وأعلمك آية لا يقرؤها أحد ويقربه شيطان أبدًا وقد أقر الرسول ذلك بقوله: «**صدقك وهو كذوب**».

رابعًا: قراءة سورة القرة كاملة، لحديث: «**إنَّ الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة**»[٣]

خامسًا: ذكر الله بقوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير» فى اليوم مائة مرة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٢) رواه النسائى.

(٣) رواه مسلم.

لحديث النبي ﷺ : «**من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك، حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**»(١)

سادسًا: الإكثار من ذكر الله عز وجل، لحديث يحيى بن زكريا عليهما السلام، وفيه. «**وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو فى إثره، سرعان حتى أتى على حصن حصين، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى**»(٢)

وكذلك الوضوء عند الغضب، نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ونسأله سبحانه أن يحفظنا من شر شياطين الإنس والجن، وأن يحفظنا من الشيطان الرجيم. اللهمَّ أنت ملاذنا وأنت ملجؤنا، وأنت حصننا فبعزتك أعزنا، وبقوتك أمدنا يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ما أنت به أعلم منا، فإن عدنا، فعد علينا بمغفرتك يا رب العالمين.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى وقال حسن صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٧٢٤)

ثانيًا: الطريق إلى الجنة

الوصية رقم (٧)

* التوحيد الخالص *

عن أبى ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ «**أتانى آت من ربى، فأخبرنى** - أو قال: **بشرنى أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة**.. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال. «**وإن زنى وإن سرق**»(١)

صدق رسول الله ﷺ.

أحبتى فى الله.

إنَّ هذا الإنسان لم يخلقه الله عبثًا، ولم يتركه سدى، وإنما خلقه الله تعالى، ليكون خليفة فى الأرض، يعمرها وفق منهج أوضح له معالمه، وأرسى له قواعده، فبذلك يحقق غاية وجوده التى قال الله تعالى فيها: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنس إلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ما أُرِيدُ منهم من رِّزْقٍ وما أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٧]

فقد أمر الله تعالى الخلق أن يعبدوه، وأن يفردوه بالعبادة والتوحيد، ولا يشركوا به شيئًا وهذا هو ما جاءت الرسل عليهم السلام للدعوة إليه منذ عهد نوح عليه السلام إلى أن ختموا بنبينا محمد ﷺ وهذا التوحيد الذى جاءت به الرسل الكرام هو حق الله عز وجل على عباده ففى حديث معاذ بن جبل ﵁ الذى جاء فى الصحيح قال رسول الله ﷺ: «**أتدرى يا معاذ ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**» قال معاذ: الله ورسوله أعلم، فقال: «**حق الله على العباد: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»(٢)

---

(١) رواه البخارى (١١٨٠) والترمذى (٢٦٤٤) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

فالعبادة والتوحيد هى حق الله تعالى، لأنه سبحانه هو الإله الحق دون سواه.
لكن فما هى العبادة؟

العبادة كما قال العلماء كالإمام ابن تيمية وغيره: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

فمن الأفعال الظاهرة الإقرار بالتوحيد، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت.

ومنها أيضًا دعاؤه سبحانه، واستغفاره وذكره، وسؤاله، والاستعانة به، والذبح، والنذر له، والجهاد فى سبيله

ومن الأفعال الباطنة محبته سبحانه وتعظيمه، والخوف منه، والتوكل عليه، والحب والبغض فيه بموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

ومنها الإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء والقدر فينبغى على العبد أن يوجه كل هذه الأفعال لله عز وجل، فيجعل وجهته وقبلته إلى خالقه وحده، فيقول كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ٧٩] وقال: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣]

وهذا التوحيد مبناه على أن الله واحد فى ملكه وأفعاله لا شريك له وواحد فى ذاته وفى صفاته، لا نظير له، ولا شبيه له، وواحد فى ألوهيته وعبادته، لا ند له، ولا شريك له.

أحبتى الكرام.

فإذا كانت العبادة لله عز وجل لابد أن تكون قائمة على التوحيد، فما هى أقسام التوحيد؟

ذكر العلماء أن التوحيد أقسام ثلاثة:

١ - توحيد الربوبية.

٢ - **توحيد الألوهية.** ويقال له: توحيد العبودية.

٣ - **توحيد الأسماء والصفات.**

وهذه الأقسام الثلاثة متلازمة، لا ينفك قسم منها عن الآخر، فتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية يستلزم أحدهما الآخر، وتوحيد الألوهية هو مقتضى توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الأسماء والصفات، وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ وَالَّذين من قَبْلكُم لَعَلَّكُمْ تتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ٢١]

فمن أتى بنوع واحد من هذه الأنواع للتوحيد، ولم يأت بالأخرى، فإنه لم يأت بما أتى به على الوجه المطلوب، وعندئذ لا ينتج أثره المطلوب.

*** فما هو توحيد الربوبية؟**

توحيد الربوبية هو اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى وحده هو خالق العباد وهو رازقهم، وهو محييهم، وهو الذى يميتهم، وأنه وحده هو النافع الضار، وهو المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، والأمر كله له، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير

﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالك الْمُلْك تُؤْتِى الْمُلْك من تشَاءُ وتنزِعِ الْمُلْك ممن تشَاءُ وَتُعزُّ من تشاءُ وَتُذلُّ من تَشَاءُ بيدك الْخَيْرُ إِنَّك عَلَىٰ كُلِّ شىء قَديرٌ** ﴾ [آل عمران: ٢٦] ينبغى أن يعلم المسلم أن مولاه هو الذى تفرد بالخلق وحده، ومنذ البدء أخرج الحى من الميت. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالقُ الْحب وَالنَّوىٰ يُخْرِجُ الْحى من الْميت ومخْرِجِ الْميت من الْحيِ ذَلكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفكُون** ﴾ [الأنعام: ٩٥]

فإذا كان الله عز وجل هو خالق الخلق، فكيف يكون الخلق شركاء له فى ربوبيته أو ألوهيته. فالمخلوق لا يكون خالقًا، ولا يكون أبدًا شريكًا للخالق فهو وحده الذى يتوجه إليه بالعبادة ﴿ **ذَلكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَه إلاَّ هو خالقُ كُلِّ شىءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شىءٍ وَكيلٌ** ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿ **يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِب مَثَلٌ فَاسْتَمعوا لهُ إِنَّ الَّذين تدعُون من دون اللَّه لَن يخْلُقُوا**

ذُبَابا ولو اجْتَمَعُوا لَهُ وإن يسلُبهم الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يستنقذوه منْهُ ضَعُف الطَّالب والْمطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣]

وإذا تفرد الله عـز وجل بالخلق، فهـو من ثم متـفرد بالملك، له ملك السـموات والأرض. **﴿ وقُلِ الْحمْدُ للَّه الَّذى لَمْ يتخذْ وَلَداً ولَم يَكُن لَّهُ شرِيكٌ فِى الْمُلْك ولَمْ يكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبيرا ﴾** [الإسراء: ١١١].

وإذا تفرد الله عز وجل بالملك، فهو المتكفل بالأرزاق والأقوات. **﴿وَفِى السَّمَاء رِزْقُكُمْ وما تُوعدُون (٢٢) فورب السماء وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْل مَا أَنَّكُمْ تَنطقُونَ ﴾** [الذاريات: ٢٢، ٢٣]

﴿ قُلْ من يرْزُقُكُم من السماء والأَرْضِ أَمَّن يمْلكُ السمع وَالأَبْصَار ومن يخْرِج الْحى من الْميت ويخْرِجُ الميت من الْحىِّ ومن يُدبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُون اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]

وأما النفع والضر، فهـو كله بيد الله، فهو النافع الضار، ولا يملك العبـاد شيئًا من ذلك. **﴿ لاَّ أَمْلكُ لنفسى نفْعًا وَلا ضراًّ إلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْب لاسْتَكْثَرْتُ من الْخيرِ ومَا مسنى السوء إنْ أَنَا إلاَّ نَذيرٌ وبشيرٌ لِّقَوْمٍ يؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٨]

ولن يجلب أحد غيـر الله نفعًا ولا ضراً **﴿وإن يمسسْك اللَّهُ بضُرٍّ فَلا كَاشف لَهُ إلاَّ هُو وَإِن يمْسسْك بخيرٍ فهو علىٰ كُلِّ شىْءٍ قَدير (١٧) وهُو الْقَاهِرُ فَوْق عبَاده وَهُوَ الْحَكيمُ الْخبيرُ﴾** [الأنعام ١٧ ١٨] وتلك هى وصيـة الرسول الأعظم، والمعلم الأكبر ﷺ لحبر الأمـة عبد الله بن عبـاس رضي الله عنهما وهو فى صغره: «**واعلم أن الأمة لو اجتمـعوا على أن ينفعوك بشـئ، فلن ينفعوك إلا بشئ قد كـتبه الله لك، ولو اجتـمعوا على أن يضروك، فلن يضـروك إلا بشىء قد كتبه الله عليـك، جفت الأقلام، وطويت الصحف..**»[1]

---

[1] **صحيح**: رواه الترمذى وأحمد وغيرهما وصححه الألبانى

أحبتى الكرام.

كم تكون عظيمة خسارة أولئك الذين يعبدون آلهة من دون الله لا تنفع ولا تضر وكم تكون سخيفة عقولهم، ومخرفة نفوسهم وفطرتهم ﴿ **وَيَعْبُدُونَ من دُون اللَّه ما لا يضرُّهمْ ولا ينفعهم ويَقُولُون هؤُلاء شُفَعَاؤُنا عند اللَّه قُلْ أَتُنَبِّئُون اللَّه بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السموَات ولا فى الأَرْضِ سُبْحانه وتعالىٰ عمَّا يشرِكون** ﴾ [يونس: ١٨].

والله سبحانه هو الذى يستجيب دعاء العبد، دون وساطة، فهو قريب مجيب. ﴿ **وإذا سأَلَك عبادى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجيب دعْوة الدَّاعِ إذا دعان فَلْيَسْتَجيبوا لِى ولْيُؤمنوا بِى لَعَلَّهُم يرشُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٦]

فمن الواجب أن يتجه المرء بالدعاء إلى الله وحده، لا نبى ولا ولى، ولا صالح. ولكن الله وحده. ﴿ **وادْعُوه خوْفًا وطَمعًا إنَّ رحمة اللَّه قَرِيبٌ من الْمحْسنين** ﴾ [الأعراف: ٥٦] وهو الذى يغيث الملهوف، ويجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء وعجيب أمر هذا الإنسان، فإنه لا يذكر ربه ومولاه إلا إذا كان فى شدة. إلا فى ساعة العسرة. لا يعود إلى فطرته إلا فى ساعة الكربة. أكثر ما يكون العبد تذكرًا عندما يقع فى الشدائد، لكنه سرعان ما ينسى الله تعالى فى السراء، بعد أن يكتب له النجاة من الضراء. ﴿ **هُو الَّذى يُسيركُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فى الْفُلْك وجرين بهم بريحٍ طَيِّبَة وفرحوا بها جاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَان وظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بهِمْ دعوُا اللَّه مخلصين لَهُ الدّين لَئِن أَنجَيْتَنَا منْ هذه لَنَكُونَنَّ من الشَّاكرين ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهم إذا هم يبغون فِى الأَرْضِ بغَيْرِ الْحقِّ..** ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣] ويقول سبحانه: ﴿ **أَمَّن يجيب الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشفُ السُّوء ويجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مع اللَّه قَليلا مَا تذكَّرون** ﴾ [النمل: ٦٢].

سأل رسول الله ﷺ رجلاً من المشركين، فقال له «**كم تعبد؟**».

قال الرجل. ستة فى الأرض، وواحدًا فى السماء

قال. «**فمن الذى تعد لنصرتك ورغبتك؟**»

قال: الذى فى السماء.

قال له: «**ألا تسلم فأعلمك كلمات؟**»

وجده النبى ﷺ بفطرته أقرب ما يكون إلى التوحيد، إنه يعد لرغبته ورهبته، الذى فى السماء، أما الستة الذين فى الأرض فلا يحتاج إليهم، لا فى شدة، ولا فى كربة. لذلك بادر إليه النبى ﷺ بقوله: «**ألا تسلم، فأعلمك كلمات**»؟ فأسلم الرجل، فعلمه النبى ﷺ أن يقول: «**اللهمَّ ألهمنى رشدى، وقنى شر نفسى**»[١]

المؤمن إذا حلت به كربة، أو وقعت به ضائقة، لجأ إلى سر الألوهية متسلحًا بالتوحيد. وقف على أعتاب مقام الألوهية، متلفعًا برداء التوحيد، فحينئذ تنكشف له أسرار ذلك المقام الإلهى، فتنهمر عليه سحائب (كن فيكون).

هذا هو نبى الله يونس عليه السلام، لما ذهب مغاضبًا،وظن أن لن يقدر عليه - أى لن يعاقبه الله - عاقبه وآخذه، وكانت تلك هى خطيئته كانت عقوبته بأن حبسه الله تعالى فى بطن الحوت، بل فى ظلمات ثلاث: ظلمة الليل. وظلمة اليم، وظلمة بطن الحوت. نادى وهو فى تلك الظلمات: ﴿**أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ من الظَّالمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧] لجأ إلى ألوهية الله تعالى متسلحًا بالتوحيد [لا إله إلا إلا أنت] ولسان حاله يهتف: يا الله أنت الإله الحق، إن لم تكشف كربتى فمن يكشفها، لا يكشف كربتى إلا أنت، ثم يقول: [سبحانك] أى أنت المنزه عن كل عيب. لا تظلم أحدًا ولا تعاقب إلا بذنب، فما آخذتنى، ولا عاقبتنى، ولا أدخلتنى هذه الظلمات إلا بذنبى، وشؤم معصيتى.

وينطق بلسان ربوبيته فيهتف: [إنى كنت من الظالمين] اعتراف بالتقصير فى جنب الله، وانكسار لخالقه، وذل لربه ومولاه.

أخطأت، فصرت مستحقًا للعقوبة.

وتأملوا كمال أدبه عليه السلام، وإظهار ضعفه وعبوديته لله الإله، المعبود، لم يجاهر ربه بالطلب والسؤال، ولكنه اكتفى بالثناء على مقام الألوهية لله عز وجل.

---

(١) **ضعيف**: رواه الترمذى وضعفه الألبانى.

واكتفى بتنزيهه وبذكـر حاله وضعفه، وشدة كربه ثم سكت عن السؤال، وفـيما قاله تضمنًا للسؤال، وعـلام الغيوب أعلم بما فى نفسـه. ومثل ذلك قول نبى الله أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

فى دعاء يونس يكمن سر التوحيد، فقـد لجأ يونس عليه السلام إلى مقام ألوهية ربه سبحانه وتعالى، فتوسل بتوحيـد ربه، ولما توسل بتوحيده، انهمرت عليه بركات (كن فيكون) وتفتحت عليه رحمات (إن رحـمتى سبقت غضبى) فإذا بالحوت الأصم الأبكم الأعجم، يلقى بيونـس بكل رفق ولين، فيخرج إلى البر سـالـمًا، لكنه خرج ضعيفًا منهكًا، كأنه جنين خرج من بطن أمه، وإذا بالأرض الصماء تحنو عليه، فتنشق عن شجرة من يقطين تظلله وتحميه، ببركات توحيده وتسبيحه لمولاه

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤]

لولا سر التوحيد الذى توسل به يونس، لكتبنا عليه أن يبقى فى بطن هذا الحوت إلى يوم القيـامة، لكننا نجيناه ببركـة توحيده وتكبيـره وتسبيحـه، لذا قال النبى ﷺ: «**دعـوة أخى ذى النون: لا إله إلا أنـت سـبـحـانك إنى كنت من الظـالمين،مـا دعـا به مكروب إلا فرج الله كربته**»(١)

أحبتى فى الله.

لكن **ما هو توحيد الألوهية؟** ويقال له: توحيد العبودية؟

توحـيد العـبودية، هو إفـراد الله عز وجل وحـده بالعبـادة، بمعنى أن يعـبد الله وحده، لا يشـرك معه أحـدًا من خلقه، لأنه وحده الـذى يستحق أن يعـبد. وهذا التوحـيد، هو أول الدين وآخـره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الـرسل وآخرها، وهو معنى شـهادة أن لا إله إلا الله، وجمـيع الرسل جاؤوا إلى أممهم بهـذه الدعوة، وهذا التوحيد، قال تعالى مخبرًا عن نبى الله نوح عليه السلام. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى والنسائى والحاكم وصححه الألبانى.

قَوْمه أَنْ أَنذرْ قوْمَك من قَبْلِ أن يأْتيهُمْ عذابٌ أَليمٌ ① قَال يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذيرٌ مُّبِينٌ ② أَن اعْبُدُوا اللَّهَ واتَّقُوهُ وَأَطيعونِ ﴾ [نوح: ١ - ٣].

وقال عن هود عليـه السلام: ﴿ **وإِلَىٰ عاد أَخَاهُمْ هُودًا قَال يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم من إِلَه غيرُهُ** ﴾ [هود: ٥]

وتكررت هذه الكلمة الطيبة عـلى لسان أنبياء الله تعالى جميعًـا، فقد ذكرها الله تعالى قاعدة عامة فى دعوة جميع الرسل. ﴿ **ولَقَدْ بَعَثْنَا فى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَن اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنبُوا الطَّاغُوت** ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلكَ من رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْه أَنَّهُ لا إِلَه إِلاَّ أَنَا فاعْبُدُون** ﴾ [الأنبياء ٢٥].

ثم أمر الله تعـالى نبينا محـمداً ﷺ بها، فـقال: ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمرْتُ أَنْ أَعْبُد اللَّهَ مخْلصًا لَّهُ الدين ⑪ وأُمرت لأَنْ أَكُون أَوَّل الْمُسْلمينَ** ﴾ [الزمر: ١١ ، ١٢].

وعندما بعث النبى ﷺ معاذًا، قال له: «**إنك تأتى قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله..**»(١)

ولأهمية هذا النوع من التوحيد، ولأنه هو لب دعوة الرسل عليهم السلام، ولأن نزاع المشركين إنما كـان فيه، لهذا كله جاءت العناية به فى القـرآن الكريم. فما من سورة إلا وقـد جاء الحـديث فيهـا عن هذا التوحـيد نصًّا، أو دلالة، وسلك القرآن الكريم فى بيان ذلك فى مـسالك شتى فقـد أمر به، وناقش شبهـات المشركين، ورد عليهم، ومن خلال ذلك رسم الصورة الصحيـحة لأتباعه، ثم ذكر الله فى كتابه الكريم مـا أعده الله تعالى لعـباده المؤمنين من صـور النعيم، والثـواب فى الجنة لمن يحقق هذا التـوحيد، وبالمقابل رسم صـورة قاتمة للعذاب الأليم، والعقـاب الشديد، الذى ينتظر من يخالف التوحيد.

أحبتى الكرام

وهذا النوع من التوحيد، فإن تحقيـقه يكون بالتوجه إلى الله وحده، وإفراده بكل أنواع العبادة، والبراءة من كل ما يعبد من دون الله.

---

(١) رواه البخارى ورواه أحمد فى مسنده ومسلم وغيرهم.

وقد جاءت السنة المطهرة ببيان فضل التوحيد فى كثير من أحاديث سيد الموحدين، وإمام النبيين ﷺ حيث قال فيما رواه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه «**من لقى الله لا يشرك به شيئًا، دخل الجنة**»[١]

قال: ألا أبشر الناس؟

قال. «**لا، إنى أخاف أن يتكلوا**»

وقال ﷺ: «**أتانى جبريل عليه السلام، فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا، دخل الجنة» قلت: وإن فعل كذا وكذا؟، قال: نعم**»[٢]

وجاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، حرم الله عليه النار**»[٣]

وقال الله عز وجل فى حديث قدسى جليل: «**وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى، لأخرجن منها** - أى من النار - **من قال: لا إله إلا الله**»[٤]

وجاء فى صحيح مسلم أن النبى ﷺ سمع مناديًا يؤذن، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: «**خرج من النار**»[٥]

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له،وأن محمدًا عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء**»[٦]

إنها الكلمة التى لا يعد لها شيء فى الوزن، فلو وزنت بالسموات والأرض

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخارى ومسلم.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه مسلم.

لرجحت بهن، قال ﷺ «**إن نوحًا قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع، والأرضين السبع، لو وضعت فى كفة، رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع، كن فى حلقة مبهمة، قصمتهن لا إله إلا الله**»(١)

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**قال موسى: يا ربّ، علمنى شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى، قل: لا إله إلا الله.. قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا، قال: قل: لا إله إلا الله.. قال: إنما أريد شيئًا تخصنى به، قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن، والأرضين السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفة، مالت بهن لا إله إلا الله**»(٢)

من قالها، ومات عليها، كان من دار أهل الثواب، ومن ردها كان من أهل العقاب.

عن عبد الله قال ﷺ كلمة، وقلت أخرى، قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا، دخل النار.. وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًا، دخل الجنة**»(٣)

وهى مفتاح الجنة، وهى نجاة من النار. ومغفرة للذنوب والأوزار فى المسند من حديث شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال لأصحابه يومًا: «**ارفعوا أيديكم، وقولوا: لا إله إلا الله**» فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله يده، ثم قال: «**الحمد لله، اللهم بعثتنى بهذه الكلمة، وأمرتنى بها، ووعدتنى الجنة عليها، وأنت لا تخلف الميعاد**» ثم قال: «**أبشروا، فإن الله قد غفر لكم**»(٤)

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه ابن حبان (٦٢١٨) فى صحيحه وأبو نعيم فى الحلية (٨/٣٢٨) وأبو يعلى والحاكم (١/٥٢٨) وصححه ووافقه الذهبى وضعفه الألبانى.

(٣) رواه البخارى (٤٢٢٧)

(٤) **حسن**: رواه أحمد فى سنده (٥٧ ١٧) وحسنه حمزة الزين (١٣/ ٢٧١) ورواه الحاكم برقم (١٨٤٤) جـ (١/ ٦٧٩)

وعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ما قال عبد، لا إله إلا الله مخلصًا، إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضى إلى العرش ما اجتنبت الكبائر**»(١)

فهى الكلمة التى تخرق الحجب كلها، حتى تصل إلى الله عز وجل، كما فى الحديث إنها أمان من وحشة القبر، وهول الحشر

إنها شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم.

قال ابن عيينة - رحمه الله -: ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله، وأن لا إله إلا الله لأهل اجنة كالماء البارد لأهل الدنيا، وأجلها أعدت دار الثواب، ودار العقاب فى الآخرة

أحبتى الكرام

حقًا إنها أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل التوحيد، ومن أراد أن يعرف عظم قدر هذه النعمة، فليطلع على أحوال أهل الشرك وليسمع شيئًا من أخبارهم. إنَّ أهل الشرك لا عقل لهم، ولا تفكير قد تعطلت عقولهم، وإلا لما عدلوا عن اللطيف الخبير، وذهبوا يلتمسون آلهة أخرى يعبدونها من دون الله. ولو كان لهم عقل وتفكير لما سووا بين تلك الآلهة وبين رب العالمين، حتى إذا وقفوا بين يدى أحكم الحاكمين وأعدل العادلين يوم القيامة، وانكشفت لهم الحقائق صاحوا نادمين: ﴿**تَاللَّه إن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إذْ نُسَوِّيكُم بِرب الْعَالَمِين**﴾ [الشعراء: ٩٧ ، ٩٨].

فاحمد ربك يا مؤمن. يا موحد. احمده إذ أنقذك من جهالات الشرك وضلالاته. ماذا كان المشركون يعبدون، كانوا يعبدون الأحجار والأشجار. كانوا يعبدون الأصنام من الحجر أو من الخشب، أو حتى من التمر، فقد كان لبعض العرب صنم من تمر يعبده، حتى إذا جاع وعضه الجوع أكله.

يقول أبو عثمان النهدى رضي الله عنه: كنت فى الجاهلية أعبد حجرًا، فإذا بنا فى يوم

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٦٤٨)

نسمع مناديًا ينادى: يا أهل الرحال، هلك ربكم، فالتمسوا ربًا، أى ضاع صنمكم الذى تعبدونه، فابحثوا عن صنم آخر.

قال: فخرجنا على كل صعب وذلول نلتمس ربًّا، فبينما نحن كذلك نطلبه إذ سمعنا مناديًا آخر ينادى: قد وجدنا ربكم، أو شبه ربكم، فرجعنا، فإذا حجر فعبدناه وعكفنا عنده، ونحرنا عليه الجزور وقال عمرو بن عنبسة ﷺ: كنا فى الجاهلية نعبد الأحجار، وكان الحى إذا نزل منزلاً، وليس معهم إله يعبدونه، يخرج لرجل فيأتى بأربعة أحجار، يجعل ثلاثة منها أثافى لقدره، يضع عليهم قدره الذى يطبخ فيه طعامه، والحجر الرابع يختاره أحسنها وأجودها، يختاره إليه يعبده، وربما وجد حجراً آخر قبل أن يرتحل، حجراً آخر أحسن منه، فيترك الأول، ويعبد الثانى.

فالحمد لله على نعمة التوحيد. والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة كان عمرو بن الجموح ﷺ سيداً من سادات بنى سلمة، وبنو سلمة من قبائل المدينة، فاتخذ صنمًا قبل إسلامه من خشب يسمى (مناة) ولما أسلم فتيان من بنى سلمة، منهم: معاذ بن جبل، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، ابنه وآخرون.

فكانوا يدلجون من الليل على صنم عمرو، وهو نائم، فيأخذونه فيطرحونه فى حفرة من حفر بنى سلمة التى يضعون فيها أوساخهم وعذراتهم، طرحوه منكسًا على رأسه فى تلك الحفرة، فلما أصبح عمرو بن الجموح فلم يجد صنمه، قال: ويلكم من عدا على آلهتنا الليلة؟ ثم خرج يلتمس صنمه حتى إذا وجده، أخذه فغسله وطهره وطيبه، ثم أعاده إلى مكانه وقال له: والله لو أعرف من يصنع بك هذه الأخزية لنكلت به، ولما عاد إلى نومه فى الليلة التالية، عاد الفتيان، فعدوا على صنمه، فصنعوا به مثل ذلك، فلما طال عليه هذا الحال، استخرج صنمه من المكان، الذى ألقوه فيه، فغسله وطهره وطيبه، ثم أعاده إلى مكانه، وأتى بسيفه وعلقه عليه، وقال له. والله لا أدرى ما يصنع بك هذا، فإن كان فيك خير فامتنع - يعنى احم نفسك - فهذا السيف معك، ثمُ ذهب ونام، ثم جاء الفتيان المؤمنون الموحدون، فأخذوا صنمه وسيفه، فقرنوه مع كلب ميت فى حبل ثم ألقوهما فى بئر

من آبار بنى سلمة، التى فيها أوساخهم وعذراتهم، فلما استيقظ عمرو بن الجموح، فلم يجد صنمه، ذهب يلتمسه، حتى وجده فى تلك البئر منكسًا على رأسه فى تلك الحال الخبيثة القبيحة تكشف له الحال، فأبصر حقيقته، فأسلم ﷺ وحسن إسلامه[١]

فاحمد الله يا مؤمن. يا موحد على نعمة التوحيد. احمده على أن هداك للتوحيد، واحمده سبحانه على أن جعلك من أهل لا إله إلا الله، واحرص على توحيدك.

ما نطق الناطقون إذا نطقوا
أحسن من لا إله إلا هو

تبارك الله ذو الجلال ومن
أشهد أن لا إله إلا هو

من لذنوبى ومن يمحصها
غيرك يا من لا إله إلا هو

جنان خلد لمن يوحده
أشهد أن لا إله إلا هو

نيرانه لا تحرق من
يشهد أن لا إله إلا هو

أقولها مخلصا بلا بخل
أشهد أن لا إله إلا هو

اللهمَّ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب اللهم نبهنا إلى ذكرك فى أوقات الغفلة، واستعملنا بطاعتك فى أيام المهلة اللهم انظر

(١) أسد الغابة لابن الأثير (٣/ ٣٦) برقم (٣٨٩١)

إلينا برحمتك فى جميع أمورنا، وبفضلك أغثنا، وبعظمتك أعنا، وبسعة رزقك ابسط أيدينا، وبجودك وكرمك اعف عنا يا رب العالمين.

الوصية رقم (٨)

* أتحبون أن تزحزحوا عن النار؟ *

عن عبد الله عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه**»(١)

صدق رسول الله ﷺ.

أحبتى فى الله.

إن حسن الخاتمة هو أن يوفق العبد قبل موته بالأعمال الصالحات، والإيمان الصادق برب الأرض والسموات، وأن يبتعد عما يغضب رب الكائنات، وأن يوفقه إلى التوبة من المعاصى والسيئات، والإقبال على الطاعات، وأعمال البر والخيرات، ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة. ومما يدل على هذا المعنى ما صح عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أراد الله بعبده خيرًا استعمله**» قالوا: كيف يستعمله؟ قال: «**يوفقه لعمل صالح قبل موته**»(٢) وقال: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا، عسَّله**».

قيل: وما عسله؟ قال: «**يفتح الله** - عز وجل - **له عملاً صالحًا قبل موته، ثم يقبضه عليه**»(٣)

---

(١) رواه مسلم (٤٧٥٣) ورواه النسائى فى سننه (٢ ٤٢) وابن ماجة وأحمد فى مسنده.

(٢) **صحيح** رواه أحمد فى مسنده والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٣٥٧).

(٣) **صحيح** صححه الألبانى فى الصحيحة برقم (١١١٤) وصحيح الجامع برقم (٣٠٧).

أحبتى فى الله.

وفى هذه الوصيــة المباركة نجد حرص الرسـول الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ على أمته حرصـا شديدًا على أن تكون خاتمتهم حسنة، وأن يظلوا مستـمرين على الأعمال الصالحات حتى الممات فيقول: «**من أراد أن يزحزح عن النار...**»

ومن منا لا يريد أن يتزحـزح عن النار، وقد أوقد عليـها مولانا ألف عـام حتى ابيضت، وألف عام حتى احمرت، وألف عام حتى اسودت، فهى الآن سوداء مظلمة والعياذ بالله. ؟!

من منا لا يريد أن يتـزحـزح عن النار، وقد قـال ربنا: ﴿**فَمن زُحْزِح عنِ النَّارِ وَأُدْخِل الْجَنَّةَ فَقَدْ فَاز وما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ متاع الْغُرور**﴾ [آل عمران: ١٨٥]؟

من منا لا يريد أن يتـزحزح عن النار، وقد قـال النبى ﷺ: «**يؤتى بجـهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(١)؟

من منا لا يريد أن يتزحـزح عن النار، والنار يوم القيامـة تشتكى إلى ربها كـما أخبرنا الصادق المصدوق وصلوات ربى وسلامه عليه، فقال: «**اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب، أكل بعضى بعضًا، فـأذن لى أن أتنفس، فأذن لها فى نفسين: نفس فى الشتاء، ونفس فى الصيف فأمَّا نفسها فى الشتاء فهو زمهرير، وأما نفسها فى الصيف، فسموم**» وفى رواية: «**فما وجدتم من زمهرير وبرد فمن نفس جهنم، وما وجدتم من حرور عمن نفس جهنم**»(٢)

من منا لا يريد أن يتـزحـزح عن النار، وطعـام أهل النار، نار، وشـرابهم نار، ولبـاسهم نـار. طعامـهم الزقـوم. والزقوم شـجـرة خـبيـثـة، ثمارها كـرؤوس الشياطين. ﴿**أَذَلك خَيْرٌ نُّزُلاً أم شجَرَةُ الزَّقُّوم ﴿٦٢﴾ إنَّا جَعَلْنَاهَا فتْنَةً لِّلظَّالمين ﴿٦٣﴾ إنَّهَا شجرَةٌ تخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجحيمِ ﴿٦٤﴾ طلْعُها كَأَنَّهُ رءُوس الشَّيَاطينِ ﴿٦٥﴾ فَإنَّهُمْ**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم والترمذى.

لآكلُون منْهَا فَمَالئُون منْهَا الْبُطُون﴾ [الصافات ٦٢ - ٦٦] إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم، فى قعر جهنم. يقول إمام النبيين ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم**»[١] فكيف بمن يكون طعامه؟»

من منا لا يريد أن ينقذ نفسه من النار، ورسول الله ﷺ يقول: «**ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**» قالوا والله إن كانت لكافية.

قال: «**إنها فضلت بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها**»[٢]؟

من منا لا يريد أن ينقذ نفسه، أو يزحزها عن النار، وغمسة واحدة أو يصبغ صبغة فى نار جهنم، فتنسيه ما رآه من نعيم وسعادة فى الدنيا. قال ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ صبغة فى النار، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب**»[٣]؟

من منا لا يريد أن يزحزح نفسه عن النار، والواحد القهار، أمرنا أن نقى أنفسنا وأهلينا منها، فقال: **﴿يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحجَارَةُ عَلَيْهَا ملائكَةٌ غلاظٌ شدادٌ لاَّ يَعْصُون اللَّهَ ما أَمرهُمْ وَيفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾** [التحريم: ٦].

قال ابن الجوزى - رحمه الله -: كان ملك كثير المال، وكانت له ابنة، لم يكن له ولد غيرها، وكان يحبها حبًّا شديد، وكان يلهيها بصنوف اللهو، فمكث كذلك زمانًا، وكان إلى جانب الملك عابدًا، فبينما هو ذات ليلة يقرأ إذ رفع صوته، وهو يقول: **﴿يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهليكُم نارا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحجَارَةُ..﴾** [التحريم: ٦] فسمعت البنت قراءته، فقالت جواريها اكففن، فلم يكففن، وجعل العابد يردد الآية، والجارية تقول لهن فلم يكففن، فوضعت يدها فى جيبها، فشقت

---

(١) **حسن صحيح**: رواه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح ورواه ابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٥).

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى وغيرهم

(٣) ء مسلم وأحمد والنسائى.

ثيابها، فانطلقن إلى أبيها، فأخبرونه القصة، فأقبل إليها، فقال: **يا حبيبتى، ما حالك** منذ الليلة؟ ما يبكيك؟ وضمها إليـه، فقالت: أسألك بالله يا أبت، **الله عز وجل دار** وقودها الناس والحجارة؟ قال: نعم.

قالت: وما يمنعك يا أبت أن تخبـرنى عنها، والله لا أكلت طيبًا، ولا نمت على لين، حتى أعلم أين منزلى: أفى الجنة أم في النار[١]؟!

أحبتى الكرام.

ومـاذا بعـد أن نتزحـزح عن النار، قـال النبى المختـار ﷺ: «**ويدخل الجنة..**» الصحابة - رضوان الله علـيهم - سألوا رسول الله ﷺ أن يحدثهم عن الجنة، فقال لهم: «**لبنة من ذهب، ولبنة مـن فضـة، وملاطهـا المسك** - والملاط هو ما يكون بين اللبنتين - **وحصـباؤها: اللؤلؤ واليـاقوت، وترابهـا الزعفران، من يدخلـها ينعم، ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»[٢]

كيف لا نتـمنى دخول الجنة، وقد حـدثنا حبيـبنا ورسولنا ﷺ عن عنقود عنب منها، فـقال لأصحـابه عندما سألوه قـائلين: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيـئًا فى مقامك، ثم رأيناك كعكعت.

قال: «**إنى رأيت الجنة، فـتناولت منها عنقـودًا، ولو أصبـته، لأكلتم منه مـا بقيت الدنيـا، وأريت النار، فلم أر منظرًا كـاليوم قط أفظع منهـا**»[٣] ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨].

إن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب.

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٤٣٧) لابن الجوزى

(٢) **صحيح** رواه أحمد والدارمى وغيـرهما وصححه الألبانى فى الصحيـحة (٩٦٩) وصحيح سنن الترمذى (٥ ٢).

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى

وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق.

وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور.

وإن سألت عن حليهم، فأساور الذهب واللؤلؤ

وإن سألت عن غلمانهم، فولدان مخلدون، كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن أزواج أهل الجنة، يأتيك الجواب ممن خلقها، فقال: ﴿ **فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ..** ﴾ [الرحمن: ٧٠ - ٧٦]

أحبتي الكرام.

اعلموا علم اليقين أنّ نعيم الجنة الحقيقي، ليس في لبنها، ولا في خمرها ولا في حريرها، ولا في عسلها، ولا في بنائها، ولا في قصورها، ولا في ثيابها، ولكن نعيم الجنة الحقيقي في رؤية وجه ربها. ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ..** ﴾ [القيامة: ٢٢ ، ٢٣]

وقال سبحانه: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ..** ﴾ [يونس: ٢٦].

والحسنى هي الجنة، والزيادة هي التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من هذا؟ فيقولون: وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبدًا**»[1]

وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال الله تعالى:**

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون. ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إلى الله فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى..»(١)

أحبتى الكرام.

من أراد أن يتزحزح عن النار، ويدخل الجنة ماذا يفعل يا سيدى يا رسول الله؟ ماذا يعمل يا رسول الله؟ لكى يتزحزح عن النار؟

قال سيد الرجال ﷺ فى وصيتنا: «**فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر**» هذا هو الأمر الأول. فما الأمر الثانى «**وليأت إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه**»(٢)

إذا لابد من العمل. يا من تطلبون الجنة بغير عمل. يا من تطلبون الجنة بغير صلاة. يا من تطلبون الجنة بغير قيام الليل يا من تطلبون الجنة وأنتم على معصية الله جل وعلا يا من تطلبون الجنة بالذنوب والشبهات والشهوات: انتبهوا واعملوا، فإنه ما أقل حياء من طمع فى جنة الله. وفى رحمة الله، ولم يعمل بطاعة الله، ولا بطاعة رسوله وحبيبه ﷺ

إنَّ طالب الجنة لا ينام. فاعملوا، لأن الإيمان قول وعمل.

واعمل لدار غد رضوان خازنها
والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها
والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن مصفى ومن عسل
والخمر يجرى رحيقًا فى مجاريها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة
تسبح الله جهرًا فى مغانيها

---

(١) رواه مسلم والترمذى

(٢) انظر أول الوصية

فـمن يشـتـرى الدار فـى الفـردوس يعـمـرها

بركـــعـــة فى ظلام الليل يحـــيـــيـهـــا

إن أردت الحصول على الجنان، فالتزم الإيمان وطاعة الرحمن، واعص الهَوى والشيطان ﴿ **يا أَيُّها الَّذين آمنوا استجيبوا لله وللرسُول إذَا دعَاكُمْ لمَا يُحييكُمْ..** ﴾ [الأنفال: ٢٤] والاستجابة لله وللرسول، أى الانقـياد لما أمر به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهى عنه.

ولهذا وضـح الرسول ﷺ الطريق الذى نسلكه (أى الصراط المستـقيم) وبين **الرسول الطرق المؤدية إليه، فقال** ﷺ كمـا جاء فى حـديث النواس بن سمـعان ﷺ: عن النبى ﷺ قال: «**إنّ الله ضرب مثـلاً صراطًا مستقيـمًا، على كنفى الصراط سـوران، فيـهما أبـواب مـفتـحـة، وعلى الأبواب سـتور مرخـاة وعلى الصراط داع يدعو، يقول: يا أيها الناس، اسلكوا الصراط ولا تعوجوا، وفوق ذلك داع يدعو، كلما هم عـبد أن يفتـح شيئًـا من تلك الأبواب، قـال: ويحك لا تفتـحه، فـإنك إن تفتـحه تلجه**».

ثم فسره، فأخبر: أن **الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتـحة محارم الله، وأن الستور المرخاة حـدود الله، والداعى على رأس الصـراط هو القـرآن، وأن الداعى من فوقه، واعظ الله فى قلب كل مؤمن**[1]

أحبتى فى الله.

فاستقيموا على الإيمان والطاعة، وعلى صراط الله المستقيم. فإن من مات على طاعة، بعث على الطاعـة، ومن مات على معـصية، بعث على مـعصية وإن العـبد المؤمن يبشـر عند موته برضوان الله ورحمتـه وجنته، واستحـقاق كرامته تـفضلاً منه تعالى - كما قال جل فى علاه ﴿ **إنَّ الَّذين قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ**

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى والبزار وصححه الألبانى فى الترغيب برقم (٢٣٤٨) وصحيح الجامع (٣٨٨٧).

الْملائكَةُ أَلاَّ تخافُوا وَلا تحزنُوا وَأَبْشروا بالْجَنَّة الَّتى كُنُتمْ تُوعدون ﴿٣٠﴾ نحْنُ أَوْلَيَاؤُكُمْ فى الْحياة الدُّنْيَا وَفِى الآخرة...﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم، وذلك لن يكون إلا لمن وفقه **الله** تعالى للعمل الصالح، أما من عمل غير ذلك، فإنه يبشر بعذاب **الله** وسخطه.

ومما يدل على ذلك ما جاء عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: قال رسول **الله** ﷺ: **«من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه»**.

فقلت: يا نبي **الله**، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت؟

فقال: **«ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه»**(١)

قال النووي - رحمه **الله** -: معناه. أن المحبة والكراهية التى تعتبر شرعًا هى التى تقع عند النزع فى الحالة التى لا تقبل فيها التوبة، حيث ينكشف الحال حينئذ للمحتضر

إن الخوف من سوء الخاتمة، هو الذى طيش قلوب الصديقين، وحير أفئدتهم فى كل حين. لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، كما ثبت ذلك عن المصطفى ﷺ.

كم سمعنا عمن آمن ثم كفر، وكم رأينا من استقام ثم انحرف، ولذلك كان ﷺ كثيرًا ما يردد فى دعائه: **«يا مقلب القلوب، ثبت قلبى على دينك»**(٢)

وقد ذكر العلماء أن من علامات حسن الخاتمة النطق بالشهادتين عند الموت فقد قال ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة»**(٣)

وعن طلحة بن عبيد **الله** ﵁ قال: رأى عمر طلحة بن عبيد **الله** ثقيلاً فقال:

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٤٨٠١).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألبانى برقم (٣١١٦) والمشكاة (١٦٢١).

ما لك يا أبا فـلان؟ لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فـلان؟ قال: لا [وأثنى على أبى بكر] إلا أنى سمـعت من رسول الله ﷺ حديثًـا، ما منعنى أن أسـأله عنه إلا القدرة عليه، حتى مات، سمعته يقول: «**إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبدٌ عند موته، إلا أشرق لها لونه، ونفس الله عنه كربته**».

فقال عمر إنى لأعلم ما هى، قـال: وما هى؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة مر بها عمه عند الموت: لا إله إلا الله؟

قال طلحة: صدقت، هى والله هى(١)

أحبتى فى الله.

والسبب الثانى الذى يزحزحك عن النار، ويدخلك الجنة: **(وليأت الذى يحب أن يؤتى إليه)** أى تحب لأخيك ما تحب لنفسك

وقد جاء فى حديث البخارى عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢)

قال ابن بطال - رحمـه الله - فى شرحه: معناه: لا يؤمن أحـدكم الإيمان التام حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وقال أبو الزناد: ظاهره التـساوى، وحقـيقتـه التفضـيل، لأن الإنسان يحب أن يكون أفضل الناس، فإذا أحب لأخيه، فـقد دخل هو فى جملة المفضولين، ألا ترى أن الإنسان يحب أن ينتصف من حقه ومظلمته، فإذا كمل إيمانه، وكانت لأخيه عنده مظلمـة أو حق، بادر إلى إنصافـه من نفسـه، وآثر الحق، وإن كان عليـه فيـه بعض المشقة(٣)

---

(١) **صحيح**: رواه أحمـد فى مسـنده (١٣٨٤) وصحـحه الشـيخ أحمـد شاكر ورواه الحـاكم (١/ ٣٥) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى

(٢) رواه البخارى وأحمد.

(٣) شرح ابن بطال (١/ ٤١).

وقال ابن حجر فى فتح البارى:

قال الكرمانى: ومن الإيمان أيضًا أن يبغض لأخيه ما يبغض لنفسه من الشر، ولم يذكره - أى حديث - لأن حب الشىء مستلزم لبغض نقيضه، فترك التنصيص عليه اكتفاء[1]

وجاء فى حديث الترمذى: «**وأحب للناس ما تحب لنفسك، تكن مسلمًا**»[2]

ورحم الله الشافعى حين قال.

إن شئت أن تحيا سليما من الأذى

وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوئًا

فصنها وقل: يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى

وفارق ولكن بالتى هى أحسن

فمن أراد أن يصون الناس عرضه، فليصن أعراض الناس، من أراد أن يعظم الناس حرماته، فليعظم حرمات الناس من أراد أن يحفظ الناس ماله، فليحفظ أموالهم. فالجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان.

لا تؤذ المسلمين كما تحب أن لا يؤذوك.

---

(١) فتح البارى ١/ ٢

(٢) **حسن**: رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١).

لا تتكبر عليهم كما تحب أن لا يتكبروا عليك.

لا تغتبهم كما تحب أن لا يغتابوك. قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»[١] أى نمام.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدى: من نم لك، نم عليك، ومن أخبرك بخبر غيرك، أخبر غيرك بخبرك.

لا تهجر إخوانك المسلمين كما تحب أن لا يهجروك. وإن كنت فاعلاً فالزم سنة الحبيب المصطفى ﷺ: «**لايحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يعرض هذا، ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**»[٢]

وقر الكبير، وارحم الصغير وخاطب الناس على قدر عقولهم.

اسع فى قضاء حوائجهم. كن طلق الوجه مستبشراً.

أوحى الله إلى آدم عليه السلام بأربع خصال، وقال: فيهن جماع الأمر لك **ولولدك: واحدة لى، وواحدة لك**، وواحدة بيني وبينك وواحدة بينك وبين الخلق، **فأمَّا التى لى: تعبدنى ولا تشرك بى شيئًا، وأما التى لك، فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه، وأما التى بينى وبينك، فعليك الدعاء، وعلىَّ الإجابة، وأما التى بينك** وبين الخلق، فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به.

وسأل موسى ربه، فقال: أى ربِّ، أى عبادك أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه.

اللهمَّ اجعلنا نخشاك كأننا نراك، وأسعدنا بتقواك، ولا تجعلنا بمعصيتك من المطرودين.

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منه. اللهم اجمع على الهدى أمرنا. وأصلح ذات بيننا وألف بين قلوبنا. واجعل قلوبنا كقلوب خيارنا. واغفر لنا يا رب العالمين.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى.

الوصية رقم (٩)

* الخوف من الله طريق إلى الجنة *

عن شداد بن أوس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**قال الله عز وجل: وعزتى وجلالى، لا أجمع لعبدى أمنين، ولا خوفين إن هو أمننى فى الدنيا، أخفته يوم أجمع فيه عبادى،وإن هو خافنى فى الدنيا، أمنته يوم أجمع فيه عبادى**»(١)

صدق رسول الله ﷺ فيما بلغ عن رب العزة

أحبتى فى الله

هذا الحديث القدسى الجليل من رب العالمين تبارك وتعالى، يقسم فيه بعزته وجلاله. يقسم فيه بعظمته وكبريائه. أنه لا يجمع على عبده أمنين، ولا خوفين. إن أمنه فى الدنيا ولم يخف منه، أخافه فى الآخرة يوم لقائه سبحانه. يوم يجمع الله عباده فى صعيد واحد. وإن خافه فى الدنيا، وخشيه واتقاه، كتب له الأمن والأمان يوم القيامة.

إنَّ الخوف من الله سمة المؤمنين، وآية المتقين، وديدن العارفين الموحدين وهو من المقامات العلية، وهو من لوازم الإيمان برب الأرض والسموات ﴿**وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ ﴿**فلا تخشوهم واخشون**﴾ ﴿**إِنَّما يخْشى اللَّهَ منْ عباده الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨ وقال ﷺ «**أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له..**»(٢)

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان فى صحيحه والترمذى وأبونعيم فى الحلية (٦/ ٩٨) وابن المبارك فى الزهد (٢/ ١٦٣) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٧٤٢).

(٢) البخارى وأحمد وغيرهما.

وكلما كان العبد أقرب من ربه، كان أشد له خشية، ممن دونه، وقد وصف الله ملائكته الأبرار بقوله سبحانه ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون..** ﴾ [النحل: ٥] وأنبياءه وصفوة خلقه بقوله ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله...** ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

الخوف من الله هو سوط الله عز وجل، الذى يقوم به الشاردين عن بابه ويرد به الآبقين عن رحابه

الخوف من الله دليل على كمال الإيمان، وحسن الإسلام، وصفاء القلب، وطهارة النفس.

إذا سكن الخوف من الله فى القلب، أحرق مواضع الشهوات فيه، وطرد بهرج الدنيا عنه.

الخوف من الله عز وجل أصل كل خير فى الدنيا والآخرة، وكل قلب ليس فيه خوف من الله تعالى، فهو قلب خرب.

قال أبو سليمان الدارانى - رحمه الله تعالى -: أصل كل خير فى الدنيا والآخرة هو الخوف من الله عز وجل، وكل قلب ليس فيه خوف الله، فهو قلب خرب فأين القلوب الممتلئة بخوف الله عز وجل؟ أين القلوب المفعمة بخشية الله عز وجل؟ أين القلوب التى ذلت لعزة الجبروت، وخشعت لصاحب الملكوت. واستعدت لما بعد الموت.

الخوف شجرة طيبة، إذا ثبت أصلها فى القلب، امتدت فروعها إلى الجوارح فآتت أكلها الطيبة، بإذن ربها، وأثمرت الأعمال الصالحات، من الأقوال الرابحة، والسلوكيات القويمة، والأفعال الكريمة. تخشع به الجوارح. وينكسر القلب. ويرق الفؤاد، وتزكو النفس، وتجود العين.

أحبتى فى الله

الخوف من الله عز وجل هو الذى منع ابن آدم أن يقتل أخاه، عندما همَّ أن يقتله. ﴿ **لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين** ﴾ [المائدة: ٢٨]

الله عز وجل يريد لعباده أن يعرفوه ويخشوه ويخافوه، وقد وصف لهم الأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، التى تدل على عظمته. وتنبى بكبريائه ليهابوه ويخافوه ويجلوه، ووصف مولانا فى كتابه العظيم، وفيما أوحى إلى نبيه الكريم. وصف شدة عذابه، وقوة بطشه، وسرعة أخذه، ودار عقابه، وما أعده لأعدائه من العذاب والنكال. وذكر النار وأهوالها وما فيها من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والفظائع والأهوال. ودعا عباده إلى خشيته وتقواه. والبعد عن سخطه، والمسارعة إلى رضاه قال سبحانه: ﴿**يا أَيُّها النَّاس اتَّقُوا ربَكُمْ واخْشواْ يوْمًا لاَّ يجْزِي وَالِدٌ عن ولَده ولا موْلُودٌ هُو جازٍ عن والده شيئا إنَّ وعد اللَّه حَقٌّ..**﴾ [لقمان: ٣٣]

احتوى القرآن الكريم على آيات من الوعيد، تزلزل الوجدان، وتهز النفوس، وتفتت الأكباد، وتقرح الجفون، وبين أنها تخويف لعباده ليسلكوا النهج القويم، ويخالفوا أصحاب الجحيم.

قال تعالى: ﴿**فَاعبدوا ما شئتم من دونه قُلْ إنَّ الخاسرين الَّذين خسروا أَنفُسَهُمْ وَأَهْليهمْ يوم الْقيامَة أَلا ذَلك هو الْخُسْرانُ الْمُبينُ ﴿١٥﴾ لهُم من فَوْقهِم ظُلَلٌ مّن النَّارِ ومن تَحْتهِمْ ظُلَلٌ ذَلك يُخَوِّفُ اللَّهُ به عبَادَهُ يَا عبَاد فَاتَّقُون..**﴾ [الزمر ١٥ - ١٦].

وقد أخبرنا أن كتابه الكريم، ومواعظه البالغة، وحكمه النافعة، وإنذاراته القاطعة لا تظهر، ولا تبدو بركنها إلا للذين يخافون ربهم، إلا الذين يخشونه، ويشفقون منه. ﴿**وَأَنذرْ به الَّذين يخَافُون أَن يحْشَرُوا إِلَى ربهمْ لَيْس لَهُم مّن دُونه وَلِيٌّ وَلا شَفيعٌ..**﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال تعالى: ﴿**طه ﴿١﴾ ما أَنزلْنَا عَلَيْك الْقُرْآن لتشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يخْشَىٰ**﴾ [طه: ١ - ٣] وقال سبحانه: ﴿**فَذَكِّر بالْقُرْآن من يخَافُ وَعيد**﴾ [ق: ٤٥] فالخائف يتذكر ويتعظ، ويخشع ويعتبر

المؤمن الصادق. المؤمن الخاشع هو الذى عرف الله تعالى حق المعرفة وعرف قوله: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران: ٢٨] فهو يخاف الله ويحذره، ويهابه ويهابه ويتقيه.

قال وهب بن منبه - رحمه الله -: ما عبد الله تعالى بمثل الخوف.

روى الإمام أحمد والترمذى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أهو الذى يزنى، ويشرب الخمر، ويسرق، وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: **«لا يا ابنة الصديق، ولكنه الذى يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل الله منه»**(١)

وعن أبى ذر رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: **«إنى أرى ما لا ترون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى،والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات، تجأرون إلى الله تعالى..»**(٢)

قال الإمام أحمد: هذا يدل على أن كل من كان بالله أعرف، كان منه أخوف.

أحبتى الكرام.

والخائف دائمًا يلجأ إلى الهرب مما يخافه، إلا من يخاف من الله، فإنه يهرب إليه. كما قال أبو حفص الخوف سراج فى القلب، به يبصر ما فيه من الخير والشر، وكل واحد إذا خفته، هربت منه إلا الله عز وجل، فإنك إذا خفته، هربت إليه. فالخائف هارب من ربه إلى ربه قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٤]

وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف، ضلوا الطريق.

والخوف المحمود الصادق، هو ما حال بين صاحبه، وبين محارم الله عز وجل فإذا تجاوز ذلك، خيف منه اليأس ولهذا قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -

---

(١) **صحيح** رواه أحمد والترمذى وابن جرير والبغوى والحاكم (٢/ ٣٩٣) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وصححه الألبانى فى الصحيحة(١٦٢).

(٢) **حسن**: رواه أحمد والترمذى والحاكم وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٧٢٢) وصحيح الجامع برقم (٣٤٤٩).

الخوف المحمود، هو ما حجزك عن محارم الله، وهذا الخوف من أجل منازل السير إلى الله عز وجل، وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد.

ومن كان الخوف منه بهذه المنزلة، سوف يحجزه خوفه عن المعاصي والمحرمات فلا يأكل مالاً حرامًا، ولا يشهد زورًا ولا بهتانًا، ولا يحلف كاذبًا، ولا يخلف وعدًا، ولا يخون عهدًا، ولا يغش فى المعاملة، ولا يخون شريكه ولا يمشى بالنميمة، ولا يغتاب الناس، ولا يترك النصيحة، ولا الأمر بالمعروف، ولا النهى عن المنكر، ولا يزنى، ولا يلوط، ولا يتشبه بالنساء، ولا يتشبه بالكفرة أعداء الدين، ولا يتعاطى محرما، ولا يشرب مسكرًا، ولا يهجر مساجد الله. ولا يترك الصلاة فى جماعة، ولا يضيع أوقاته فى اللهو والغفلة. بل تجده يشمر عن ساعد الجد، يستغل وقته كله فى طاعة الله عز وجل. ولهذا قال ﷺ: «من **خاف أدلج، ومن أدلج، بلغ المنزل، ألا وإن سلعة الله غالية، ألا وإن سلعة الله هى الجنة**»[١]

والمراد بهذا الحديث، التشمير فى الطاعة والاجتهاد من بداية العمر، لأن الجنة غالية، تحتاج إلى ثمن باهظ، ومن سعى لها سعيها، وعمل صالحًا، وسار من أول الطريق، نال بغيته.

قال الطيبى: هذا مثل ضربه النبى ﷺ لسالك الآخرة على طريقه، والنفس وأمانيه الكاذبة، أعوان له، فإن تيقظ - أى المسلم - فى سيره، وأخلص النية فى عمله، آمن من الشيطان وكيده، ومن قطع الطريق بأعوانه، ثم أرشد إلى أن سلوك طريق الآخرة صعب، وتحصيل الآخرة متعسر، لا يحصل بأدنى سعى فقال: ألا إن سلعة الله غالية[٢] إلخ ولهذا كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - يغلبون

---

(١) **صحيح** رواه الحاكم والترمذى وغيرهما وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٣٧٧) وصحيح الجامع برقم (٦٢٢٢) والصحيحة (٩٥٤)

(٢) تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى (٦/ ٢٤٢)

جانب الخوف فى حال الصحة والقـوة، حتى يزدادوا من طاعة **الله**، ويكثروا من ذكر **الله**، ويتقربوا إليه بالنوافل، والأعمال الصالحة.

أيها الأحبة الكرام.

إن رجحان جانب الخـوف من الله تعالى فى قلب المؤمن، هو وحده الذى يرجح الكفة. وهو وحده الذى يعصم من فتنة هذه الدنيا، وبدون الخوف لا يصلح قلب، ولا تصلح حياة، ولا تستقيم نفس، ولا يـهذب سلوك، وإلا فما الذى يحجز النفس البشـرية عن ارتكاب المحرمـات، من عقوق، وظلم، وبغى وركـون إلى الدنيا غـير الخوف من الله عز وجل.

وما الذى يثبت النفس فى المعركة بين الحق والباطل، وبين الخير والشر؟! وما الذى يدفع الإنسان إلى تقوى الله عز وجل فى السر والعـلانية سوى خوف الله عز وجل ففى الزهد للإمام أحمـد - رحمه الله - عن عبد الرحمن بن يزيد قـال: قلت ليزيد: ما لى أرى عينيك لا تجف؟ قال: يا أخى، إن الله توعدنى إن أنا عصيته أن يسجننى فى النار، والله لو توعدنى أن يسجننى فى الحمام، لكان حريًّا أن لا يجف دمعى.

إنَّ الخوف من الله عـز وجل سبب عظيم من أسـباب المغفـرة، قال ﷺ: «**كان رجل يسـرف على نفسه، لمـا حضـره الموت، قـال لبنيـه: إذا أنا مت فأحـرقـونى، ثم اطحنونى، ثم ذرونى فى ريح عاصف، فـوالله لئن قدر الله علىَّ ليعذبنى عـذابًا ما عذبه أحد، فلـما مات فـعل به ذلك، فأمـر الله عز وجل الأرض فـقال: اجـمعى مـا فيك.. ففعلت، فـإذا هو قائم، فقال: مـا حملك على ما صنعت؟ قال: خـشيتك يا رب.. أو قال: مخافتك، فغفر الله له**[1]»

إنَّ الخوف من الله عز وجل، إذا مك المؤمن به قلبه، فاز ونجا.

أحبتى الكرام.

هل من مشمر؟ هل من خائف؟ هل من سائر إلى الله؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة.

لقد أخبرنا الحق جل وعلا عن حال الخائفين يوم الدين، وقد أصبحوا فى الجنة، وهم يتذاكرون حالهم فى الدنيا. ﴿**وَأَقْبَلَ بعضُهُم على بَعْضٍ يتساءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنا مُشْفِقِين ﴿٢٦﴾ فَمن اللَّهُ عَلَيْنَا ووقَانا عَذاب السَّمُومِ**﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٧]

الخائفون هم أهل القلوب الوجلة. ﴿**الَّذين إذا ذُكر اللَّهُ وجلَتْ قُلُوبُهُمْ..**﴾ [الحج: ٣٥] الخائفون هم أهل الخشية، قال تعالى ﴿**اللَّهُ نَزَّل أحْسن الْحديث كتَابًا مُّتشَابهًا مَّثَانِي تَقْشعرُّ منْهُ جلُودُ الَّذين يخْشوْن ربَّهمْ ثُم تَلين جلُودهُمْ وقُلُوبهم إلَىٰ ذكْرِ اللَّه..**﴾ [الزمر ٢٣]

قال ابن كثير هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار، لما ينهون من الوعد والوعيد.

الخائفون هم أهل البكاء، قال عقبة بن عامر ﷺ لرسول الله ﷺ: ما النجاة يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**»(١)

من قائل هذا الكلام؟ إنه إمام النبيين. وسيد الخائفين ﷺ فعن أبى جحيفة ﷺ قال: قالوا: يا رسول الله، قد شبت! قال: «**شيبتنى هود وأخواتها**»(٢)

فما أخوات هود؟ إنها الواقعة والمرسلات، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت، كما ورد فى بعض الروايات(٣)

بأبى هو وأمى ﷺ حين مر بأصحابه الكرام، وهم حول قبر يدفنون رجلاً، فبدر من بين أيديهم، ثم واجه القبر، حتى بل الثرى من دموعه، ثم قال: «**أى إخوانى،**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى وغيره وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٣٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى والبيهقى فى شعبه والطبرانى وغيرهم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٢)

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى برقم (٣٢٩٧)

لمثل هذا فأعدوا...»[١] ومن قبله كان أبو البشرية آدم عليه السلام. قال علقمة بن مرثد. «لو عدل بكاء أهل الأرض ببكاء آدم حين أهبط إلى الأرض ما عدله وعلى الدرب سار داود عليه السلام، قال ثابت البنانى - رحمه الله -: ما شرب داود شرابًا بعد المغفرة، إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه.

وعن مجاهد أن داود نبى الله عليه السلام، بكى من خطيئته حتى هاج ما حوله.

والخليل إبراهيم عليه السلام، قال عنه رب العزة والجلال فى كتابه: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ**﴾ [هود: ٧٥].

وهؤلاء هم الملائكة الأطهار، على رأسهم سيدنا جبريل - عليه السلام - يقول سيد الأنام عليه الصلاة والسلام: «**مررت ليلة أسرى بى بالملأ الأعلى وجبريل عليه السلام كالحلس البالى من خشية الله تعالى**»[٢]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: «**ما لى لا أرى ميكائيل يضحك؟**» قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار[٣]

وعلى دربهم سار الصحب الكرام - رضوان الله عليهم - وسلف الأمة وصالحيها فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينظر إلى طير وقع على شجرة، فقال: ما أنعمك يا طير تأكل وتشرب، وليس عليك حساب وتطير، ليتنى كنت مثلك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه له خطان أسودان فى وجهه من كثرة بكائه وخوفه وكان رضي الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أياما معاد يحسبونه مريضًا، وكان فى وجهه خطان أسودان من البكاء.

وهذا عثمان رضي الله عنه كان إذا وقف على القبر يبكى حتى يبل لحيته وقال: (لو أننى

---

(١) **حسن**: رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٦٥٩)

(٢) **حسن**: رواه الطبرانى فى الأوسط عن جابر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥٨٦٤).

(٣) إسناده جيد: رواه أحمد وابن أبى الدنيا وقال العراقى فى تخريج الإحياء: إسناده جيد.

بين الجنة والنار لا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير).

وهذا علي ﷺ كما وصفه ضرار بن ضمرة الكنانى لمعاوية يقول: كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلا، ويتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه يميل فى محرابه قابضا على لحيته يضطرب ويتقلب تقلب الملسوع ويبكى بكاء الحزين، فكأنى أسمعه وهو يقول: يا ربنا يا ربنا، يتضرع إليه يقول للدنيا إلىّ تعرضت، إلى تشوقت، هيهات هيهات غرى غيرى قد طلقتك ثلاثا فعمرك قصير ومجلسك حقير وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. فوكفت دموع معاوية ﷺ على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء وهو يقول: هكذا والله كان أبو الحسن.

وهذا ابن عباس ﷺ كان أسفل عينيه مثل الشّراك البالى من البكاء.

وهذا أبو عبيدة ﷺ يقول عن نفسه. وددت أنى كنت كبشًا فيذبحنى أهلى فيأكلون لحمى ويشربون مرقى، وهكذا كان حال صحابة رسول الله ﷺ مع أنهم كانوا مبشرين بالجنة فهذا على ﷺ يصفهم ويقول لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر أحدًا يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا وقد باتوا سجدًا أو قيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقعون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبتل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفًا من العقاب ورجاء للثواب.

وهذا سفيان الثورى - رحمه الله - يقول: والله لقد خفت من الله خوفًا أخاف أن يطير عقلى منه وإنى لا أسأل الله فى صلاتى أن يخفف من خوفى منه.

وهذا شداد بن أوس ﷺ كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه لا يأتيه النوم، ويقول (إن النار أذهبت منى النوم فيقوم يصلى حتى يصبح).

وهذا منصور بن المعتمر كان كثير الخوف والوجل كثير البكاء من خشية الله قال عنه زائدة بن قدامة: إذا رأيته قلت: هذا رجل أصيب بمصيبة ولقد قالت له أمه: ما هذا الذى تصنع بنفسك تبكى عامة الليل، لا تكاد أن تسكت لعلك يا بنى أصبت نفسًا، أو قتلت قتيلاً؟ فقال: يا أمه أنا أعلم بما صنعت نفسى وهذا معاذ بن جبل ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يبكى، فقيل له: أتبكى وأنت صاحب رسول الله ﷺ وأنت وأنت؟ فقال: ما أبكى جزعًا من الموت أن حل بى ولا دنيا تركتها بعدى، ولكن هما القبضتان، قبضة فى النار، وقبضة فى الجنة، فلا أدرى فى أى القبضتين أكون أنا.

والربيع بن خثيم - رحمه الله لما رأت أمه ما يلقى من الخوف والهم والبكاء والسهر، نادته، فقالت: يا بنى، لعلك قتلت قتيلاً؟

فقال: نعم يا أماه، لقد قتلت قتيلاً

فقالت ومن هذا القتيل يا بنى، نتحمل عن أهله الدية، فيعفون عنك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والخوف، ليرحموك!

فيقول: يا أماه، هى نفسى.

فأين أنتم من هؤلاء الأخيار؟! أين أنتم من هؤلاء الأبرار؟!

يا آمنًا مع قبح الفعل منه

أتاك توقيع أمنٍ أنت تملكه؟

جمعت شيئين أمنًا واتباع هوى

هذا إحداهما فى المرء تهلكه

والمحسنون على درب الخوف قد ساروا

وذلك درب لست تسلكه

فـرطت فى الـزرع وقت البـذر من سـفـه
فكيف عـند حـصـاد النـاس تدركـه
هذا وأعـجب شيء فـيك زهـدك فى
دار البـقـاء بعـيش سـوف تـتـركـه

قال أحمـد بن أبى الحوارى: سمعت أبا سليمـان الدارانى، ووقفت عليه وهو لا يرانى فسمـعته يقول: لئن طالبـتنى بذنوبى، لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبـتنى بتوبتى لأطالبنك بسخائك. ولئن أدخلتنى النار لأخبرن أهل النار أنى أحبك.

اللهم اجعلنا نخشـاك كأننا نراك اللهم إنا نسألك رحمـة من عندك تهدى بها قلوبنا، وتجمع بها أمرنا، وتلم بها شعـثنا، وتحفظ بها غائبنا وترفع بها شاهدنا. وتبيض بهـا وجوهنا، وتزكى بها أعمـالنا وتلهمنا بها رشـدنا وترد بها الفتن عنا، وتعصمنا بها من كل سوء يا رب العالمين.

الوصية رقم (١٠)

كافل اليتيم مع النبى ﷺ فى الجنة *

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: **«إن أردت تليين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»**(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

إنّ القلوب تقسو فتكون كالحجارة، أو أشد قسوة، فتبعد عن الله عز وجل وعن رحمته، وعن طاعته، وأبعد القلوب من الله عز وجل، القلب القاسى، الذى لا ينتفع بتذكير، ولا يلين لموعظة، ولا يفقه مقالة فيصبح صاحبه يحمل فى صدره قلبًا كأنه حجر صلد، لا فائدة منه، ولا يصدر مه إلا الشر - والعياذ بالله -

ومن القلوب ما يلين ويخشع ويخضع لخالقه، يقرب من الله، ومن رحمته وطاعته، فهنالك يجد صاحبه أنه يحمل قلبًا طيبًا رحيمًا، يصدر منه الخير والنور.

والقلوب هى محل نظر علام الغيوب، قال النبى المحبوب ﷺ **«إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**(٢)

القلوب بين أصبعين من صابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. يقول سيد الأنبياء ﷺ **«ألا إنّ فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهى القلب»**(٣) وما رق قلب لله عز وجل إلا وجدته أحرص ما يكون على طاعة الله عز وجل، ومحبته.

---

(١) **حسن**. رواه أحمد فى مسنده (٨٩٩٥) وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٢٥٤٥) وصحيح الجامع برقم (١٤١)

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

مارق قلب لله عز وجل إلا وجده صاحبه أبعد ما يكون عن معاصى الله عز وجل ما ذكِّر إلا تذكر، ولا بُصر إلا تبصر.

القلب الرقيق صاحبه صدّيق

القلب الرقيق رفيق، ونعم الرفيق.

لكن من الذى يهب رقة القلوب وانكسارها بين يدى ربها؟

ومن الذى يتفضل بخشوعها وإنابتها إلى ربها؟

وقد أخبرنا ربنا عز وجل أنه ما من قلب يحرم هذه النعمة **(نعمة رقة القلب)** إلا كان صاحبه موعودًا بعذاب من الله عز وجل، قال تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الزمر ٢٢]

لذلك ما من مؤمن صادق فى إيمانه إلا وهو يتفكر كيف السبيل لكى يكون قلبى رقيقًا لينًا؟ كيف السبيل لكى أنال هذه النعمة العظيمة؟

أحبتى الكرام.

لأجل ذلك وجد صحابى جليل من أصحاب النبى العظيم قلبه قاسيًا، فذهب إلى طبيب القلوب، وحبيب الملك المعبود ﷺ يشكو إليه هذا الداء ليصف له الدواء. يشكو قسوة قلبه، ويريد أن يلينه، فماذا وصف له أستاذ البشرية ومعلم الإنسانية؟ ماذا وصف له طبيب القلوب؟ قال له: «**إن أردت أن يلين قلبك..**» ماذا أفعل يا رسول الله؟ قال: «**فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم**»(١)

فهذان سببان أساسيان فى رقة القلوب، وقربها من علام الغيوب.

الأول: إطعام المسكين:

لقد قرر الإسلام مبدأ التعاون والتكافل والتضامن بحيث يحمل القوى الضعيف، ويأخذ الغنى بيد الفقير، ويحمل القادر العاجز، ويجود الناس بعضهم على بعض.

---

(١) **حسن:** تخرج فى أول الوصية

هذه هي الأخوة التي أرادها الإسلام من أتباعه لقد فرض الله للفقراء والمساكين الزكاة وهي الركن الثالث في الإسلام كما جعل اداءها دليلاً على الإيمان، وجعل منعها دليلاً على الكفر ﴿وويل للمشركين ۝ الَّذين لا يُؤْتُون الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هم كافرون﴾ [فصلت: ٦، ٧]

ولم يكتف الإسلام بالزكاة فحسب، بل انتهز كل فرصة، وتصيد كل حيلة، ليجود الغني على الفقير، ويعطف الواجد على المسكين والمحروم إذا ظاهر الرجل من امرأته فقال لها: أنت علي كظهر أمي، فإن الإسلام يحرمها عليه، حتى يحرر رقبة، فإن لم يستطع، فيصوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكينًا.

وكذلك من جامع زوجته في نهار رمضان، عليه هذه الكفارة.

ومن حلف يمينًا بالله، ثم حنث فيها، كانت كفارة يمينه، إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. وليست كفارة الحنث في اليمين الصيام - كما يظن كثير من الناس - إنما الصيام لمن عجز، أما كفارة اليمين، فإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم.

أحبتي الكرام.

وهكذا نرى الإسلام ينتهز كل فرصة لإطعام المساكين، ويجعل إطعامهم واجبًا، ومن ترك المسكين يجوع ويعرى، وهو قادر على إطعامه وكسوته، فقد استوجب النار - والعياذ بالله - اسمعوا إلى هذا الحوار بين أهل اليمين، وبين المجرمين:

﴿كُلُّ نفْسٍ بما كسبت رهينةٌ ۝ إلاَّ أصحاب الْيَمينِ ۝ في جنَّات يتساءلون ۝ عن الْمُجْرمين ۝ مَا سَلَكَكُمْ في سَقَر ۝ قَالُوا لَمْ نَك من المصلِّين ۝ ولَمْ نَكُ نُطْعمُ الْمسْكين..﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٤] فتركهم للصلاة، وقسوتهم على المساكين والمحرومين، أودت بهم إلى نار جهنم، وبئس المصير.

فكأن كل إنسان عليه واجبان نحو المساكين

الأول: إطعامه وكسوته، ومراعاة ضرورته وحاجاته ما قدر على ذلك.

الثانى: أن يحض غيره، ويحثه على إطعامه وعلى رعايته.

فإن لم يفعل فليس من المؤمنين بشىء، ولا يستحق أن يكون من المصدقين بالدين، فلو كان مصدقًا بالحساب، وتالجزاء عند الله يوم القيامة، لحث على إطعام المسكين، اقرأ قوله تعالى ﴿ **أرأيت الَّذى يُكذِّب بالدّين** ﴿١﴾ **فَذَلك الَّذى يدُعُّ الْيتيم** ﴿٢﴾ **ولا يحُض على طعام المسْكين** ﴾ [الماعون: ١ - ٣]

ويحدثنا عن أصحاب الشمال، الذين يؤتون كتبهم بشمالهم، فيقول كل واحد منهم: ﴿ **يا لَيْتنِى لَمْ أُوت كتابيه** ﴿٢٥﴾ **ولَمْ أَدْر ما حسَابيَهْ** ﴿٢٦﴾ **يَا لَيْتَهَا كانت الْقاضية** ﴿٢٧﴾ **ما أَغْنَى عنِى ماليه** ﴿٢٨﴾ **هَلَك عَنِّى سُلْطَانيَهْ..** ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩]

ثم يحكم الله عز وجل عيهم حكمًا عادلاً، فيقول للملائكة، وزبانية جهنم: ﴿ **خُذُوه فغُلُّوهُ** ﴿٣٠﴾ **ثُم الْجحيم صَلُّوه** ﴿٣١﴾ **ثُمَّ فِى سلْسلَة ذَرْعُها سبْعُون ذراعًا فَاسْلُكُوه** ﴿٣٢﴾ **إنَّهُ كَان لا يُؤْمن باللَّه الْعَظيم** ﴿٣٣﴾ **ولا يحضُّ علَىٰ طَعَام الْمسْكين** ﴿٣٤﴾ **فَلَيْس لَهُ الْيَوْمَ هاهنا حميمٌ** ﴿٣٥﴾ **ولا طَعَامٌ إلاَّ من غسْلين** ﴿٣٦﴾ **لا يَأْكُلُهُ إلاَّ الْخاطئُون** ﴾ [الحاقة: ٣ - ٣٧]

روى أن نفرًا مروا على نبى الله عيسى ـ عليه السلام ـ، فقال: يموت أحد هؤلاء اليوم إن شاء الله. فمضوا، ثم رجعوا ومروا عليه سالمين بالعشى، ومعهم حزم الحطب. فقال: ضعوا، وقال للذى قال إنه يموت اليوم: حل حطبك. فحله، فإذا فيه حية سوداء، فقال: ما عملت اليوم؟ قال: ما عملت شيئًا. إلا أنه كان معى فى يدى كسرة من خبز، فمر بى مسكين، فسألنى فأعطيته إياها.

فقال سيدنا عيسى عليه السلام بها دفع الله عنك هذه أى الحية -.

وعن وهب بن منبه قال: بينما امرأة من بنى إسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابًا، وصبى لها يدب بين يديها، إذ جاءها مسكين يسأل، فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى، فجعلت تعدو خلفه،

وهى تقول: يا ذئب، ابنى. ابنـى. فبعث الله ملكًا انتـزع الصبى من فم الذئب، ورمى به إليها، وقال لها: لقمة بلقمة.

وأحسن من هـذا ما رواه مسلم فى صـحيـحه من حـديث عائشـة ﵂ قالت: جاءتنى مسكينة، تحمل ابنتين لها، فأعطيـتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى فيـها تمرة لتأكلها، فاستطعـمتها ابنتاها، فشقت التـمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها، فذكرت الذى صنعت لرسول الله ﷺ فقال: «**إنَّ الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار**»[1]

السبب الثانى: امسح على رأس اليتيم:

أحبتى فى الله.

إنَّ دين الإسلام دين الرحمة، ورحـمته عمت جميع الخلائق، ولاسيـما الضعفاء والمساكين، الذين لا حول لهم ولا قوة، فرعـايتهم والعناية بهم عمل صالح، وسبب للنصر والرزق.

قال ﷺ: «**ابغونى فى ضـعفائكم، فإنما تنصـرون وترزقون بضعفـائكم بدعائهم واستغفارهم**»[2]

ومن هؤلاء الضعـفاء، الأيتام. فـقد أولاهم دين الإسـلام عناية خاصة، فـقد حث على إكرامهم والإحسان إليهم، وحذر من ظلمهم، والإساءة إليهم، ورتب على ذلك الوعيد الشديد.

واليتيم هو من فقد أباه فى حال الصغر، قال سبحانه فى شأن نبيه وحبيبه محمد ﷺ: ﴿**أَلَمْ يجدْك يتيماً فَآوى**﴾ [الضحى: ٦].

ولقد جعل الله تعالى الإحسان إلى اليتيم، ورعـايته عملاً عظيمًا جزاؤه الجنة قال سبحانه: ﴿**إنَّ الأَبْرار يشْرَبُون من كَأْسٍ كان مزاجها كافُورا ۝ عَيْنًا يشْرَبُ بِهَا**

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) صحيح رواه أبو داود والترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦ ٣٢).

عبادُ اللَّه يُفَجِّرُونها تَفْجيراً ﴿٦﴾ يُوفُون بالنَّذْرِ ويخافُون يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطيراً ﴿٧﴾ وَيُطْعمون الطَّعَام عَلَى حُبِّه مسْكينا ويتيماً وأَسيراً﴾ [الإنسان: ٥ - ٨] وقد ذكر شأن اليتيم فى القرآن الكريم فى ثلاثة وعشرين موضعًا. لأنه لما كان هذا اليتيم الصغير لا يستطيع القيام بشئون نفسه، نصب الإسلام عليه وصيًّا يتفقد حاله، ويصلح شأنه، ويحفظ ماله وينميه إلى أن يصل هذا اليتيم إلى مرحلة الفهم والإدراك، وحسن التصرف، فيسلمه هذا الوصى ماله، ولابد أن يكون هذا الوصى معروفًا بالرشد، وحسن التصرف والأمانة، وحسن الأخلاق، قال تعالى: **﴿ويسأَلُونَك عنِ الْيَتَامىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُم خير وإِن تُخَالطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسد من الْمُصْلحِ وَلَوْ شاء اللَّهُ لأَعْنَتَكُم إِنَّ اللَّه عزِيزٌ حكيمٌ﴾** [البقرة: ٢٢]

وتأملوا الجزاء العظيم الذى أخبرنا به الرسول الكريم ﷺ عندما قال: «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئًا[1]

قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به، ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنة، ولا منزلة أفضل من ذلك فى الآخرة، وقد يرغب محب الخير أن يتعرف على السر فى بلوغ كافل اليتيم هذه المنزلة العظيمة، والرتبة الشريفة، ليكون قرينًا لنبيه ﷺ فى المقام العظيم.

قال أهل العلم: إنّ محمدًا ﷺ كتب الله على يديه هداية قوم كانوا في ضلال مبين، قام عليهم، وأصلح شأنهم. علمهم وأرشدهم ودلهم على الحق، والطريق المستقيم.

وكذلك كافل اليتيم يحفظ يتيمه فى حال صغره حين لا يعقل، ولا يفقه فيدله، ويهديه، ويهذبه ويربيه، فإذا بلغ مبلغ الرجال، كان رجلاً سويًّا، محفوظ الحقوق، موفور الكرامة، مع ما يتحمل الكافل من تبعات الوصاية والرعاية، وشئوون التربية، وحسن العناية، وما يحف بذلك من تقوى ونزاهة وعفاف.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

قال النيسابورى: قال أهل التحقيق الحكمة فى يتم النبى ﷺ أن يعرف قدر الأيتام، فيقوم بأمرهم، وأن يكرم اليتيم المشارك له فى الاسم.

وعن أبى أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من مسح رأس يتيم، لم يمسحه إلا لله، كان له بكل شعرة، مرت عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده، كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين**»(١) وفرق بين أصابعه السبابة والوسطى.

نعم، امسح رأسه، اقترب منه، ابتسم له، طيب خاطره، أدخل البهجة والسرور على روحه الظامئة ولو بكلمة طيبة.

إن العلاقات الإنسانية تحقق كل مجد لها حين تضفى على هذا اليتيم المحروم من حنانها ودفئها.

ورسولنا ﷺ يحذر تحذيرًا بليغًا، ويزجر زجرًا شديدًا بإلحاق الإثم بمن ضيع حق اليتيم والمرأة. ؟ فيقول: «**اللهمَّ إنى أحرج حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(٢)

معناه: أى ألحق الحرج وهو الإثم بمن ضيعهما، فأحذره من ذلك لماذا؟ لأنهما ضعيفان، إذ هما بأمس الحاجة إلى من يقف معهما مدافعًا ومناصرًا

قال ﷺ للسائب بن عبد الله: «**يا سائب، انظر أخلاقك التى كنت تصنعها فى الجاهلية، فاجعلها فى الإسلام، أقر الضعيف، وأكرم اليتيم، وأحسن إلى جارك**»(٣)

وقد عدّ عمرو بن العاص رضي الله عنه خمس صفات يمتاز بها الروم، وذكر منها «وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف»

وتأملوا ما فعل النبى ﷺ وهو قدوتنا وأسوتنا حين مات أو استشهد عبد الله

---

(١) رواه أحمد فى مسنده برقم (٥٣ ٢٢) والطبرانى وفيه على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف كما ذكره الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٦)

(٢) **حسن**: رواه الحاكم وابن ماجة وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٥ ١) وصحيح سنن ابن ماجة (٣٦٧٨) وصحيح الجامع (٢٤٤٧).

(٣) **صحيح** رواه أحمد فى مسنده (١٥٤٣٩) وصححه حمزة الزين جـ (٢٠٨/١٢) والهيثمى فى المجمع (٨/ ١٩٠) وقال: رجال أحمد رجال الصحيح

ابن عبد الأسد المخزومى زوج أم سلمة. يُتم الأطفال، وتأيمت أم سلمة، فقام النبى ﷺ بكفالتهم جميعًا، كما يكفل أبناءه.

ولما علم بانقضاء عدة أم سلمة ﵁ أرسل إليها يخطبها، ليكفلها وأولادها، وقال لها لما أرادت أن تعتذر إليه بغيرتها، وكثرة صبيانها: «**أمَّا قولك: غيرى، فسأدعو الله فتذهب غيرتك، وأما قولك: إنك امرأة مصبية، فستكفين صبيانك**»[1] فرضيت وتزوجها النبى ﷺ وعال أيتامها.

ولما أفاء الله تعالى عليه، كان يلى أمر كل مسلم يموت وله عيال، ويقول: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفى من المؤمنين فترك دينًا، أوكلاً أو ضياعًا، فعلىَّ وإلىّ، ومن ترك مالاً فلورثته**»[2]

وهكذا كان النبى ﷺ يعتنى بالأطفال بنفسه الشريفة المباركة ليكون أسوة للأمة فى العناية بهم، وجبر كسرهم، وسد عوزهم، فإنها مأمورة بالتأسى به ﷺ وفعله شرع لها، وهى مسئولة عنه، إن هى فرطت فى أتباعه فيه.

ولنا فى الصحابة - رضوان الله عليهم أسوة، فقد كان ابن عمر ﵄ لا يجلس على طعام إلا على مائدته أيتام

إنَّ كفالة اليتيم من أخلاق المجتمع المسلم، إذ لا يجوز بحال من الأحوال أن يترك اليتيم هملاً دون أن يجد من يكفله، ويرعى شأنه، فإن لم يجد اليتيم من يكفله، فالمجتمع الإسلامى، الذى حوله كلهم آثمون، إذا علموا به وأهملوه.

أحبتى فى الله.

وإذا بلغ اليتامى مبلغ الرجال، وعُلم رشدهم، فيجب دفع أموالهم إليهم، قال تعالى: ﴿**وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ**﴾ [النساء: ٦]

(١) حسن: رواه النسائى (٢/ ٣٢) وأحمد فى مسنده (١/ ٢٦٦) بإسناد حسنه حمزة الزين (١٨/ ٣٠٨)

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

فلنختبر عقولهم وتصرفهم فى أموالهم، وذلك بعد البلوغ، فإذا علمتم حسن تصرفهم بعد بلوغهم، فادفعوا إليهم أموالهم، ليتولوها بأنفسهم، فإذا دفعتم إليهم أموالهم، فأشهدوا عليهم حتى لا يجحدوا تسلمها

وللوصى أن يأكل من مال اليتيم بالمعروف، إذا كان محتاجًا إلى ذلك، أما إن كان غنيًّا بماله عن مال اليتيم، فليستعفف، فهو خير له، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وبِدارا أَن يَكْبَرُوا ومن كان غنيًّا فَلْيستعفف ومن كَان فَقيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوف..** ﴾ [النساء ٦]

ولقد حذر الله تعالى الأوصياء من الظلم لليتامى، الذين جعلهم الله رعايتهم ووصايتهم، وأمرهم بالإحسان إليهم، ثم بين ربنا الوعيد الشديد على من يأكل أموال اليتامى ظلمًا، فقال سبحانه: ﴿ **وليخْش الَذين لو تركُوا من خَلْفهم ذُرِّيَّةً ضعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ولْيَقُولُوا قَوْلاً سديدا ۝٩ إن الَذين يأْكُلون أَمْوال الْيَتَامى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُون فى بُطُونهِم ناراً وسيصْلَوْن سعيرا** ﴾ [النساء. ٩ ، ١] كما حذر من استبدال الردئ من مال الوصى بالطيب من مال اليتيم. قال تعالى ﴿ **وآتُوا الْيَتَامىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تتبدَّلُوا الْخبيث بالطَّيِّب وَلا تَأْكُلُوا أموالهم إلى أَمْوالكُم إِنَّهُ كَان حوبًا كَبِيراً** ﴾ [النساء ٢].

فاحذروا أيها الأوصياء من أكل مال اليتيم، فإنه من الموبقات، قال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال «**الإشراك بالله..**» إلى أن قال: «**وأكل مال اليتيم**»[1]

قال ابن دقيق العيد - رحمه الله أكل مال اليتيم مجلب لسوء الخاتمة - والعياذ بالله -

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجنبنا موارد الظالمين، وأن يوفقنا لإكرام اليتيم، وأن يجعلنا من الصالحين.

اللهم ارزقنا حب الصالحين، وصبر الصابرين، وتقوى المتقين، وعلم العالمين، وإخلاص المخلصين.

اللهم انظر إلينا نظر الرضا، وحقق بالرجاء آمالنا، واغفر ذنوبنا يا كريم.

الوصية رقم (١١)

* اقرءوا القرآن *

عن أبى أمامة الباهلى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه..**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

إنّ الله عز وجل أرسل رسولنا وحبيبنا محمدًا ﷺ ليخرج الناس من غياهب الظلمات. وأكرمه بالآيات البينات. والمعجزات الباهرات وكان القرآن الكريم أعظم هذه المعجزات قدرًا، وأعلاها مكانة وفضلاً قال النبى ﷺ «**ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيًا أوحاه الله إلىَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»(٢)

إنه القرآن الكريم. الذى فيه نبأ ما قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبر ما بعدكم، هو الجد ليس بالهزل. من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله. هو حبل الله المتين. ونوره المبين. وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم. وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء. ولا يمله الأتقياء. ولا يخلق عن كثرة الرد. وهو الذى لا تنقضى عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه، هدى إلى صراط مستقيم.

القرآن. هو كتاب الله المنزل على حبيبه ومصطفاه المتعبد بتلاوته ﴿**الٓر كتابٌ أُحْكمتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ من لَدُنْ حَكيمٍ خبيرٍ**﴾ [هود: ١]

---

(١) رواه مسلم (١٣٣٧)

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

القرآن الكريم هو كلام الله ووحيه المبارك، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ﴿**وإنَّهُ لَتَنزِيلُ ربّ الْعَالَمِين (١٩٢) نزَل به الرُّوح الأَمينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبك لتَكُون من الْمُنذرِين (١٩٤) بلسَان عربيٍ مُّبينٍ**﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]

إنه أحسن الكتب نظامًا، وأبلغها بيانًا وأفصحها كلامًا، وأبينها حلالاً وحرامًا. ﴿**لا يَأْتيه الْبَاطلُ من بينِ يديه ولا من خَلْفه تنزِيلٌ من حَكِيمٍ حمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٢]

إنه كتاب الله. الذى أعز مولانا سبحانه مكانه، ورفع سلطانه، ووزن الناس بميزانه.

من رفعه، رفعه الله ومن وضعه، وضعه الله. قال ﷺ «**إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين**»(١)

لقد أنزله مولانا سبحانه، رحمة للعالمين. ومحجة للسالكين، وحجة على الخلق أجمعين. ومعجزة باقية لسيد الأولين والآخرين.

أحبتى فى الله

عظمة المسلم تكمن فى مصاحبته لهذا القرآن، وفى العيش معه، وفى تلاوته وتدبره، والعمل به وحفظه، لأنه مبارك، قال تعالى: ﴿**كتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْك مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاته ولِيتذكَّر أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩]

إنه مبارك فى تلاوته وحفظه، مبارك فى العمل به وتعليمه. مبارك فى الرقية به، ومبارك فى طلب مداواة الأجسام والقلوب. ﴿**قُل لَّئنِ اجْتَمَعَت الإِنسُ وَالْجنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بمثْلِ هَذا الْقُرْآن لا يَأْتُون بمثْله ولوْ كَان بعْضُهمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ [الإسراء: ٨٨]

كلام الله أنزله ليوجه هذه الأمة. أنزله ليحكمها، أنزله لتسير عليه الأمة عقيدة

---

(١) رواه مسلم وهو فى صحيح الجامع برقم (١٨٩٦).

وأخلاقًا، وعبادة وسلوكًا، ومعاملة. ﴿إِنَّ هذا الْقُرْآن يهدى لِلَّتِى هِى أَقْوَمُ..﴾ [الإسراء: ٩].

من استكفى به، كفاه، ومن طلب منه الشفاء، شفاه، ومن طلب الحماية فى ظل من أنزله حماه، فسبحان من أنزله! وسبحان من تكلم به!

أحبتى فى الله.

والوصية التى نعيش فى ظلالها تحثنا على قراءة القرآن الكريم، وتذكر حافزًا واحدًا، وهو شفاعة القرآن لصاحبه. «**اقرءوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**».

وقد جاء القرآن والصيام يشفعان فى حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن: يا رب، منعته النوم بالليل، فشفعنى فيه فيشفعان**»(١)

وقد ورد فى فضل قراءة القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذين يَتْلُونَ كتَاب اللَّه وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا ممَّا رَزَقْنَاهُمْ سرًّا وعَلانيةً يرجون تجَارَةً لَّن تَبُور (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدهُم من فَضْله إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ [فاطر ٢٩ ٣٠].

وقال صلوات ربى وسلامه عليه: «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»(٢)

قال المنذرى فى الترغيب: قال الخطابى جاء فى الأثر أن عدد آى القرآن على قدر درج الجنة فى الآخرة، فيقال للقارئ. ارق فى الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن، استولى على أقصى درج الجنة فى

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب وصححه الألبانى فى الترغيب برقم (٩٨٤) وصحيح الجامع (٣٨٨٢).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨/٢٢)

الآخرة، ومـن قرأ جـزءًا منه، كان رقـيه فى الدرج على قـدر ذلك، فيكون منتـهى الثواب عند منتهى القراءة[١]

قال صاحب عون المعبود. ويؤخذ من الحديث، أنه لاينال هذا الثواب الأعظم إلا من حفظ القرآن وأتقنه أداءً وقراءة، كما ينبغى له[٢]

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ حرفـًا من كتاب الله، فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[٣]

فإذا كان عدد أحرف القرآن الكريم (٧٤ ٣٤) حرفًا تقريبًا، فسوف تحصل على أجر عظيم، إذا أنت ختـمت القرآن لمرة واحدة، فكل حرف بحسنة، والحـسنة بعشر أمثـالها، وهذا يعنـى أنك سوف تحصل عـلى أجر ٧٤ ٣٤ × ١ = ٧٤ ٣٤ ثلاثة ملايين وأربعـمائة، وسبعة آلاف وأربع مـائة حسنة، وهذا لختمـه واحدة فقط، فكيف بك إذا ختـمتـه فى كل شهر مـرة، وهذا يعنى أنك سوف تختـم القرآن ثنتى عشرة مرة فى العـام وهذا معناه أنك سوف تنال من الأجر بإذن الله ٧٤ ٣٤ × ١٢ = ٤ ٨٨٨٠ (أربعين مليونًا وثمانمائة وثمانية وثمانين ألفًا وثمانمائة حسنة).

أحبتى الكرام.

وقـد أعلى الله عـز وجل منزلة أهل القـرآن، ورفع درجـاتهم فى الآخـرة قـال تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذين آمَنُوا منكُم والَّذين أُوتُوا الْعِلْم درجَات وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خبِيرٌ**﴾ [المجادلة: ١١]

وجعلهم الله عز وجل أهله وخاصته، قال ﷺ: «**إنّ لله أهلين من الناس**» قالوا: من هم يا رسول الله؟

---

(١) تحفة الأحوذى (٧/ ٢٣٢) والترغيب والترهيب للمنذرى.

(٢) عون المعبود (٣/ ٣٩٨).

(٣) **صحـيح**: رواه الدارمى والترمـذى وصحـحه الألبانى فى صـحيح التـرغيب برقم (١٤١٦) وصحيح الجامع (٦٤٦٩)

قال: «**أهل القرآن، هم أهل الله وخاصته**»[١]

وجعل الرسول ﷺ الخيرية فى تعلم القرآن وتعليمه، فقال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

وقال: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه، له أجران**»[٢]

الماهر به الحاذق الكامل الحفظ، الذى لا يتوقف، ولا يشق عليه القراءة لجودة حفظه وإتقانه، مع السفرة الكرام البررة أى مع الرسل، وسموا بذلك، لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله.

وقيل: السفرة الكتبة والكرام أى المكرمين على الله المقربين عنده، لعصمتهم، ونزاهتهم عن دنس المعصية والمخالفة، والبررة هم المطيعون أما الذى يقرؤه وهو عليه شاق، ويتتعتع فيه، أى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه. فله أجر التعتعة للمشقة، وأجر التلاوة.

وليس معناه أن الذى يتتعتع له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجرًا، لأنه مع السفرة، وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه، وكثرة تلاوته ودرايته، كاعتنائه حتى مهر فيه[٣]

وقال صاحب عون المعبود - شرح سنن أبى داود

والحاصل أن المضاعفة للماهر لا تحصى، فإنَّ الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف وأكثر، والأجر شيء مقدر، وهذا له أجران من تلك المضاعفات[٤]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والنسائى وابن ماجة وصححه الألبانى فى الترغيب برقم (١٤٣٢) وصحح الجامع (٢١٦٥).

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة والنسائى.

(٣) تحفة الأحوذى (٧/ ٢٢٣).

(٤) عون المعبود (٣/ ٣٨٧)

وتأملوا ما قاله الأستاذ الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ لأهل الصُّفة يقول: «**أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطْحان** - موضع بقرب المدينة - **فيأتى منه بناقتين كوماوين** أى العظيمة السنام - **فى غير إثم، ولا قطع رحم؟**

فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك.

قال: **أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له، من ناقتين أو ثلاث وأربع، خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل**»(١) فأين من يعى ذلك؟ وأين من يحرص عليه؟

أحبتى الكرام.

إن أردتم أن تلبسوا تاج الكرامة، فاقرءوا القرآن، قال النبى العدنان: «**يجىء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب، حَلِّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب، زده، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال: اقرأ وارق، ويزداد بكل آية حسنة**»(٢)

إن أردتم أن تعطوا يوم القيامة الملك بيمينكم، والخلد بشمالكم، ويكسى آباؤكم فى هذا اليوم العصيب. يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، فاقرءوا القرآن. اقرءوا كلام ربكم. قال ﷺ: «**يجئ القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، يقول لصاحبه: هل تعرفنى؟ أنا الذى كنت أسهر ليلك، وأظمئ هواجرك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وأنا لك اليوم من وراء كل تاجر، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا تقوم لهم الدنيا وما فيها، فيقولان: يا رب، أنى لنا هذا؟ فيقال. بتعليم ولدكما القرآن**»(٣)

إن أردتم إكرام الله عز وجل لكم، فاقرءوا القرآن وتدبروه، وأقيموا حدوده اجعلوا القرآن يخالط قلوبكم، بل ودماءكم وأرواحكم.

---

(١) رواه مسلم وأبو داود

(٢) **حسن**: رواه الحاكم والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٨٠٣٠).

(٣) **حسن**: أخرجه البيهقى فى شعب الايمان برقم (١٩٨٩) والألبانى فى الصحيحة (٢٨٢٩).

قال ﷺ : «**إنّ من إجلال الله، إكرام ذى الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالى فيه، والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المقسط**»(١)

وحامل القرآن: أى حافظه، وسماه حاملاً له لما يحمل لمشاق كثيرة، **تزيد على** الأحمال الثقيلة. غير الغالى أى الذى لا يتشدد ولا يتجاوز الحد فى العمل به، وتتبع ما خفى منه، واشتبه عليه من معانيه، وفى حدود قراءته. والجافى عنه - أى غير المتباعد عنه، المعرض عن تلاوته، وإحكام قراءته، وإتقان معانيه، والعمل بما فيه.

إن أردتم أن يحفظكم مولاكم من الزيغ والضلال، فتمسكوا بالقرآن الكريم قال النبى الأمين ﷺ لأصحابه - رضوان الله عليهم - «**أبشروا أبشروا، أليس تشهدون، أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله؟** قالوا: نعم قال: **فإن هذا القرآن سبب، طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدًا**»(٢)

إن أحببتم أن تعرف الملائكة فى السماء بيوتكم، ويعرفونها، فاقرءوا كتاب الله.. يقول النبى المصطفى ﷺ «**وإن البيت ليتلى فيه القرآن، فيتراءى لأهل السماء، كما تترآى النجوم لأهل الأرض**»(٣)

أحبتى فى الله.

هذا القرآن أمرنا الله عز وجل فى كتابه، فقال سبحانه: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**..﴾ [محمد: ٢٤].

وليس فى القرآن اختلاف، وليس على القلوب أقفال، ولكن فى الناس إعراض

---

(١) **حسن**: رواه البخارى فى الأدب المفرد وأبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٩٩).

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الكبير وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٨) **وصحيح** الجامع (٣٤) والصحيحة (٧١٣)

(٣) السلسلة الصحيحة للألبانى برقم (٣١١٢) (٨/ ١١٩)

- والعياذ بالله - أعرضوا عن كتاب ربهم، الذى قال الله عز وجل عنه: **﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الحشر ٢١]

والجبل عبارة عن حجارة متراكم بعضها على بعض، فما بال قلوب البشر؟ أهى أشد من الجبال؟ إى والله، إن من قلوب البشر ما هو أشد من الجبال، كما قال رب العزة والجلال: **﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾** [البقرة: ٧٤]

فقلوب بعض العباد أقسى حتى من الحجارة، فتسمع آيات الله فلا تتأثر بها - ولا حول ولا قوة إلا بالله

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن، حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن.

وهذا القرآن الكريم تأثر به المشركون، فهذا عتبة بن ربيعة، أرسله كفار مكة إلى النبى ﷺ وقالوا له: اذهب إلى محمد ﷺ وانهه عما هو عليه، فذهب إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد، قد آذيتنا فى أزواجنا، وآذيتنا فى أولادنا، وآذيتنا فى أنفسنا فماذا تريد منا؟ إن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كنت تريد مالاً جمعنا لك من المال حتى تكون أغنانا، وإن كنت تريد جاهًا، وجهناك علينا، حتى لا نقطع أمرًا حتى نأخذ فيه برأيك، وإن كنت تريد زوجة زوجناك أجملها فماذا تريد؟ فسكت النبى ﷺ حتى أنهى عتبة كلامه، فلما انتهى، التفت إليه النبى ﷺ ثم قال: «**انتهيت يا عم؟**» إكرامًا لكبر سنه　قال. نعم.

قال النبى ﷺ: «**فاسمع منى**» فقال: قل، فقرأ عليه أول سورة فصلت، ولم يتكلم بكلمة من كلام البشر، ولكنه تكلم بكلام رب البشر، فصار عتبة يسمع وينبهر مما يسمع حتى وضع يديه خلف ظهره، وهو يستمع إلى كلام النبى ﷺ عن ربه - تبارك وتعالى - فلما انتهى النبى ﷺ التفت إلى عتبة، وقال: هذا ما عندى فرجع

إلى كفار مكة وكانوا ينتظرونه على أحر من الجمر، فلما دخل عليهم نظروا إليه، فإذا هو قد تغير، فقال بعضهم لبعض: تالله لقد جاءكم بغير الوجه الذى ذهب به.

وهذا هو الوليد بن المغيرة يصف القرآن الذى يتلوه رسول الله ﷺ بقوله: «والله إنَّ له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإنه يعلو ولا يعلى عليه. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ..﴾ [المدثر ١١- ٢٦]

وهذا جبير بن مطعم يقول: كنت أطوف بالكعبة، فإذا بمحمد ﷺ يصلى، فاختبأت خلف أستارها، فصرت أستمع إليه وهو يقرأ سورة الطور، فسمعتها، فكاد قلبى أن يطير، فما ملكت نفسى حتى أنهى قراءتها، فجئت وأسلمت. فكم مرة قرأنا سورة الطور؟ وكم مرة تأثرنا بها؟

وهذا أبو سفيان ومعه الأخنس بن شريق، جاءوا والنبى يقرأ القرآن فى قيام الليل، كما أمره ربه ومولانا فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٤].

فكان كفار مكة يأتون ويستمعون إلى قراءة النبى ﷺ خلف الجدار، فلما أنهى قراءته، انصرفوا فى جنح الليل، فرأى بعضهم بعضًا، فقال أحدهم: ويحكم ماذا جاء بكم؟ فقال كل لصاحبه: جئت لأستمع.

قالوا: فلا تعودوا بعد هذه الليلة، فتغروا السفهاء، وهكذا ثلاث ليال، ثم فى الثالثة لما رأى بعضهم بعضًا، تعاهدوا على ألا يرجعوا، قائلين: لا تغروا جهال مكة بمجيئكم وسماعكم لقراءة محمد.

ويذكر عن رجل من قريش أنه علق أبياتًا من الشعر على الكعبة يهجو بها الإسلام ويهجو بها النبى ﷺ ويهجو بها القرآن، فما ملك رجل من أصحاب النبى ﷺ إلا وأخذته الغيرة، فجاء وعلق بجانبها سورة الرحمن فجاء الكافر فى اليوم التالى، فوجد سورة الرحمن معلقة فقرأها، فأعلن إسلامه، وقال: لا والله ما يقول هذا الكلام إلا إله.

وهكذا كانوا إذا سمعوا القرآن، عرفوا ما فيه، وتأثروا به، فمنهم من يؤمن، ومنهم من يعرض. لكن الكل يقر أنه من إله واحد سبحانه وتعالى. فاقرءوا القرآن، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه

اللهمَّ اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا، وذهاب همنا وحزننا، وشفاء لأمراضنا. اللهم اجعله لنا فى القبر مؤنسًا، وعلى الصراط رفيقًا، وإلى الجنة قائدًا. اللهم ذكرنا منه مانُسينا واجعلنا نتلوه آناء الليل وآناء النهار على الوجه الذى يرضيك عنا.

اللهم شفع فينا القرآن. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين يا رب العالمين.

الوصية رقم (١٢)

* حافظوا على صلاتى الفجر والعصر *

عن أبى موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**من صلى الْبَرْدَيْنِ، دخل الجنة**»[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

دخول الجنة هو الغاية العظمى التى يشمر لها المؤمنون، ويتعبد من أجلها العابدون.

الجنة هى البضاعة الرابحة. والسلعة الغالية. لقد بذل الصالحون مهرها فى دار الدنيا قبل أن يرحلوا قال ﷺ «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[٢] ولنفاسة هذه السلعة حفها خالقها بالمكاره، فكانت كالدرة النفيسة، التى لا يتوصل إليها إلا بعد خوض، وغوص لجج البحر، لذلك قال من رآها ودخلها: «**حفت الجنة بالمكارة، وحفت النار بالشهوات**»[٣]

أحبتى الكرام.

فى هذه الوصية المباركة يحثنا النبى ﷺ على المحافظة على صلاتى **العصر** والفجر فمن حافظ على صلاتهما فى أوقاتهما بإخلاص لله عز وجل، **كانت الجنة** ثوابه. فقال: «**من صلى البردين، دخل الجنة**» سميتا بذلك (البردين) **لأنهما تصليان** فى بردى النهار، وهما طرفاه، حين يطيب الهواء، وتذهب سورة الحر

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى وقال: حديث حسن وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب **(٣٣٧٧)** وصحيح الجامع (٦٢٢٢)

(٣) رواه مسلم وأحمد والترمذى وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣١٤٧).

وقد خصهما بالذكر دون سائر الصلوات، لاجتماع ملائكة الليل، وملائكة النهار فيهما، وهذا معنى قوله تعالى ﴿إنَّ قُرْآنَ الْفجر كانَ مشْهُودا﴾ [الإسراء: ٧٨].

قال صلوات ربى وسلامه عليه: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة الصبح، وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون**»(١)

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: يجتمع الحرسان فى صلاة الفجر، فيصعد هؤلاء، ويقيم هؤلاء.

إن لصلاة الفجر مكانة عظيمة، وثوابًا كبيرًا عند الله عز وجل، لقد جعل الله عز وجل صلاة الفجر فى جماعة تعدل قيام الليل، ألم يقل سيد الأنام ﷺ: «**من صلى العشاء فى جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة، فكأنما قام الليل كله**»(٢)

إن أردتم أن تكونوا فى حفظ الله وكنفه وذمته، فحافظوا على صلاة الفجر، قال ﷺ: «**من صلى الصبح فهو فى ذمة الله**»(٣)

قال المناوى فى فيض القدير أى بإخلاص فهو فى ذمة الله، أى أمانته وخص الصبح لأن فيها كلفة لا يواظب عليها إلا خالص الإيمان، فيستحق الأمان، وحسابه على الله(٤)

فقد ورد بأن الحجاج بن يوسف الثقفى أمر سالم بن عبد الله بن عمر بقتل رجل فقال سالم للرجل أصليت اليوم الصبح فى جماعة؟

قال الرجل: نعم.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.
(٢) رواه مسلم وأحمد
(٣) رواه مسلم.
(٤) فيض القدير للمناوى ٦/ ٢١٣

قال: انطلق، فقال الحجاج: ما منعك من قتله وكان سالم لا يوافقه على القتل بل ينكر عليه -؟ قال: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى الصبح فهو في ذمة الله تعالى، فلا تخفروا الله في ذمته فإنه من أخفر ذمته طلبه الله تبارك وتعالى، حتى يكبه على وجهه**»(١)

وفي رواية عند ابن ماجه وغيره من حديث أبي بكر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى الصبح في جماعة، فهو في ذمة الله فمن أخفر ذمة الله كبه الله في النار لوجهه**»(٢)

نعم إنها ذمة الله، ليست ذمة ملك من ملوك الدنيا. إنها ذمة ملك الملوك، ومالك الملك، وخالق الأرض والسموات ومن فيهن، ومن وصف نفسه بقوله: ﴿**وما قَدروا اللَّهَ حقَّ قَدره والأَرْض جميعا قبْضته يوْم الْقيامة والسموات مطْوِيَّات بيمينه سبْحانه وتعالَىٰ عمَّا يُشْرِكون**﴾ [الزمر ٦٧]

ذمة الله التي تحيط بالمؤمن بالحماية له في نفسه وولده، ودينه، وسائر أمره، فيحس بالطمأنينة في كنف الله وعهده وأمانه في دنياه وأخراه ويشعر بأن عين الله ترعاه.

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالمخاوف كلهن أمان

فاستمسك بحبل الله معتصما

فإنه الركن إن خانتك أركان

كونوا من رجال الفجر، وأهل صلاة الفجر، أولئك الذين إذا ما سمعوا النداء يدوي: الله أكبر الله أكبر الصلاة خير من النوم هبوا وفزعوا وإن طاب المنام، وتركوا الفرش، وإن كانت وثيرة، ملبين نداء الله فيخرج الواحد منهم، وهو يقول كما علمه أستاذه الرسول ﷺ: «**اللهمّ اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، وفي**

(١) **صحيح**: رواه أحمد والبزار والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٤٦٢).
(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٤٦١).

سمعى نوراً، وفى بصرى نوراً، واجعل من خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً، وعن يمينى نوراً، وعن يسارى نوراً، ومن فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً، وأعظم لى نوراً يا رب العالمين»[١] فما ظنكم بمن خرج فى هذا الوقت، لم تخرجه دنيا يصيبها ولا أموال يقترفها، أليس هو أقرب إلى الإجابة لأن النور لا ينفك عنه لحظة من لحظات حياته. يقول سيد الأولين والآخرين ﷺ «**بشر المشّائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»[٢]

قال المناوى - رحمه الله -

لما قاسوا مشقة ملازمة المشى فى ظلمة الليل إلى الطاعة، جوزوا بنور يضئ لهم يوم القيامة، وهو النور المضمون لكل مشاء إلى الجماعة فى الظلمة. والنور على قدر الظلمة، فمن كثر سيره فى ظلام الليل إلى الصلاة، عظم نوره، وعمّ ضياؤه يوم القيامة[٣] . ﴿**يوم لا يُخْزِى اللَّهُ النَّبِى والذين آمَنُوا معهُ نورُهُمْ يسْعَىٰ بين أَيْديهِم وبِأَيْمانهِم يَقُولُون ربنا أَتْمم لَنَا نُورنا واغْفرْ لَنَا إِنَّك عَلَى كُلِّ شىْءٍ قَديرٌ**﴾ [التحريم: ٨].

قال ابن مسعود: منهم من يكون نوره كالجبل، ومنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم، ومنهم من يكون نوره على ابهامه يوقد مرة وينطفئ مرة، ومنهم من تحيط به الظلمة من كل ناحية.

أحبتى فى الله.

إذا كان رسولنا ﷺ قال: «**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**»[٣] والمقصود بهما كما قال أهل العلم: ركعتا السنة، لا الفرض، فإذا كانت سنة الفجر خير من

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود للألبانى (١٣٥٣) وصحيح الجامع برقم (١٢٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة والحاكم وصححه على شرط الشيخين وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٢٣)

(٣) رواه مسلم والنسائى وأحمد.

الدنيا وما فيها، فما بالكم بالفريضة؟ ما بالكم بصلاة الفجر نفسها. لا شك أنها أعظم أجرًا، وأكثر ثوابًا

واستمعوا إلى هذا الحديث العظيم، الذى يبين الرسول ﷺ فيه ثواب وأفضلية: «**إذا توضأ أحدكم، فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم تزل رجله اليسرى تمحو عنه سيئة وتكتب له اليمنى حسنة، حتى يدخل المسجد، ولو يعلم الناس ما فى العتمة** - أى العشاء - **والصبح، لأتوهما ولو حبوًا**»[١] حتى ولو كان الإتيان إليهما حبوًا - أى مشيًا على الركب

والرزق والبركة لمن صلى الفجر فى جماعة، لأنه وقت البركة فى الرزق ألم يقل النبى ﷺ: «**اللهمَّ بارك لأمتى فى بكورها**»[٢]

اللهم زد فى أرزاقنا، وبارك لنا فيها، ووفقنا لصلاة العشاء والفجر فى جماعة.

يا قومنا هذى الفوائد جمة
فتخيروا قبل الندامة وانتبهوا
إن مسكم ظمأ يقول نذيركم
لا ذنب لى، قلت للقوم: استقوا

إنّ النفس الزكية الطاهرة تسارع فى طاعة ربها، فتؤدى صلاة الفجر مع الجماعة، فهى غالية الأجر والثواب، صعبة المنال، إلا لمن وفقه الله لها، وكثير من الناس اليوم إذا آووا إلى فراشهم للنوم، غطوا فى سبات عميق، وتحولوا إلى صرعى ضربات الشيطان وعقده الثلاث.

قال ﷺ: «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام، بكل عقدة يضرب ويقول: عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، وإذا**

---

(١) **صحيح**: رواه الطبرانى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٤١).
(٢) **صحيح لغيره**: رواه أبو داود والترمذى و حبان وصححه الألبانى فى الترغيب رقم (١٦٩٣)

توضأ انحلت عقدة، فإذا صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»(١)

فلماذا التقصير؟ ولماذا الكسل؟ ولماذا التساهل؟ وكيف نأمل أن ينصرنا الله عز وجل، وأن يرزقنا، ويهزم أعداءنا، وأن يمكن لنا فى الأرض، ونحن فى تقصير وتفريط فى حق الله عز وجل. نسمع النداء كل يوم: حى على الصلاة. حى على الفلاح. الصلاة خير من النوم، ونحن لا نجيب ولا نستجيب. **فأى بُعدٍ عن الله هذا؟** هل أمنا مكر الله؟ هل نسينا وقوفنا بين يدى الله؟!

إننا سنقف عند من لا تخفى عليه خافية، كما أتينا إلى هذه الدنيا. ﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٤]

فقم يا أخى عن فراشك وانهض من نومك، واستعن بالله رب العالمين ولا تتثاقل نفسك عن صلاة الفجر، فإن أثقل صلاة على المنافقين، هى صلاة الفجر، وصلاة العشاء. قال أفضل الخلق ﷺ «**أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة العشاء، وصلاة الفجر**»(٢)

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿**وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [النساء ١٤٢]

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لقد رأيتنا وما يتخلف عن صلاة الفجر إلا منافق معلوم النفاق.

ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: كنَّا إذا فقدنا الرجل فى صلاة الفجر، أسأنا به الظن.

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - ونومة الصبح تمنع الرزق، لأنه وقت تقسم فيه الأرزاق.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والبيهقى وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٣).

ورأى ابن عباس رضي الله عنه ابنًا له نائمًا، نومة الصبح، فقال له: قم يا بنى، **أتنام فى** الساعة التى تقسم فيها الأرزاق؟

إنّ الواحد منا ليسر عندما يدخل المسجد لصلاة الظهر أو المغرب مثلاً أو العشاء، فيجد جموع المصلين، صغارًا وكبارًا، فيحمد الله. لكن إذا أتى **إلى صلاة الفجر،** لا يجد إلا شطر هذا العدد، أو أقل من الشطر، فأين ذهب أولئك المصلون؟ إنهم يغطون فى سبات عميق، قد ضرب الشيطان على آذانهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

لكن لو قيل لأحدهم: إن مواعيد العمل قد تغيرت، وسوف تذهب إليها قبل الفجر بساعة، لأعد نفسه وجهزها، وأخذ بالأسباب، حتى يستيقظ فى الوقت المحدد. بل لو أن أحدنا أراد أن يسافر قبل الفجر، لاحتاط لنفسه، وأوصى أهله أن يوقظوه. لكننا لا نصنع هذا فى صلاة الفجر

فليتق الله امرؤ عرف الحق، فلم يتبعه، وإذا سمعت أذان الفجر يدوى من أفواه الموحدين، فانهض بنفسك إلى بيت من بيوته، وكن من الذين يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار

انتبه أخى الحبيب. قبل أن يأتيك الموت بغتة، وأنت لا تدرى، وقبل أن تقول نفس: ﴿**يَا حسرتىٰ علَىٰ ما فَرَّطتُ فى جنب اللَّه وإن كُنت لَمِن السَّاخرين (٥٦) أَوْ تَقُول لَوْ أَنَّ اللَّهَ هدَانِى لَكُنتُ من الْمُتَّقين (٥٧) أَو تقُول حين ترى الْعَذَاب لَوْ أَنَّ لِى كرَّةً فَأَكُون من الْمُحْسنين..**﴾ [الزمر ٥٦ - ٥٨]

أحبتى فى الله.

فماذا عن صلاة العصر؟

أما صلاة العصر، فقد أوصانا الله بالمحافظة عليها، فقال سبحانه: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ والعلماء على أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر، بل وكانت الآية تقرأ هكذا: حافظوا على الصلوات وصلاة العصر، زمنًا، حتى نسخت وأنزل الله تعالى مكانها هذه الآية: ﴿**حافظوا على**

الصلوات والصلاة الوسطى..﴾ وهذا مروى فى صحيح مسلم عن البراء بن عازب[١] ﷺ وقد ذكر الإمام مسلم بابًا فى صحيحه فقال: [باب: الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هى صلاة العصر] وساق أحاديث منها:

ما رواه على ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى، حتى آبت الشمس، ملأ الله قبورهم نارًا، أو بيوتهم أو بطونهم شك شعبة**»[٢]

وفى رواية عن عبد الله، قال. حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر، حتى احمرت الشمس، أو اصفرت، فقال: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارًا**، أو قال: **حشا الله أجوافهم وقبورهم..**»[٣]

وفى الترمذى من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ **قال**: «**صلاة الوسطى صلاة العصر**»[٤]

وحذر النبى ﷺ من تركها، فقال ﷺ فيما رواه عنه ابن عمر ﷺ **قال**: «**الذى تفوته صلاة العصر، كأنما وتر أهله وماله**»[٥] أى سلب ذلك وحرمه، فهو أشد لغمه وحزنه، لأنه لو مات أهله، وذهب ماله بغير سلب، لم تكن مصيبة ذلك عنده بمنزلة السلب، لأنه يجتمع عليه فى ذلك غمان: غم ذهابهم وغم الطلب بوترهم - أى سلبهم[٦]

وقال ﷺ: «**من ترك صلاة العصر، فقد حبط عمله**»[٧] والمراد بالحبط، نقصان العمل فى ذلك الوقت الذى ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٩٩).
(٢) رواه مسلم برقم (٩٩٤) وأبو داود (٣٤٦) والترمذى (١٦).
(٣) رواه مسلم (٩٩٧).
(٤) **صحيح**: رواه الترمذى (١٦٦) وقال حسن صحيح.
(٥) رواه البخارى (٥١٩) ومسلم (٩٩١) وأبو داود والترمذى.
(٦) شرح ابن بطال (٣/ ٢٢).
(٧) رواه البخارى (٥٢) والترمذى والنسائى

قال المهلب: معناه: من تركها مضيعًا لها متهاونًا بفضل وقتها مع قدرته على أدائها محبط عمله فى الصلاة خاصة، أى لا يحصل على أجر المصلى فى وقتها، ولا يكون له عمل ترفعه الملائكة[١]

أخى الحبيب.

لو قيل لك: إن وصولك إلى مكان ما، سوف يؤهلك لنيل جائزة من مال الدنيا، لهرولت إليه، ولو كان نائيًا، وبذلت للوصول إلى ذلك المكان جهدًا عاتيًا، ولأجهدت نفسك وغالبت عجزك، ونفرت إليه نفر المجاهد فى ساحة القتال. فماذا لو كان ممشاك للمسجد أسهل، وأجره وثوابه أعظم وأجزل، أليس أولى لك بالتشمير وأحق بالتأهب والنفير؟

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً فى الجنة، كلما غدا أو راح**»[٢]

إنه أجر ما بعده أجر، وثواب يليق به الإعجاب. نزل مقيم فى جنات النعيم. لو تأملت حسنه، وعاينت زينه، ولاحظت منظره. وشاهدت مظهره، ووقفت على أثاثه وفراشه وجماله، لذهلت أيما ذهول، ولبذلت الغالى والنفيس لنيله وكسبه.

وليس نيله بعزيز إنما غدوة وروحة

فإن رمت اغتنام الوقت فعلاً
فخير الوقت حى على الفلاح
فصلِّ الفجر وادع الله واغنم
قيام الليل فى الغسق الصراح

---

(١) شرح ابن بطال (٣/ ٢٢١)

(٢) رواه البخارى ومسلم.

تفـــز بالأجـــر والحـــسنات حـــقًّـــا

فـــتـــسلـمك لجنات فـــســـاح

اللهمَّ آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اجعلنا من الذين يمشون على الأرض هونًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، واصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا

اللهم اجعلنا لك مصلين. راكعين ساجدين. وللزكاة مؤدين. واجعلنا من الخاشعين، ولنبيك متبعين، وطهر من الأنانية قلوبنا، ومن التفاخر والخيلاء سلوكنا، وتقبل دعاءنا يارب العالمين.

الوصية رقم (١٣)

* لا تغضب ولك الجنة *

عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رجل لرسول الله ﷺ يا رسول الله، دلنى على عمل يدخلنى الجنة.

فقال ﷺ «**لا تغضب ولك الجنة**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

كونوا منفذين لهذه الوصية العظيمة المباركة، التى لو عملتم بها، لكانت سببًا فى دخولكم الجنان، والنجاة من النيران، وفيها رضا الرحيم الرحمن تبارك وتعالى.

هنيئًا لمن امتثل هذه الوصية، وعمل بها، فهى وصية جامعة مانعة رغم قلة ألفاظها، ففى مسند الإمام أحمد أن رجلاً جاء إلى المعلم الأعظم والأستاذ المفهم ﷺ وطلب منه الوصية، فقال له موصيًا: «**لا تغضب**» وكرر عليه طلب الوصية، ورسول الله ﷺ يقول له: «**لا تغضب**» يقول الرجل: ففكرت حين قال رسول الله ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشر كله.

نعم إنه يجمع الشر كله. الغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة قل ما يتمكن منه إلا اغتاله.

يجمع الشر كله. لأنه ينسى الحرمات، ويدفن الحسنات، ويخلق للبرىء جنايات.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٧٣٧٤).

لذلك كان جزاء من تركـه، دخول الجنة، والبعد عن غـضب رب العزة والجلال سبحانه، فعن ابن عمر ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ: ما يباعدنى من غضب الله عز وجل؟ قال له: «**لا تغضب**» وفى بعض الروايات من حـديث أبى هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ وقـال له: يا رسول الله، دلنى عـلى عمل إذا أخـذت به، دخلت الجنة، ولا تكثر عليَّ وفى رواية - وأقلل لعلى أعيه قال: «**لا تغضب**»

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما رأيت شرا إلا ونهيتنا عنه، ومـا رأيت خيراً إلا وأمرتنا به. بأبى أنت وأمى يا رسول الله. يا من أعطاك مولاك جوامع الكلم.

حبتى فى الله

كم دفع الغـضب أناس لتطليق زوجـاتهم، وكم دفعـهم إلى قتل أحبـابهم وإيذاء أبنائهم. وكم دفع الغضب أناس لافـساد أرزاقهم، وتنغيص عيـسهم. وكم أفسد هذا الداء من بيوت وكم هدم من علاقات وأرحام. الإنسان الغضوب تجدونه مصابًا بأمراض كثيرة كالسكرى، والضغط والقولون العصبى، وغيرها من الأمراض.

الغضب يزيد من ارتفـاع ضغط الدم، ويزيد عن معـدله الطبيعى حـيث إن قلبه يضطر إلى أن يدفع كميه من الدماء الزائدة عن المعتاد المطلوب كما أن شرايينه الدقيقة تتصلب جدرانها، وتفقد مرونتها وقدرتها على الاتساع لكى تستطيع أن تمرر أو تسمح بمرور تلك الكميـة من الدماء الزائدة التي يضخهـا هذا القلب المنفعل، ولذلك يرتفع الضغط عند الغضب. بالإضافة إلى آثاره الفردية والاجتماعية.

فمن مضاره الفردية، انه يفقد الإنسـان صوابه، ويسلبه عقله، ويدفعه إلى السب والشتم والسـخرية، والتلفظ بالألفـاظ البذيئـة وغير المهـذبة، التى تسبب له الحـسرة والندامة فيما بعد، وقد نسقطه من أعين الناس

الإنسان مخلوق متميز، فيه شيء من الملائكة، وشئ من الشياطين وشئ من البهائم والوحوش، فإذا عـصف به الغضب، اوتر أعصابه، وألهب دمه، وشـد عضلاته، فلم يعد له أمنية إلا أن يتمكن من خصمه، فيعضه بأسنانه، وينشب فيه أظفاره.

وفى هذه الحالة يغلب عليـه الصفة الوحشـية. فلم يبق بينه وبين النمر والـفهد كبير فرق

ومن مضاره الاجتماعية، أنه يولد الحقد فى القلوب، وإضمار السوء للناس، وهذا ربما أدى إلى إيذاء المسلمين وهجرهم، ومزيد الشماتة بهم عند المصيبة.

كما أن الغضب يجعل صاحبه معطل الفكر، غير قادر على التفكير السليم أو إصدار القرارات السليمة. لهذا نهى الرسول ﷺ أمته عن الغضب فى شخص الصحابى الذى سأله الوصية.

فقال له: «**لا تغضب**»

قال الإمام ابن القيم رحمه الله - «جمع النبى ﷺ فى قوله **(لا تغضب)** خيرى الدنيا والآخرة، لأن الغضب يؤول بصاحبه إلى التقاطع، ودل على أن الغضب يجمع الشر كله. فهو مفتاح الفتن والآثام، وبريد التفرق والانقسام، ويستدل به على ضعف العقل والإيمان»

ولذلك جعل النبى ﷺ القوة ليست فى حمل الأثقال، ولا بضخامة الرجال، ولا بقوة الأكتاف والأجساد، وإنما القوة الحقة هى أن يتماسك الإنسان وقت الشدة، ويملك نفسه عند الغضب فقال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**»[1]

قال ابن رجب الحنبلى رحمه الله -:

والغضب هو غليان دم القلب المؤذى عنه خشية وقوعه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة، كالقتل الضرب، وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة، كالقذف والسب والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر كما جرى جبلة بن الأيهم.

عن وائل ﷺ قال: إنى لقاعد مع النبى ﷺ إذ جاء رجل يقود آخر بنسعة، فقال: يا رسول الله، هذا قتل أخى فقال رسول الله ﷺ «**أقتلته؟**» فقال: إنه لو لم يعترف، أقمت عليه البينة. قال. نعم قتلته

---

(١) رواه ومسلم

قال: «**كيف قتلته؟**» قال: كنت أنا وهو نحتطب من شجرة، فسبنى فأغضبنى، فضربته بالفأس على قرنه، فقتلته[١]

قال مروان بن الحكم فى وصيته لابنه عبد العزيز

«وإن كان بك غضب على أحد من رعيتك، فلا تؤاخذ به عند ثورة الغضب، واحبس عنه عقوبتك، حتى يسكن غضبك، ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب، منطفئ الجمرة، فإن أول من جعل السجن، كان حليمًا ذا أناة».

وكتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى أحد عماله: (لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل، فاحبسه، فإذا سكن غضبك، فأخرجه، فعاقبه على قدر ذنبه»

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - إنَّ الغضب مرض من الأمراض، وداء من الأدواء، فهو فى أمراض القلوب نظير الحمى والوسواس والصرع فى أمراض الأبدان. فالغضبان المغلوب فى غضبه كالمريض والمحموم والمصروع المغلوب فى مرضه.

وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب، ويشتد غضبه، فكتب ثلاث صحائف، فأعطى كل صحيفة رجلاً، وقال للأول: إذا اشتد غضبى، فقم إلى بهذه الصحيفة وناولنيها. وقال للثانى: إذا سكن بعض غضبى فناولنيها.

وقال للثالث: إذا ذهب غضبى، فناولنيها وكان فى الأولى: اقصر فما أنت وهذا الغضب، إنك لست بإله، إنما أنت بشر، يوشك أن يأكل بعضك بعضًا

وفى الثانية: ارحم من فى الأرض يرحمك من في السماء.

وفى الثالثة: احمل عباد الله على كتاب الله، فإنه لا يصلحهم إلا ذاك[٢]

---

(١) **صحيح** صحيح سنن النسائى (٤٧٢٧) للألبانى.

(٢) المستطرف للأبشيهى

أحبتى فى الله.

لقد ذكرنا أن الغـضب يجمع الشر كله، والغضب والشهـوة، كل المعاصى تتولد منهما.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - ولما كانت المعاصى كلها تتولد من الغضب والشهـوة، وكان نهاية قوة الغـضب القتل، ونهاية قـوة الشهوة الزنا جـمع بين القتل والزنا، وجعلهما قرينين فى سورة الأنعام، وسورة الإسراء، وسورة الفرقان، وسورة الممتـحنة، والمقصود أنه سـبحانه أرشد عـباده إلى ما يدفـعون به شر قـوتى الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة[١]

وقال ابن حـبان: لو لم يكن فى الغضب خـصلة تذم إلا إجماع الحكماء قـاطبة على أن الغضبان، لا رأى له، لكان الواجب عليه الاحتيال لمفارقته بكل سبب[٢]

لذا فقد قال النبى ﷺ: «**لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان**»[٣]

أحبتى الكرام.

قال الإمـام ابن القـيم - رحمـه الله - دخل الناس النار من ثلاثة أبواب: باب شـبهـة أورثت شكًّا فى دين الله، وباب شـهوة أورثت تقـديم الهـوى على طاعتـه ومرضاته، وباب غـضب، أورث العدوان على خلقه» وقال مجـاهد - رحمه الله -: قـال إبليس لعنه الله: مهـما أعـجزنى بـنو آدم، فلن يعجـزونى فى ثلاث: إذا سكر أحدهم، أخذنا بحزامته فقذفناه حيث شئنا، وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم، وعمل بما يندم، ونبخله فى دينه، ونمنيه ما لا يقدر عليه.

فالغضب يغضب الرحمن، ويرضى الشيطان

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم.

(٢) روضة العقلاء لابن حبان.

(٣) رواه مسلم والترمذى والنسائى.

* **لكن ما هى أسباب الغضب؟**

وللغضب أسباب متعددة منها

أولاً: الإعجاب: سواء كان ذلك الإعجاب بالنفس أو بالنسب أو كان معجبًا برأيه ومكانه، أو بمنصبه، فهو سبب للغضب والعدوان إذا لم يقيد بالدين، فالعُجب قرين الكبر، وملازم له، وكل منهما من كبائر الذنوب، فقد قال ﷺ: «**لن يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر**»(١)

وقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(٢)

ولذلك كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - يحذرون أشد التحذير من العجب ومن الوقوع فى أسبابه، حتى ولو لم تكن مباشرة، فعن سليم بن حنظلة قال. بينما نحن حول أُبى بن كعب نمشى خلفه، إذ رآه عمر، فعلاه بالدرة، فقال: انظر يا أمير المؤمنين ما تصنع

فقال: إنَّ هذا ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع

وورد أن يحيى بن زكريا عليه السلام قابل عيسى عليه السلام، فقال له: أخبرنى بما يقرب من رضا الله، وما يبعد من سخط الله؟

فقال له: لا تغضب.

قال. الغضب ما يبدأه وما يعيده؟ قال التعزز والحمية والكبرياء والعظمة.

ثانيًا: المزاح: والمزاح بدايته حلاوة، لكن آخره عداوة.

يحتد منه الرجل الشريف، ويجترئ بسخفه السخيف

فتجد بعض المكثرين من المزاح يتجاوز الحد المشروع منه، إما بكلام لا فائدة منه، أو بفعل مؤذ قد ينتج عنه ضرر بالغ، ثم يزعم أنه بعد ذلك كان يمزح، لذا قال النبى

---

(١) رواه مسلم والترمذى والحاكم

(٢) حسن: أخرجه البيهقى فى الشعب والطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٢ ١٨) وصحيح الجامع (٢٩ ٣)

ﷺ **«لا يأخذن أحدكم متاع صاحبه، لاعبًا ولا جادًا، وإن أخذ عصا صاحبه، فليردها عليه»**(١)

وقال أحدهم

مازح صديقك ما أحب مزاحًا
وتوق منه فى المزاح مزاحًا
فلربما مزح الصديق بمزحة
كانت لباب عداوة مفتاحًا

ذكر خالد بن صفوان - وكان مزّاحًا - فقال: يصك أحدكم صاحبه بأشد من الجندل، وينشقه أحرق من الخردل، ويفرغ عليه أحر من المرجل ثم يقول له: إنما كنت أمازحك؟!

ورحم الله عمر بن عبد العزيز حين قال: إياك والمزاح، فإنه يجر القبيح ويورث الضغينة.

وقال ميمون بن مهران - رحمه الله - إذا كان المزاح أمام الكلام، كان آخره اللطم والشتام.

وقال أبو حاتم: المزاح فى غير طاعة الله، مسلبة للبهاء، مقطعة للصداقة، يورث الضغن، وينبت الغل.

ثالثًا: بذاءة اللسان وفحشه: سبب قوى من أسباب الغضب والانفعال فبذاءة اللسان ينتج عنها: الشتم، والسب، واللعن، وغيره مما يثير الغضبان، ولذلك قال النبى العدنان ﷺ: **«إنَّ الله يبغض الفاحش البذىء»**(٢)

رابعًا: المراء والجدال: والمراء سبب قوى من أسباب الغضب. قال عبد الله بن

---

(١) **حسن:** رواه أحمد والترمذى وأبو داود والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥٧٨).

(٢) **صحيح** رواه ابن حبان والترمذى وقال: حسن صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣٢).

الحسين: «المراء رائد الغضب، فأخزى الله عقلاً يأتيك به الغضب» ولهذا قال النبى ﷺ «**أنا زعيم بيت فى ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان مازحًا**»(١)

أيها الأحبة الكرام.

والغضب منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم.

فالغضب المحمود، ما كان عندما تنتهك حرمات الله تعالى، وهذا النوع من الغضب هو ثمرة من ثمار الإيمان، لأن الإنسان الذى لا يغضب عندما تنتهك حرمات الله، إنسان ضعيف الإيمان. فسيدنا موسى عليه السلام لما جاء من ميقات ربه، ووجد أن فريقًا من قومه يعبدون العجل، غضب غضبا شديدًا فى الله تعالى، وقد سجل القرآن الكريم هذا فى قوله تعالى ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٥٠]

وهذا هو إمام النبيين، وقائد الغر المحجلين ﷺ تقول عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شىء من محارم الله، فينتقم لله. ويقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه يومًا، وهم يختصمون فى القدر، فكأنما يفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «**بهذا أُمرتم؟ أو لهذا خلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم**»(٢)

فقال عبد الله: ما غبطت نفسى بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسى بذلك المجلس، وتخلفى عنه

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود وابن ماجة والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٦٤٨) وصحيح الجامع

(٢) تقدم تخريجه فى وصية الإيمان بالقضاء والقدر.

وما أكثر ما تنتهك حرمات الله فى عصرنا هذا، سرًّا وعلانية. إن كثيراً من وسائل الإعلامية المرئية والمقروءة والمسموعة، لا هم لها، سوى أن تنشر الرذائل، وتحارب الفضائل، وتشيع الفاحشة، وتبث الشبهات التى تغضب رب الكائنات، وترضى الشيطان الرجيم.

ما أكثر ما تنتهك محارم الله تعالى، بالاستهزاء بالدين وشعائره، وتزيين المنكر، وإنكار المعروف. فإذا غضب المسلم لأجل ذلك، فهذا غضب محمود، وهو علامة على قوة الإيمان، وهو ثمرة لحفظ الأوطان، وسلامة الأبدان

وتظهر ثمرة الغضب هنا بالأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والرد على الشبهات، أما السكوت على ذلك كله مع القدرة على التغيير، فسبب للهلاك. فعن زينب بنت جحش ﵂ أن النبى ﷺ استيقظ من نومه، وهو يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج، مثل هذه**» وحلق بأصبعيه - بالسبابة والتى تليها - قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[1]

وكذلك من الغضب المحمود: الغضب لما يحدث للمسلمين فى أرض فلسطين وأرض العراق، وغيرها من بلاد المسلمين، من سفك للدماء، وانتهاك للأعراض، واستباحة للأموال، وتدمير للبلدان بلا حق

أحبتى الكرام.

وهناك غضب مذموم، وهو ما كان فى سبيل الباطل والشيطان. الغضب للأمور التافهة. الغضب بسبب تطبيق الأحكام الشرعية الغضب لأجل أن امرأته ارتدت الحجاب. الغضب لانتشار حلق القرآن الكريم.

فاللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين يغضب أحدهم إذا تأخر غداؤه، أو عشاؤه، أو لو وقف بسيارته عند إشارة، وأضاءت خضر وتأخر من أمامه بالمشى وغير ذلك من التفاهات.

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما.

وهناك غضب مباح، وهو الغضب فى غير معصية الله تعالى ولم يتجاوز حده، كأن يجهل عليه أحد، وكظمه هنا خير وأبقى قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظمين الْغَيْظَ والْعافين عن النَّاس واللَّهُ يحب المحسنين ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقد ورد أن جارية لعلى بن الحسين، جعلت تسكب له الوضوء، لكى يتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من الجارية على وجهه فشجه، فرفع على بن الحسين رأسه إليها. فقالت الجارية: إنَّ الله عز وجل يقول ﴿ والْكاظمين الْغَيْظَ ﴾ فقال لها: قد كظمت غيظى.

قالت: ﴿ وَالْعافين عن النَّاسِ ﴾ فقال لها قد عفا الله عنك.

قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحبُّ الْمُحسنين ﴾ قال اذهبى، فأنت حرة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه شتمه رجل وسبه، فلما انتهى الرجل قال ابن عباس: يا عكرمة، انظر، هل لهذا الرجل من حاجة نعينه عليها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى ثم انصرف.

ولقى رجل معاوية وهو خليفة المسلمين، فكلمه بكلام أهانه به، وأساء إليه، فسكت معاوية عنه، فقيل له: لو عاقبته؟

فقال الخليفة: إنى لأستحى أن يضيق حلمى عن أذى واحد من رعيتى.

ولقى رجل على بن الحسين رضي الله عنهما فسبَّه وشتمه وآذاه، فقام إليه العبيد، فقال لهم علىٌّ: مهلاً! ثم أقبل على الرجل، فاستحى الرجل، ونكس رأسه، فخلع على بن الحسين خميصة كانت عليه، وكساها الرجل ثم أعطاه ألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك، إذا لقى على بن الحسين يقول: أشهد أنك ابن بنت رسول الله ﷺ

قال ابن حبان رحمه الله

والخلق مجبولون على الغضب، والحلم معًا، فمن غضب وحلم فى نفس الغضب، فإن ذلك ليس بمذموم، ما لم يخرجه غضبه إلى المكروه من القول والفعل، على أن مفارقته فى الأحوال كلها أحمد

أحبتى فى الله .

بقى أن نتكلم فى شىء هام. بل هو فى غاية الأهمية، ألا وهو

علاج الغضب :

وأولْ دواء لهذا الداء الخطير، الذى يكاد يفتك بصاحبه هو أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فقد قال ربنا عز وجل موجهًا أتباع القران ﴿ **وإمَّا ينزغنَّك من الشَّيْطان نزْغٌ فَاسْتَعذْ بالله إنَّهُ هُو السميع الْعليمُ** ﴾ [فصلت. ٣٦] وفى سنة المصطفى ﷺ ما يدل على ذلك فعن سليمان بن صرد رضي الله عنه قال كنت جالسا مع النبى ﷺ ورجلان يستبان، فاحمر وجه أحدهما، وانتفخت أوداجه، فقال النبى ﷺ: «**إنى لأعلم كلمة، لو قالها، ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لذهب عنه ما يجد**» فقالوا له: إنَّ النبى ﷺ قال. «**تعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»(١) فقالْ: وهل بى جنون؟!

أما العلاج الثانى: أن يغير من حالته التى هو عليها، فقد قال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم، فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»(٢)

فإنْ زال عنه الغضب، وإلا فعليه أن يتوضأ، وهو ثالث الأدوية النبوية لهذا الداء العضال. قال ﷺ: «**إنَّ الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفئ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**»(٣)

وفى حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه مرفوعًا «**ألا وإن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشىء من ذلك، فليلصق بالأرض**»(٤)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وغيرهم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح جامع برقم (٦٩٤) وصحيح سنن أبى داود (٤٧٨٢).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والطبرانى فى الكبير وعبد الرزاق وصححه حمزة الزين فى تخريج المسند برقم (٨ ١٧٩) (١٤/٢٧) وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٥١).

(٤) **ضعيف**: رواه أحمد والترمذى والحاكم وابن ماجة وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٢٤)

ورابع الأدوية: السكوت.

فإذا سكت وترك المخاصمة، سكن غضبه، قال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم، فليسكت**»[١]

قال ابن رجب - رحمه الله - وهذا أيضًا دواء عظيم للغضب، لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيراً من السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنده، وما أحسن قول مورق العجلي - رحمه الله - «ما امتلأت غضبًا قط، ولاتكلمتُ في غضب قط بما أندم عليه، إذا رضيت»

ورحم الله من قال:

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوتُ
سكت عن السفيه فظن أني
عييت عن الجواب وما عييتُ
شرار الناس لو كانوا جميعًا
قذى في جوف عيني ما قذيت
فلست مجاوبًا أبدًا سفيهًا
خزيت لمن يجافيه خزيت

ورحم الله القائل:

واستشعر الحلم في كل الأمور ولا
تسرع ببادرة يومًا إلى رجل

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٣) والصحيحة (١٣٧٥).

وإن بـليـت بشـــــخص لا خـــــلاق لـه

فـكن كـــــأنك لـم تســـمع ولـم يقـل

ومن الأدوية النافعة لهذا الداء: استحضار أجر كظم الغيظ، فمن استحضر الثواب العظيم، الذى أعده الله تعالى لمن كظم غيظه، سكن داؤه، وسكن غضبه، قال ﷺ: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره من الحور العين ما شاء**»[١]

واعلموا أن من سكن غضبه لله، زاد إيمانه، قال ﷺ: «**ما من جرعة أعظم أجرًا، ثمَّ الله - أى عند الله - من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله**»[٢]

وقال ﷺ: «**ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد لله، إلا ملأ الله جوفه إيمانًا**»[٣]

وكان أبو الدرداء ﵁ يقول: أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، واحذر أن تظلم من لا ناصر له إلا الله.

قال أبو مسعود البدرى ﵁ كنت أضرب غلامًا لى بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفى (اعلم أبا مسعود) فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منى، إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود**» قال: فألقيت السوط من يدى.

فقال: «**اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**».

فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا[٤]

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٢٢).

(٢) **صحيح** رواه ابن ماجة وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٧٥٢).

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع

(٤) **صحيح** رواه مسلم.

قال أبو ذر ﷺ لغـلامـه. لمَ أرسلت الشاة على علف الفـرس؟ قال: أردت أن أغيظك. قال: لأجمعن مع الغيظ أجرًا أنت حرٌّ لوجه الله.

اللهم إنا نسألك الفوز يوم القـضاء، ونسألك عيش السعـداء، ومنازل الشهداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء

اللهم إنا نسألك صحة فى إيمان، وإيمانًا فى حـسن خلق، ونجاحًا يتبعه فلاح، ورحمة وعافية، ومغفرة منك ورضوانًا

اللهم إنك قلت ﴿ادْعُونِي أَستجب لَكُمْ﴾ [غافـر ٦] اللهم هذا الدعـاء ومنك الإجابة، وهذا الجهد، وعليك التكلان.

اللهم تقبل توبتنا، واغـسل حوبتنا، وأجب دعوتنا، وثبت حـجتنا واهد قلوبنا، وسـدد ألسنتنا، واسلل سـخـيمـة قلوبنا، واغـفـر ذنوبنا بفضـلك وكرمك يا أكـرم الأكرمين، يا رب العالمين

وصلِّ اللهم وبارك وسلم على سيدنا محمد.

الوصية رقم (١٤)

صلوا أرحامكم

عن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ قال فى مرضه: «**أرحامكم أرحامكم**»[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كونوا منفذين لهذه الوصية المباركة، التى تقودكم إلى جنات ونهر فى مقعد صدق، عند مليك مقتدر.

تأملوا هذه الوصية التى تتكون من كلمتين لا ثالث لهما «**أرحامكم، أرحامكم**» وهذا يسميه علماء اللغة توكيد لفظى، وقد أراد به النبى ﷺ الوصية بصلة الرحم. وأكد على ذلك اهتمامًا بشأنها، وخاصة وهو مريض. وقد وردت هذه الوصية، كما قال الإمام الألبانى فى السلسلة الصحيحة، عن قتادة بلفظ: «**صلوا أرحامكم فإنه أبقى لكم فى الدنيا والآخرة**» ولم يقل فى مرضه[٢]

ولو لم تكن صلة الرحم لها مكانتها عند الله عز وجل، ولها ثوابها، لما أمرنا بها أستاذنا ومعلمنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور وقد جاءت الوصية بصلة الرحم فى قول أبى ذر الغفارى ﷺ حين قال «**أوصانى خليلى أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم، وأوصانى بصلة الرحم**»[٣] وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال ﷺ

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان (٣٧ ٢) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٧٣٦).

(٢) السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٣٥) للألبانى.

(٣) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الصغير (٢/ ٤٨) برقم (٧٥٨) والكبير (٢/ ٢٦٥) ورجال الطبرانى رجال الصحيح غير سلام بن المنذر وهو ثقة (٨/ ١٥٤) قاله الهيثمى فى مجمع الزوائد.

«**اتقوا الله، وصلوا أرحامكم**»[1] فمن هم أولو الأرحام؟ وما فضل صلة الرحم؟ وما أهمية الصلة؟ وما صورها وما كيفيتها وما عقوبة قاطع الرحم؟ كل هذه الأسئلة سنجيب عنها بمشيئة الله تعالى.

أحبتى الكرام.

الرحم هم أقارب الإنسان من جهة أمه وأبيه، وابنه، وبنته، وكل من كان بينه وبينه صلة.

وما سميت الرحم رحمًا، إلا لما فيه من داعية التراحم، وأسباب التواصل ودوافع التضامن.

وقد قال على بن أبى طالب ﷺ عشيرتك هم جناحك الذى بهم تحلق، وأصلك الذى به تتعلق، ويدك التى بها تصول، ولسانك الذى به تقول، هم العُدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم، ويسر على معسرهم، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك.

وصلة الرحم حق واجب لكل من يمت إليك بصلة نسب، أو قرابة، وكلما كان أقرب، كان حقه ألزم وأوجب «**أمك وأباك، ثم أدناك أدناك**».

أحبتى الكرام.

لقد شاء المولى تبارك وتعالى بلطفه وتدبيره، وحكمته وتقديره، أن يكون بناء الإنسان على وشيجة الرحم، وقاعدة الأسرة من ذكر وأنثى من نفس واحدة، وطبيعة واحدة.

وفى القرآن الكريم اقترن حق الله تعالى، وحق الوالدين، وحق الأقربين فى أكثر من آية ووصية، قال تعالى: ﴿**واعْبُدُوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا به شَيْئًا وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبِذى الْقُرْبَى..**﴾ [النساء: ٣٦] وذو القربى هم الأرحام وبعد أن بين حقه تعالى وحق الوالدين فى قوله جل فى علاه: ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين**

---

(١) **حسن**: رواه ابن عساكر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٠٨).

إحسانًا.. ﴾ قال: ﴿ **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا..** ﴾ [الإسراء: ٢٦] وفى مقام آخر قرنت الرحم بحق الله عز وجل فى التقوى، قال تعالى: ﴿ **واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام..** ﴾ [النساء ١].

يقول بعض أهل العلم: ما بعث الله أنبياءه فى أواسط البيوت من أقوامهم إلا لما يقدر الناس من أمر الرحم، ويعرفون من شأن القرابة ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى** ﴾ [الشورى: ٢٣]

وحينما قلت عشيرة نبى الله لوط عليه السلام، وضعف ركن قرابته، أعذر نفسه بقوله: ﴿ **لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد** ﴾ [هود: ٨٠] ومن ثم قال أستاذنا ومعلمنا ﷺ «**يرحم الله لوطًا، لقد كان يأوى إلى ركن شديد**»(١) وعند الترمذى وأحمد بزيادة: «**فما بعث الله عز وجل بعده نبيًا إلا بعثه فى ذروة قومه**»(٢)

ومن بعد لوط قال قوم شعيب لشعيب عليه السلام: ﴿ **ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز** ﴾ [هود: ٩١] وامتن على حبيبه ومصطفاه ﷺ فقال له: ﴿ **ألم يجدك يتيمًا فآوى** ﴾ [الضحى: ٦]

ما المرء ولا المروءة إلا رحم موصولة، وحسنات مبذولة، وهفوات محتملة وأعذار مقبولة.

وبصلة الرحم تقوى المودة، وتزيد المحبة، وتشتد عرى القرابة، وتذهب البغضاء، ويحن ذو الرحم إلى أهله.

أحبتى الكرام

إذا كتب الله عز وجل لعبده التوفيق، فكان إلفًا مألوفًا، محبًا لأهله، رفيقًا بأقربائه، حفيًا بعشيرته، انتصر بالألفة على أعاديه، وامتنع بالإحسان من حاسديه، فسلمت له النعمة، وصفت له المعيشة، واجتمع له الشمل، وامتنع عنه الذل.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد.

(٢) رواه أحمد والترمذى.

وخير الناس أنفعهم للناس المسلم الرحيم، الذى يصل رحمه، الكريم الذى يبذل الخير، يورثه الله عز وجل ذكرًا حسنًا فى حياته وبعد موته.

الألسن تلهج بالثناء، والأيدى تمتد بالدعاء. فمن وصل رحمه، أحبه الله وأحبه الناس، ووضع الله له الذكر والقبول، والنفوس قد جبلت على من أحسن إليها، ألم تقل الرحم، وهى متعلقة بعرش الرحمن جل جلاله: «**من وصلنى وصلته، ومن قطعنى قطعته**»؟

ألم يقل لها رب العزة والجلال: «**من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته**»(١)؟

صلة الأرحام طريق إلى جنات عدن. فعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ سأل المعلم الأعظم، والمربى الأكبر - الذى ربى أمته على البر والخير، والمودة والمحبة - سأله عن عمل يدخله الجنة، ويباعده عن النار. سأله عن عمل يكون سببًا فى دخوله الجنان، ونجاته من النيران، **فماذا قال له؟ قال** له «**تعبد الله، لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم**»(٢)

ألم يقم النبى ﷺ فى أهل الإسلام خطيبًا يوم أن وطأت أقدامه الشريفة المباركة المدينة المنورة، نورها الله عز وجل ببركته، فماذا قال؟ **لم يخطب يومها ساعة ولا** ساعتين، ولكنها كلمات قليلات جمعت الخير كل الخير، جمعت خيرى الدنيا والآخرة، وصلت العباد برب العباد، وجمعت بينهم فى بوتقة الإيمان. قال ﷺ: «**أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا ركعات بالليل، والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(٣) إنها أربع وأى أربع؟!

وجاءت فى وصية النبى ﷺ للصحابى الجليل أبى هريرة رضي الله عنه **حيث قال له**:

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما

(٢) رواه البخارى (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى وابن ماجة وصححه الألبانى فى الصحيحة (٥٦٩) وصحيح الترغيب (٦١٦)

«أطب الكلام، وأفش السلام، وصل الأرحام، وصلِّ بالليل والناس نيام، ثم ادخل الجنة بسلام»(١)

قال مولانا فى مدح الواصلين ما أمر الله به أن يوصل، وفى جزائهم: ﴿ وَالَّذِينَ يصلُون ما أَمَرَ اللَّهُ به أَن يوصل ويخْشون ربهم ويخافُون سُوء الْحساب.. ﴾ [الرعد: ٢١] يقول فى جزائهم: ﴿ أُولَٰئك لَهُمْ عُقْبى الدار ﴿٢٢﴾ جنَّاتُ عدْنٍ يدْخُلُونَهَا ومن صلَح منْ آبَائهِم وأَزْواجهم وذُرِّيَّاتهِم والْملائكَةُ يدخُلُون علَيْهِم مِّن كُلِّ باب ﴿٢٣﴾ سلامٌ عَلَيْكُم بما صبرْتُمْ فَنعم عُقبى الدَّار ﴾ [الرعد ٢٢ - ٢٤]

وصلة الرحم كانت من أساسيات الدعوة إلى الله عز وجل، ومبدأ من مبادئها، لذلك لما سأل هرقل أبا سفيان - قبل أن يسلم - عن صفات النبى ﷺ وبماذا يأمرهم؟ قال: يقول: «اعبدوا الله، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف، وصلة الرحم.»

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إنَّ الرحم شجنة متمسكة بالعرش، تتكلم بلسان ذلق، اللهمَّ صلْ من وصلنى، واقطع من قطعنى، فيقول تبارك وتعالى: أنا الرحمن، خلقت الرحم، وشققت لها اسمًا من اسمى فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته»(٢)

صلة الرحم سبب فى زيادة العمر، وكثرة المال، وهذا وعد من الصادق المصدوق ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى، حيث ثبت عنه ﷺ كما فى حديث أنس رضي الله عنه: «من سره أن يبسط له فى رزقه، أو ينسأ له فى أثره، فليصل رحمه»(٣)

أحبتى الكرام.

إن أردتم سعة فى الرزق، ورغدًا فى العيش، وبركة فى العمر، فصلوا

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩ ١).
(٢) **حسن**: رواه البزار وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٥٣١).
(٣) رواه البخارى ومسلم.

أرحامكم، قال ﷺ «**تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم، محبة فى الأهل، مثراة فى المال، مسأة فى الأثر**»[١] فبصلة الرحم تقوى المودة، وتزيد المحبة، وتزول العداوة والشحناء

صلة الرحم بركة فى الأرزاق، وتوفيق فى الحياة، ويكتب **الله** بها العزة والمنعة، وتمتلئ القلوب بها إجلالاً وهيبة. فعن عائشة ﷺ مرفوعًا: «**صلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار، يعمران الديار، ويزيدان الأعمار**»[٢]

صلة الرحم من تمام الإيمان، قال ﷺ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت**»[٣]

صلة الأرحام تدفع ميتة السوء، قال أستاذ البشرية ﷺ «**من سره أن يمد له فى عمره، ويوسع له فى رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله، وليصل رحمه**»[٤]

وصلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله عز وجل، ومن أكثرها ثوابًا فعن رجل من خثعم أن رسول الله ﷺ قال «**أحب الأعمال إلى الله عز وجل، إيمان بالله، ثم صلة الرحم، ثم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**»[٥]

وما دامت صلة الرحم من أحب الأمور، أو الأشياء إلى **الله** تعالى، فأبغض الأشياء عند **الله** تعالى، قطيعة الرحم، كما هو فى حديث الرجل الخثعمى «**وأبغض الأعمال إلى الله تعالى، الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم...**»[٦]

---

(١) **صحيح** رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه ابن الجوزى فى البر والصلة.

(٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٤) **صحيح** رواه أحمد فى مسنده.

(٥) **صحيح**: رواه أبو يعلى باسناد جيد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٦٦).

(٦) **صحيح**: مثل سابقه وتكملة له.

أيها الأحبة الكرام.

كيف نصل أرحامنا؟

اعلموا - رحمكم الله - أنَّ صلة الرحم لها صور متعددة، فقد تكون بشاشة عند اللقــاء، ولين فى المعــامــلة، إلى طيب القــول، وطــلاقــة الوجــه. الصــلة تكون بالزيارات، والاستفسارات عنهم.

تكون بتفــقد أحوالهم، والسؤال عنهم، ســواء كان ذلك بالمكالمات التليفــونية أم بالرسائل، أم بالحضور إليهم فى أماكنهم.

الصلة تكون بمواساتهم فــى جميع أحوالهم، ســواء كان فرحًا وســرورًا، أم كان حزنًا وغمومًا.

الصلة تكون بإعطائهم من مــالك، سواء كــان ذلك على سبيل الــهدية، أم على سبيل الصدقة، كلٌّ بحسب درجته، فقد قال ﷺ «**إنَّ الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلة**»[١]

صلة الرحم تكون بتــوقيــر الكبيــر منهم، ورحمــة ضعــيفــهم. تكون بإنزالهم منازلهم التى يستحقونها

صلتهم تكون بعيادة مريضهم، والوقوف بجواره وتكون باتباع جنازة من مات منهم، تكون بإصلاح ذات بينهم، فإذا عــلمت بفساد علاقة بعضــهم ببعض، فعليك أن تبادر بالإصلاح، وتقريب وجهات النظر

صلتهم تكون بــالدعاء لهم. تكون بالعفــو عن زلات من أخطأ منهم. تكون بإقالة عثــراتهم. ونصر المظلوم، والوقوف فى وجهه الظالم منهم، فــقد قال أفضل الخلق ﷺ «**انصر أخاك ظالــمًا أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول الله، نــنصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ فقال ﷺ «**تأخذ على يديه، فتمنعه من ظلمه**»[٢]

---

(١) **حسن**: رواه النسائى والترمذى وحسّنه.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

أحبتى فى الله

وأعظم من ذلك، المداومة على الصلة، حتى ولو قطعوا، والمبادرة بالمغفرة إذا أخطأوا. والإحسان إليهم، ولو أساءوا

إنّ مقابلة الإحسان يعتبر مكافأة ومجازاة، لكن الصلة الحقيقية، هى التى قال فيها الحبيب المصطفى والرسول المجتبى ﷺ فى حديثه: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل، الذى إذا قطعت رحمه وصلها**»[١] فهذا رجل يأتى إلى معلم البشرية ﷺ فيسأله: يا رسول الله، إنَّ لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيؤون إلى، أحلمُ عليهم ويجهلون على، فقال ﷺ «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك**»[٢]

نعم ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل، من إذا قطعت رحمه وصلها نعم إن من صلة الرحم أن تغفر الهفوة، وتستر الزلة فأى صارم لا ينبو؟ وأى جواد لا يكبو؟

وما العقل والنبل إلا أن تصل من قصعك، وتعصى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحلم على من جهل عليك، ويزداد النبل، ويعظم الفضل وتسمو النفس حين تحسن الظن بهم، وتحمل أخطاءهم على المحمل الحسن وتنظر فى عثراتهم نظر العاذر الكريم.

اسمعوا رعاكم الله إلى هذه القصة التى تنضح نبلاً وشرفًا:

حكى عن بنت عبد الله بن مطيع، أنها قالت زوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف وكان أجود أهل زمانه - قالت له يا طلحة، ما رأيت قومًا ألأم من قومك - أو من إخوانك - قال: ولمَ؟ قالت أراهم إذا أيسرت وكثر مالك زاروك ولازموك، وإذا أعسرت تركوك؟ قال هذ والله من كرمهم يأتوننا فى حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا فى حال ضعفنا عنهم

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى.

(٢) رواه مسلم.

فانظروا كيف تأول بكرمه هذا التأويل، وفسر بنبيل أخلاقه هذا التفسير، حتى جعل قبيح فعلهم حسنًا، وظاهر غدرهم وفاء، وهذا محض الكرام. ولباب الفضل فأين هذا من أناس ماتت عواطفهم، وغلب عليهم لؤمهم؟ فلا يلتفت إلى أهل، ولا يسأل عن قريب، ولا يود عشيرة، إن قربوا، أقصاهم، وإن بعدوا تناساهم، بل يبلغ به اللؤم أن يقرب أصحابه وزملاءه، ويجفو أهله وأقرباءه، يحسن للأبعدين، ويتنكر للأقربين. بطون ذوي رحمه جائعة، وأمواله في الأصدقاء والصحاب ضائعة. تراه يحاسب لهفوة صغيرة، ويقطع رحمه لزلة عابرة، إما بسبب كلمة سمعها، أو وشاية صدقها، أو حركة أساء تفسيرها

أحبتي الكرام.

إن ديننا الحنيف وصل اهتمامه بصلة الرحم، أنه حث على الصلة، حتى ولو كانت الرحم كافرة. ففي الصحيح من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: قدمت عليَّ أمي، وهي راغبة - أي في الصلة - وهي مشركة، فاستفتيت رسول الله ﷺ فقلت له: إنَّ أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «**نعم، صلي أمك**»[1]

فاحذروا قطيعة الأرحام.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، **والله إنه** ليكونن بين الرجل وبين أخيه شيء، ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخلة الرحم، **ما** أوزعه ذلك عن انتهاكه»

وقال عطاء بن أبي رباح لدرهم أضعه في قرابتي، أحب إلي من ألف أضعها في فاقة، فقال له قائل: ما أبا محمد، وإن كان قرابتي مثلي في الغنى؟

قال: وإن كانوا أغنى منك[2]

---

(١) رواه البخاري وأحمد

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا

وقال سعيد بن المسيب - رحمه الله - وقد ترك دنانير: **«اللهم إنك تعلم أنى لم أجمعها إلا لأصون بها دينى وحسبى، ولا خير فيمن لا يجمع المال، فيقضى دينه ويصل رحمه، ويكف بها وجهه»**[١]

وقال عمرو بن دينار - رحمه الله -: **«تعلمن أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجرًا من خطوة إلى ذى رحم»**[٢]

وقال سليمان بن موسى: قيل لعبد الله بن محيريز: ما حق الرحم؟

قال: تستقبل إذا أقبلت، وتتبع إذا أدبرت[٣]

أحبتى الكرام.

ومع كل هذا الحث على صلة الرحم من الآيات والأحاديث والآثار، فإن فى الناس من تموت عواطفه، ويزيغ عن الرشد فؤاده، فلا يلتفت إلى قريب، ولا يسأل عن أهل ولا نسيب.

إنَّ قطيعة الرحم شؤم وخراب، وسبب لسخط من الله عز وجل، ألم يقل الله عز وجل فى قرآنه: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ** ﴿٢٢﴾ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ** وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ.. ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

إن تقطيع الأرحام لمن أعظم كبائر الذنوب، وعقوبتها معجلة فى الدنيا قبل الآخرة، قال ﷺ كما فى حديث أبى بكرة: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم**»[٤]

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أعمال بنى آدم تعرض كل عشية خميس، ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم**»[٥]

---

(١) الآداب الشرعية ٣/ ٢٦٩ لابن مفلح.

(٢)،(٣) مكارم الأخلاق لابن أبى الدنيا ص ٦٢، ٦٤.

(٤) رواه أحمد ورواه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه (٤/ ٣٥٦) ووافقه الذهبى.

(٥) رواه أحمد فى مسنده وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٥١) رواه أحمد ورجاله ثقات ورواه البخارى فى الأدب المفرد

ونقل عن ابن مسعود ﷺ أنه كان جالسا بعد صلاة الصبح فى حلقة فقال: أنشد الله قاطع الرحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجة - أى مغلقة - دون قاطع الرحم.

وقال على بن الحسين ﷺ يوصى ابنه:

«يا بنى، لا تصحبن قاطع رحم، فإنى رأيته ملعونًا فى كتاب الله عز وجل فى ثلاثة مواضع، ومن لم يصلح لأهله، لم يصلح لك، ولم يذب - أى يدافع - عنهم، لم يذبَّ عنك.

فاتقوا الله عز وجل، واحذروا سخط ربكم، وصلوا ارحامكم، فأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله

ألم تعلموا أن شريف خصال نبيكم وحبيبكم محمد ﷺ وكل خصاله شريفة صلة الرحم. اقرأوا إن شئتم قول السيدة خديجة ﷺ حبيبها محمد ﷺ: «كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»[1]

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك رب أعنا ولا تعن علينا وانصرنا ولا تنصر علينا وامكر لنا، ولا تمكر علينا، وانصرنا على من بغى علينا. رب اجعلنا لك شكارين، ولك مخبتين، واجعلنا أواهين منيبين. يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك السريرة. يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة يا صاحب كل نجوى، ومنتهى كل شكوى يا رب العالمين.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

الوصية رقم (١٥)

اجعلوا بينكم وبين النار حجابًا *

عن فضالة بن عبيد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال. «**اجعلوا بينكم وبين النار حجابًا، ولو بشق تمرة**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

رسولنا وحبيبنا ومعلمنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ يخاف علينا من نار جهنم، ومن حرها، ومن شرها. فهو القائل: «**إنما مثلى ومثل أمتى، كمثل رجل استوقد نارًا، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم، وأنتم تقتحمون فيها**»(٢)

وفى رواية أخرى: «**أنا آخذ بحجزكم، أقول: إياكم وجهنم.. إياكم والحدود إياكم وجهنم..**» وكررها ثلاث مرات(٣)

فخوفه علينا من النار يوصينا أن نجعل بيننا وبينها سترًا وحجابًا، وذلك لا يتأتى إلا بالأعمال الصالحات، والتقرب إلى رب الأرض والسموات فيحبنا على البعد عن النار، حتى ولو كان ذلك العمل الصالح، التصدق بنصف تمرة. ولقد جاءت الوصية التى بين يدينا اليوم بنص آخر فى صحيح مسلم من حديث عدى بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «**من استطاع أن يستتر من النار، ولو بشق تمرة، فليفعل**»(٤)

---

(١) **حسن**: رواه الطبرانى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٥٣).
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) **حسن**: حسنه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٢٣٤٤).
(٤) رواه مسلم وذكره.

عن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقى أحدكم وجهه حر جهنم، ولو بتمرة، ولو بشق تمرة، فإن أحدكم لاقى الله، وقائل ما أقول لأحدكم: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا؟ فيقول: بلى.. فيقول. ألم أجعل لك مالاً وولدًا؟ فيقول: بلى، فيقول: أين ما قدمت لنفسك؟ فينظر قدامه وبعده، وعن يمينه وعن شماله، ثم لا يجد شيئًا يقى به وجهه حر جهنم، ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة..**»[1] بل أوصى احب نسائه إليه، ألم يقل لربه ومولاه: «**اللهمَّ هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك**»[2] **لقد قال لها موصيًا: «يا عائشة، استترى من النار، ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان»**[3]

أحبتى الكرام

حقًا إن الصدقة والإنفاق فى سبل الخيرات فدية للعبد من العذاب، وتخليص له، وفكاك من العقاب قال سيد الأحباب ﷺ كما فى حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام: «**وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم**»

إن الأحاديث فى أن الصدقة ستر للعبد، وحجاب بينه وبين العذاب كثيرة وليست حجابًا من النار فحسب، بل نجاة له من عذاب القبر، فى الحياة البرزخية.
قال ﷺ: «**إنَّ الميت إذا وضع فى قبره، إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا، كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، كان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس، عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلى مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول**

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٨١٤٧).

(٢) جيد: رواه أبو داود وابن ماجه والنسائى والدارمى وقال الألبانى: إسناده جيد فى تخريج المشكاة (٣٢٣٥)

(٣) **حسن**: رواه أبو الشيخ وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب.

الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه، فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان، ما قبلي مدخل»[1]

وهذا حديث يتوعد فيه الرسول ﷺ ويهدد أصحاب الثراء، وفيه من الوعيد ما فيه، فيقول: «**هلك المكثرون، إلا من قال: هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات: حثا بكفيه عن يمينه، وعن يساره، وبين يديه، وقليل ما هم**..»[2] وفي يوم من الأيام حث فيه النساء على أن يتصدقن، لأنه رأى أن معظمهن في النار، قال النبي المختار ﷺ: «**يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**، فقلن: بم يا رسول الله؟ قال: «**لأنكن تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**»[3]

قال ابن حجر في شرحه: وفيه أن الصدقة تدفع العذاب، وأنها قد تكفر الذنوب بين المخلوقين[4]

وقال الشوكاني في ثنايا تعداده لفوائد الحديث: ومنها: أنَّ الصدقة من دوافع العذاب، لأنه علل بأنهن أكثر أهل النار لما يقع منهن من كفران النعم، وغير ذلك[5]

أحبتي الكرام.

وما دامت الصدقة تكون حجابًا من النيران، يوم العرض على الواحد الديان، وتكون حماية لصاحبها من الملكين في القبر فإنها تكون سببًا من أسباب دخوله الجنان، كما قال رب الإنس والجان. ﴿**وسارِعوا إلى مغفرة من رَّبِّكُمْ وجَنَّة عرضُها**

(١) **حسن**: رواه الطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٥٦١).

(٢) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٢٦١).

(٣) رواه البخاري (٤ ٣).

(٤) فتح الباري (١/ ٤٨٥) لابن حجر

(٥) نيل الأوطار (٦/ ١٢٤) للشوكاني.

السموات والأرض أعدت للمتقين.. ﴾ [آل عمران: ١٣٣] من هم يا ربنا؟ صفهم لنا ﴿ **الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس..** ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فالإنفاق فى سبيل الخيرات، والتصدق إلى المحتاجين من صفات المتقين المحسنين

ما جزاؤهم؟ جزاؤهم الجنات ﴿ **أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

وهاكم هو حديث فى شعب الإيمان يوضح فيه الرسول ﷺ أن الصدقة من أسباب دخول الجنة، يقول ﷺ «**أربعون خصلة، أعلاها منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة**»(١)

ولا يتوقف أثر الصدقة على هذا الحد، بل إنَّ الأمر أعظم من ذلك، **إذ يبادر** خزنة كل باب من أبواب الجنان، ليدعى كلٌّ حسب عمله، إذ أن للصوام بابًا **يقال** له: الريان، لا يدخل منه غيرهم. وأهل الصدقة لهم باب، **يقال له باب الصدقة**، لا يدخل منه إلا المتصدقون، قال ﷺ «**من أنفق زوجين فى سبيل الله، نودى من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير** - الله أكبر - كلما مرَّ على خزنة الجنة، نادوا عليه: يا عبد الله، هذا الباب خير حتى قال الرسول: «**ومن كان من أهل الصدقة، دعى من باب الصدقة**»(٢) وقد أوضح أهل العلم أن المراد بالصدقة هنا: النافلة لأن الزكاة الواجبة، لابد منها لجميع من وجبت عليه من المسلمين.

صاحب الصدقة والمعروف لا يقع، فإذا وقع أصاب متكئًا، إذ البلاء لا يتخطى الصدقة، فهى تدفع المصائب والكروب والشدائد، وتدفع البلايا والآفات والأمراض الحالَّة، وقد دلت النصوص على ذلك، قال ﷺ «**صنائع المعروف تقى مصارع السوء والآفات والهلكات**»(٣)

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٧٩٥).

وقال: «**فعل المعروف يقى مصارع السوء**»[١]

وفى حديث أبى رافع بن خديج رضي الله عنه مرفوعًا - «**الصدقة تسد سبعين بابًا من السوء**»[٢] ولما كسفت الشمس وفزع الناس لذلك، قال ﷺ: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك، فادعوا الله، وكبروا وصلوا وتصدقوا**»[٣]

قال ابن دقيق العيد فى شرحه له وفى الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف، لاستدفاع البلاء المحذور[٤]

كما أن الصدقة تحفظ البدن، وتدفع عن صاحبها البلايا والأمراض، يدل لذلك حديث: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»[٥]

قال ابن الحاج: والمقصود من الصدقة، أن المريض يشترى نفسه من ربه عز وجل، بقدر ما تساوى نفسه عنده، والصدقة لابد لها من تأثير على القطع، لأن المخبر ﷺ صادق، والمخبر عنه كريم منان[٦]

وقد سأل رجل ابن المبارك عن قرحة فى ركبته لها سبع سنين، وقد أعيت الأطباء، فأمره بحفر بئر يحتاج الناس إليه إلى الماء فيه، وقال: أرجو أن ينبع فيه عين، فيمسك الدم عنك[٧]

وقد تقرح وجه أبى عبد الله الحاكم صاحب المستدرك قريبًا من سنة فسأل أهل الخير الدعاء له، فأكثروا من ذلك، ثم تصدق على المسلمين بوضع سقاية بنيت على

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٧٦).
(٢) **حسن بشواهده**: رواه الطبرانى فى الكبير والهيثمى فى المجمع (٣/ ٩ ١).
(٣) رواه البخارى وغيره.
(٤) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد (٢/ ١٤١)
(٥) **حسن**: رواه البيهقى فى الشعب وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٥٨)
(٦) المدخل لابن الحاج (٤/ ١٤١).
(٧) الزواجر لابن حجر الهيتمى (١/ ٣٢١)

باب داره، وصب فيها الماء، فشرب منها الناس، فما مر عليه أسبوع إلا وظهر الشفاء، وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان[١]

والأمر كما قال المناوى: وقد جُرِّب ذلك - أى التداوى بالصدقة - فوجدوا الأدوية الروحانية تفعل ما لا تفعله الأدوية الحسية، ولا ينكر ذلك إلا من كثف حجابه[٢]

أيها الأحبة الكرام.

وربنا عز وجل يربى لنا الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات، ويعلى بها الدرجات، وبهذا تضافرت الأدلة البينات الواضحات، قال رب الأرض والسموات: ﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِين والْمُصَّدِّقَات وأَقْرضوا اللَّه قَرْضا حسنا يُضَاعفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كرِيمٌ**﴾ [الحديد: ١٨]

وقال سبحانه: ﴿**من ذا الَّذى يُقْرِض اللَّه قَرْضًا حسنا فَيُضاعفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً واللَّهُ يَقْبِض ويَبْصُطُ وَإِلَيْه تُرْجعون**﴾ [البقرة: ٢٤٥]

قال الجصاص مبينًا علة تسمية الله عز وجل للصدقة قرضًا: «سماه الله قرضًا تأكيدًا لاستحقاق الثواب به، إذ لا يكون قرضًا، إلا والعوض مستحق به»[٣]

وعلل ذلك ابن القيم - رحمه الله - بأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولابد طوعت له نفسه وسهل عليه إخراجه، فإن علم أن المستقرض مليء وفيٌّ محسن، كان أبلغ فى طيب فعله، وسماحة نفسه فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه وينميه له ويثمره، حتى يصير أضعاف ما بذله، كان بالقرض أسمح وأسمح، فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده بعطائه أجرًا آخر من غير جنس القرض.

---

(١) الزواجر لابن حجر الهيتمى (١/ ٣٢١)

(٢) فيض القدير للمناوى (٣/ ٥١٥).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (١/ ٦١٦).

فإنه لا يتخلف عن قرضه، إلا لآفة فى نفسه من البخل أو الشح، أو عدم الثقة بالضمان[1]

والنبى الأكرم ﷺ يقول: «**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا طيبًا، فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه** - أى مهره - **حتى تكون أعظم من الجبل..**»[2] أو كما قال وتصديق ذلك فى كتاب الله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ..**﴾ [التوبة: ١٠٤]

صدقة فى عدل تمرة توضع فى يد محتاج، يأخذها الله ويقبلها بيمينه، ويربيها لصاحبها. فياليتكم تتصدقون وتكثرون، ويوم القيامة سترون ما تنفقون. فمنكم من تكون معه صدقته كجبل أحد. وآخر يحمل من الثواب مثل سلاسل جبل أحد. ترون أيرغب عن مثل هذا الخير أحد؟!

ما قدر كسرة تعطيها أو ما سمعت أن الرب يربيها فياعجبا للقمة كانت قليلة وفانية فبقيت، وضائعة فحفظت.

وتعجب يحيى بن معاذ الرازى - رحمه الله - الحكيم الربانى حيث قال: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا، إلا الحبة من الصدقة[3]

لقد استطعم مسكين السيدة عائشة ﵂ وبين يديها عنب، فقالت: لإنسان: خذ حبة، فأعطاها المسكين، فجعل ينظر إليها ويتعجب - لما يعلم من سخائها وجودها وكرمها - فقالت له: أتعجب؟ كم ترى فى هذه الحبة من مثقال ذرة[4]؟ والله تعالى يقول: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨].

والصدقة تطفئ الخطايا، وتكفر الذنوب، كما ذكر لنا النبى المحبوب، ورسول

---

(١) طريق الهجرتين لابن القيم ص ٥٣٨

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه والنسائى وغيرهم.

(٣) المستطرف ص ٣٥ للأبشيهى.

(٤) الموطأ للإمام مالك (٢/ ٩٩٧).

علام الغيوب ﷺ: «**تصدقوا ولو بتمرة، فإنها تسد من الجائع، وتطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار**»(١)

وقال: «**والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يذهب الجليد على الصفا**»(٢)

وأكثر الناس وقوعًا فى المعاصى والسيئات، بسبب الأيمان الكاذبات هم التجار، فقال لهم النبى ﷺ: «**يا معشر التجار، إن الشيطان والإثم يحضران البيع، فشوبوا بيعكم بالصدقة**»(٣)

فالتاجر يبالغ فى وصف سلعته، حتى يتكلم بما هو لغو، وقد يجازف فى الحلف، لترويج سلعته، فيندب إلى الصدقة، ليمحو أثر ذلك.

وتلكم هى الكواكب النيرات فى عالم البر والخيرات. فى عالم الإنفاق والصدقات لقد ضرب أولئك المثل الأعلى فى البذل والإنفاق، ولا غرابة، فقد كانوا هم أجود الناس وأبرهم، وأعظمهم إنفاقًا هو أستاذهم ومعلمهم الخير سيدنا محمد ﷺ الذى قال عن نفسه: «**لو كان لى مثل أُحد ذهبًا، لسرنى أن لا يمر علىَّ ثلاث ليال وعندى شىء منه، إلا شىء أرصده لدين**»(٤)

وعلى هذا الدرب سار أصحابه من بعده، وكذلك السلف الصالح من التابعين، ومن بعدهم. فقد أنفق أبو بكر الصديق ماله كله فى احدى المناسبات، وعمر بن الخطاب بشطره، فقال: «**ما أبقيت لأهلك؟** فقال عمر مثله، وقال لأبى بكر: «**ما أبقيت لأهلك**»؟ **قال**: أبقيت لهم الله ورسوله(٥)

---

(١) **صحيح**: رواه ابن المبارك وصححه الألبنى فى صحيح الجامع برقم (٢٩٥١).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان فى صحيحه وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٨٦٧).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٧٣)

(٤) رواه البخارى وغيره.

(٥) **حسن**: رواه الترمذى وأبو داود وحسنه الألبانى فى المشكاة برقم (٦٠٢١).

فقــال عنه ﷺ: «**مــا نفعنى مــال قط مــا نفعنى مــال أبي بكر**»، فبكى أبو بكر، فقال: هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله[١]؟!

وعثمان بن عفان رضي الله عنه أرسل عشرة آلاف دينار عندما بعث إليه النبى ﷺ **يستعين** به فى تجهيــز جيش العسرة، فـجعل النبى ﷺ يقلب الدنانير بيــن يديه ظهرًا **لبطن**، ويدعو له ويقول: «**غفر الله لك يا عثمان، ما أسررت وما أعلنتَ وما أخفيت، وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»[٢]

وهذا عبد الله بن مـسعود رضي الله عنه ـ وكان من فقراء المسلمـين ـ، وعند وفاته خرج أربعون مسكينًا يسـألون الطعام، وعندما سألوهم، أين كنتم؟ قـالوا: كان **يطعمنا ابن** مسعود!

وهذا هو عبد الرحـمن بن عوف مليونير الصحابة. فـعن الزهرى قال: **تصدق** عبـد الرحمن بن عـوف على عهد رسـول الله بشطر ماله، أربعـة آلاف، **ثم تصدق** بأربعين ألفًا، ثم حمل على خمسمائة فـرس فى سبيل الله، **ثم حمل على خمسمائة** راحلة فى سبيل الله، وكان عامة ماله من التجارة[٣]

وأعتق فى يوم واحد ثلاثين عبدًا

وباع طلحة بن عبيد أرضًا له إلى عثمان بن عـفان بسبعمائة ألف درهم، **فحملها** إليه، فلما جاء بـها، قال إنَّ رجلاً تبيت هذه عنده فى بيته فـلا **يدرى ما يطرقه من** أمر الله لضـرير بالله، فبات ورسله وأتباعـه تختلف بها فى **سكك المدينة يوزعـونها**، حتى جاء وقت السحر، وما عنده منها درهم

وكان الليث بن سعد رحـمه الله دخله فى كل سنة ثمانون ألف درهم، **وما** وجبت عليه زكاة درهم قط، وذلك لأنه كان ينفقها قبل أن يحول عليها الحول.

وأتى ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار فى مجلس فلم يقم حتى فرقها. **وكان**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى وأحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨ ٥٨).

(٢) **حسن**: رواه أحمد وغيره وحسنه الألبانى فى تخريج المشكاة (٦٤ ٦)

(٣) أسد الغابة (٣/ ١٤٣) لابن الأثير والهيثمى فى المجمع (٩/ ١٥٥).

مورق العجلى - رحمه الله - يتجر فيصيب المال، فيفرقه على الفقراء والمساكين، وكان يقول: لولاهم ما أتجرت.

وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه، فجاء يكافئه بهدية، فقال: (ما هذا) فقال: لما اسديته إلى من معروف.

فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة، فلم يجهد نفسه فى قضائها، فتوضأ للصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات، وعده من الأموات. أما حكيم ابن حزام، فقد كان يحزن على اليوم، الذى لايجد فيه محتاجًا، ليقضى حاجته، حيث يقول: ما أصبحت وليس ببانى صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب، التى أسأل الله الأجر عليها

أحبتى الكرام.

بعد كل ما جاء فى فضل الصدقة، وما كان عليه السلف الصالح من حبهم للبذل والإنفاق فى سبيل الله، هل سوف يعطينا ذلك دافعا للاقتداء بهم، والاقتفاء بآثارهم فى حب الإنفاق والبذل فى وجوه البر والخيرات؟

إننا الآن فى رغد من العيش، وفى نعم عظيمة، لا تعد ولا تحصى، فإذا لم ننفق الآن، ونتوسع فى ذلك، ونحن على هذه الحال الطيبة - ولله الحمد - فمتى سننفق؟ أئذا حل الفقر بساحتنا؟ أم إذا نزل الموت بأرواحنا؟ ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٩ ، ١] وفى مسند الإمام أحمد من حديث بسر بن جحاش القرشى أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: يا بن آدم، أنى تعجزنى، وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد - يعنى شكوى فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقى، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة**»[1]؟

---

(١) صحيح: رواه أحمد والبيهقى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٤٤) والصحيحة (١١٤٣).

فأنفقوا ولا تترددوا، واحذروا من وساوس الشيطان. ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨] أنفقوا ولن تندموا على الإنفاق أبدًا، فلربما درهم ينادى يوم القيامة: أنا صدقة فلان، والمؤمن تحت ظل صدقته فى هذا اليوم العظيم، يوم لا ظل إلا ظل العرش، وظل الصدقة.

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واقض ديوننا، واغفر ذنوبنا واهدنا لصالح الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدى لصالحها إلا أنت واصرف عنها سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت. عز جارك، وجل ثناؤك ولا إله غيرك. وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد.

الوصية رقم (١٦)

احفظوا ألسنتكم وفروجكم

عن سهل بن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من يضمن لى ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

ها هو أستاذ البشرية، ومعلم البشرية ﷺ يوجهنا ويرشدنا **إلى طريق آخر من** طرق الجنة، وسبيل آخر من سبل الابتعاد عن النار **أتدرون ما هو؟** ...

إنه يأمرنا ويوصينا أن نحفظ ألسنتنا، ونحفظ فروجنا، وعبر هنا فى **الوصية التى** معنا بقوله: (من يضمن..) والضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية، **فأطلق الضمان،** وأراد لازمه، وهو أداء الحق **الذى عليه** والمعنى كما ذكره ابن حجر **فى الفتح: أن** من أدى الحق الذى على لسانه من النطق بما يجب عليه، أو **الصمت عما لا يعنيه،** وأدى الحق الذى على فرجه من وضعه فى الحلال، وكفه عن الحرام.. **ضمن له** الرسول ﷺ عند ربه أن يدخله الله الجنة(٢)

قال ابن بطال: والحديث دل على أن عظم البلاء على المرء فى الدنيا، لسانه وفرجه، فمن وقى شرهما، وقى أعظم الشر(٣)

---

(١) رواه البخارى برقم (٥٩٩٣).

(٢) فتح البارى (١٨/ ٣) لابن حجر

(٣) شرح ابن بطال (١٩/ ٢٤٩).

وقد وردت الوصية بها بلفظ (الحفظ) كما رواه أبو موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفظ ما بين فقميه وفرجه، دخل الجنة**»(١)

لقد امتن الله تعالى على الإنسان بنعم عديدة، وأحوال متكاثرة فريدة، ومن تلكم النعم، نعمة البيان واللسان، نعمة النطق والكلام. ﴿**الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الإنسان ۝ عَلَّمه الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن ١ - ٤] اللسان نعمة جليلة، ومخلوق صغير، داخل كيان هذا الإنسان، لكن له شأن عظيم، فما أصغر حجمه، وما أخطر أثره على صاحبه.

أيها الأحبة الكرام.

اللسان يعتريه شيئان: الكلام، والسكوت، فكلام اللسان له سلبيات، وهى ما تسمى بالآفات. وله إيجابيات، وهى الطاعات والقربات.

وسكوت اللسان قد يكون آفة، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، وقد يكون عملاً صالحًا، كما قال ﷺ «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»(٢) فالسكوت والصمت خير من الكلام بالباطل والفحش.

فإذا نطقت فلا تكن مكثارًا
الصمت زين والسكوت سلامة
ولقد ندمت على الكلام مرارًا
ما إن ندمت على سكوتى مرة

فاللسان من أعظم الجوارح أثرًا، وأشدها خطرًا، فإن استعمل فيما يرضى الحق، وينفع الخلق، كان من أكبر أسباب السعادة والتوفيق لصاحبه فى الدنيا والآخرة، وإن استعمل فيما يسخط الجبار، ويضر بالعباد ألحق بصاحبه أكبر الأوزار، وأعظم الأضرار.

---

(١) حسن صحيح: رواه أحمد والطبرانى والحاكم وقال الألبانى فى صحيح الترغيب حسن صحيح برقم (٢٤١٥) وصحيح الجامع (٢ ٦٢)

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود الترمذى.

ولأجل هذا عنى الإسلام بأمر اللسان أيما عناية، فحث ربنا جل وعلا فى محكم التنزيل، وعلى لسان الأستاذ الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ على حفظ اللسان، وصيانة المنطق، ومجانبة الفحش والبذاء، قال تعالى فى كتابه: ﴿**وَقُل لِّعبادى يَقُولُوا الَّتى هى أحسن إنَّ الشيطان ينزغ بينهم إنَّ الشَّيْطان كان للإنسَان عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾ [الإسراء: ٥٣]

ووصف ربنا تبارك وتعالى ذوى الإيمان، وأرباب التقى بالإعراض عن اللغو، ومجانبة الباطل من القول فقال جل شأنه ﴿**قَدْ أَفْلَح الْمُؤمنون ۝١ الَّذين هُمْ فِى صَلاتهم خاشعُون ۝٢ والَّذين همْ عن اللَّغْو معرضُون**﴾ [المؤمنون: ١ - ٣] وقال سبحانه: ﴿**وإذا سمعوا اللَّغْو أعرضوا عَنْهُ وقَالُوا لنا أعمالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عليْكُمْ لا نبتغى الْجاهلين**﴾ [القصص: ٥٥].

فحفظ اللسان عن المآثم واخرام عنوان على استقامة الدين، وكمال الإيمان، قال ﷺ «**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه، حتى يستقيم لسانه**»[(١)] بل إن جوارح الإنسان كلها مرتبطة باللسان فى الاستقامة والاعوجاج، قال ﷺ «**إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفِّر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت، اعوججنا**»[(٢)]

قال الإمام النووى - رحمه الله - معنى (تكفر اللسان) أى تذل له وتخضع وعندما سأل معاذ بن جبل رضي الله عنه رسول الله ﷺ عن العمل الذى يدخله الجنة، ويباعده عن النار، فأخبره النبى ﷺ برأسه وعموده، وذروة سنامه، ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟** قال: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «**كف عليك هذا**» فقال. أو نحن مؤاخذون بما تقول ألسنتنا يا رسول الله؟ قال: **ثكلتك**

---

(١) **حسن**: رواه أحمد وابن أبى الدنيا وحسنه الألبانى فى الترغيب برقم (٢٨٦٥).

(٢) **حسن**: رواه الترمذى وابن أبى الدنيا وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٥١) وصحيح الترغيب برقم (٢٨٧١)

أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم - أو قال: منا خيرهم - **إلا حصائد ألسنتهم؟!»**(١)

ورضى الله عن الصحابى الجليل أبى الدرداء حين قال. ما فى المؤمن بضعة أحب إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله الجنة. وما فى الكافر بضعة أبغض إلى الله عز وجل من لسانه، به يدخله النار(٢)

إنَّ حفظ المرء للسانه، وقلة كلامه، عنوان أدبه، وزكاء نفسه، ورجحان عقله، كما قيل فى مأثور الحكم: «إذا تم العقل، نقص الكلام»

وقال بعض الحكماء كلام المرء بيان فضله، وترجمان عقله، فاقصره على الجميل، واقتصر منه على القليل.

اللسان معبر عما اشتمل عليه القلب، فإن كان القلب زكيًا مؤمنًا، كانت ألفاظه طيبة، وإن كان القلب خربًا مظلمًا بظلمة المعاصى، كانت ألفاظ اللسان سيئة بذيئة.

أحبتى فى الله.

اللسان حبل مرخى فى يد الشيطان، يصرف صاحبه كيف يشاء، إذا لم يلجمه بلجام التقوى، أما حين يطلق للسانه العنان، لينطلق بكل ما يخطر له ببال، فإنه يورده موارد العطب والهلاك، ويوقعه فى كبائر الإثم، وعظيم الموبقات، من غيبة ونميمة، وكذب وافتراء، وفحش وبذاء، وتطاول على عباد الله، وتلفيق التهم والأكاذيب، وإشاعة الأباطيل، لا يحجزه عن ذلك دين، ولا يزعه عنه مروءة ولا حياء، كأنه لم يسمع قوله تعالى: ﴿**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا**﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقوله عز من قائل: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨] وأين هو من قول الرسول الأعظم ﷺ «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان، ولا الفاحش ولا البذىء**»(٣)؟

---

(١) صحيح: رواه أحمد وابن ماجة والترمذى وقال حسن صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥١٣٦)

(٢) حلية الأولياء (١/ ٢٢) لأبى نعيم.

(٣) صحيح: رواه أحمد فى مسنده والترمذى (١٩٧٧) والبخارى فى الأدب المفرد (٣١٢) وابن حبان فى صحيحه وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٢)

وأين هو من قول النبى الأكرم ﷺ «**إنَّ العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم**»(١)

فليحذر المسلم من لسانه، وليزن كلامه، وليتأمل عواقبه قبل أن يتلفظ به فربَّ كلمة سلبت نعمة، وإنَّ الكلمة إذا خرجت من فمك لا يمكن أن تستردها، وقد يصعب تدارك خطرها فالملائكة كتبوا، والناس سمعوا، والمرجفون علقوا وشرحوا، بل وزادوا، وأنت وحدك الذى تتحمل كل هذه التبعات والمسئوليات.

قال سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ والله الذى لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان(٢)

ولما سأل عقبة بن عامر أستاذ البشرية ومعلمها ﷺ قائلاً له: ما النجاة؟ قال له ﷺ: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**»(٣)

أحبتى الكرام.

ولأجل هذا كله كان سلف هذه الأمة وخيارها يخشون خطر اللسان، ويحاذرونه غاية الحذر، ويحفظونه أشد الحفظ.

فكان أبو بكر ﷺ يخرج لسانه ويقول هذا الذى أوردنى شر الموارد(٤)

وعن سعيد الجريرى عن رجل قال: رأيت ابن عباس ﷺ أخذ بثمرة لسانه، وهو يقول: ويحك، قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم، فقال له الرجل: يا ابن

---

(١) رواه البخارى.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية (١/ ١٣٤) وابن أبى شيبة وصحح المنذرى إسناده

(٣) **حسن**: رواه أحمد والترمذى وابن أبى الدنيا وأبو داود وحسن الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٢٨٥٤) وصحيح الجامع برقم (١٣٩٢)

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١/ ٣٣) والبزار (١/ ١٦٣) وابن أبى الدنيا (١٣).

عباس، ما لي أراك آخذًا بثمرة لسانك، تقول كذا؟ قال: إنه بلغني أن العبد يوم القيامة، ليس هو على شيء أحنق منه على لسانه[١]

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله أما يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره، أن يكون أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه[٢]

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدواء، إن أقللت منه، نفع، وإن أكثرت منه، قتل.

وقال لقمان لولده: يا بني، إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك، يقول اللسان كل صباح وكل مساء للجوارح كيف أنتن؟ فيقلن: بخير إن تركتنا.

وقال الحسن - رحمه الله اللسان أمير البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئًا، جنت، وإذا عفا، عفت

احفظ لسانك أيها الإنسان

لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان

ورحم الله من قال:

إن شئت أن تحيا سليما من الأذى

وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسن

وعينك إن أبدت إليك مساوئًا

فصنها وقل يا عين للناس أعين

---

(١) رواه أبونعيم في الحلية (١/ ٣٢٨)

(٢) رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
وفارق ولكن بالتى هى أحسن

أحبتى فى الله.

بقى معنا العنصر الثانى، وهو [**حفظ الفرج**]:

فما بين اللحيين هو اللسان، وما بين الرجلين هو الفرج. وكما امتدح **الله** عز وجل فى صدر سورة المؤمنون الذين يحفظون ألسنتهم، امتدح الذين يحفظون فروجهم، فقال سبحانه ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧] وقد وعد مولانا هؤلاء المفلحين بقوله: ﴿**أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠ ، ١١] وقال مبينًا أيضًا جزاءهم العظيم: ﴿**وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب. ٣٥]

وقد أكد النبى ﷺ هذا المعنى فى العديد من الأحاديث، فقال ﷺ: «**اضمنوا لى ستًّا من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**»[1]

وعن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا شباب قريش، لا تزنوا، ألا من حفظ فرجه، فله الجنة**»[2]

وقال ﷺ عن المرأة. «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت**»[3]

---

(١) **حسن**: رواه أحمد وابن أبى الدنيا وابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد وحسنه **الألبانى** فى صحيح الترغيب برقم (٢٤١٦) وصحيح الجامع (١٠١٨)

(٢) **حسن**: رواه الحاكم والبيهقى وقال الحاكم: صحيح على شرطهما وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٤١٠) والصحيحة برقم (٢٦٩٦).

(٣) **صحيح**: رواه أحمد والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦٦٠).

أمـا من لم يحفظ فـرجه، فـإنه يسلك سـبيـلاً إلى النار، فـقد سـئل من علم المتعلمين، ومن أخرج الناس من الظلمات إلى النور، عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «**الفم، والفرج**»[١]

وحفظ الفرج سبب للمغفرة من الغفور الغفّار، كما قال في كتابه الحكيم: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...**﴾ [النور: ٣، ٣١]

فقد وعدهم ربهم المغـفرة، لأنه قد ركب فيهم الشهوة، فـمن حفظها في الدنيا، حفظه من النار في الآخرة

وقد أوضحت الشريعة الإسلامية لأتبـاعها الوسائل والطرق الكفيلة بحماية الفرد والمجتمع في هذا الباب بجلاء ووضوح لا ريب فيـه. فحثت على العفة والطهارة، وربت أبناء المجتمع الإسلامي على الغيرة المحـمودة، وأمرت بغض البصر، وأوجبت على المرأة الحـجاب والستـر، ونهت عن التبـرج والتكشف، وغلظت عقـوبة الزنا، وكللت ذلك كله بالحث عـلى المسارعـة في الزواج لمن يقـدر عليه، أمـا من لم يكن قادرًا فحثه على الصيام، وذلك كله لوقاية المسلم من ثوران الشهوة، وسطوة الغريزة، والمحافظة على النسل

وحين أمرت الشريعة الغراء بالزواج وحثت عليـه، فإنها جعلت من أهم مقاصده حفظ الفرج: «**يا معشر الشباب من استطاع منكـم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج...**»[٢]

ومن فوائد تحصين الـفرج بالزواج في صيانته من الحرام أن العبـد متى أتت عينه على ما لا يرضى الله تعالى، وحدثته نفســه بسوء، فإن عنده من الحلال، ما يستغنى به عن الحرام، ولهذا ورد في توجـيه سيد المرسلين ومعلم الناس أجـمعين ﷺ: «**إن**

---

(١) **حسن**: رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (**١٧٢٣**).

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم

المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما فى نفسه..»[١]

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا أحدكم أعجبته المرأة، فوقعت فى قلبه، فليعمد إلى امرأته، فليواقعها، فإن ذلك يرد ما فى نفسه**»[٢]

والعفة سبيل حفظ الفرج. فمن عف عن المحارم، عف أهله. وقد ضرب السلف أروع الأمثلة فى العفة.

فقد ذكر ابن الجوزى - رحمه الله - أن امرأة جميلة كانت بمكة، ولها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها فى المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحدًا يرى هذا الوجه، ولا يفتن به؟

قال: نعم. قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير

قالت: فائذن لى فيه، فلأفتننه.

قال: قد أذنت لك، فأتته كالمستفتية، فخلا معها فى ناحية فى المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر

فقال لها: يا أمة الله، استترى،

فقالت: إنى قد فتنت بك.

قال: إنى سائلك عن شئ، فإن أنت صدقتينى نظرت فى أمرك.

قالت: لا تسألنى عن شىء إلا صدقتك.

قال: أخبرينى، لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك، أكان يسرك أن أقضى لك هذه الحاجة. قالت: اللهمَّ لا

قال: صدقت. قال: فلو أدخلت قبرك، وأجلست للمسألة أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهمَّ لا

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

(٢) رواه مسلم وأحمد وغيرهما

قال: صــدقت. قال: فلو أن النــاس أعطوا كتبــهم، ولا تدرين كيف تــأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أن قضيتها لك؟

قالت: اللهم لا قال. صدقت.

قال: فلو أردت المر على الصراط، ولا تــدرين، هل تنجين أم لا، أكان يسرك أنى قضيتها لك؟ فقالت اللهمّ لا

قال: صدقت. قال فلو جى الميزان، وجى بك، ولا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل، أكان يسرك أنى قضيتها لك.

قالت: اللهمَّ لا قال صدقت.

قال: اتقى الله، فـقد أنعم الله عليك، وأحــسن إليك. فرجعت إلى زوجــها، فقــال: ما صنعت؟ قالت أنــت بطال، ونحن بطالون وأقبلت على الصــلاة والصوم والعبادة. فكان زوجها يقول: ما لى ولعبيد بن عمير،لقد أفسد علىَّ امرأتى، كانت فى كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة(١)

اللهم وفـقنا لمعرفـتك بأســمائك الحـسنى، وصفــاتك العلى. وارزقنا الرضــا بقضائك وقدرك، والتوكل عليك فى كل ضيق وسعة، وشدة ورخاء وكل ما تيسر. واغفر لنا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا حى يا قــيوم، ارحــمنا إذا قمنا من القــبور، وسكن رعــبنا يوم الحــشر والنشور. واجــعلنا على الصراط من الــعابرين، وعلى حوض نبــيك من الواردين، ولكأسه من الشاربين، وأعطنا صحائفنا باليمين اللهم أعط كل سائل من الخير مراده، وأنلنا الحسنى وزيادة يا رب العالمين

---

(١) روضة المحبين لابن قيم الجوزية ص ٣٤

الوصية رقم (١٧)

عودوا أعينكم البكاء من خشية الله

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

دموع تذرفونها مـن خشية الله عز وجل، غنيمة تفـوزون بها وبشرى لكم إن حرصتم عليها.

لقد بين لنا حـبيبـنا ونبينا ﷺ أن هناك يوم القيـامة يوم الحسـرة والندامة. نوعين من العـيون، لا تمسهـما النار. تلك النار، التى وقودها الناس والحـجارة. النار. حرها شديد. وقـعرها بعيد. وماؤها صـديد. سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه - يقول: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال ﷺ «**أتدرون ما هذا؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ «**هذا حجر رمى به فى النار، منذ سبعين خريفًا، فهو يهوى فى النار الآن حيث انتهى إلى قعرها**»(٢)

فى هذه الشدة يعافى الله عز وجل، وينجى عينين من النار وآلامها وعذابها. فما هما يا رسول الله؟ قال: «**عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله**» وفى

---

(١) صحيح رواه الترمـذى والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح التـرغيب (٢٢٢٩) وصحيح الجامع (٤١١٣)

(٢) رواه مسلم وأحمد وذكره الألبانى فى صحيح الجامع (٦٩٩٣)

حديث آخر، عن معاوية بن حيدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار يوم القيامة: عين بكت من خشية الله، وعين حرست فى سبيل الله وعين غضت عن محارم الله**»(١)

البكاء من خشية الله. أصدق بكاء تردد فى النفوس. وأقوى مترجم عن القلوب الوجلة الخائفة.

دموع الخائفين الخاشعين أحب الدموع إلى الله عز وجل. قال ﷺ: «**ليس شىء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرة من دموع فى خشية الله، وقطرة دم تهراق فى سبيل الله..**

وأما الأثران: فأثر فى سبيل الله، وأثر فى فريضة من فرائض الله»(٢) وفى فضل البكاء من خشية الله يقول رسول الله ﷺ «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن فى الضرع، ولا يجتمع غبار فى سبيل الله، ودخان جهنم**»(٣)

ما أحلى دموع الخشية، إذا انهملت من أعين الخائفين. هناك تتنزل الرحمات وتكتب الحسنات. وترفع الدرجات.

فهل حاسبت نفسك يومًا: أين أنت من تلك اللحظات؟ أين أنت من ركب الباكين؟ كم من دموع لغير الله أريقت؟ وكم من بكاء لأجل النفس توالى!

قال عبد الله بن عمر ﷺ: لأن أدمع من خشية الله، أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار.

فهنيئًا لمن أسعفته الدمعات. قبل يوم الحسرات!

---

(١) ضعيف: رواه الطبرانى وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (٢٥٩١).

(٢) حسن: رواه الترمذى وحسنه فى صحيح الترغيب (١٣٢٦) وصحيح سنن الترمذى (١٦٦٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذى وأحمد والنسائي وصححه الألبانى فى الترغيب (١٢٦٩) وصحيح الجامع (٧٧٧٨).

هنيئًا لمن تعجل البكاء. قبل حسرات يوم اللقاء!

فيا من شغلته الدنيا بغفلاتها.

ويا من صدته الشهوات بأباطيلها! أنسيت أنك في ملك من ليس كمثله شئ؟

أنسيت أنك في ملك مالك الملك وملك الملوك؟!

تذكر الجبار في ملكه. والمتعالى في كبريائه

تذكر من إليه مرجعك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد

تذكر من إذا أراد أمرًا، فإنما يقول له كن فيكون

أحبتى الكرام.

ولما كان البكاء من خشية الله عز وجل بهذه المنزلة العظيمة، وبهذا الثواب الكبير، بكى سيد الخلق ﷺ حين قال لابن مسعود رضي الله عنه **«يا بن مسعود، اقرأ علىَّ»**

قال: يا رسول الله، أقرأه وعليك أنزل؟

قال: **«فإنى أحب أن اسمعه من غيرى»** فقرأ ابن مسعود رضي الله عنه من أول سورة النساء، حتى وصل إلى قول الله عز وجل: ﴿ **فكيف إذا جئنا من كُلِّ أُمَّة بشهيد وجئْنَا بك علىٰ هؤُلاء شهيدا (٤١) يوْمئذ يودُّ الَّذين كفروا وعصوُا الرسول لوْ تُسوَّىٰ بهم الأَرْض ولا يَكْتُمُون اللَّه حديثًا** ﴾ [النساء: ٤١، ٤٢]

فقال: **«أمسك يا ابن مسعود»** يقول: فنظرت، فإذا عيناه تذرفان بالدموع[1]

وعن مطرف بن عبد الله، عن أبيه، قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلى ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

وفى رواية: وفى صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء.

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما.

وعن عبيد بن عمير، أنه قال لعائشة ﷺ: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ؟ قال: فسكتت، ثم قالت. لما كان ليلة من الليالي، قال: «**يا عائشة، ذريني أتعبد لربي**»

فقلت: والله يا رسول الله، إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك.

قالت فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره قالت وكان جالسًا، فلم يزل يبكي حتى بل لحيته

قالت ثم بكى حتى بل الأرض، فجاء بلال مؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكى قال. يا رسول الله، تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال «**أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويل لمن قرأها، ولم يتفكر فيها.. ﴿إنَّ في خلْقِ السموات والأرض واخْتلاف اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لآيَاتٍ لأُولْي الأَلْبَاب ۝١٩٠ الَّذينَ يَذْكُرُون اللَّه قياماً وقُعُوداً وعلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السموات والأَرْضِ ربنا ما خلقْت هذا باطلاً سبْحانك فَقنَا عذَاب النَّارِ﴾**[1]

[آل عمران. ١٩٠، ١٩١]

بكى رسول الله ﷺ لأن خوانه من الأنبياء بكوا من خشية الله عز وجل، وربه ومولاه، قال له ﴿**فبهداهم اقتده..**﴾

بكى نوح عليه السلام، وزاد في البكاء فعن وهيب بن الورد قال: لما عاتب الله نوحًا في ابنه، فأنزل عليه: ﴿**إنِّى أعظُك أن تكُون من الْجَاهلينَ**﴾ [هود: ٤٦] بكى ثلاثمائة عام، حتى صار تحت عينه أمثال الجداول من البكاء.

ومن قبله بكى أبوه آدم عليه السلام، فعن ابن عباس ﷺ قال: نزل آدم بالحجر الأسود يمسح به دموعه، حين أهبط من الجنة ولم ترقأ عين آدم حين خرج من الجنة، حتى رجع إليها

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في الصحيحة (٦٨) وصحيح الترغيب (١٤٦٨)

وبكى داود عليه السلام، حتى كان يسمى بـ (النوّاح).

ومن بعدهم بكى أصحاب النبى الأمين، والتابعين والصالحين. فهو صفة العارفين، وسمة من سمات الصالحين.

بكى معاذ بن جبل ﷺ بكاء شديدًا، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لأن الله عز وجل، قبض قبضتين: واحدة فى الجنة، والأخرى فى النار، فأنا لا أدرى من أى القبضتين أكون؟!

وبكى أبو هريرة ﷺ وهو فى مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما أنى لا أبكى على دنياكم هذه، ولكن أبكى على بعد سفرى، وقلة زادى، وإنى أمسيت فى صعود على جنة أو نار، ولا أدرى إلى أيتهما يؤخذ بى؟!

وعثمان بن عفان ﷺ إذا وقف على قبر، بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار، فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى؟ قال لأن القبر أول منازل الآخرة، فإن كان سهلاً فما بعده أسهل، وإن كان صعبًا فما بعده أشد وأصعب.

وكان حذيفة ﷺ يبكى بكاء شديدًا، فقيل له: ما بكاؤك؟ فقال: لا أدرى على ما أُقدم على رضا ربى أم على سخطه وغضبه

وعبد الرحمن بن عوف ﷺ أُتى له بطعام، فبكى، فقيل له: لم البكاء؟ فقال: قتل مصعب بن عمير، وكان خيرًا منى، فلم نجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة، وهو خير منى، فلم يوجد له ما يكفيه من الكفن إلا بردة، إذا غطينا بها رجليه، بانت رأسهُ، وإذا غطينا رأسه، بانت رجلاه. لقد خشيت أن يكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكى.

رضى الله عنهم وأرضاهم، وجعل الجنة والنعيم، والفردوس الأعلى مثواهم، إنهم رجال عرفوا الطريق فسلكوه على بصيرة

إنهم رجال عبدوا ربهم على علم ويقين

قرأ ابن عمر ﷺ ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ**﴾ [المطففين: ١] فلما بلغ قوله: ﴿**يوم يَقُومُ النَّاسُ لِربِّ الْعَالَمِين**﴾ [المطففين ٦] بكى بكاء شديدًا حتى خرَّ وامتنع عن قراءة ما بعده.

وقال مسروق - رحمه الله - قرأت على عائشة هذه الآيات: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فبكت بكاء شديدًا وقالت: ربِّ، منَّ عليَّ، وقني عذاب السموم.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - بكى يومًا بين أصحابه، فسئل عن ذلك، فقال: «فكرت في الدنيا ولذاتها، وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادكر»

دموع الخائفين
أغلى دموع
وبكاء المخبتين
أحلى بكية
وأنين المنيبين
أصدق أنين
ونحيب الخاشعين
أصدق نحيب

أحبتي في الله

هؤلاء هم أهل الخشية، رجال صدقوا في إقبالهم على خالقهم، فامتلأت قلوبهم بالخشية منه، والخوف من بطشه.

فإن العين لا تدمع إلا إذا صفا القلب.. وطهرت النفس..

قال أحمد بن سهل - رحمه الله -: قال لي أبو معاوية الأسود: يا أبا علي من أكثر لله الصدق، نديت عيناه، وأجابته إذا دعاهما.

وعن كعب الأحبار قال: وجدت في التوراة: من خرج من عينيه مثل الذباب من الدمع، من خشية الله، أمنه الله من عذاب جهنم[1].

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٣٧٠) لأبي نعيم.

وعنه قال. ما من رجل بكى من خشية الله، فـتسيل دموعه على الأرض فتقطر، فتصيبه النار أبدًا، حتى يرجع قطر السماء، إذا وقع على الأرض من السماء[1]

وخطب أبو موسى الأشعرى ﷺ يومًا أصحابه فقال: يا أيها الناس، ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء، حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت.

قال يزيد بن ميسـرة - رحمه الله - البكاء من سبعة أشـياء البكاء من الفرح، والبكاء من الحزن، والفزع والرياء، والوجع، والشكر، وبكاء من خـشية الله، فذلك الذى تطفئ الدمعة منها أمثال البحور من النار!»

فهل حـاسبت نفـسك أيها العاقـل: كم مرة دمعت عـيناك من خشـية الله؟ هل يتحرك قلبك إذا قرعك القرآن بوعيده؟!

هل يتحرك قلبك إذا رأيت القبور وسكانها؟

هل تذكرت الموت وكرباته؟ هل تذكرت القبر وأهواله؟

هل تذكرت الحشر وشدائده؟ هل تذكرت الصراط وفظائعه؟

شدائد لا ينجو منها إلا أهل الصدق. .الذين استعدوا قبل الممات وأعدوا قبل الحسرات. بكوا قبل البكاء. وهراقوا الدموع قبل يوم تصبح الدموع دماء.

إذا وقف الخلائق غدًا بين يدى الله تعالى، فاز الباكون من خشية الله بتلك المنزلة الرفيعـة، التى قال لكم فيهـا أستاذكم ﷺ **«سبـعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.. وذكر منهم: ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**[2]

فما أسعدهم بذلك الأمن! وما أهنأهم بتلك الدرجات!

كان مـحمد بن المنكدر رحـمه الله إذا بكى مـسح وجهه ولحـيته بدمـوعه، ويقول: بلغنى أن النار لا تأكل موضعًا مسته الدموع

---

(١) المرجع السابق ٥/٣٦٦

(٢) رواه البخارى.

فيـا طالبًا للأمن غدًا. عليك بالدمـوع تسفحهـا خشية وخـوفًا من بطش ملك الملوك. وقيوم السموات والأرض

عليك بالبكاء، لعل الله أن يـرحمك لعل دمـعات قليـلات تسـعدك بالنعـيم المقيم. مر الحسن البصرى بشاب، وهو مـستغرق فى ضحكه، وهو جالس مع قوم فى مجلس، فقال له الحسن: يا فتى، هل مررت بالصراط؟ قال: لا قال: فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار؟! قال: لا

قال: فما هذا الضحك؟

فما رُئى الفتى بعدها ضاحكًا

فتدبروا أيها العقلاء فى حالكم وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ولا تكونوا مثل أولئك الغافلين

تذكروا فظائع الأمور التى ستقدمون عليها سكرات الموت. ضـمة القبر. أهوال القبور. فظائع يوم الحـشر والنشور والمرور على الصراط. والسـعيد من وعظ بغيـره. والعاقل من دان نفسه وعـمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نـفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى

كان يزيد الرقاشى - رحمـه الله - ينوح على نفسه، ويقول: يا يزيد، إذا مت، فمن يتصدق عنك؟!

يا يزيد، إذا مت، من يصوم عنك؟ ثم يقول: وا يزيداه، إنما سمى نوح لأنه ناح على نفسه، ويزيد لا ينوح على نفسه[1]

فكان - رحمه الله - يبكى حـتى تناثرت أشفاره، وأحرقت الدموع مـجاريها من وجهه.

أحبتى الكرام.

ووعظ مالك بن دينار - رحمه الله - يومًا فتكلم، فبكى حوشب، فضرب مالك

---

(١) تهذيب الكمال (٣٢/ ٧١) للمزى.

بيده على منكبـه، وقال: ابك يا أبا بشـر، فإنـه بلغنى أن العبـد لا يـزال يبكى حتى يرحمه سيده، فيعتقه من النار

كل ما ذكرناه - أحبتى فى الله - هو عن فضل وثواب البكاء فى الآخرة. لكن اكتشف أهل العلم أن للبكاء فوائد جمة. فوائد صحية تعود على صاحبها بالنفع. وها أنا أنقل لك هذا المقال. ذكر فيه صاحبه فوائد البكاء

فوائد البكاء الصحية:

فوائد البكاء، وعـملها فى الإنسان من الناحـية الفيـزيولوجية فهى مـحط نقاش واكتشاف، وأما من الناحـية النفسية فهى جلاء للهموم والـتماس للراحة ورقة للقلب ونقاوة للنفس وهى بالنهاية ملجأ كل مصاب يسلو إليها ويرى عزاءه فيها

يقول الدكتـور عادل الشافعى: البكـاء هو نعمة من الله لأنه أصدق تعـبير عن المشاعر الإنسـانية فالطفل الصغـير يبكى فنلبى حاجـته وهنا البكاء أداة تعبيـر وحيدة تعوضه عن الكلام والحركة حتى يتمكن من التواصل مع الآخرين. أما بالنسبة للكبار فالأمـر يختلف. عـندما نحـزن نبكى وعندما نفـرح نبكى. فمـا هو البكاء؟ من الناحية الطبية هو خـروج ما تفرزه الغدد الدمعية لوسط العين ويصاحـبه سيلان مائى بالأنف والبلعوم وتقلص للعضلات العينيـة مع قبض عضلات الوجه والبطن وارتفاع بالحجاب الحاجز.

وأحيانا يرافقه سعال خفيف. هذا ما يحدث للجسم فهل له فائدة طبية. نعم - البكاء كالمطر - لأن البكاء يحدث نتيجة شحن العواطف بالانـفعالات النفسية فتعمل على حث المراكز السمباثوية بالجهاز العصبى فتـرسل إشارات للغدد الدمعية بالتحضير والانقباض وارتخاء القنوات الدمعية فتندفع الدموع خارج الغدة للعين فتغسلها وتنقيها تمامًا من أى مـيكروبات أو إفرازات أخرى وبعض من هـذه الدموع يصل للأنف عن طريق قناة توصل بينهـما مما يساعـد على تطهير الأنف ونـزول السائل منها فـالسائل الدمعى يحتوى على سائل نقى به بعض الأمـلاح والمواد التى تفرز من الغدد الدمعية لذا فهو ذو طعم مالح قليلاً مما يساعده على تعقيم العين والملتحمة.

وهذا مـا يحدث للمطر حـين تحتـقن السمـاء بالغيـوم والسحـاب فتـأتى الرياح فتـحركـها ليـسقط المطر الذى يغـسل الأشجـار والطرق وكل ما على الأرض فـترى الأماكن كأنها غـسلت من جديد. هذا ما يحدث للإنسان بعـد البكاء يستلقى ويهدأ ويبدأ من جـديد. ويضيف؛ أما من الناحـية النفسـية؛ فالبكاء المخـرج الأفضل لكل التوترات النفسية والانفـعالات لأنه لو أخفى الإنسان هذه التغيرات النفسيـة والعصبية بداعى الرجولة والخوف من الضعف أمام الآخرين أو الشعور بالانهزامية. فهنا تكمن الخطورة. حيث سيعانى من العقد والمشكلات التى يزخر بها الطب النفسى، أو الطبية خيث سـيؤدى ذلك لارتفـاع ضغط الدم المنتـشر كـثيراً هذه الأيـام وربما لإظهار داء السكرى إذا كانت عنده ميول أو تاريخ أسرى للسكرى. كذلك حبس البكاء والمشاعر كثيراً مـا يؤدى إلى تقرح بالمعدة وأمراض القولون العصـبى ولهذا نجد أن النساء وهن أكثـر قدرة على البكاء بسبب الاخـتلاف الفسـيولوجى والهرمـونى عن الرجال ولأن البكاء ربما يكون مظهراً مقـبولاً من السيدة كتعـبير عن الرقة أو الضعف أو الشـفافية لهذا نجد أنهن أقل عرضة لكثير من الأمراض التى تنجم عن عدم البكاء. لذلك علينا ألا نحـرم أنفسنا رجـالاً ونساءً من البكاء إن طاب لـنا ترطيبًـا للنفس وحرصًـا على الصحة حتى ولو من وراء حجاب.

حماية القرنية:

ومن جهتـه يقول الدكتور سميـر جمال (طبيب عيـون): لا يشكل البكاء غسولا للعين فقط وإنما للنفس أيضا ولفهم فوائد البكاء بتـفصيل أكبر لابد من التحدث قليلا عن ماهية الدمع ووظائفـه حيث إنه يشكل المادة الأساسية للبكاء وهو سـائل كالبلازما الدموية (المصورة) دون وجود كريات دم وهو غنى بالبوتاسـيوم (أربعة أضعاف تركيزه فى الدم) ويحتـوى على عناصر مناعـية دفاعـية وهى الجلوبولينات المـناعية وخـاصة (IGA ٢ ملغ/ ل) وكذلك IGM و IGE ودورها معروف فى الدفاع عن الجسم ضد الأخطار الخارجيـة كالجراثيم والفيـروسات وكذلك على خميـرة أنزيم الليزوزيم (١٥ جرام/ لتر) وهى خميرة ذات قدرة كبيرة مضادة للبكتيريا وذلك بحلها للغلاف الخلوى لبعض الجراثيم «موجبة الجرام» لاحتوائها على مورامينيدايز

وكذلك يحتوى الدمع علـى اللاكتوفيرين وهى مادة بروتينية ذات خـاصية جذب عالية لعنصر الحديد الضرورى لنمو البكتيـريا، وبالتالى تلعب دورًا أساسيا فى مقاومة البكتيريا وكذلك دورًا فى تعديل الجذور الحرة وخاصة جذر الهيدروكسى الضار لخلايا الجسم وأيضـا تلعب دورًا مثبطًا للمـتممـة وهذا يمنح الدمع دورًا مضادًا للالتـهابات أيضًا.

وكذلك الشوارد المغذية الأخرى والأوكسجين والجلوكوز والإفراز الدمعى نوعان أساسيان يمثلهما الشريط الدمعى (بسمك ٨ ميكرونات) المؤلف من ثلاث طبقات من الخارج إلى الداخل، دهنية. مائية. مـخاطية ويلعب رفيف الأجفان دورًا أساسيًّا فى تكوينه ويفـرز من قبل غـدد الدمع الملحقـة بالأجفـان وهو ثابت وموجـود دائمًا لحماية القرنية والملتحمة.

والنوع الثـانى للإفراز الدمـعى هو الانعكاسى وهو ناجم عن إفـراز مائى غـزير للغدة الدمعيـة الأساسية الموجودة فى أعلى وخارج جوف الحـجاج أو مركزى وذلك بتنبيه العـصب الدمعى المفرز للغدة الوارد عن طريق العـصب السابع، ويجرى الدمع من الزاوية أعلى وخـارج العـين (اللحاظ) إلى الزاوية الـداخلية (الموق) حـيث يزول ثلاثة أرباعه عن طريق نقطتـين صغيـرتين فى الأجفان نحو قنـيتين دمعيـتين فكيس الدمع ثم القناة الدمعيـة الأنفية نحو تجويف الأنف بآليـة فاعلة لوجود مضخـة مَاصة للدمع

ويواصل: أما ربع الدمع فيطرح عن طريق التـبخر وفى الحالة الطبيعـية تستوعب العـين الرتوج الملتـحمـة وسطح القـرنيـة الملتحـمـة والطرق المفـرغة بحـدود (٣ ميكرولترات) من الدمع وكل ما يزيد على ذلك يفيض ويسيل خارج الأجفان وهو ما نسـميـه بالدماع، وهذا مـا يخلص العـين من الأجسـام العالقـة كالغـبار فى حـال تخريشهـا، إذن نستطيع أن نلخص فوائد الدمع بأشكال الحماية المخـتلفة التى يؤمنها للعين كالحماية الميكانيكية والبصرية وهو يشكل حـاجزًا مقاومًا وسطحًا انزلاقيا ممتازة أو مرطبًا دائمـا للعين وحافظا للحرارة السطحيـة يحميها من الجـفاف ويؤمن سطحًا بصريًّا منتظمًا.

وبوجود المخاطية فى الشريط الدمعى يلتقط الجزيئات الغريبة والبكتيريا العالقة حيث يؤمن رفيف الأجفان طرحها خارجا، ومن الحمايات أيضًا حماية مضادة للبكتيريا وحماية فيزيائية بتغيير درجة حمض الدمع مما يجعلها وسطا غير ملائم لنَمو الجراثيم الممرضة وحماية كيميائية كوجود عناصر ليزوزيم والاكتوفيرين معدلة الديفانات المفرزة من قبل بعض الجراثيم، وحماية مناعية دفاعية وحماية علاجية، حيث يشكل الشريط الدمعى وسطا ممتازا لاستقبال الأدوية الموضعية وحماية غذائية حيث يغذى القرنية والملتحمة باستمرار فهو وسط تبادلى فعال للأوكسجين والجولوكوز والشوارد وبقية العناصر

ونجد مما سبق أن للدمع فوائد جمة بشكليه الأساسى والانعكاسى كحال البكاء والضحك أو أية شدة نفسية وما فائض الدمع لأى سبب كان إلا عاملاً مهمًا يخلص العين ليس فقط من السموم ولكنه يساعد البدن أيضًا على طرح سمومه وبالتالى راحة النفس ويبقى الضحك خيرًا من البكاء.

بكاء الأحشاء:

ويقول الدكتور عدنان فضلى استشارى الطب النفسى: نعم، نحن ننصح المريض أو أى فرد يتعرض لمواقف محزنة أو مؤلمة أن يعبر عن شعوره بالبكاء، فمن خلال البكاء يشعر الإنسان بالارتياح من ثقل يتعب كاهله، وأن الكبت قد يؤدى إلى نتائج وخيمة والمصابون بالاكتئاب هم أكثر الناس عرضة للبكاء حيث يجد المريض متنفسا لهمومه، غير أنه فى حالات الاكتئاب الشديدة تستعصى الدموع حيث يتمنى المريض لو أنه يستطيع البكاء. حتمًا إن البكاء يخفف من حدة التوتر والضغوط النفسية.

والنساء هن أسرع فى البكاء من الرجال بحكم تكوينهن البيولوجى، فكثير من الرجال «يبكون بصمت»! فطالما سألت رجالا يعانون من الاكتئاب، هل تنتابهم نوبات بكاء فيجيبون بإباء وشمم كما يقولون «عيب على الرجل أن يبكى»! عندما فجعت شاعرتنا العربية الخنساء بأخيها صخر ملأت الدنيا صراخًا وبكاء، وهى التى قالت لولا هذا البكاء سواء منفردة أو مع الآخرين لحاولت الانتحار!! ومن الناس ممن

يتألمون أو يحزنون يلجأون لتناول المهدئات أو الخمر للتغلب على مظاهر الأسى والحزن وهذا نوع من الكبت، والذى قد يظهر فيما بعد على شكل اضطراب نفسى شديد ولو بعد حين، إن كبت مشاعر الحزن وعدم التعبير عنها قد يؤدى إلى ظهور مجموعة من الأمراض العضوية كتقرح الأمعاء أو قرحة المعدة، وذلك بسبب التوترات والضغوط المتواصلة ويمكن تلخيصها بمقولة أحد الأطباء النفسانيين: إن الدموع التى لا تجد لها منفذًا من العيون تجعل الأحشاء تبكى!! ويقول الدكتور يوسف عبد الفتاح طبيب نفسى: بكاء الأطفال أحد مظاهر الطفولة النمائية فقد ارتبط البكاء بالطفولة، حيث شاع القول لمن يبكى من الكبار إنه يبكى مثل الأطفال.

ويؤدى البكاء وظيفة سيكولوجية مهمة بالنسبة للطفل فهو بمثابة التنفيس الانفعالى والتعبير السلوكى عن مشاعر الغضب أو الحزن أو الرفض لما يتعرض له ويشعر به وهذا أمر لازم وضرورى لإخراج هذه الطاقة الانفعالية المكبوتة، ويرى علماء النفس أن البكاء شأنه شأن سلوكيات أخرى تستخدم للتنفيس الانفعالى أو تفريغ الشحنة الانفعالية الكامنة فى الشخصية فالبكاء والصياح والصوت الحاد المرتفع وتخريب الألعاب أو الممتلكات والتململ كلها وسائل تعبيرية عن حالة انفعالية مرتبطة بالغضب أو الحزن، ولما كان الإحباط الذى يتعرض له الطفل يولد شحنة نفسية عدوانية فإن البكاء يعد بمثابة التعبير عن هذه الشحنة والتخلص منها، وكف البكاء أو عدم البكاء يكون مؤشرًا لكبت هذه الشحنة الانفعالية فى النفس، وقد تنتقل إلى اللاشعور حيث ينساها الطفل لكنها لا تختفى تماما وتبقى لتعبر عن نفسها فى الكبر بأساليب رمزية أو مرضية كالقلق والعدوان المدمر الظاهر كلما أتيحت الفرصة للطفل.

وقد وجد حديثًا أن هناك علاقة وثيقة بين الوظائف الفسيولوجية والسيكولوجية للانفعالات عمومًا، ووسائل التعبير عنها، سواء بالبكاء أو غيره من الأساليب، فقد تبين مثلاً أن البكاء ينشط الغدد الدمعية ويغسل مقلة العين ويطهرها ويقلل من الضغط الذى تتعرض له، كما تبين أنه يؤثر على الأجهزة الفسيولوجية الأخرى مثل الشرايين والأعصاب التى تصبح متوترة فى حالة الانفعال، كما تزداد ضربات القلب

ومعـدل النبض والتعـرق ويزيد إفراز الأدرينالين من الـكليتين، وهـى من المؤشرات الفسيولوجية للقلق والاضطراب الانفعالى لدى الطفل الذى لا تلبث أن تخف حدتها بعد نوبة البكاء وتفـريغ الطاقة والشحنة الانفعـالية التى لدى الطفل، لذلك يجب ألا ينزعج الآباء والأمهـات من بكاء أطفالهم باعتبـاره إحدى وسائل التنفيس كـما ذكرنا وبالتعلم الاجـتماعى تقل نوبات البكاء لدى الطفل حين يعـرف أن البكاء وحده ليس كافيًا لتحقيق ما يريد، وتغيير العالم المحيط به[١]

أحبتى الكرام.

كان سلمان الفارسى ﷺ يقول: أضحكنى ثلاث، وأبكانى ثلاث: ضحكت من مؤمل فى الدنيا، والمـوت يطلبه، وغافل لا يغفل عنه، وضـاحك ملء فيه، لا يدرى أمسخط ربه، أم مرضيه؟

وأبكانى ثلاث: فراق الأحبة، محـمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدى رب العالمين، حين لا أدرى: إلى النار انصرافى، أم إلى الجنة[٢]؟

وكان عـبد الواحد بن يزيد يقـول: يا إخوتاه، ألا تبكون خوفًـا من النيران؟ ألا وإنه من بكى خوفًا من النار، أعاذه الله تعالى منها

يا إخوتاه، ألا تبكون خوفًا من شـدة العطش يوم القيامة؟ ألا تبكون؟ ابكوا على الماء البـارد أيام الدنيـا، لعله أن يسـقيكمـوه فى حظائر القـدس مع خـيـر القدمـاء والأصحاب من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا[٣]

اللهم اجعل أعيننا من خشيتك مـدرارًا، وبالدموع هطالة، وقلوبنا مليئة بخوفك وخشيـتك، اللهمَّ إنا نرجوك أن تغفر زلاتنا، وتصلح أحوالنـا، وتدخلنا الجنة بعفوك ورحمتك، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين

---

(١) جريدة البيان مقال لـ (محمد زاهر) بتاريخ ٥/ ٣/ ٢ ٢م.
(٢) حلية الأولياء ١/ ٧ ٢ لأبى نعيم.
(٣) المرجع السابق ٦/ ١٦١

الوصية رقم (١٨)

اعف عمن ظلمك *

عن معاذ بن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**من كظم غيظًا، وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة، حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كظم الغيظ هو تجرعه، واحتمال سببه، والصبر عليه وقد حمد كظم الغيظ لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء، ولذلك مدحهم الله عز وجل بقوله: ﴿**وَالْكاظمين الْغَيْظَ وَالْعَافين عنِ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٣٤] ومن نهى النفس عن هواها، فإن الجنة مأواه، والحور العين جزاه.

قال القارى: وهذا الثناء الجميل إذا ترتب على مجرد كظم الغيظ، فكيف إذا انضم العفو إليه، أو زاد بالإحسان إليه؟!

كظم الغيظ يصحبه العفو، والعفو شعار الصالحين الأتقياء، ذوى الحلم والأناة، والنفس الرضية، لأن التنازل عن الحق، نوع إيثار للآجل على العاجل، وبسط لخلق نقى تقى، ينفذ بقوة إلى شغاف القلوب بالنسبة للآخرين، فلا يملكون أمامه إلا إبداء نظرة إجلال وإكبار لمن هذه صفته، وهذا ديدنه

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود والترمذى وأبو يعلى فى مسنده برقم ١٤٩٧ وحسنه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه (٤١٨٦) وصحيح الجامع رقم ٦٥١٨

والعفو عن الآخرين ليس بالأمر الهين، إذ له فى النفس ثقل لا يتم التغلب عليه إلا بمصارعة حب الانتصار، والانتقام للنفس، ولا يكون ذلك إلا للأقوياء، الذين استعصوا على حظوظ النفس ورغباتها، وإن كانت حقًّا يجوز لهم إمضاؤه، لقوله تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتصر بعْد ظُلْمه فَأُولَئك ما عَلَيهم من سبيلٍ..**﴾ [الشورى: ٤١].

والدليل على أن كظم الغيظ يحتاج إلى إرادة صلبة، وعزيمة قوية، وشخصية تتحكم فى عواطفها ومشاعرها الانتقام والتشفى، أو إلى ارتكاب ما لا يحسن بالرجل الحكيم الوقور، قول النبى الكريم ﷺ «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**»

وفى رواية: «**ما تعدون الصرعة فيكم؟**» قالوا الرجل الذى لا يصرعه الرجال قال: «**ليس كذلك، ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب**»(١)

وقد عنيت السنة المطهرة عناية واضحة بفضيلة كظم الغيظ، والعفو عن المخطئين. قال النبى الأمين ﷺ: «**ما جرع عبد جرعة أعظم من جرعة غيظ، كظمها اتقاء وجه الله تعالى**»(٢)

والتعبير بكلمة (جرع) تفيد المعاناة والمعالجة، وحمل النفس على الشئ المتعب الذى يعقب خيرًا، كما يتجرع المريض الدواء المر، ليورثه الشفاء والعافية.

ورب العزة والجلال يقول: ﴿**يتجرعه ولا يَكَاد يسيغُهُ**﴾ [إبراهيم: ١٧] **فكأن كظم الغيظ يحتاج** إلى جهد ومشقة ومقاومة، وهو بعض السر فى أن **الله** عز وجل قد جعل هذه الفضيلة من أخلاق أهل التقوى، ولعل هذا هو السبب فى أنَّ السيدة عائشة ﵂ كظمت غيظها حينما غاظها من يخدمها، وقالت: «لله در التقوى، ما تركت لذى غيظ شفاء»

---

(١) رواه البخارى ومسلم وسبق تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

والغضب هو العامل المفسد لكظم الغيظ، فمن استجاب لداعى الغضب، لم يستطع أن يكظم غيظه. فقد جاء رجل إلى النبى ﷺ وقال له: يا رسول الله، علمنى شيئًا، ولا تكثر على، لعلى أفهمه، فقال له طبيب الأرواح ﷺ: «**لا تغضب**» فكرر الرجل قوله مراراً وفى كل مرة يقول له النبى ﷺ: «**لا تغضب**»[1]

وقد كرم الرسول ﷺ أولئك الذين ينأون بأنفسهم عن الاستجابة للغضب الطائش الجامح، فقال: «**من كف غضبه، كف الله عنه عذابه، ومن خزن لسانه، ستر الله عورته، ومن اعتذر إلى الله، قبل الله عذره**»[2]

وهذه وصية لسيدنا على بن أبى طالب ﷺ يوصى بها أتباعه ومريديه: «واكظم الغيظ، وتجاوز عند المقدرة، واحلم عند الغضب، واصفح مع السلطة والقدرة، تكن لك العافية..».

أحبتى فى الله.

وكظم الغيظ يؤدى إلى العفو كما ذكرت والعفو معناه: الصفح والتجاوز وهو صفة من صفات رب العزة والجلال، فهو الذى يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصى والذنوب، ويغفر ويتوب.

وقد حض مولانا سبحانه وتعالى على العفو فى كتابه العزيز، فقال تعالى في وصف عباده المتقين الصالحين: ﴿**وسارعوا إلي مغفرة من رَّبِّكُمْ وجَنَّة عرْضُهَا السموَاتُ وَالأَرْضُ أُعدتْ للْمُتَّقينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذين ينفقُون فى السَّرَّاء والضَّرَّاء وَالْكَاظمين الْغَيْظَ وَالْعَافين عن النَّاس واللَّهُ يُحبُّ الْمُحسنين**﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤] وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بالعفو والصفح، فقال ﴿**خذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْف وَأَعْرِضْ عنِ الْجَاهلينَ**﴾ [الأعراف: ١٩٩]

وقد فهم الحبيب المصطفى ﷺ العفو بأن تعطى من حرمك، وأن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك.

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى للألبانى برقم (٢ ٢) والصحيحة برقم (١٣٢٧).

(٢) **حسن**: حسنه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٢٣٦)

وقد أمر الله عز وجل المؤمنين بما أمر به رسله وأنبياءه عليهم السلام فقال: ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي اللهُ بأمره إنَ الله عَلَى كُلِّ شيء قَدير ﴾ [البقرة: ١٠٩] وقد جاء عن أبى بكر ﷺ أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديًا يوم القيامة، فينادى: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس(١)

أحبتى فى الله

إن كثيرًا من الناس يظنون أن العفو والتجاوز، يقتضى الضعف والذلة، وهذا غير صحيح، لأن العفو والتجاوز لا يقتضى ذلك، بل إنه قمة الشجاعة والامتنان، وغلبة للهوى، لاسيما إذا كان العفو عند المقدرة على الانتصار، فقد بوَّب البخارى - رحمه الله في صحيحه بابًا عن الانتصار من لظالم، لقوله تعالى: ﴿ وَالَّذين إِذَا أَصَابَهُمُ الْبغي هم ينتصرون ﴾ [الشورى: ٣٩] وذكر عن إبراهيم النخعى قوله: كانوا يكرهون أن يستذلوا، فإذا قدروا عفوا(٢)

وقال الحسن بن على ﷺ: لو أنَّ رجلاً شتمنى فى أذنى هذه، واعتذر فى أذنى الأخرى، لقبلت عذره(٣)

وقال جعفر الصادق - رحمه الله - إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً، فقل له: إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلى باب العفو، فإنه باب واسع، فإن من عفا وأصلح، فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور، والفتوة هى العفو عن الإخوان

أحبتى فى الله

بعض الناس قد بلغت القسوة فى قلوبهم مبلغها، حتى أنهم لا يمكن أن يعفوا عن احد ظلمهم، أو يتجاوزوا عنه، لا يُرى فى حياتهم إلا الانتقام والتشفى. لا

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (٣/ ١٩٥) دار الكتب العلمية
(٢) البخارى كتاب المظالم
(٣) الآداب الشرعيه لابن مفلح

يرضون بالعـذر الجلى، ولا يرحمون عبـد الله ومن هذا شأنه، وتلك حاله، فـهو عدو عـقله. لأن سلطان الهوى استولى عليـه فصرفـه عن العفـو وهو من أحسن الأخلاق قال الحسن أفضل أخلاق المؤمن العفو

صرفه إلى أقبح الأخلاق وهو الانتقام والتـشفى تقول السيدة عائشة ﵂ عن إمام الخلق، وسـيدهم: ما ضـرب رسول الله ﷺ شيـئًا قط بيـده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد فى سبيل الله، ومـا نيل منه شىء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شىء من محارم الله عز وجل، فينتقم لله عز وجل.

تأملوا أخلاق الرسول ﷺ وقد سئلت السيدة عائشة ﵂ عن خلقه، فقالت: لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا صخابًا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن الـعاص ﵄ لما سئل عن صفات الرسول ﷺ فى التوراة، قـال: والله إنه لموصوف ببـعض صفـاته فى القرآن. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِى إِنَّا أَرْسَلْنَاك شاهداً ومبشّرا ونذيرا**﴾ [الأحزاب ٤٥] وحرزًا للأمـيين، أنت عـبدى ورسولى، سـميـتك المتوكل، ليس بفـظ ولا غليظ، ولا سخـاب فى الأسواق، ولا يدفع السيـئة بالسيـئة، ولكن يعفو ويـصفح، ولن يقبضـه الله، حتى يقيـموا به الملة العوجاء، فيقولوا لا إله لا الله، فيفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا[1]

أحبتى فى الله

إنه قدوتنا الصالحة، وأسـوتنا الحسنة، ومثلنا الأعلى، فقد بعثـه لنا ربنا معلمًا، وهاديًا، وبعثه رحمة للعالمين

تعالوا بنا لنراه يوم أحد وقـد جرح وكسرت رباعيته، وشـج وجهه، وهو يقول، وهو يمسح الدم عن وجهه الشريف المبارك اللهم اغفر لقومى، **فإنهم لا يعلمون»**[2]

---

(١) رواه البخارى(٢١٢٥) فى كتاب البيوع

(٢) رواه البخارى.

تعـالوا لنراه يوم أن فتح مكة، وأهلهـا قد أخـرجوه منهـا، وتآمروا على قـتله، وعـذبوا أصحـابه، ونكلوا بهم، وقاطـعوه وكـذبوه، وقاتلوه فى بدر، وفى أحـد، والخندق، وألبوا عليه العرب جميعًا

يومها ألقى كل واحد مـنهم سلاحه، ومدوا إليه أعناقهم، ليحـكم فيها بما يراه، فأمره نافذ فى رقابهـم، وحياتهم معلقة بين شفتيه، وهـذه عشرة آلاف سيف تتوهج مع أصحابها، ينتظرون إشارة منه، يستطيعون أن يبيدوها فى لمح البصر.

لقد سأل أعداءه بعـد أن استقر بهم المقام: «يا معشـر قريش، ما ترون أنى فاعل بكم؟ فصـاحت جموعهم الوجلة بكلمـة واحدة، كأنما كانوا على اتفـاق بترديدها. قالوا خيرًا أخ كـريم. وابن أخ كريم. فقال لهم: **أقول لكم كما قال يوسف من ذى قبل: ﴿ لا تثريب عليكم اليوم ﴾** [يوسف: ٩٢] **اذهبوا فأنتم الطلقاء**[١]»

لقد عفا عنهم، وصفح عن أعمالهم، مع قدرته على الانتقام منهم.

وها هى أم المؤمنين عائشة ﵂ تسـأل الحبيب المصطفى ﷺ يومًا، فتـقول له: يا رسول الله، هل مرَّ عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ فقال ﷺ: «**لقد لقيت منهم يوم العقبـة، إذ عرضت نفسى على ابن عبـد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم، فلم أستفق إلا بقرن الثـعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت، فإذا فيها جبريل عليه السلام، فنادانى، فقال: إنَّ الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال، وسلم على، ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت**»..

فقال ﷺ «**بل أرجو أن يخـرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحـده لا يشرك به شيئًا**»[٢]

فأى عفو أعظم من هذا العفو؟! وأى خلق أعظم من هذا الخلق؟!

وعن أنس ﵁ قـال: كنت أمشى مع رسـول الله ﷺ وعليه بردٌ نجـرانى غليظ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام

(٢) رواه مسلم (١٧٩٥).

الحاشية، أدركه أعرابى، فجـذبه جذبة شديدة فنظرت إلى صفحة عنق النبى ﷺ وقد أثرت بها حاشيــة البرد من شدة الجذب، فقال: يا محـمد، أعطنى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه النبى ﷺ وضحك، ثم أمر له بعطاء[1]

وفى رواية أن الأعرابى قال له: فليس هذا المال مالك، ولا مال أبيك.

فقال ﷺ: «**المال مال الله، ويقـاد منك يا أعرابى**» قال له: لا قال له: «**ولماذا؟**» قال: لأنك لا تكافئ السـيئة بالسـيئة، ولكن تعـفو وتصفح صلوات ربى وسـلامه عليك يارسول الله

وهذا جابر بن عـبد الله - يحدثـنا عن لقطة من لقطات العفـو فى حياته المليـئة بالخلق العظيم، فيقول: غزوت مع رسول الله ﷺ فلما قفل رسول الله ﷺ أدركتهم القائلة - أى وقت القيلولة - فى واد كثير العضاة - أى الشجر الكثيف - فنزل رسول الله ﷺ تحـت شجـرة، وعلق بها سيفـه، ونمنا نومــة، فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابى، فقال: «**إنَّ هـذا اخترط على سيفـى** - أى سله على وأخرجه من جرابه ليقتلنى - **فاستيقظت، فإذا هو فى يده صلتًا** - أى مسلولاً - فقال: يا محمد، من يمنعك منى؟ فقلت: الله. فشامـه - أى أغمده ثم قعد فقلت له: **وأنت من يمنعك مـنى؟** فطلب الرجل العـفو من رسـول الله ﷺ فـعفـا عنه، ولم يعـاقبـه وجلس[2]

وكان من عفوه ﷺ عفوه عن اليهودية، التى جاءت إليـه بالشاة المسمومة، فأكل النبى ﷺ منها فجئ بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت **لأقتلك** قال: «**ما كـان الله ليسلطك علىَّ**» قالوا: ألا نقتـلها؟ قال «**لا**» قال أنس: فـمازلت أعرفها فى لهوات رسول الله ﷺ[3]

أحبتى فى الله.

وإذا تتبعنا مواقف عفوه ﷺ لم تسعنا هذه السطور المباركة فقد عفا عن اليهودي

---

(١) رواه البخارى (٣١٤٩) ومسلم (٥٧ ١) وغيرهما

(٢) رواه البخارى (٤١٢٩) ومسلم (٨٤٣).

(٣) رواه البخارى (٢٦١٧) ومسلم (٢١٩).

الذى سحره، وهو لبيد بن الأعصم من يهود بنى زريق وعفا عن حاطب بن أبى بلتعة ﷺ لما أراد أن يفشى سر فتح مكة وشكا عذره، وأوضح غرضه، لكن عمر قال. يا رسول الله، دعنى أضرب عنق هذا المنافق، لكن الرسول العظيم، صاحب الخلق الكريم ﷺ عفا عنه قائلاً: «**لقد صدقكم**» ثم قال: «**إنه شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»(١)

عفا عن عبد الله بن أبى ابن سلول رغم إساءاته للرسول ﷺ فقد قال يومًا وهم راجعون من إحدى الغزوات. والله لأخرجن محمدًا منها - أى المدينة ذليلاً، وأنا العزيز وقد حكى القرآن ذلك فى قوله جل شأنه: ﴿**يَقُولُون لَئِن رجعْنَا إِلَى الْمدينة لَيُخْرِجن الأَعز منها الأَذلَ ولِلَّه الْعزَّةُ ولرسوله ولِلْمُؤْمنين ولَكن الْمنَافقِين لا يعلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨] ورغم أنه سب الرسول ﷺ فى عرضه، وفى شرفه، فى حادثه الإفك، وقال قولته اللئيمة الأثيمة: «**والله ما نجا منها، ولا نجت منه**» وحدث ما حدث. ولما مات دعى له رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فما امتنع، ولم يأب بل تقدم، فقام عمر، وقال: يا رسول الله، أتصلى على ابن أبى، وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، فتبسم رسول الله ﷺ وقال لعمر «**أخِّر عنى يا عمر، إنى خُيرت فاخترت، لو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له، لزدت عليها**» وهذا قوله تعالى: ﴿**اسْتَغْفرْ لهُمْ أَوْ لا تسْتَغْفرْ لَهُم إن تستغفر لهمْ سبعين مرَّةً فَلَن يغْفر اللَّهُ لَهُمْ..**﴾ [التوبة: ٨٠] فصلى عليه رسول الله ﷺ فنزل عليه قوله تعالى: ﴿**ولا تُصَلِّ عَلَى أَحد منْهُم مَّات أَبَدا ولا تقُمْ على قَبْرِه..**﴾ [التوبة ٨٤](٢)

أحبتى فى الله.

إنَّ الصحب الكرام رضو ن الله عليهم - قد تعلموا من مدرسة أخلاقه، خلق العفو وضربوا فيه أروع الأمثلة فى عفوهم وصفحهم عن الناس.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٧ ٣) ومسلم (٢٤٩٤)

(٢) **صحيح**: رواه البخارى (١٣٦٦) كتاب الجنائز

فهـذا صديق هـذه الأمة **(أبو بكر الصـديق)** رضى الله عنه - خـير الناس بعـد الأنبيـاء، كان من قرابتـه مسطـح بن أثاثـة، وكان أبو بكر ينفق عليه ويحـسن إليه، فلما خاض مـسطح مع الخائضين فى حادثة الإفك، حلف أبو بـكر ألا يحسن إليه، كمـا كان يحسن إليـه من ذى قبل، فجـاء العتاب مـن رب الأرباب، ومنزل الكتاب ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ منكُم وَالسعة أَن يُؤْتُوا أُوْلِى الْقُرْبى والْمَساكين وَالْمُهَاجِرين فى سبيلِ اللَّه ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا أَلا تُحبُّون أَن يغفر اللَّهُ لَكُم واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢]

فقـال: بلى أحب أن يغـفر الله لى، وعفـا عنه، وعاد إلـى ما كان علـيه، من الإحسان والبر والنفقة، وكفَّر عن يمينه. وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا[١]

وهذا فاروق هـذه الأمة **(عـمـر بن الخطاب)** ﷺ لما قـال له عُيينة بن حـصن الفزارى يومـا: يا بن الخطاب: والله ما تعطيـنا الجزل - أى عطاء المتفـضل الكريم - ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر، حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين: إن الله قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿**خذ الْعَفْو وَأْمُر بالْعُرْف وَأَعْرِضْ عنِ الْجاهلين**﴾ [الأعراف: ١٩٩]

وإنَّ هذا لمن الجـاهلين. قال ابن عـباس فـوالله ما جاوزها عـمر حـين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله عز وجل[٢]

وهذا هو **(زين العابدين بن على)** ﷺ أتت جاريتـه لتصب له الوضوء فـسقط الإبريق من يدها على وجهه فشـجه، فقالت: ﴿**والْكاظمين الْغيْظ**﴾ فقال: كظمت غيظى فـقالت: ﴿**والْعَافين عن النَّاسِ**﴾ فقال عـفوت عنك. قالت: ﴿**وَاللَّهُ يحبُّ الْمُحسنين**﴾[٣] [آل عمران ١٣٤] فقال لها: أنت حرة لوجه الله.

وهذا (سيدنا عبد الله بن مسعود) ﷺ جلس فـى السوق يبتاع طعامًا فابتاع، ثم

---

(١) رواه البخارى (٢٦٣٧) ومسلم (٢٤٤٥) وغيرهما

(٢) رواه البخارى (٤٦٤٢).

(٣) شعب الإيمان للبيهقى (٦/ ٣١٧)

طلب الدراهم، وكانت فى عمامته، فوجدها قد حُلَّت، فقال: لقد جلست، وإنها لمعى، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق، الذى أخذها. اللهم افعل به كذا، وكذا.

فقال عبد الله: اللهمَّ إن كان حمله على أخذها حاجة، فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب، فاجعله آخر ذنوبه[1]

فالعفو من شيم الكرام. يقول الشافعى رحمه الله -:

أحب من الإخوان كل مواتى
وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أريده
ويحفظنى حيا وبعد مماتى
فمن لى بهذا ليت أنى أصبته
لقاسمته مالى من الحسنات

ورحم الله عمر بن عبد العزيز فقد كان يقول: أحب الأمور إلى الله ثلاثة: العفو فى القدرة، والقصد فى الجدة، والرفق فى العبادة، وما رفق أحد بأحد فى الدنيا، إلا رفق الله به يوم القيامة.

وراحة النفس فى العفو ورحم الله القائل

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت قلبى من هم العداوات
إنى أحيى عدوى عند رؤيته
لأدفع الشر عنى بالتحيات
وأظهر البشاشة للإنسان أبغضه
كأنما قد حشى قلبى محبات

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٩٦) للغزالى.

عبد الله بن يزيد المقرى رحمه الله انظروا إلى عفوه وصفحه وحلمه.

يقول سعيد بن مسعود. كنا فى المسجد الحرام ننتظر عبد الله بن يزيد المقرى فخرج، وكان بيدى قلمٌ أصلحه، فأخذ فى القراءة، ووقفت أنظر فى الكتاب، فانحل السكين من يدى، فأصاب رأس الشيخ، فانهمر الدم، قال: فما زاد على أن رفع رأسه إلى، وقال: يا بنى، إن أردت قتلى، فأخرجنى من الحرم[١]

ورُوى أن راهبًا دخل على هشام بن عبد الملك، فقال للراهب أرأيت ذا القرنين أكان نبيًّا؟ فقال: لا، ولكنه أعطى ما أعطى بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر، عفا، وإذا وعد، وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغدٍ[٢]

أحبتى فى الله.

إن العفو والصفح، وكظم الغيظ، لمن أعظم الأخلاق، فأين المشمرون؟ أين المقتدون بسيد الأولين والآخرين؟ أين من يقتدون بأصحاب النبى الأمين وسلف الأمة والتابعين؟ أين من يغالبهم حب الانتصار والانتقام؟

اللهمَّ ارحم ضعفنا. وتول أمرنا واجبر كسرنا واغفر ذنوبنا. واستر عيوبنا وفرج كروبنا واكشف همومنا. وأزل غمومنا وفك أسرنا. واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا. اللهم اجعلنا عن المتقين. واجعلنا من المحسنين. ومن الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.

اللهم اغفر لنا الذنوب التى تهتك العصم. واغفر لنا الذنوب التى تنزل النقم واغفر لنا الذنوب التى تحبس الدعاء واغفر لنا الذنوب التى تقطع الرجاء واغفر لنا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقى (٦/ ٣١٧).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ١٨٤) للغزالى

الذنوب التي تنزل البلاء   يا من ذكره شفاء، وطاعته غناء وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الوصية رقم (١٩)

أصلحوا ذات بينكم

عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة؟**»

قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة**» وعند الترمذى: «**لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

كونوا منفذين لهذه الوصيه المباركة، التى تحثنا على إصلاح ذات البين فلقد حث الرسول ﷺ ورغب فى إصلاح ذات البين، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله تعالى، وعدم التفرق بين المسلمين

وفساد ذات البين ثلمة فى الدين، فمن تعاطى إصلاحها، ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم، المشتغل بخويصة نفسه[٢]

وإصلاح ذات البين أى إصلاح الأحوال التى بينكم، حتى تكون الألفة والمحبة والمودة. أى إزالة الفتنة والفساد، سكان الثائرة.

والحالقة أى التى من شأنها ـ تحلق أى تهلك وتستأصل الدين، كما يستأصل الموسى الشعر، لما يترتب عليه من الفساد والضغائن.

---

(١) صحيح: رواه ابن حبان فى صحيحه وأبو داود والترمذى وقال: صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٥٩٥) وصحيح سنن الترمذى (٢٨١٤)

(٢) عون المعبود (١/٤٤٨) وتحفة الأحوذى (٦/١ ٣).

ولقد جاء الحث والترغيب على إصلاح ذات البين فى الكتاب والسنة المطهرة، ففى مفتتح سورة الأنفال، يقول الله عز وجل ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾ [الأنفال ١] وقال سبحانه: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم..**﴾ [الحجرات. ١] وقال تعالى: ﴿**لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أوإصلاح بين الناس..**﴾ [النساء: ١١٤] والآيات كثيرة.

والسنة المطهرة قد حثت عليه، ورغبت فيه، فجعلته كما فى حديث الوصية كدرجة الصيام والقيام.

بل جعلته من أفضل القربات إلى الله عز وجل، كالصلاة سواء بسواء فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما عمل ابن آدم شيئًا أفضل من الصلاة، وإصلاح ذات البين، وحسن الخلق..**»(١)

بل جعله من أفضل الصدقات، فقال رسول رب الأرض والسموات، فيما يرويه عنه عبد الله بن عمرو: «**أفضل الصدقة: إصلاح ذات البين**»(٢)

قال المناوى فى فيض القدير

وهى - أى إصلاح ذات البين - من حيث عموم نفعها أفضل من صدقة نفعها قاصر، ومن ذلك ما لو كانت بين طائفتين فتنة، فتحمل رجل مالاً، ليصلح بينهم، أو أخذ من المياسير لذلك(٣)

بل لقد جعلها رسول الله ﷺ أفضل الصدقات التى يحبها رب الأرض والسموات. فقال لأبى أيوب الأنصارى ﷺ «**يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة**

---

(١) صحيح: صححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٦٤٥) وحسنه فى صحيح الترغيب برقم (٢٨١٦)

(٢) صحيح لغيره: رواه الطبرانى والبزار وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٦٣٩) وصحيح الترغيب (٢٨١٧)

(٣) فيض القدير (٢/ ٥١) للمناوى.

يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا» وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال لأبي أيوب: «**ألا أدلك على تجارة؟**»

قال: بلى يا رسول الله

قال. «**صل بين الناس إذا تفاسدوا، وقرب بينهم إذا تباعدوا**»(١)

أحبتي الكرام.

وتأملوا هذا الحديث الذي أورده الحافظ الحاكم، عن أنس ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ جالس، إذ رأيناه ضحك، حتى بدت ثناياه، فقال عمر ما أضحكك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ فقال: «**رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة - تبارك وتعالى - فقال أحدهما: يا رب، خذ لي مظلمتي من أخي، فيقول الله تعالى: أعط أخاك مظلمته، فيقول: يا رب، لم يبق من حسناتي شيء، فيقول: يا رب، فليحمل عني أوزاري..** قال. ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: **إن ذلك ليوم عظيم.. يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب: ارفع بصرك، وانظر في الجنان.. فيرفع رأسه، فيقول: يا رب، أرى مدائن من فضة، وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، فلأي نبي هذا؟ أو لأي صديق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن يعطي الثمن قال: ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه.. فيقول: بماذا يا رب؟ فيقول الله تعالى: بعفوك عن أخيك.. فيقول: يا رب، قد عفوت عنه، فيقول الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة..** ثم قال النبي ﷺ. **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة**»(٢)

أيها الأحبة الكرام.

الإصلاح بين الناس مصدر الطمأنينة والهدوء، ومبعث الاستقرار والأمن، وينبوع الألفة والمحبة.

---

(١) حسن لغيره: أخرجه البزار وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (٢٨١٨)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٨٨٦٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الإصلاح بين الناس، تسكن به النفوس، وتتآلف به القلوب.

وبالعكس فالتنازع مفسد للبيوت والأسر، مهلك للشعوب والأمم، سافك للدماء، ومبدد للثروات، لذا قال الله عز وجل ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٤٦].

بالخصومات والمشاحنات تنتهك حرمات الدين، ويعم الشر، القريب والبعيد، ومن أجل ذلك سمى رسول الله ﷺ فساد ذات البين بالحالقة. لذا جاء التحذير فى ذلك بقوله: «**إياكم وسوء ذات البين، فإنها الحالقة**»[1]

إنَّ الأمة تحتاج إلى إصلاح يدخل الرضا على المتخاصمين، ويعيد الوئام إلى المتنازعين. إصلاح يقوم به عصبة خيرون، كرمت أخلاقهم. وطابت منابتهم، ونبلت طباعهم.

الإصلاح بين الناس يحتاج رجالاً ذوى شهامة. يحتاج إلى رجال مصلحين ذوى خبرة وعقل، وإيمان وصبر، حذاق فى معالجة الأمور.

الإصلاح له فقه ومسالك، دلت عليه نصوص الشرع، وسار عليها المصلحون المخلصون.

ومن فقه الإصلاح: النية، وابتغاء مرضاة الله عز وجل، وتجنب الأهواء الشخصية، والمنافع الدنيوية

إذا تحقق الإخلاص، حل التوفيق، وجرى التوافق، وأنزل الله الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد.

أما من قصد بإصلاحه الترؤس والرياء، وارتفاع الذكر، والاستعلاء فبعيد أن ينال ثواب الآخرة، وحرىٌّ ألا يحالف التوفيق مسعاه، لذلك قال الله عز وجل فى خاتمة

---

(١) حسن. رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٦٨٣) وصحيح سنن الترمذى (٢٥٠٨).

آية سورة النساء: ﴿**ومن يَفْعَل ذلك ابتغاء مرْضات اللَّه فَسوْف نُؤْتِيه أَجْرًا عظيمًا**﴾ [النساء ١١٤]

ولأجل هذا قال الله عز وجل فى الإصلاح بين الزوجين ﴿**إن يرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما..**﴾ [النساء: ٣٥] وتأملوا رسول الله ﷺ وهو يصلح بين زوجين كريمين.

عن سهل بن سعد قال جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة ابنته، فلم يجد زوجها عليًّا فى البيت، فقال: «**أين ابن عمك؟**» قالت كان بينى وبينه شىء، فغاضبنى، فخرج، فلم يقل عندى فقال رسول الله ﷺ لإنسان: «**انظر أين هو؟**» فجاء، فقال: يا رسول الله، هو فى المسجد راقد فجاءه رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه، ويقول: «**قم أبا تراب.. قم أبا تراب..**» تأملوا قوله (**أين ابن عمك؟**)(١) إن فيه إرشادًا لها إلى أن تخاطبه بذلك لما فيه من الاستعطاف بذكر القرابة، وكأنه ﷺ فهم ما وقع بينهما، فأراد أن يستعطفها عليه بذكر القرابة القريبة التى بينهما وفى حديث سهل فوائد جمة يحتاج إليها، وإلى معرفتها المسلم.

فيه: جواز القيلولة فى المسجد، وممازحة المغضب بما لا يغضب منه، بل يحصل به تأنيسه، وفيه التكنية بغير الولد، وتكنية من له كنية، والتقليب بالكنية لمن لا يغضب.

وفيه: مداراة الصهر وتسكينه من غضبه، ودخول الوالد بيت ابنته بغير إذن زوجها حيث يعلم رضاه بذلك.

وقد داعب النبى ﷺ عليًّا زوج ابنته، وكناه بـ (أبى تراب) وكانت من أحب الأسماء بعد ذلك إليه.

يقول سهل بن سعد رضي الله عنه إن كانت أحب أسماء على رضي الله عنه إليه ـ لأبى تراب، وإن كان ليفرح أن يدعى بها، وما سماه أبو تراب لا النبى ﷺ وذكره.

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما

قال ابن بطال: وفيه أن أهل الفضل قد يقع بين الكبير منهم وبين زوجته ما طبع عليه البشر من الغضب، وقد يدعوه ذلك إلى الخروج من بيته، ولا يعاب عليه. ويحتمل أن يكون سبب خروج على، خشية أن يبدو منه وهو فى شدة غضَبه ما لا يليق بجناب فاطمة رضي الله عنها فحسم مادة الكلام بذلك إلى أن تسكن ثورة الغضب عن كل منهما

وفيه: كرم خلق النبى ﷺ لأنه توجه نحو علىٍّ رضي الله عنه ليترضاه، ومسح التراب عن ظهره، ليباسطه، ويداعبه بالكنية المذكورة المأخوذة من حالته، ولم يعاتبه على مغاضبته لابنته مع رفيع منزلتها عنده، ويؤخذ منه: استحباب الرفق بالأصهار، وترك معاتبتهم، إبقاء لمودتهم

أحبتى الكرام.

وميدان الصلح واسع عريض، فى الأفراد والجماعات، والأزواج والزوجات والكفار والمسلمين، والفئات الباغية والعادلة، فى الأموال والدماء والنزاع والخصومات.

ومن أجل ذلك فقد عظم ثوابه، وكبر أجره. وقد باشر النبى ﷺ الصلح بنفسه، حين تنازع أهل قباء، فندب إلى الصلح أصحابه وقال لهم: **«اذهبوا بنا نصلح بينهم»**

وخرج ﷺ للإصلاح بين أناس من بنى عوف، حتى تأخر عن صلاة الجماعة.

والإمام الأوزاعى - رحمه الله - يقول: ما خطوةٌ أحب إلى الله عز وجل من خطوة فى إصلاح ذات البين.

وإذا كان الأمر كذلك، فمن ذا الذى لا يقبل الصلح، ولا يسعى فيه، ليسوا إلا أناسًا قد قست قلوبهم، وفسدت بواطنهم، وخبثت نياتهم، حتى كأنهم لا يحبون إلا الشر، ولا يسعون إلا فى الفساد، ولا يجنحون إلا إلى الظلم.

على المصلح أن يصلح ويقترح ما فيه مصلحة الطرفين. فعن أبى هريرة رضي الله عنه

أن رسول الله ﷺ قال: «**اشترى رجل من رجل عقاراً له، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره، جرة فيها ذهب فقال له الذى اشترى العقار: خذ ذهبك، إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع منك الذهب، وقال الذى له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال الذى تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لى غلام، وقال الآخر: لى جارية، قال. أنكحوا الغلام للجارية، وأنفقا على أنفسهما منه، وتصدقا**»(١)

فيه فضل الإصلاح بين المتنازعين، وأن القاضى يستحب له الإصلاح بين المتنازعين، كما يستحب لغيره.

أحبتى الكرام.

إنَّ من الناس من يأبى أن يسعى فى صلح فلان أو فلانة، وآخر يصر على أن تكون المبادرة من خصمه. وتمشيًا مع هذه المسالك السرية، والتحركات المحبوكة، أذن الشارع للمصلح بنوع من الكذب فى العبارات والوعود، قال أستاذ البشرية ﷺ: «**ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس، فينمى خيرًا، أو يقول خيراً**»(٢)

ينمى - بفتح الياء وكسر الميم - أى يبلغ، يقال. نميت الحديث أنميه، إذا بلغته على وجه الإصلاح، وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة، **قلت**: نميته بالتشديد.

قال العلماء: المراد أنه يخبر بما علمه من الخير، ويسكت عما علمه من الشر، ولا يكون ذلك كذبًا، لأن الكذب الإخبار بالشئ على خلافه وهذا ساكت، ولا ينسب لساكت قول.

وفى خبر آخر، يقول ﷺ: «**لا يصلح الكذب إلا فى ثلاث: رجل يصلح بين اثنين، والحرب خدعة، والرجل يصلح امرأته**»(٣)

---

(١) رواه البخارى وأحمد.

(٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) حسن رواه الترمذى وغيره وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٢٣)

ويقول نعيم بن حماد: قلت لسفيان بن عيينة. أرأيت الرجل يعتذر من الشيء، عسى أن يكون قد فعله، ويحرِّف فيه القول، ليرضى صاحبه، أعليه فيه حرج؟ قال: لا، ألم تسمع قوله ﷺ **«ليس بكذاب من قال خيرًا...»**[(١)]

وقال الطبرى: ذهبت طائفة إلى جواز الكذب، لقصد الإصلاح بين الناس - أى المتخاصمين - وقال: الكذب المذموم، هو ما فيه مضرة، أو ما ليس فيه مصلحة وقال آخرون: لا يجوز الكذب فى شيء مطلقًا، وحملوا الكذب المراد هنا على التورية، والتعريض، كما يقول للظالم: دعوت لك أمس، وهو يريد قوله: اللهمَّ اغفر للمسلمين. أو أنه يعد امرأته بعطية شئ، ويريد، إن قدر الله ذلك.

واتفقوا على أن المراد بالكذب فى حق المرأة والرجل، إنما هو فيما لا يسقط حقًا عليه، أو عليها.

أحبتى الكرام.

اسمعوا رحمكم الله إلى هذا الحديث، الذى يرويه لنا الصحابى الجليل أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر الله لكل عبد مسلم، لا يشرك، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا»**[(٢)]

قال الحافظ ابن عبد البر - رحمه الله - يدل هذا الحديث على أن الذنوب، إذا كانت بين العباد، فسامح بعضهم بعضًا، سقطت المطالبة بها من قبل الله عز وجل. الله أكبر **﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾** [النساء: ١٤٧]
وسمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما، إذا أحدهم يستوضع الآخر، ويسترفقه، أى يطلب منه أن يخفف عنه دينه، وهو يقول له: والله لا أفعل، فخرج عليهما رسول الله ﷺ وهو يقول: **«أين المتألى على الله ألا يفعل المعروف؟»**

---

(١) رواه الطبرانى وغيره بإسناد حسن

(٢) رواه مسلم.

فقال: أنا يا رسول الله، فله أى ذلك أحب[١] فعدل لرجل عن يمينه، واستجاب لتذكير رسول الله ﷺ واستجابة لداعى الحق.

فلا تجعل اليمين عرضة أو مانعًا لصنع الخير، ولكن كفر عن يمينك، واصنع الخير. يقول خير رسول، وأعظم نبى ﷺ «**من حلف على يمين، فوجد غيرها خيرًا فيها، فليكفر عن يمينه، وليفعل الذى هو خير**»[٢]

فاتقوا الله - رحمكم الله - فمن أراد الثواب الجزيل، والذكر الجميل، وراحة القلب، فليحلم على الجاهل، وليعفو عن المعتدى، وليقبل الصلح، فمن عفا وأصلح فأجره على الله.

اللهمَّ ارحمنا إذا عرق الجبين، واشتد الكرب والأنين اللهم عاملنا بإحسانك، وجد علينا بفضلك وامتنانك. واجعلنا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

اللهم ارحم ذلنا بين يديك، واجعل رغبتنا فيما لديك. ولا تحرمنا بذنوبنا يا رب العالمين.

---

(١) رواه البخارى (٢٥٠٦) ومسلم (٢٩١١).

(٢) رواه مسلم وسيأتى بعد ذلك.

ثالثًا: عبادات توصلك إلى الجنة

الوصية رقم (٢٠)

* من استطاع أن يطيل غرته فليفعل *

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أمتى يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من أثر الضوء، فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

الوضوء عبادة من أعظم العبادات، وبه يتقرب إلى الله عز وجل، وبهذا الوضوء، وبتلك العبادة المباركة يستطع الرسول الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ أن يعرفنا يوم القيامة من بين سائر الأمم، من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فقد ورد فى بعض روايات هذه الوصية العظيمة كما فى مسند الإمام أحمد من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ - خرج يومًا إلى المقابر فلسلم على أهلها، قائلاً: «**سلام عليكم دار قوم مؤمنون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا**»..

قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: «**بل أنتم أصحابى، وإخوانى الذين لم يأتوا بعد، وأنا فرطكم على الحوض**»..

قالوا: وكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟

---

(١) صحيح. متفق عليه

قال: «**أرأيتم لو أن رجلاً له خيلٌ غر محجلة بين ظهري خيل دُهم بُهم، ألا يعرف خيله؟! فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء**»[١]

وفي رواية من حديث أبي أمامة ﷺ أنه قال «**ما من أمتي أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة**»

قالوا يا رسول الله، من رأيت ومن لم تر؟

قال: «**من رأيت، ومن لم أر، غرًّا محجلين من أثر الطهور..**»[٢]

وفي صحيح مسلم من حديث حذيفة ﷺ أنهم قالوا: وتعرفنا؟ قال: «**نعم تردون علي غرًّا محجلين من آثار الوضوء، ليست لأحد غيركم**»[٣]

فكن أخا الإسلام منفذًا لهذه الوصية المدركة ليعرفك حبيبك محمد ﷺ لتشرب من حوض الرسول ﷺ الذي قال عنه «**إن حوضي لأبعد من أَيْلَةَ إلى عدنَ، والذي نفسي بيده، لآنيته أكثر من عدد النجوم، ولهو أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل.. والذي نفسي بيده، إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه**»..

قيل أتعرفنا؟ قال: «**نعم تردون علي غرا محجلين من أثر الوضوء، ليست لأحد غيركم**»[٤] فإن كنت من المنفذين تعاليمه، شربت من حوضه، وإلا طردت عنه وحينها يقال لك: سحقًا سحقًا أي بعدًا لك بُعدًا

أحبتي في الله.

لما كانت هذه الأطراف هي محل الكسب والعمل، وكانت هذه الأعضاء هي أبواب المعاصي والذنوب كلها، فمنها ما يكون في الرأس كالأذن للسمع، والعين

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٧٩٨)

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٢١٥٨)

(٣) **صحيح**: رواه مسلم وابن ماجه.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم وابن ماجه وذكره الألباني في صحيح الجامع (٥٩ ٢).

للبصر، واللسان للكلام، والأنف للشم، ومنها ما كان في اليد التي لها البطش، والرجل التي لها السعي، كان الوضوء مكفرًا لما عسى أن ترتكبه تلك الأعضاء بالذات. لذلك كانت أعضاء الوضوء محددة، المضمضة في الفم، والاستنثار في الأنف، وغسل الوجه، وغسل اليدين، ومسح الرأس، والأذن، وغسل الرجلين.

وباقي الأعضاء إنما ترتكب المعاصي والذنوب بمساعدة هذه الأعضاء، فشرع الوضوء ليطهرها قال سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ «**إذا توضأ العبد المؤمن، خرجت خطاياه من فيه، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، وإذا غسل وجهه، خرجت الخطايا من وجهه، حتى تخرج من أشفار عينيه، وإذا غسل يديه، خرجت الخطايا، حتى تخرج من أظفار يديه، فإذا مسح برأسه، خرجت الخطايا من رأسه، حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه، خرجت الخطايا من رجليه، حتى تخرج من أظافر رجليه**» وعند الترمذي: «**خرجت ذنوبه من الماء، أو مع آخر قطر الماء**»[١]

إذًا فالطهور مكفر لما ارتكبته هذه الأعضاء من الذنوب، بشرط الإسباغ وقد استنبط محمد بن كعب القرظي رحمه الله من آخر آية الوضوء من قوله تعالى: ﴿**وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ..**﴾ [المائدة: ٦] قال: النعمة منها تكفير السيئات.

أخي الحبيب

إن كنت تريد أن تكون من السابقين إلى الجنات إلى دار النعيم، فأحسن الوضوء، وأسبغه. ثم صلِّ ركعتين يقول النبي ﷺ لبلال بن رباح رضي الله عنه يومًا: «**يا بلال، بم سبقتني إلى الجنة، إني دخلت البارحة الجنة، فسمعت خشخشتك أمامي؟** فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط، إلا صليت ركعتين، ولا أصابني حدث قط، إلا توضأت عنده، فقال ﷺ **بهذا**»[٢]

الله أكبر ما هذا الجزاء العظيم؟ وما هذا الثواب الجزيل؟

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه ورواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٨٦).
(٢) **صحيح**: رواه ابن خزيمة وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١ ٢).

أتريد أعظم من هذا الثواب؟ أتود أن تدخل من أبواب الجنة الثمانية يقول ﷺ : **«ما منكم من أحد يتوضأ، فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»**[(١)]، وهذا نوع من الذكر يذكر بعد الوضوء. إن أردت أن يغفر لك الأوزار، إن أردت أن يغفر لك المعاصى والذنوب فأسبغ الوضوء، وصلِّ ركعتين لعلام الغيوب.

قال ﷺ **«من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما، غُفر له ما تقدم من ذنبه»**[(٢)]

وقال ﷺ بعد أن توضأ أمام أصحابه ليعلمهم الوضوء عمليًا: **«من توضأ هكذا، غُفر له ما تقدم من ذنبه، وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة»**[(٣)]

وقال: **«من توضأ، فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة»**[(٤)]

أحبتى فى الله.

هذا فضل الوضوء وثوابه، وما أعظمه من ثواب. وهناك ثواب وفضل جزيل عند الله عز وجل، فمنها «حب الله عز وجل للمتطهرين. قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢] فالطهر طهر بالماء من الحدث، وطهر بالتوبة من الشرك والمعاصى

فانظروا رحمكم الله، كم فى الوضوء من ثمار، وكم تيسر للعبد من أسباب تكفير الخطايا، لعله يتطهر قبل أن يفاجئه الموت، فيلقى ربه ومولاه طاهرًا فيصلح لمجاورة ربه فى دار السلام

---

(١) رواه مسلم وذكره الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨٩)

(٢) **حسن صحيح**. رواه أبو داود والنسائى وصححه الألبانى فى الترغيب (٢٢٨) وصحيح الجامع (١١١٢)

(٣) رواه مسلم وذكره الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٧٨)

(٤) **صحيح**: صحيح سنن الترمذى وصحيح الجامع (٦١٦٦) للألبانى.

أحبتى فى الله.

ورغم هذه الفوائد الأخروية العظيمة، وهذا الفضل والثواب العظيم، إلا أن للوضوء فوائد دنيوية للمسلم. فوائد صحية إن غسل الأعضاء المعرضة دائمًا للأتربة من جسم الإنسان، لا شك أنها فى منتهى الأهمية للصحة العامة، فأجزاء الجسم هذه تتعرض طوال اليوم لعدد كبير جدًا من الميكروبات، تعد بالملايين فى كل سنتيمتر مكعب من الهواء وهى دائمًا فى حالة هجوم على الإنسان من خلال جلده فى الأماكن المكشوفة منه، وعند الوضوء تفاجأ هذه الميكروبات بحالة كسح شاملة لها من فوق سطح الجلد، خاصة مع التدليك الجيد، وإسباغ الوضوء، وهو هدى الرسول ﷺ وبذلك لا يبقى بعد الوضوء أى أثر من أدران أو جراثيم على الجسم إلا ما شاء الله عز وجل.

١ - **فالمضمضة:** لقد أثبت العلم الحديث أن المضمضة تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات، وتحفظ اللثة من التقيح، وكذا فإنها تقى الأسنان وتنظفها بإزالة الفضلات الغذائية، التى تبقى بعد الطعام فى ثناياها

وفائدة أخرى هامة جدًا للمضمضة: إنها تقوى بعض عضلات الوجه، وتحفظ للوجه نضارته واستدارته، وهو تمرين هام يعرفه المتخصصون فى التربية الرياضية.
وهذا التمرين يفيد فى إضفاء الهدوء النفسى على المرء، لو أتقن تحريك عضلاته فمه، أثناء المضمضة.

٢ - **غسل الأنف (الاستنشاق)** أظهر بحث علمى حديث أجراه فريق من أطباء جامعة الإسكندرية: أن أغلبية الذين يتوضؤون باستمرار، قد طهرت أنوفهم من الجراثيم والميكروبات، ومن المعروف أن التجويف الأنفى من الأماكن التى يتكاثر فيها العديد من الجراثيم والميكروبات، ولكن مع استمرار غسل الأنف والاستنشاق، يطرد الماء الجراثيم، فيصبح التجويف نظيفًا خاليًا من الالتهابات والجراثيم، مما ينعكس على الحالة الصحية للجسم كله، حيث تحمى هذ العملية (الاستنشاق) من خطر انتقال الميكروب من الأنف إلى الأعضاء الأخرى من جسم الإنسان.

٣ - **غسل الوجه واليدين**: وغسلهما فائدة كبيرة جدًا فى إزالة الأتربة والميكروبات فضلاً عن إزالة العرق من على سطح الجلد، كما أن الوضوء ينظف الجلد من المواد الدهنية، التى تفرزها الغدد الجلدية، وهذه المواد تكون ملائمة لأنَ يسكن فيها أو تعيش فيها الميكروبات والجراثيم

٤ - **غسل القدمين**: مع التدليك الجيد، فإنه يؤدى إلى الشعور بالهدوء والسكينة، لما فى الإقدام من معكسات لأجهزة الجسم كله.

وهناك أسرار أخرى فقد ثبت بالبحث العلمى أن الدورة الدموية فى الأطرف العلوية من اليد والساعدين، والأطراف السفلية من القدمين والساقين، أضعف منها فى الأعضاء الأخرى لبعدها عن المركز المنصم للدورة الدموية وهو القلب، لذلك فإن غسل هذه الأعضاء وتدليكها بعناية يقوى لدورة الدموية مما يزيد من نشاط الجسم وحيويته.

وقد ثبت أيضًا أن لأشعة الشمس تأثيرًا ضارًا بالجلد، خاصة الأشعة فوق البنفسجية فى إحداث سرطان الجلد، وهذا التأثير ينحسر جدًا مع توالى الوضوء والمحافظة عليه، لما يحدثه الوضوء من ترطيب دائم للبشرة من خلال استعمال الماء، خصوصًا الأعضاء المعرضة للأشعة، مما يتيح لخلايا الطبقات السطحية والداخلية للجلد أن تحمى من الآثار الضارة للأشعة

ورغم هذه الفضائل، وتلك المميزات العظيمة، إلا أننا نشاهد بعض الناس لا يهتمون بالوضوء، بل ربما لا يحسنونه، لذلك ينبغى على كل مسلم أن يتعلم كيف يتوضأ وضوءًا صحيحًا، ولا عيب ولا ضير فى التعلم ليصل المسلم إلى رضوان ربه، كما بينت أحاديث سيد الأولين والآخرين ﷺ

أحبتى فى الله:

*** كيف يتوضأ المسلم؟**

تأمل هذا الحديث الجامع لبيان كيفية الوضوء، فعن حمران بن أبان، قال: رأيت

عثمان بن عفان ﷺ توضأ، فأفرغ على يديه ثلاثًا فغسلهما ثم تمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل يديه اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم اليسرى مثل ذلك، ثم مسح برأسه، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثًا ثم اليسرى مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا، ثم قال: «**من توضأ نحو وضوئى هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء، إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»(١)

١ - النية قبله: فينوى الوضوء لاستباحة الصلاة، أو ينوى رفع الحدث الأصغر، لقوله ﷺ «**إنما الأعمال بالنيات...**»(٢) بخلاف غسل أعضاء الوضوء لأجل إزالة الغبار، أو الوسخ، أو التبرد من شدة الحر، ونحوه.

٢ - التسمية: قال ﷺ: «**لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»(٣) والصحيح من أقوال أهل العلم أنها مستحبة وهو رأى الجمهور والنفي محمول على أنه لا وضوء كامل والأفضل والأكمل ذكر التسمية، لأن من ذكر الله تعالى على وضوئه ليس كمن لم يذكر، أما إذا كان يتوضأ فى حمام ونحوه، فيسمى بقلبه، لحديث: «**من ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى**»(٤)

٣ - غسل اليدين ثلاثًا وهذا مستحب، إلا أن يكون قائمًا من النوم، فيكون غسل اليدين واجبًا، لحديث النبى ﷺ: الذى يقول فيه: «**إذا استيقظ أحدكم من النوم فليغسل يديه ثلاثًا، فإنه لا يدرى أين باتت**»

٤ - المضمضة والاستنشاق: لقوله ﷺ «**بالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائمًا**» فتدخل الماء فى فمك ثم تحركه ثم تمجه وتفعله ثلاثًا لحديث:

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وذكره الألبانى فى صحيح الجامع (٦١٧٦)

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢ ٣).

(٤) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده (٨٢٩٦) بإسناد صحيح.

«**فمضمض واستنشق ثلاثًا بثلاث**» وهما سنة فى أصح الأقوال عند أهل العلم، والحكمة فى تقديم المضمضة والاستنشاق أن المتوضأ إذا تمضمض، أدرك الضرر، إذا كان فى الماء ضرر، كمن يتوضأ مثلاً فى ظلام الليل، أو فى مكان مظلم فيدرك الضرر قبل أن يصل إلى وجهه.

٥ - غسل الوجه: لقوله تعالى ﴿**فاغسلوا وجوهكم..**﴾ وفعله ثلاث مرات سنة. وهو من فرائض الوضوء على الراجح

٦ - غسل اليدين إلى المرفقين ثلاثًا لقوله تعالى: ﴿ .. **وأيديكم إلى المرافق..** ﴾.

٧ - مسح الرأس: وهو فرض على الراجح ويكون المسح مرة واحدة من مقدمة الرأس إل القفا. ثم العودة مرة أخرى إلى الناصية، كما ورد عنه ﷺ: «ثم مسح رأسه، فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة» أما المرأة فالسنة أن تمسح مرة واحدة إقبالاً بلا إدبار.

٨ - غسل الرجلين إلى الكعبين ثلاث مرات، ويدخل فى ذلك الكعبان، وغسل الرجلين فرض من فرائض الوضوء.

٩ - الترتيب: لأن الله تعالى قد ذكر الفرائض فى آية الوضوء مرتبة، فابدءوا بما بدأ الله به. وهو سنة عند بعضهم، وفرض عند الشافعية وغيرهم.

١ - استعمال السواك: وهو من سنن الوضوء، لقول النبى ﷺ «**لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء**»[(١)]

*** هل هناك أذكار بعد الوضوء قد وردت عن أستاذنا ومعلمنا ﷺ ؟**

نعم، قد ورد عن الحبيب المصطفى ﷺ بعد الوضوء، ولم يرد أثناء الوضوء شىء لا عنه، ولا عن صحابته رضوان الله عليهم.

---

(١) صحيح: رواه البخارى في الجمعة، (باب السواك يوم الجمعة) (٢/٣١١، ٣١٢)، ومسلم في الطهارة (باب السواك) رقم (٢٥٢).

ومما جاء في ذلك قوله ﷺ «**من توضأ، فأحسن الوضـوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شـريك له، وأشهـد أن محـمدًا عبـده ورسوله اللهم اجـعلني من التـوابين، واجعلـني من المتطهريـن، فتـحت له أبواب الجنة الثـمانيـة، يدخل من أيهـا شاء**»[١] أو تقول:

ما ورد في قوله ﷺ: «**من توضأ، فقـال بعد فراغه من وضوئه: سـبحانك اللهم وبحمـدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستـغفرك وأتوب إليك، كـتب في رق، ثم جُعل في طابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة**»[٢]

اللهم اجعلـنا من عبادك التـوابين، واجعلنا من المتطهـرين. اللهم بارك لنا في أموالنا، وبارك لنا في أنفـسنا وفي أولادنا وبناتنا وزوجاتنا اللهم إنا نسألك الـعفو والعافـية في الدين والدنيـا، ونسألك النعـيم في الجنة مع حبـيبنا ﷺ في الفردوس الأعلى. إنك ولي ذلك والقـادر عليه. وصلِّ اللهم وسلم وبارك عليـه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٧).

(٢) **صحيح**: رواه النسائي والحاكم وصححه الألبني في صحيح الجامع (٦١٧).

الوصية رقم (٢١)
خير أعمالكم الصلاة

عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال. «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

هذه الوصية المباركة تشتمل على أشياء عظيمة وهى

أولاً: الأمر بالاستقامة..

ثانيا: الوصية بالصلاة والمحافظة عليها..

ثالثًا: أن الوضوء سلاح المؤمن..

فهيا بنا لنعيش مع بنود هذه الوصية المباركة، التى فيها طريق للوصول إلى السعادة فى الدنيا والآخرة

أول هذه البنود العظيمة (الاستقامة) فما هى الاستقامة؟

الاستقامة هى لزوم المؤمن للطريق المستقيم. استمراره على الطريق الواضح، إن المؤمن عرف الحق، واستبان له الرشد والهدى، وميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال. عرف الطريق الموصل إلى الله عز وجل وإلى جنته ومغفرته ورضوانه، فلما عرف الحق، واستبان له الهدى استقام عليه ولازمه ملازمة دائمة، وهذا دليل على رسوخ الإيمان فى قلبه، أما المتذبذب الذى يستقيم يومًا وينحرف يومًا، ويصلح

(١) **صحيح**: رواه أحمد ومالك وابن ماجه والدارمى والحاكم وقال: صحيح على شرطهما وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٩٥٢)-وصحيح الترغيب (١٩٧).

يومًا، ويفسد يومًا، فهذا دليل على أن الإيمان غير ثابت فى قلبه. ولذلك جاء رجل إلى الحبيب المصطفى ﷺ يسأل استاذ البشرية ومعلم الإنسانية ﷺ فقال له: يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً، لا أسأل عنه أحدًا بعدك، فقال له ﷺ: **«قل آمنت بالله، ثم استقم»**

وفى رواية للترمذى: قلت: يا رسول الله، حدثنى بأمر أعتصم به، فقال له: **«قل ربى الله، ثم استقم»**

لقد سأله الصحابى عن وصية شاملة، يتخذها دستورًا لحياته، ويلتزم بها فى منهجه للعلاقة بينه وبين ربه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين الناس لأجل أنه أوتى جوامع الكلم لخص المنهج كله فى كلمات موجزة، فقال له هذه الكلمة، وأوصاه بهذه الوصية

الاستقامة هى المحافظة على الطاعات، والابتعاد عن المحرمات.

الاستقامة هى عبادة الله بما شرع الله، وبما شرع رسول الله.

الاستقامة تعنى التمسك بسنة الحبيب محمد ﷺ واتباعه.

الاستقامة هى بدؤها ومنتهاها تحقق التوحيد لرب العالمين.

روى ابن جرير فى تفسيره عن سعيد بن عمران قال: قرأت عند أبى بكر الصديق رضى الله عنه هذه الآية ﴿**إِنَّ الَّذين قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا..**﴾ [فصلت: ٣] قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا

ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال: قال أبو بكر رضي الله عنه فى هذه الآية ﴿**إِنَّ الَّذين قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُم اسْتَقَامُوا..**﴾ فلم يلتفتوا إلى إله غيره، وقال ابن عباس استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله

قال أبو العالية: ثم استقاموا أى أخلصوا له الدين والعمل. فالاستقامة نهاية الغايات، وأعظم الوصايا، وأجل العطايا، ولذلك كان الحسن البصرى - رحمه الله تعالى - يقول فى دعائه: «اللهم أنت ربنا، فارزقنا الاستقامة»

وقد أمر الله عز وجل أحب الخلق إليه، وأعظمهم منزلة عنـده بالاستقامة، فقال سبـحانه: ﴿**فاستقم كما أُمرت ومن تاب معك..**﴾ [هود: ١١٢]. وقال له: ﴿**واسْتَقم كما أُمرت ولا تَتَّبعْ أَهْواءهُم وَقُل آمنت بما أَنزل اللَّهُ من كتاب وَأُمِرْتُ لأَعْدل بَيْنَكُمُ..**﴾ [الشورى: ١٥]

لكن ما هو جزاء الاستقامة؟ وما هو ثواب الذين استقاموا؟

لقد جعل الله عز وجل ثواب الاستقـامة أعظم الثواب فى الدنيا، وفى الآخرة. الاستـقامة هى سبـيل النجاح، وسبيل الفـلاح فى الحياتين الفـانية والباقيـة، أما فى الدنيا، فكانت الإشارة بقوله تعالى ﴿**وأَن لَّوِ استقاموا عَلَى الطَّرِيقة لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا..**﴾ [الجن:١٦]

أى لوسـعنا أرزاقهـم وأكلوا من فوقـهم ومن تحت أرجلهم، كـمـا قال مـولانا سـبحـانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهلَ الْقُرىٰ آمَنُوا واتَّقَوا لفتحنا عَلَيْهِم بركَات من السماء والأَرْضِ..**﴾ [الأعراف: ٩٦]

الاستـقامـة على أمـر الله عز وجل وشكر نعـمتـه، سبـيل إلى حفظهـا، وإلى الاستزادة منها، فإن الله يقول: ﴿**لَئن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ..**﴾ [إبراهيم: ٧]

إن الله عـز وجل حينمـا أهبط آدم عليـه السلام إلـى الأرض علمه هذا المبـدأ، وأوصاه أن يضعـه نصب عينيه، وجعله قـانونًا له. فقال له ﴿**اهْبطَا منْهَا جميعًا بعْضكُمْ لبَعْضٍ عدوٌّ فإمَّا يَأْتينَّكُم مّنّي هُدى فَمن اتَّبع هداي فلا يضلُّ ولا يشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ومنْ أَعْرَض عَن ذكْري فإنَّ لهُ معيشَةً ضنكًا ونحشرُهُ يوم الْقيامة أعمىٰ ﴿١٢٤﴾ قَال ربِّ لم حشرْتَني أَعْمىٰ وقَدْ كُنت بصيرًا ﴿١٢٥﴾ قَال كذلك أَتَتْكَ آيَاتنا فَنَسيتها وكَذلك الْيَوْمَ تُنسىٰ..**﴾ [طه: ٢٣ - ٢٦]

الاستقامة سبيل السعادة. وسـبيل الفلاح للفرد، وللأسرة. وللمجتمع كله إذا قال الفرد. (ربى الله) ثم استـقام على منهج الله وشرعه، وثبت عليه فهـو سعيد، وإن شقى الناس، مـفلح وإن خاب الناس، هادئ رزين وإن اضطرب الناس. آمن وإن خاف الناس ﴿**فَمن يُؤمن بربِّه فَلا يخاف بخْسا ولا رهقا..**﴾ [الجن: ١٣]،

وقال: ﴿ومن يعمل من الصَّالحَات وهُو مؤْمنٌ فلا يخَاف ظُلْمًا وَلا هضْمًا..﴾ [طه: ١١٢]

إذن السعادة في الإيمان، وفي الاستقامة. السعادة ى اتباع منهج الله. واتباع منهج رسول الله ﷺ والسعادة والشقاء بيد من؟ ليستا بيد أحد إلا الله عز وجل.

ولذلك عدما أغضب عمر بن الخطاب ﷺ إحدى زوجاته، وقال ذات مرة: لأشقينك يا أم كلثوم. إنها بنت على بن أبى طالب ﷺ وكانت زوجة لعمر، فقالت له: لا تستطيع يا أمين المؤمنين أن تشقينى، لأن سعادتى فى إيمانى، وإيمانى فى قلبى، وقلبى لا سلطان لأحد عليه غير ربى هذا فى الدنيا.

أما فى الآخرة فمتاع كبير جنات عرضها السموات والأرض، وملائكة تتنزل ببشارات. ﴿إنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ استقاموا تتنزَّلُ عَلَيْهمُ الْملائكَةُ أَلاَّ تخَافُوا وَلا تحْزَنُوا وَأَبْشرُوا بالْجَنَّة الَّتي كُنتُمْ توعدُون ﴿٣٠﴾ نحنُ أَوْلَيَاؤُكُمْ فِي الْحيَاة الدُّنْيَا وَفي الآخرَة وَلَكُمْ فيهَا ما تشتهِي أَنفُسكُمْ وَلَكُم فيهَا ما تدَّعُون ﴿٣١﴾ نُزُلاً مّنْ غَفُورٍ رَّحيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ٣٢]

الله أكبر ما أجل هذا التكريم! وما أوسع هذا النعيم!

تتنزل عليهم الملائكة ساعة الاحتضار ساعة القدوم على دار غير الدار، وحياة غيرالحياة، فتبشرهم الملائكة فتقول لهم. لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمرالآخرة. ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل ومال، فإنا نخلفكم فيه، ثم أبشروا بالجنة التى فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ويقولون لهم: لقد كنّا أولياءكم فى الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله عز وجل. وكذلك سوف نكون معكم فى الآخرة، نؤنس منكم الوحشة فى قبوركم، وعند النفخة فى الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات نعيم لكم فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين.

* **البند الثانى واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة..**

الصلاة من خير الأعمال، وأعظمها ثوابًا عند الكبير المتعال. لماذا؟

لأن الصلاة صلة بين العبد وربه. لأن الصلاة عماد الدين. وعصام اليقين. ورأس القربات. وغرة الطاعات. عمر الله بأنوارها قلوب العباد. بفتح الباب. ورفع الحجاب. ورخص للعباد فى المناجاة بالصلوات. كيفما تقلبت بهم الحالات فى الجماعات والخلوات.

الصلاة هى المعين الذى لا ينضب، والزاد الذى يزود القلب. إنها مفتاح الكنز ويغنى ويفيض إنها العبادة التى تفتح القلب، وتوثق الصلة. وتيسر الأمر وتشرق بالنور ولذلك لما قال الله تعالى فى مفتتح سورة المؤمنون: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنون ۝ الَّذين هم فى صلاتهم خاشعون..**﴾ [المؤمنون: ١، ٢]. ثم تابعت السورة صفاتهم جاء الختام بقوله ﴿**والَّذين هُم على صلَواتهمْ يحافظُون**﴾ [المؤمنون: ٩]

بدأت صفات المؤمنين بالصلاة، وختمت بالصلاة، لعظم مكانتها فى بناء صرح الإيمان، وبوصفها أكبر صورة من صور العبادات.

لذا قال خير البريات وسيد الكائنات ﷺ فى وصيتنا: «**واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة..**»

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: «**الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر، فليستكثر**»(١)

لأن بها تبدو قوة الإيمان فى شهود ملازمة خدمة الأركان، ومن كان أقواهم إيمانًا، كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتًا وإيقانًا»(٢)

خير الأعمال الصلاة. لأنها أول ما سوف يسأل عنه العبد يوم القيامة كما قال

---

(١) **حسن**: رواه أحمد فى مسنده وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى الأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٧٦٤)

(٢) فيض القدير للمناوى (٤/ ٢٤٧)

أستاذ البشرية ﷺ «**أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة: الصلاة، فإن صلحت، صلح سائر عمله، وإن فسدت، فسد سائر عمله**»(١)

الصلاة من خير الأعمال وأفضلها، لأنها كانت قرة عين النبى ﷺ **فقد كان يقول** عنها «**وجعلت قرة عينى فى الصلاة**»(٢)، لأنها باب الرحمة وطلب الهداية. هى اطمئنان لقلوب المذنبين والبؤساء. وهى معقل المسلم ومفزعه. ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**﴾ وعن حذيفة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر، صلى(٣)

ولأجل هذا كانت آخر وصية للأمة المحمدية من رسولها وحبيبها محمد ﷺ وهو يغرغر بنفسه، وهو على وشك أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى، وهو يقول: «**الصلاة... الصلاة... الصلاة وما ملكت أيمانكم**»(٤)

الصلاة هى أم العبادات. فهى العبادة الشاملة للقلب، والعقل واللسان هى علاج القلق، وعلاج الفزع والجزع هى حفظ من المعاصى والخطيئات ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاة طَرَفَيِ النَّهارِ وزُلَفًا من اللَّيْلِ إنَّ الْحسنات يُذْهبن السَّيِّئَات ذَلك ذكْرَىٰ للذَّاكرِينَ**﴾ [هود: ١١٤]

إذا ضاقت عليك نفسك يوما باحياة فما عدت تطيق آلامها وقسوتها. إذا تملكت الضجر واليأس. إذا أحسست بالحاجة إلى الشكوى، فلم تجد من تشكو إليه. فادخل فى الصلاة. ادخل لتناجى ربك ادخل لتشكو إليه افتح قلبك.

هنيئًا لك يا بن آدم. من مثلك، إذا أردت أن تدخل على سيدك، ومولاك فى أى وقت، دخلت. لا تجد من يحجبك. ولا تجد من يحول بينك وبينه إلا غرورك.

---

(١) صحيح. رواه الطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٧٦).

(٢) صحيح. رواه أحمد والنسائى والبيهقى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣١٢٤)

(٣) حسن. رواه أحمد فى مسنده وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣ ٤٧).

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن مجة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٧٨).

يقول الحسن: من أراد أن يكلم الله، فليدخل فى الصلاة، ومن أراد أن يكلمه الله، فليقرأ القرآن.

إذا أحسست أن الألم يكاد يتفجر فى صدرك. وتجمدت العبرات فى عينيك. إذا ألمت بذنب فى غفلة من أمرك، فأفقت على لدغات ضميرك تؤرقك ففافزع إلى الصلاة. إذا أردت شيئًا من مولاك، فلديك صلاة الحاجة.

إذا أقبلت على عمل أيًا كان فى حياتك، فعليك بصلاة الاستخارة.

إذا اجتمعت الأمة على الفرح والسرور. كانت صلاة العيد.

إذا توفى المسلم، فصلاة الجنازة.

إذا أجدبت الأرض، واكفهرت السماء، فعليك بصلاة تسمى صلاة الاستسقاء.

إذا حلت بالكون كارثة، فكسفت الشمس، أو خسف القمر، فهناك صلاة الكسوف أو الخسوف.

فى كل حالة من أحوال حياتك. لا يتصور إنسان بغير صلة بالله عز وجل لذلك لم تسقط الصلاة عنك فى أى حالة. إذا كنت فى حالة المرض فالمريض يؤدى الصلاة. فقد قال ﷺ لعمران بن حصين رضي الله عنه **«صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب»**[1]

أحبتى فى الله.

والصلاة راحة للبال، واطمئنان للقلوب، وتقرب إلى علام الغيوب ولذلك قال النبى المحبوب ﷺ قال لبلال بن رباح رضي الله عنه **«أرحنا بها يا بلال»**[2] صلوات ربى وسلامه عليك يا طبيب القلوب إنها وجبة روحية. تروح ظمأ الروح، وتشبع أشواق النفس.

---

(١) رواه البخارى وأحمد وأبو داود والنسائى والبيهقى والترمذى.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع **(٧٨٩٢)**.

وهذا هو الإمام ابن القيم رحمه الله يقول عن الصلاة وفوائدها:

والصلاة شارحة للصدر، معـ ... ح منورة للقلب. حافظة للنعمة دافعة للنقمة. جالبة للبركة. مبعدة من الشيطان. مقربة من الرحمن.

فحافظ عليها، تكن لك نوراً وبرهاناً، ونجاة يوم القيامة، وإلا كنت من الهالكين، قال سيد الأولين والآخرين ﷺ «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها، لم تكن له نوراً، ولا برهانًا، ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون وهامان، وأُبي بن خلف**»[١]

ورحم الله الإمام ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث، فقال:

إنَّ فيه معجزة نبوية، ونكتة بلاغية. فتارك الصلاة، إما أن يشغله ماله، أو ملكه، أو رياسته، أو تجارته، فمن شغله عنها ماله، فهو مع قارون، وقد خسف الله به وبداره الأرض، ومن شغله عنها ملكه، فهو مع فرعون، وقد أخذه الله نكال الآخرة والأولى، ومن شغله عنها رياسته فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبي بن خلف »

* **البند الثالث: [ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن]**

لماذا؟ لأن الوضوء سلاح المؤمن. ألم يقل رسول الله ﷺ: «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[٢]

ألم يقل: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**»

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**»[٣]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (٦٢٨٨) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٨).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

فمحو الخطايا كناية عن غفرانها، ويحتمل محوها من كتاب الحفظة، ويكون ذلك دليلاً على غفرانها، ثم رفع درجات العبد، ى علاء منزلته فى الجنة.

وقال صلوات ربى وسلامه عليه: «**ما من مسلم يتوضأ، فيحسن وضوءه، ثم يقوم، فيصلى ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه. إلا وجبت له الجنة**»(١) وقال: «**من توضأ، فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين، لا يسهو فيهما، غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»(٢)

وقد جعل رسول الله ﷺ الوضوء طهور، وعتبره شطر الإيمان، فقال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك...**»(٣)

فما معنى شطر الإيمان؟ أصل الشطر النصف

قال الإمام النووى - رحمه الله -: معناه أن الأجر فيه ينتهى إلى نصف أجر الإيمان، وقيل: معناه: أن الإيمان يجبُّ ما قبله من الخطايا، وكذلك الوضوء، لأن الوضوء لا يصح إلا مع الإيمان، فصار لتوقفه على الإيمان فى معنى الشطر.

وقيل: المراد بالإيمان هنا: الصلاة، كما قال الله تعالى ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ..**﴾ [البقرة:١٤٣] أى صلاتكم، والطهارة شرط لصحة الصلاة، فصارت كالشطر، وليس يلزم فى الشطر أن يكون نصفًا حقيقيًا وهذا القول أقرب الأقوال.

وكذلك فإنَّ الوضوء شرط فى صحة الصلاة لقوله ﷺ: «**لا تقبل صلاة بغير طهور..**»(٤) وقال: «**لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**»(٥)

---

(١) **صحيح**. رواه مسلم.
(٢) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع.
(٣) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد.
(٤) **صحيح**. رواه مسلم.
(٥) **صحيح**: رواه مسلم.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعلنا من عباده التوابين ومن عباده المتطهرين. اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وألسنتنا من الكذب، وقلوبنا من الرياء. اللهمَّ اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين.

الوصية رقم (٢٢)
عليك بألصوم فإنه لا عدل له

عن أبى أمامة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، مرنى بعمل، قال: **«عليك بالصوم، فإنه لا عدل له»**.

قلت: يا رسول الله، مرنى بعمل.

قال: **«عليك بالصوم، فإنه لا عدل له»**[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كونوا منفذين لهذه الوصية العظيمة المباركة فهى وصية عظيمة مباركة تنفع صاحبها فى دنياه، وفى أخراه. وقد ورد نصًّا لهذه الوصية عند الحاكم فى مستدركه وصححه، وفى رواية عند النسائى أن هذا الصحابى الجليل أبا أمامة ﷺ سأل الحبيب ﷺ، قائلاً له: يا رسول الله، مرنى بعمل ينفعنى الله عز وجل به، فدله رسول الله ﷺ على أعظم الأعمال النافعة قائلاً له: **«عليك بالصيام، فإنه لا مثل له»**[٢]

حقًّا إن الصيام عبادة من أعظم العبادات، ولقد صدق أستاذ البشرية وفقيه الإنسانية حين قال: **«فإنه لا عدل له»** أتدرون لماذا؟

لأن الله عز وجل لم يضف عبادة من العبادات، ولا عمل من الأعمال، ولا قربة من القربات إلى نفسه إلا عبادة الصوم. وإن كانت كل العبادات، والقربات والأعمال له وحده سبحانه ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب**

---

(١) صحيح رواه ابن حبان فى صحيحه وأحمد والنسائى والطبرانى وغيرهم.

(٢) صحيح رواه النسائى وابن خزيمة فى صحيحه وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب.

الْعَالَمِين ﴿١٦٢﴾ لا شرِيك لَهُ وبذلك أُمرت وأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلمينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] أضافه إلى نفسه، فقال. «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لى، وأنا أجزى به، الصيام جنة، والذى نفسى بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه، فرح بصومه**»(١)

فالأعمال كلها قد كشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة، إلى ما شاء الله، إلا الصيام، فإن الله عز وجل يثيب عليه بغير تقدير ويشهد لهذا رواية الترمذى: «**إن ربكم يقول: كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والصوم لى، وأنا أجزى به..**»(٢)

وفى رواية لمسلم: «**كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لى، وأنا أجزى به، يدع شهوته، وطعامه من أجلى...**»(٣)

قال الإمام المناوى فى فيض القدير

قوله: (**وأنا أجزى به**) إشارة إلى عظم الجزاء عليه، وكثرة الثواب، لأن الكريم إذا أخبر بأنه يعطى العطاء بلا واسطة، اقتضى سرعة العطاء وشرفه(٤)

وقال الإمام ابن رجب الحنبلى فى لطائفه:

يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه فى هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم والترمذى واللفظ له

(٣) رواه مسلم

(٤) فيض القدير للمناوى (٤/ ٣٣)

فإن الصيام من الصبر، وقد قال الله عز وجل ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الزمر: ١] ولهذا ورد عن النبى ﷺ أنه سمى رمضان بشهر الصبر، وقال: «**الصوم نصف الصبر**».

والصبر على أنواع ثلاثة:

صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على الأقدار المؤلمة وتجتمع الثلاثة فى الصوم، فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبر عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه، كما قال الله عز وجل: ﴿ **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾[1] [التوبة: ١٢]

أحبتى فى الله.

أعلمتم كيف كان الصيام لا مثيل له فى الخير والثواب، والفضل من رب الأرباب وخالق الناس من تراب؟

أليس الصوم امتناعًا عن الطعام والشراب والشهوة؟ والاستغناء عن الطعام والشراب وغيره من الشهوات من صفات رب الأرض والسموات؟ فإذا تقرب العبد إلى ربه ومولاه بما يوافق صفاته، أضافه إليه.

قال الإمام القرطبى رحمه الله -: إنَّ أعمال العباد كلها مناسبة لأحوالهم إلا الصيام، فإنه مناسب لصفة من صفات الحق، وكأنه يقول إنَّ الصائم يتقرب إلى بأمر هو متعلق بصفة من صفاتى[2]

نعم الصيام لا مثيل له. أليس من الممكن وأنت صائم أن تختفى عن أعين

---

(١) الطائف المعارف لابن رجب الحنبلى.

(٢) فتح البارى لابن حجر العسقلانى (٤/ ١٣).

الناس، فتتناول طعامًا وشرابًا، وتفعل ما تشاء، ومع هذا كله لا يعلم بك أحد من الناس، ولا تطلع عليك عين من عيون الخلق، إذا سألت نفسك ما الذى يمنعك؟ وما الذى يردك؟

الجواب: لأنك تعلم أن ربك يراك، ويطلع عليك، ويعلم ما تخفى وما تعلن.

وهذا يعتبر أعظم زاد لروح العبد المسلم الذى يمارس عبادة الصيام، لأن الصوم سر بينك وبين ربك، ولولا أن العبد استشعر رقابته، لما صبر عن هذه الشهوات.

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل: على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

المسلم وهو صائم يريد أن يصلى فيتوضأ، أثناء وضوئه يحرص كل الحرص أن لا يصل إلى حلقه قطرة ماء؟ لماذا كل هذا الحرص مع أنه لا يطلع عليك أحد من الناس؟ إنه لا يعلم بك أحد؟ فمن علمك هذا الأدب؟ ومن علمك هذا الحرص العجيب؟ إنها رقابة الله عز وجل، لأنك على يقين أنه يرى قطرة الماء لو سالت إلى حلقك.

أحبتى فى الله.

والصوم فيه تكفير للخطيئات، ومحو لما عساك أن ترتكبه من السيئات. قال سيد الكائنات، وحبيب رب الأرض والسموات: «**فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه، وولده وجاره، يكفرها الصيام، والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**»[١]

الصوم حصن للعبد من نار جهنم، ومن عذاب الله، فليس للنار عليه سبيل، كما لا سبيل لها على مواضع الوضوء، لأن الصوم يغمر البدن كله، فهو جنة لجميعه

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

برحمة الله من النار، قال النبى المختار ﷺ «**قال الله تعالى: الصيام جنة يستجن بها العبد من النار، وهو لى، وأنا أجزى به**»[١] وقال: «**الصيام جنة، وهو حصن من حصون المؤمن، وكل عمل لصاحبه إلا الصيام، يقول الله: الصيام لى، وأنا أجزى به**»[٢]

الصوم لا عدل له. لا مثيل له. لأنه يباعد بينك وبين النار يوم القيامة. قال أستاذ البشرية ﷺ: «**ما من عبد يصوم يومًا فى سبيل الله** - أى طاعة الله - **إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»[٣] وقال: «**من صام يومًا فى سبيل الله، باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام**»[٤] وقال أعظم الخلق ﷺ: «**من صام يومًا فى سبيل الله، جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض**»[٥]

أيها الأحبة فى الله

الصيام شعار الأبرار، قال النبى المختار ﷺ «**جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل، ويصومون النهار، ليسوا بأئمة ولا فجار**»[٦]

الصيام يشفع لصاحبه يوم القيامة مع القرآن، كما قال رسول الله ﷺ: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أى ربِّ إنى منعته الطعام والشهوة، فشفعنى فيه، ويقول القرآن: ربِّ منعته النوم بالليل، فشفعنى فيه، قال: فيشفعان**»[٧]

الصيام حصن منيع، يحصن الإنسان من الشيطان وخطواته، ويمنع صاحبه من

---

(١) **حسن**: رواه أحمد والبيهقى فى شعب الإيمان عن جابر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨ ٤٣).

(٢) **حسن**: رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٨١).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أبى سعيد.

(٤) **حسن**: رواه النسائى عن عقبة بن عامر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٣).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى عن أبى أمامة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٣٣).

(٦) **صحيح**: صحيح الجامع برقم (٩٧ ٣) والصحيحة (١٨١)

(٧) **صحيح**: رواه أحمد والطبرانى والحاكم وصححه الألبانى

أن ينزلق فى الأقذار والأرجاس، قال ﷺ «**إنَّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مسالكه بالجوع**».

الصوم سبيل إلى الجنات، قال ﷺ يومًا لأصحابه الكرام: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» فقال أبو بكر أنا يا رسول الله.

فقال: «**من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر أنا يا رسول الله.

قال «**من تبع منكم اليوم جنازة؟**».

قال أبو بكر أنا يا رسول الله.

قال. «**من عاد منكم اليوم مريضًا**»؟

قال أبو بكر أنا يا رسول الله

فقال ﷺ «**ما اجتمعت هذه الخصال قط فى رجل إلا دخل الجنة**»[١] وقال ﷺ «**إنَّ فى الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام**»[٢]

وكلنا يحن إلى غرف الجنات، وحورها ونعيمها

فحى على جنات عدن
فإنها منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم

أحبتى فى الله.

يبقى لنا بعد أن عرفنا أنَّ الصيام لا مثيل له فى عظم ثوابه للعبد، ورضا ربه

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**. رواه البيهقى فى الشعب وابن حبان وصححه الألبانى فى المشكاة (١٢٣٢) وفى صحيح الترغيب برقم (٦١٨)

عنه، بقى لنا أن نتأمل فى فوائد الصيام الصحية بالنسبة لنا فى هذه الحياة التى نعيش فيها؟

إن الإنسان ليس وحده الذى يصوم، بل إنك إذا تأملت فى مخلوقات الله عز وجل من حولك نجد أن العلماء قد لاحظوا أن كثيراً من الكائنات الحية تمر بفترة صوم اختيارية، بالرغم من توافر الغذاء حولها، فمثلاً الطيور منها ما يكمن فى عشه ويمتنع عن الطعام فى مواسم معينة فى كل عام، وبعض الأسماك يدفن نفسه فى قاع المحيطات أو الأنهار لفترة معينة بدون طعام فمن الذى علمهم ذلك؟ إنه الله الذى خلقهم فسواهم.

إنَّ الصوم وقاية من كثير من الأمراض.

الصوم طبيب لتخسيس السمنة مجانًا، ذهب أحد المسلمين إلى لندن ليجرى له الأطباء عملية جراحية، فقال له الطبيب المداوى: أنا لا أستطيع أن أجرى لك العملية ووزنك هكذا ثقيل. لابد من تخفيف وزنك. وكتب له نظامًا فى الطعام والشراب.

قال الأخ المسلم: وكنا على أبواب رمضان، فصمت شهر رمضان، ثم بعد ذلك ذهبت إلى الطبيب، فلما رآنى، ورأى وزنى أعجب بى، وقال. إلى أى طبيب من الأطباء ذهبت بعدى حتى قل وزنك، وتحسن حالك؟ فقال له المريض المسلم: ذهبت إلى طبيب أعرفه. قال الطبيب الإنجليزى: فما عنوانه؟ قال المسلم: عنوانه فى سورة البقرة فى القرآن الكريم.

قال الطبيب: ما هذا الكلام؟ قال له: صدقنى إننى أكلمك حقًا وصدقًا عندنا فى الإسلام شهر يسمى شهر (رمضان) نصومه، فصمت فكان هذا أثره. فقال الطبيب: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حقًا وصدقًا

الصوم يعالج كثيرًا من المشكلات الموجودة بالجهاز الهضمى، مثل: زيادة الحموضة والقولون العصبى، وعسر الهضم، وانتفاخات البطن، وذلك لأن امتناع

الشخص الصائم عن الأكل والشراب فترة الصوم، فإنه يعطى فرصة لعضلات وأغشية الجهاز الهضمى أن تتقوى ويزداد عملها وحيويتها.

الصيام يشفى من بعض أمراض الحساسية، لأن بعض أمراض الحساسية يزيد بتناول أنواع معينة من الأطعمة مثل السمك، والبيض، والموز والشيكولاتة. وغيرها، وأثناء الصيام يستريح الجسم من هذه الأطعمة وبالتالى يشعر مرضى الحساسية براحة كبيرة مع الصيام.

الصيام يخفف من أعراض فشل القلب، وذلك لأن الصيام يقلل من نسبة شرب السوائل، ويقلل من تناول الأغذية، فتذوب الدهون من الأوعية الدموية، التى تحسن من عمل القلب.

الصيام يجدد الشباب، ويزيد من حيوية الجسم، ويساعد على تجدد الخلايا فأثناء استهلاك الجسم للمواد المتراكمة، أثناء فترة الصيام، فإن من بين هذه المواد المتراكمة (الدهون) الملتصقة بجدار الأوعية الدموية، فيؤدى ذلك إلى إذابتها تمامًا، كما يذيب الماء الثلج، وبالتالى يحصل زيادة فى تدفق الدم خلال هذه الأوعية الدموية، وتزداد نسبة الأكسجين والغذاء الواصل إلى الخلايا عبر هذا الدم، وبالتالى تزداد حيوية، وعمل الخلايا، لذلك نرى أن النشخص الذى يحافظ على الصيام تقل إصابته بمرض تصلب الشرايين، وتتأخر عنده علامات الشيخوخة.

البول السكرى. الصيام طبيبه الأول قبل أن يخترع الأنسولين، ولا يزال طبيبًا للبول السكرى.

التهابات المفاصل المزمنة، والتى تصاب بها النساء بعد سن الأربعين، الصيام طبيبها ومعالجها

ذهب أحد رجال صحافتنا لزيارة ألمانيا، وجلس مع أحد الصحفيين الألمان وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث بينهما، وتطرق الحديث عن الإسلام، فقال الصحفى المسلم أو المتمسلم: إنَّ الذى أخرنا فى الشرق هو الإسلام، فلما سمعه الصحفى الألمانى هز رأسه عجبًا، ثم من دهشته قال له ماذا تقول يا أخى؟ قال له: أقول: إنَّ الذى أخرنا

فى الشرق هو الإسلام، ولم يجد الصحفى الألمانى ردًا على هذا الوقح إلا أن يقول له - وكان مسلمًا، يؤمن بالله ورسوله - هيا بنا لنزر أحد المستشفيات، فاصطحبه إلى غرفة العمليات الجراحية، فقال الألمانى للمصرى: اقرأ ما هو على هذه اللافتة، فقرأ عليها: **«ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»**(١)

من القائل؟ إنه محمد بن عبد الله. سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام.

ظلموا شريعتك التى نلنا بها
مجدًا وقالوا: عرجاء
لو أن إنسانًا تخير ملة
ما اختار دينك إلا الفقراء
المصلحون أصابع جمعت يدًا هى
أنت بل أنت اليد البيضاء
يا من له عز الشفاعة وحده
ماله شفعاء
عرش القيامة أنت تحت لوائه
والحوض أنت حياله السقَّاء

من القائل؟ إنه محمد بن عبد الله. قال الصحفى الألمانى للمصرى: أتعرف من هو محمد؟ فقال المصرى: إنه نبينا. فقال له الألمانى بمرارة مريرة: يؤسفنى أن يكون جسد الإسلام فى بلادكم، وروحه فى بلادنا

محمد بن عبد الله ﷺ الذى يوم أرسل رسالة إلى لمقوقس عظيم مصر قائلاً له: **(بسم الله الرحمن الرحيم.. من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم مصر**

---

(١) صحيح: صحيح سنن ابن ماجة (٣٣٤٩) الصحيحة (٢٢٦٥)

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإنما عليك إثم القبط)(١)

﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكتاب تعالوْا إِلَى كلمة سواءٍ بيْنَنَا وَبيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ به شَيْئًا وَلا يتَّخذ بعضُنَا بعضا أَرْبَابا من دُون اللَّه فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بأَنَّا مُسْلمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

واختار رسول الله ﷺ لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبى بلتعة، فلما دخل حاطب على المقوقس أكرم وفادته، وأكرم الكتاب، فجعله فى حُقٍّ من عاج، وختم عليه، ورفعه إلى جارية له، وأرسل هدايا للرسول الأعظم ﷺ أرسل إليه جاريتين هما: السيدة مارية، وأختها سيرين وأشياء أخرى، وفى بعض الروايات أنه أرسل إليه طبيبًا من عنده، فقبل رسول الله الهدايا جميعها عدا الطبيب فرده، وقال له:

«نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع».

فلما رجع الطبيب قال له المقوقس: إنك طبيب شؤم، فقال له: لقد بعثتنى إلى قوم جمعوا الطب كله فى كلمتين

اللهم عافنا فى أبداننا، وعافنا فى أسماعنا وعافنا فى أبصارنا. اللهم وفقنا لصالح الأعمال، ونجنا من جميع الأهوال، وأمنَّا من الفزع الأكبر يوم الرجف والزلزال.

اللهم ألهمنا القيام بحقك، وبارك لنا فى الحلال من رزقك، ولا تفضحنا بين خلقك يا خير من دعاه داع. يا قاضى الحاجات. ويا مجيب الدعوات هب لنا ما سألناه، وحقق رجاءنا فيما تمنيناه، يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ما فى ضمائر الصامتين، واغفر لنا برحمتك يارب العالمين.

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والبيهقى والترمذى.

الوصية رقم (٢٣)

* أيام العشر أكثروا فيها من العمل الصالح *

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «**ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه، من العمل فيهن، من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»(١)

صدق رسول الله ﷺ.

أحبتي في الله.

لقد يسر الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين سبل الخير والفلاح، وفتح لهم أبواب الرحمة، وأنعم عليهم بمواسم البر والخيرات، واكتساب الأجر والمثوبة، ورتب سبحانه برحمته وكرمه وجوده الأجر العظيم على العمل اليسير القليل، تكرمًا منه وفضلاً ومنّةً منه على عباده الموحدين، ليستدركوا ما فاتهم من الخيرات، ويكفروا ما صدر عنهم من معاصٍ وخطيئات.

ومن هذه المواسم العظام. من مواسم الغفران عشر ذي الحجة تلك الأيام المباركة، التي أقسم بها مولانا سبحانه في صدر سورة الفجر، فقال سبحانه: ﴿**وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ [الفجر: ١، ٢]

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: المراد بها عشر ذي الحجة، كما قاله ابن عباس وغيره كالإمام البخاري - رحمه الله -

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أيام، العمل الصالح فيهن، أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام العشر**».

قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (٥٤٤٦) بإسناد صحيح (٥/ ٦٧، ٦٨) والطبراني بإسناد جيد كما ذكره الألباني في صحيح الترغيب.

قال: «**ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا رجل خـرج بنفسه وماله، فلم يرجع بشئ من ذلك**»(١)

وقال تعالى: ﴿**ويذكُرُوا اسم اللَّه فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَات..**﴾ [الحج: ٢٨] قال ابن عباس: هى أيام العشر

وعن كعب قال: اختار الله الزمان، فأحب الزمان إلى الله الأشهر الحرم، وأحب الأشهر الحرم إلى الله، ذو الحجة، وأحب ذى الحجة إلى الله تعالى العشر الأول.

وقال مسروق فى قوله ﴿**وَلَيَالٍ عشْرٍ**﴾ [الفجر ٢] هى أفضل أيام السنة.

وهذه الأيام المباركـة يقول الإمام ابن رجب فى لـطائفه عن فضل العـشر ومن فضائله: أنه من جـملة الأربعين التى واعدها الله عز وجل لموسى عليـه السلام، قال الله تعالى: ﴿**واعدْنَا موسى ثَلاثين لَيْلَةً وَأَتْممْنَاهَا بعشْرٍ فَتَمَّ ميقَاتُ رَبِّه أَرْبَعين لَيْلَةً..**﴾ [الأعراف: ١٤٢]

ومن فضـائله: أنه خاتمة الأشـهر المعلومـات، أشهر الحج التى قـال الله فيـها: ﴿**الْحجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُوماتٌ..**﴾ [البقرة: ١٩٧] وهى شوال، وذو القعـدة، وعشر من ذى الحجة ومن فضائله أنه الأيام المعلومات التى شـرع الله ذكره فيها على ما رزق من بهيمة الأنعام، كما قال تعالى: ﴿**وَأَذّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِين من كُلِّ فَجٍ عميقٍ** ﴿٢٧﴾ **ليشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسمِ اللَّه فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَات عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم منْ بهِيمَةِ الأَنْعَام..**﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]

فجمـهور العلماء على أن هذه الأيام المعلومات هى عشـر ذى الحجة، لأجل هذا أوصانا النبى ﷺ أن نكثر فـيها من الأعمـال الصالحة فى الوصـية التى نعيش معـها بقوله: «**فأكثروا فيـهن من التهليـل والتحميد والتكبيـر**» ولذلك فإن سـعيد بن جـبير - رحـمـه الله تعـالـى - وهـو الذى روى حـديـث ابـن عـباس: «**ما من أيام**

---

(١) رواه البخارى والترمذى وابن ماجة.

العمل الصالح..» كان إذا دخلت العشر اجتهد اجتهادًا، حتى ما يكاد يقدر عليه[١]

وقال ابن حجر فى الفتح: والذى يظهر أن السبب فى امتياز عشر ذى الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهى: الصلاة والصيام، والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك فى غيره[٢]

فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**أفضل أيام الدنيا العشر**» - يعنى عشر ذى الحجة - قيل ولا مثلهن فى سبيل الله؟

قال: «**ولا مثلهن فى سبيل الله، إلا رجل عفر وجهه بالتراب**»[٣]

وتشرف هذه الأيام، وتعظم بخير يوم فى الدنيا، وهو يوم عرفة. يوم الحج الأكبر يوم مغفرة الذنوب. يوم العتق من النيران. ولو لم يكن فى عشر ذى الحجة إلا يوم عرفة، لكفاها ذلك فضلاً

وفى أيام العشر، يوم النحر، وهو أفضل أيام العام عند بعض العلماء قال ﷺ: «**أعظم الأيام عند الله، يوم النحر، ثم يوم القر**».

لكن ما هى الأعمال التى يستحب للمسلم أن يحرص عليها، ويكثر منها فى هذه الأيام؟

كل الأعمال الصالحة، التى تقرب إلى الله تعالى، كلها مفيدة للمسلم، لكن أفضل ما يفعله المسلم:

١ - أداء مناسك الحج والعمرة: فمن يسر الله له أداء الحج أو العمرة أو هما معًا على الوجه المطلوب، فجزاؤه الجنة، لقول النبى المصطفى ﷺ «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور، ليس له جزاء إلا الجنة**»[٤] والحج المبرور، هو الذى لم

(١) أخرجه الدارمى.

(٢) فتح البارى لابن حجر.

(٣) **صحيح**: رواه البزار وأبو يعلى.

(٤) رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن.

يخالطه إثم، كرياء أو سمعة، أو رفث، أو فسوق. الحج المبرور هو المحفوف بالأعمال الصالحات.

٢ - الصوم: ويدخل فى جنس الأعمال الصالحات، بل هو من أفضلها، لأن الله عز وجل قد أضافه إلى نفسه، لعظم شأنه، وعلو قدره، قال سبحانه فى الحديث القدسى الجليل: «**كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به**»(١)

وقد خص النبى ﷺ يوم عرفة بمزيد من الاهتمام والعناية، وبين للأمة فضل صيامه، فقال: «**صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله، والتى بعده**»(٢)

وعليه فيسن للمسلم أن يصوم تسع ذى الحجة، لأن النبى ﷺ كان يصومها، وحثنا على العمل الصالح فيها، والصوم من الأعمال الصالحة.

فعن بعض أزواج النبى ﷺ قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذى الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيام من كل شهر»(٣)

وقد ذهب إلى استحباب صيام هذه الأيام، الإمام النووى - رحمه الله -.

٣ - ومن الأعمال الصالحة (الصلاة): والمقصود المحافظة على الفرائض والنوافل فى جماعة. فالصلاة من أفضل القربات إلى رب الأرض والسموات، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**»(٤) وهذا عام فى كل وقت. قال الله فى الحديث القدسى الجليل «**وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أفضل مما افترضته عليه، ومازال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه**

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه أحمد وصححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٢٤٣٧).

(٤) رواه مسلم.

الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه»(١)

٤ - الصدقة: والإكثار منها فى هذه الأيام المباركات، فإن ثوابها يتضاعف وهى من جملة الأعمال الصالحة، وقد حث الله تعالى عليها، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال ﷺ «**ما نقصت صدقة من مال**»(٢)

٥ - التكبير والتهليل والتحميد، وسائر الذكر للوصية التى نعيش فى ظلالها «**فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**»(٣)

قال البخارى - رحمه الله -: «كان ابن عمر وأبو هريرة ؓ **يخرجان إلى** السوق فى أيام العشر يكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما»

وقال أيضا وكان عمر يكبر فى قبته بمنى، فيسمعه أهل المسجد، فيكبرون ويكبر أهل الأسواق، حتى ترتج منى تكبيرا

وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فرشه، وفى فسطاطه - أى خيمته - ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعا

والمستحب الجهر بالتكبير، لفعل عمر بن الخطاب ؓ وابنه عبد الله وأبى هريرة ؓ

لكن ما هى صيغة التكبير المسنونة؟

لم يصح عن النبى ﷺ حديث مرفوع فى صيغة التكبير، لكن ثبت عن ابن مسعود أنه كان يقول: «**الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد**»(٤)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) راجع تخريج الوصية.

(٤)**صحيح**: أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٢/ ١٦٨)

وكان ابن عباس يقول. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر وأجل، الله أكبر على ما هدانا»[١]

وكان سلمان يقول: كبروا، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيراً[٢]

وينبغي للمسلم أن يكون دائمًا لسانه رطبًا بذكر الله. وخاصة بعد الصلوات، فهو ـ أفضل الأعمال وأجلها عند الله عز وجل. قال ﷺ: «**ألا أدلكم على خير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟**».

قالو بلى يا رسول الله.

قال «**ذكر الله**»[٣]

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ما شيء أنجى من عذاب الله تعالى، من ذكر الله.

أحبتي في الله

والذكر يرتقي بك إلى أعالي الدرجات، ورضا رب الأرض والسموات، وهو من أنفع القربات لما جاء الفقراء إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور - أي أصحاب الأموال - يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول أموال يتصدقون بها، وليس لنا ما نتصدق به.

وفي رواية: ويعتقون ولا نعتق.

وفي رواية: ولهم فضل أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون فقال ﷺ: «**ألا أحدثكم بما إن أخذتم به، لحقتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم، وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه، إلا من عمل مثله؟ تسبحون، وتحمدون، وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين**»[٤]

---

(١) صحيح: أخرجه البيهقي (٣/ ٣١٥).
(٢) صحيح: المرجع السابق (٣/ ٣١٦)
(٣) صحيح: رواه أحمد والترمذي ومالك وابن ماجة وصححه الألباني في المشكاة (٢٢٦٩).
(٤) رواه مسلم وغيره.

وفى بعض الروايات: «**دبر كل صلاة**».

وعند مسلم قال ﷺ: «**من سبح فى دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، غفرت له خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر**»[١]

يقول ابن رجب الحنبلى - رحمه الله فى لطائفه

لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع فى نفوس المؤمنين حنينًا إلى مشاهدة بيته الحرام، وليس كل أحد قادر على مشاهدته فى كل عام، فرض على المستطيع الحج مرة واحدة فى العمر، وجعل موسم العشر مشتركًا بين السائرين والقاعدين، فمن عجز عن الحج فى عام، قدر فى العشر على عمل يعمله فى بيته، يكون أفضل من الجهاد، الذى هو أفضل من الحج

ليالى العشر أوقات الإجابة

فبادر رغبة تلحق ثوابه

ألا لا وقت للعمال فيه

ثواب الخير أقرب للإصابه

من أوقات الليالى العشر حقًا

فشمر واطلبن فيها الإنابه

أحبتى الكرام.

احذروا المعاصى، فإنها تحرم المغفرة فى مواسم الرحمة. المعاصى سبب البعد والطرد، كما أن الطاعات أسباب القرب والود.

طاعة الله خير ما لزم العبد

فكن طائعًا ولا تعصينه

---

(١) رواه مسلم والنسائى.

مـــا هلـك النفـــوس إلا المعـــاصى

فـــاجـتـنب مـــا نهـــاك لا تقـــربنه

إن شـــيـــئـًــا هـلاك نفـــسك فـــيـــه

ينبـــغى أن تـصـــون نفـــسك عنه

الغنيمة الغنيمة، بانتهاز الفرصة فى هذه الأيام العظيمة، فما منها عوض، المبادرة المبادرة بالعـمل قبل هجوم الأجل، قبل أن يـندم المفرط على ما فعل، قـبل أن يسأل الرجعة ليعمل صالحًا فـلا يجاب إلى ما سأل، قبل أن يحول الموت بين المؤمل وبلوغ الأمل، قبل أن يصير المرء مرتهنا فى حفرته بما قدم من عمل.

اللهم جمِّل بواطنـنا بالإخلاص لك، وحسن أعـمالنا باتباع رسـولك، والتأدب بآدابه. اللهـمَّ أيقظنا من الغـفـلات ونجنا من الـدركـات، وكـفـر عنا الذنوب والسيئات.

اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبـد، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى. فارحم ضـعفنا، وبارك فى أرزاقنا واغفـر ذنوبنا، وأدخلنا الجنة بسلام يا رب العالمين.

الوصية رقم (٢٤)

فضل يوم عرفة

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صام يوم عرفة، غُفر له سنة أمامه، وسنة خلفه**»(١)

صدق رسول الله ﷺ.

أحبتى فى الله.

لقد جعل الله تعالى لبعض الشهور فضلاً على بعض، كما جعل لبعض الأيام والليالى فضلاً على بعض، وفضل بعض الأيام على بعض، وجعل هذه الأيام، وتلك الليالى المفضلة مواسم للخيرات، وفعل الطاعات والسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار، وما فيها من اللفحات، قال سيد الكائنات ﷺ: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم، فإنَّ لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده...**».

ومن هذه الأيام التى منحها الله عز وجل خيره وفضله، وجعل فيها نفحات عظيمات (يوم عرفة) جعل فيه لعباده المؤمنين موسمًا للخيرات وزمنًا للطاعات، تزداد فيه الحسنات، وتكفر فيه السيئات.

وقد أوصانا رسولنا وحبيبنا ﷺ بصومه، لأن بصومه ترفع درجات العبد، وتغفر ذنوبه وسيئاته. وذكر أن صوم هذا اليوم العظيم يكفر ذنوب سنتين: سنة أمامه،

---

(١) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الكبير (١٥٣٤٩) بإسناد حسن وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٣ ١).

وسنة خلفه وجاء الحث على صومه في غير هذه الوصية في أكثر من موضع في سنة الحبيب المصطفى ﷺ منها

ما رواه أبو قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة، فقال: «**يكفر السنة الماضية، والسنة الباقية**»[1]

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**من صام يوم عرفة، غفر له ذنب سنتين متتابعتين**»[2]

وعن سعيد بن جبير - رحمه الله - قال: سأل رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن صوم يوم عرفة، فقال: كنا ونحن مع رسول الله ﷺ نعد له بصوم سنتين.

وهذا إنما يستحب لغير الحاج، أما الحاج فلا يسن له صيام يوم عرفة، لأن النبي ﷺ ترك صومه، وروى عنه أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة.

أحبتي الكرام.

حري بنا أن نتعرف على فضائل هذا اليوم العظيم المبارك، وما ميزه الله تعالى على غيره من الأيام، وكيف كان هدى الحبيب المصطفى ﷺ فيه.

* ومن فضائله: أن الله عز وجل أقسم به، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم، فهو اليوم المشهود، المذكور في قوله تعالى ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ [البروج: ٣].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اليوم الموعود: يوم القيامة، واليوم المشهود: يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة...**»[3]

وهو يوم إكمال الدين، وإتمام النعمة، ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها،

---

(١) رواه مسلم بنحوه.

(٢) **صحيح**: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٠١٢).

(٣) **حسن**: رواه أحمد والبيهقي وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٠٢) وصحيح الجامع (٨١٠٢)

لو علينا معشر اليهود نزلت، لا تخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال: أيُّ آية؟ قال: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا..﴾** [المائدة: ٣]

قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان، الذى نزلت فيه على النبى ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة(١)

وكلاهما عيد للإسلام والمسلمين. يوم الجمعة عيد، ويوم عرفة يوم عيد. إنه يوم مغفرة الذنوب، والعتق من النيران، والمباهاة بأهل الموقف

ففى حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدًا من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو** أى رب العزة والجلال دنوًّا يليق بذاته - **ثم يباهى بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟!**»(٢)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادى، أتونى شعثًا غبرًا**»(٣)

إنه اليوم الذى أخذ الله عز وجل فيه الميثاق على ذرية آدم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعنى عرفة - وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا، قال(٤): ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾**

[الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]».

فما أعظمه من يوم! وما أعظمه من ميثاق!

---

(١) رواه البخارى وأحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) **حسن صحيح**: رواه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الصغير والأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١١٥٣).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك والنسائى فى الكبرى.

إنه من أعظم الأيام عند الله عز وجل، وما رئى الشيطان أصغر، ولا أحقر، ولا أغيظ، ولا أدحر منه فى يوم عرفة. أترون لماذا؟

لما يرى من تجاوز رب العباد عن الزلات، والعفو عن المعاصى والسيئات والتجاوز فيه عن الهفوات.

روى أبو عثمان الصابونى بإسناد له عن رجل كان أسيرًا ببلاد الروم، فهرب من بعض الحصون، قال. فكنت أسير بالليل، وأكمن بالنهار، فبينما أنا ذات ليلة بين جبال وأشجار، إذا أنا بصوت، فراعنى ذلك فنظرت فإذا راكب بعير، فازددت رعبا، وذلك أنه لا يكون ببلاد الروم بعير، فقلت: سبحان الله! فى بلاد الروم راكب بعير، إن هذا لعجبًا فلما انتهى إلىَّ قلت: يا عبد الله، من أنت؟ قال: لا تسأل. فقلت له: إنى أرى عجبًا، فأخبرنى، فقال: لا تسأل، فأبيت عليه فقال: أنا إبليس، وهذا وجهى من عرفات، وافقتهم عشية اليوم، أطلع عليهم، فنزلت عليهم الرحمة والمغفرة، ووهب بعضهم لبعض فداخلنى الهم والحزن والكآبة، وهذا وجهى إلى قسطنطينية، أنفرج - أى أفرح - بما أسمع من الشرك بالله، وادعاء أن له ولدًا

فقلت: أعوذ بالله منك. فلما قلت هذا الكلام، لم أرَ شيئًا[1]

أحبتى فى الله.

ماذا كان هدى النبى ﷺ فى يوم عرفة؟

يجيبنا على هذا السؤال الإمام ابن القيم - رحمه الله -.

لما طلعت شمس يوم التاسع، سار رسول الله ﷺ من منى إلى عرفة، وكان معه أصحابه، منهم الملبى، ومنهم المكبر، وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء، ولا على هؤلاء، فنزل بنمرة، حتى إذا زالت الشمس، أمر بناقته القصواء، فرحلت، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرفة، فخطب الناس وهو على راحلته، خطبة

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص ٤٩١

عظيمـة، خطبة واحدة، لم تكن خطبتين. قـرر فيها قـواعد الإسلام، وهدم فـيها قـواعد الشـرك والجـاهلين، وقرر فـيهـا تحـريم المحرمـات، التى اتفـقت الملل على تحريمهـا. فلما أتمها، أمـر بلالاً فأذن، ثم أقام فـصلى الظهر ركعـتين، أسر فيهـما بالقراءة، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضًا، ومعه أهل مكة. وصلوا بصلاته قصرًا، وجمعًا بلا ريب، ولم يأمرهم بالإتمام، ولا بترك الجمع »

فيـنبغى للمـسلم أن يغتنم هذا اليـوم العظيم، ولا يفـرط فى لحظة من لحظاته، فيكثر من الأعمال الصالحات، يكثر من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم، والصلاة والصدقة، لعله أن يحظى بنفـحة من نفحات ربه ومولاه، وعظيم عفـوه ورحمته. لعله يحظى بالعتق من النار، ومغفرة العزيز الغفار

لما حج الفضيل بن عياض - رحمه الله - ووقف على عرفات، رأى الباكى على نفسه، والضارع إلى ربه، والمستغفر إلى الله من ذنبه، فقال لأحد أصحابه: يا أخى، أرأيت لو أن هؤلاء وقـفوا على باب غنى من الأغنيـاء يطلبون درهمـا، أكان يردهم خائبين؟

فقال له صاحبه. لا والله.

فقال له الفضيل: إن مغفـرة ذنوب هؤلاء جميعًا أهون على الله تعالى من درهم يجود به غنى من الأغنياء(١)

أكثروا فيـه من الدعاء، والتضرع بين يدى الله تعالى، فهـو يوم إجابة، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَستجب لكُم إنَّ الَّذين يستكْبرون عن عبادتِي سيدْخُلُون جهنم داخِرين**﴾ [غافر ٦]

هذا اليوم. يوم خوف وخشوع وخشية من الله عز وجل، يوم يذل فيه المؤمنون لربهم مخـبتين. يوم البكاء والانكسـار بين يدى الرحيم الغـفار، قال النبى المخـتار

(١) سمير الصالحين وأنيس المتقين للشهاوى.

ﷺ : «**خير الدعاء، دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير**»(١)

قال ابن عبد البر وفى هذا دليل على فضل يوم عرفة على غيره.

يوم عرفة أحد الأيام العشرة المفضلة فى الأعمال الصالحات على غيرها من أيام السنة، قال النبى ﷺ : «**ما من عمل أزكى عند الله تعالى، ولا أعظم أجرًا من خير يعمله فى عشر الأضحى**» قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله - عز وجل -؟ قال: «**ولا الجهاد فى سبيل الله - عز وجل - إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشىء**»(٢)

يوم عرفة أحد الأيام العشر المباركة، التى أقسم بها مولانا عز وجل منبهًا على عظم فضلها، وعلو قدرها، قال سبحانه: ﴿**وَلَيَالٍ عَشْرٍ**﴾ [الفجر: ٢].

فاللهمَّ أدركنا فضله أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة بعيدة واغفر اللهم لنا فيه الذنوب وتجاوز عن السيئات برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) **حسن**. رواه الترمذى وغيره وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٥٣٦) وصحيح الجامع (٢ ١١).

(٢) **صحيح**: رواه الدارمى فى سننه وصحح إسناده الألبانى فى إرواء الغليل.

الوصية رقم (٢٥)

* صوموا يوم عاسوراء *

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبى ﷺ المدينة واليهود، تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبى ﷺ لأصحابه: «**أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا**»(١)

أحبتى فى الله.

يوم عاشوراء يوم عظيم مبارك. يوم يدل على أن الأنبياء بعضهم أولى ببعض، كما فى رواية: «**أنا أولى بموسى منكم**»(٢)

وهذه الولاية لاتحادهم فى الدين والرسالة.

إنه يوم يربى فى قلوب المؤمنين المحبة بينهم، ووحدة الهمم، فبصيامه يتذكر الإنسان ذلك الحدث التاريخى، الذى مر على إخوانه فى الدين مع موسى عليه السلام من محاربة لهم على أيدى أهل الكفر والضلال. إنه يوم ربط بين أهل الإيمان بعضهم البعض، حتى ولو اختلفت بينهم الأنساب واللغات بل والأزمنة، فأصله ارتبط بالكليم موسى عليه السلام، ثم امتد لكل من شاركهم فى الإيمان.

يوم عاشوراء نقطة تحول فى حرب الإيمان مع الكفر. ولذلك كانت الجاهلية تصومه، حتى الأمة، كما قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «إن قريشًا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية»(٣)

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه البخارى ومسلم.

يوم عاشوراء صومه دليل على عظيم كرم الله عز وجل للأمة المحمدية وأنه يعطى الجزاء الأوفى على العمل القليل، فإنه يكفر سنة كاملة بصيام يوم واحد.

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى قتادة أن رجلاً سأل النبى ﷺ عن صيام يوم عاشوراء، فقال: «**أحتسب على الله أن يكفّر السنة التى قبله**»(١)

أحبتى الكرام.

لما أنجى الله تعالى كليمه موسى عليه السلام من عدوه فرعون، صام موسى عليه السلام يوم العاشر من المحرم، شكرًا لله على نعمته، وفضله عليه بإنجائه وقومه، وإغراق فرعون وقومه. صامه موسى عليه السلام فلما قدم الرسول ﷺ المدينة مهاجرًا، واليهود إذ ذاك بها، فوجدهم يصومون اليوم العاشر، سألهم: ما سبب الصيام؟ قالوا: يومٌ أنجى الله فيه نبى الله موسى ومن معه، وأغرق فرعون ومن معه، فصامه موسى شكرًا لربه ومولاه، فنحن نصومه، فقال لهم الحبيب المصطفى ﷺ: «**نحن أولى بموسى منكم**»(٢)

نعم. إنَّ الحبيب محمدًا ﷺ وأمته أولى بموسى، وبكل الأنبياء لأنهم آمنوا بجميع الأنبياء، وصدقوا رسالاتهم: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنزِلَ إِلَيْه من رَّبِّه وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللَّه وملائكته وكتبه ورسُله لا نُفَرِّقُ بيْن أَحد مِّن رُّسُله..**﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقال مولانا جل فى علاه ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا واللَّهُ ولي الْمُؤْمنين**﴾ [آل عمران. ٦٨].

وصامه رسولنا ومعلمنا ومرشدنا محمد ﷺ وأوصى أصحابه بصومه بل وأرسل إلى قرى الأنصار «**من أصبح صائمًا، فليتم صومه، ومن أكل، فليتم بقية يومه**»

فلما افترض رمضان، أخبرهم أن من شاء صامه، ومن شاء لم يصمه، لكنه رغبنا فى صيامه

(١) رواه مسلم

(٢) سبق تخريجه.

يقول عبد الله بن عباس ﷺ: ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم يومًا يتحرى فضله على الأيام من هذا اليوم ـ يعنى يوم عاشوراء ـ وهذا الشهر ـ يعنى شهر رمضان ـ.

صام النبى ﷺ تسع سنين - أى يوم عاشوراء - وفى العام الأخير، عزم النبى ﷺ على أن لا يصومه منفردًا، بل يضم إليه يوما آخر، مخالفة لأهل الكتاب فى صيامه. فقال ﷺ «**لئن عشت إلى قابل، لأصومن التاسع**» يعنى مع العاشر

وفى المسند للإمام أحمد من حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**صوموا يوم عاشوراء، وخالفوا اليهود، صوموا قبله يومًا، وبعده يومًا..**» وفى رواية: «**أو بعده**»

قال الشافعى وأصحابه وأحمد وإسحاق وآخرون: يستحب صوم التاسع والعاشر جميعًا، لأن النبى ﷺ صام العاشر، ونوى صيام التاسع

قال ابن حجر - رحمه الله - فى تعليقه على حديث: «**لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**» ما هم به من صوم التاسع يحتمل معناه: أن لا يقتصر عليه، بل يضيفه إلى اليوم العاشر، إما احتياطًا له، وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح[1]

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - فى زاد المعاد أن صيام عاشوراء ثلاث مراتب:

١ صوم التاسع والعاشر والحادى عشر وهذا أكملها

٢ صوم التاسع والعاشر، وعليه أكثر أهل الحديث.

٣ - صوم العاشر وحده، ولا يكره على الصحيح إفراده اليوم العاشر بالصوم، كما قاله الإمام ابن تيمية فى الاختيارات[2]

---

(١) ذكره ابن حجر فى فتح البارى

(٢) زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٧٦) بتصرف.

أحبتى الكرام.

يوم عاشوراء. يوم عظيم يحدثكم أن العاقبة لمن اتقى، وأن نصر الله عز وجل لأوليائه قريب، وأن الكافر، وإن غرته مهلة الزمان، وركن إلى قوة رأى بها أنه الأغلب والأظهر، فقال: «من أشد منا قوة» فإنّ أمره إلى بوار، وقوته إلى ضعف وصغار، ومنظور عينه سراب وأنه ما قاد نفسه إلا الهلكة والعذاب.

إن فرعون رأى فى قوته وملكه ما دعاه أن ينادى ويقول: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [النازعات. ٢٤] فإذا عاقبه لم يحسب لها حسابًا، صار بها أسفل ما يكون أرضًا، وما استطاع أن يعلو على الماء، الذى تعلوه أضعف الكائنات خلقةً.

لقد استخف بأهل مصر، فأطاعوه قال لهم: ﴿**ونادىٰ فرْعوْنُ في قوْمه قال يا قوْمِ أليْس لي مُلْك مصْرَ وهذه الأنهارُ تجري من تحْتِي أفَلا تُبْصرُونَ**﴾ [الزخرف: ٥١] فأجراها الله عز وجل من فوقه. ونجى الله كليمه موسى ومن معه. حتى يروى أن فرعون قد استغاث بسيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سبعين مرة قبل أن يغرق لكن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يغثه، فعاتبه ربه ومولاه: يا موسى لقد استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، فوعزتى وجلالى، لو استغاث بى مرة واحدة، لوجدنى قريبًا مجيبًا

يوم عاشوراء، يوم عظيم. إنه يحدثكم أن النعم حين لا يقارنها الشكر، فهى مهددة بالزوال. فبالشكر تدوم النعم وتزيد. لما كانت النجاة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فى هذا اليوم، سارع بالشكر والتحدث بالنعمة بأن صام ذلك اليوم لله تعالى، ولذلك صامه نبينا ﷺ وأمر بصيامه.

إذا كانت نجاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه من فرعون، منة عظيمة، منة كبرى أعقبها موسى بصيام ذلك اليوم. فدل ذلك على قيامه بشكر الله عز وجل، إذ الشكر ليس قولاً باللسان، ولكنه مع اللسان عمل بالجوارح والأبدان. ألم يقل مولانا مخاطبة قوم داود ﴿**اعمَلُوا آل داوُود شُكرا وقَليلٌ من عبادي الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٣]، وأساس الشكر مبنى على الاعتراف بنعمه تعالى، والثناء عليه بها، والخضوع له.

والبشر مهما بالغوا فى الشكر، فهم قاصرون عن الوفاء به، فكيف إذا قصروا وغفلوا عن الشكر من الأساس؟

يوم عاشوراء يوم مبارك. يحدثكم أنكم من أمة لها من المكانة أسماها وأن التطلع إلى بضاعة مخالفيها دنو تذل به النفس، وتضيق به النظرة ولذلك أمر النبى ﷺ بمخالفة اليهود فى صيام هذا اليوم، بأن يصام يوم التاسع معه، كما بينا.

يوم عاشوراء. هو يوم نجى الله فيه موسى عليه السلام. وتاب الله فيه على آدم عليه السلام.

فعن الأسود بن يزيد، قال: سألت عبيد بن عمير عن صيام يوم عاشوراء فقال: المحرم شهر الله الأصم، فيه يوم تيب فيه على آدم عليه السلام فإن استطعت ألا يمر بك إلا صمته، فافعل.

وعن قتادة، قال: كنا نتحدث أن اليوم الذى تيب فيه على آدم عليه السلام يوم عاشوراء، وهبط فيه آدم إلى الأرض يوم عاشوراء.

قال ابن رجب فى لطائفه:

فيه حث للناس على تجديد التوبة النصوح فى يوم عاشوراء، وترجيه لقبول التوبة ممن تاب فيه إلى الله عز وجل من ذنوبه، كما تاب فيه على من قبلهم، وقد قال الله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ من رَّبِّه كَلمات فَتَاب عَلَيْه إنَّهُ هُو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ٣٧] وأخبر عنه وعن زوجه، أنهما قالا: ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسنا وإن لَّمْ تَغْفرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونن من الْخاسرِين**﴾[1] [الأعراف: ٢٣]

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار كتابًا، جاء فيه: وقولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام: ﴿**قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسنا وإن لَّمْ تَغْفرْ لَنَا وترحمنا لَنَكُونن من الْخَاسرِين**﴾ [الأعراف: ٢٣] وقولوا كما قال نوح عليه السلام: ﴿**وإلاَّ تغفر لِي وترْحمْنِي أَكُن مّن**

(١) لطائف المعارف.

الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧] وقولوا كما قال موسى عليه السلام: ﴿**رب إِنِّي ظَلَمْتُ نفْسِي فاغْفِر لي..**﴾ [القصص: ١٦] وقولوا كما قال ذو النون. ﴿**لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنت سبحانك إِنِّي كُنت من الظَّالمين**﴾ [الأنبياء ٨٧]

اعتراف المذنب بذنبه مع الندم عليه، توبة مقبولة، قال الله عز وجل: ﴿**وآخرون اعْتَرَفُوا بذُنُوبهِم خَلَطُوا عملاً صالحا وآخر سَيِّئًا عسى اللَّهُ أَن يتوب عَلَيْهِمْ..**﴾ [التوبة: ١٠٢] وقال النبى ﷺ «**إنّ العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب، تاب الله عليه**»[١]

وفى دعاء الاستفتاح الذى كان النبى ﷺ يستفتح به: «**اللهمَّ أنت ربى لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى، واعترفت بذنبى، فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[٢] وفى الدعاء الذى علمه النبى ﷺ للصديق أن يقوله فى صلاته: «**اللهمَّ إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم**»[٣]

الاعتراف يمحو الاقتراف

لما أهبط آدم عليه السلام من الجنة، بكى ثلثمائة عام، وحق له ذلك. لقد كان فى دار لا يجوع فيها ولا يعرى، ولا يظمأ فيها، ولا يضحى، فلما نزل إلى الأرض، أصابه كل ذلك، فكان إذا رأى جبريل عليه السلام يتذكر برؤيته تلك المعاهد - أى معالم الجنة - فيشتد بكاؤه، حتى يبكى جبريل لبكائه، ويقول له. ما هذا البكاء يا آدم؟ فيقول: وكيف لا أبكى، وقد أخرجت من دار النعمة إلى دار البؤس. فقال له بعض ولده: لقد آذيت أهل الأرض ببكائك فقال إنما أبكى على أصوات الملائكة حول العرش.

وفى رواية: أبكى على دار لو رأيتها، لزهقت نفسك شوقًا إليها.

وروى أنه قال لولده كنا نسلاً من نسل السماء، خلقنا كخلقهم، وغذينا بغذائهم، فسبانا عدونا إبليس، فليس لنا فرح ولا راحة، إلا الهم والعناء، حتى نرد

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما

(٢) رواه مسلم ورواه أحمد فى مسنده

(٣) رواه البخارى ورواه أحمد ورواه مسلم.

إلى الدار التى أخرجنا منها

فــحى على جنات عــدن فــإنهــا
منازلك الأولى وفــيــهــا المخــيم
ولكننا ســبى العــدو فــهل ترى
نعــــود إلى أوطاننا ونسلم

قال بعض السلف: آدم أخرج من الجنة بذنب واحد، وأنتم تعملون الذنوب وتكثرون منها، وتريدون أن تدخلوا بها الجنة؟!

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى
درج الجنان بهــا وفــوز العــابد
ونســيت أن الله أخــرج آدمًــا
منهــا إلى الدنيــا بذنب واحــد

أحبتى الكرام.

وفى يوم عاشوراء صنع الناس بدعًا وأباطيل، فما ورد من استحباب الاختضاب والاغتسال، والتوسعة على العيال، فكل ذلك لم يصح منه شئ. قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: لم يرد فى ذلك حديث صحيح عن النبى ﷺ ولا عن أصحابه، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، ولا روى أهل الكتب المعتمدة فى ذلك شيئًا. لاصحيحًا ولا ضعيفًا. ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة(١)

قال ابن رجب: وأما اتخاذه مأتمًا كما تفعل الرافضة لأجل قتل الحسين فهو من عمل من ضل سعيه فى الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعًا، ولم يأمر الله تعالى، ولا رسوله ﷺ باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتمًا، فكيف بمن هو دونهم(٢)

---

(١) الفتاوى الكبرى (٢٥/ ٢٩٩) لابن تيمية.
(٢) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى.

أيهما أفضل يوم عرفة أم يوم عاشوراء؟

قال ابن حجر في الفتح روى مسلم من حديث أبي قتادة مرفوعًا: «**إنّ يوم عاشوراء يكفر سنة، وإن صيام يوم عرفة يكفر سنتين**»(١)

وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام يوم عاشوراء، وقد قيل في الحكمة في ذلك: إنَّ يوم عاشوراء منسوب إلى موسى عليه السلام، ويوم عرفة منسوب إلى النبي ﷺ، فلذلك كان أفضل

وقال الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد:

فإن قيل لم كان عاشوراء يكفر سنة، ويوم عرفة يكفر سنتين؟ قيل: فيه وجهان:

أحدهما: أن يوم عرفة في شهر حرام، وقبله شهر حرام، وبعده شهر حرام، بخلاف عاشوراء.

الثاني: أن صوم يوم عرفة من خصائص شرعنا بخلاف عاشوراء، فضوعف ببركات المصطفى ﷺ.

فاللهمَّ لا تحرمنا ما عندك بسوء ما عندنا، ولا تحرمنا فضلك بشؤم ذنوبنا، فنحن المقرون بكل ذنب وأنت السيد الفضل الغفور. وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه مسلم.

رابعًا: محظورات في العقيدة والأخلاق

الوصية رقم (٢٦)

التحذير من الغلو فى الدين

عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والغلو فى الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

الغلو معناه: مجاوزة الحد، نقول مثلاً: غلا السعر يعنى جاوز المعقول وجاوز المعروف، ونقول: غلا هذا فى أمره، أى جاوز الحد الذى أذن له به، وهؤلاء غالوا فى دينهم أى جاوزوا الحد الذى أذن لهم به، فلم يكونوا مع الأمة الوسط، وإنما زادوا عليهم رغبة فى التعبد، ورغبة فى رضا الله عز وجل، ولكن ليس كل من أراد رضا الله جل وعلا، حتى يأتى بالبرهان، وهو اتباع المصطفى ﷺ فى قليل الأمر وكثيره من جهة تحكيمه على الهوى، وما تريده النفس، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ..**﴾ [آل عمران ٣١]

والغلو فى الدين آفة قديمة فى جميع الأمم السابقة، وقد كانت هذه الآفة الخطيرة سببًا لهلاكها، كما فى وصية اليوم «**إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين**».

ومن أجل ذلك جاءت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية محذرة من هذه الآفة، ومبينة ما يترتب على الغلو من أضرار.

---

(١) صحيح: رواه أحمد فى مسنده (٣٢٤٨) وابن ماجه والنسائى وغيرهم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٦٨٠) والصحيحة (١٢٨٣).

قال تعالى: ﴿ **يا أهْل الْكتاب لا تغْلُوا فى دينكُم ولا تقُولُوا علَى اللَّه إلاَّ الْحقَّ..** ﴾ [النساء: ١٧١]، وقال سبحانه: ﴿ **قُل يا أهْل الْكتاب لا تغْلُوا فِى دينكُمْ غيْر الْحقِّ ولا تتَّبعُوا أهواء قوْمٍ قدْ ضلُّوا من قبْلُ وأضلُّوا كثيرا وضلُّوا عن سواء السَّبيلِ** ﴾ [المائدة: ٧٧] وقال لحبيبه ومصطفاه. ﴿ **فاسْتقم كما أُمرْت ومن تاب معك ولا تطْغوْا إنَّهُ بما تعملون بصيرٌ** ﴾ [هود: ١١٢] والآيات فى هذا المعنى متعددة، وقد دلت الآيات على أن الغلو منهى عنه لأهل الكتاب، ومعلوم أن القاعدة المقررة أن النهى لأهل الكتاب فى هذا نهى لنا، لأن الغلو فى الدين أمر مذموم لكل من اتبع رسالة من رسالات الأنبياء عليهم السلام

الغلو فى الدين من المحرمات، بل هو من أشدها، لأنه يبعث على ارتكاب كثير من المحرمات، وهو وسيلة لأمور كثيرة من المحرمات.

فأهل الكتاب غالوا فى دينهم حتى جعلوا عيسى عليه السلام ابنًا لله، وجعلوا له بعض خصائص الألوهية. وقد جاء نهينا عن فعل ما فعلوه فى قول النبى الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ: «**لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله**»(١)

إن النصارى تجاوزوا الحد فى مدح عيسى عليه السلام، حتى بلغ بهم الحد إلى أنهم ألهوه وعبدوه، فلا تفعلوا بى مثلهم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله. فما أعظمها من مكانة. ولذلك خاطب الله عز وجل حبيبه ومصطفاه فى أرقى وأعلى مراتبه بالعبوده. فى ليلة الإسراء والمعراج، ففى الإسراء قال: ﴿ **سُبْحان الَّذى أسْرىٰ بعبْده ليْلا مّن الْمسجد الْحرامِ إلى الْمسْجد الأقْصا الَّذى باركْنا حوْلهُ..** ﴾ [الإسراء: ١] وقال فى المعراج ﴿ **فأوحى إلى عبْده مَا أوْحى..** ﴾ [النجم: ١]

ولذلك خاف النبى ﷺ أن يكون فى أمته غلاة، ولذلك وهو فى حجة الوداع، أمر أصحابه الذين كانوا يحجون معه، فى الرمى أن يلتقطوا الحصى، وقال لهم وهو على ناقته «**القطوا لى حصى**» يقول ابن عباس، فلقطت له سبع حصيات، هى

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

حصى الخذف، فجعل ينفضهن فى كفه ويقول: «**أمثال هؤلاء فارموا**» ثم قال: «**أيها الناس، إياكم والغلو فى الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم..**»[١] حتى فى حجم الحصى. فى الجمرات التى يرمى بها كأنه يريد أن يقول لكل واحد منهم: لا تظن أن الخير والتعبد والقربة من الله، وكثرة الحسنات يكون فى تكبير حجم الحصاة.

فالغلو سبب من أسباب الافتراق، وسبب من أسباب ضرب الأمة بعضها رقاب بعض.

فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ بالجعرانة وهو موضع قريب من مكة - وهو يقسم التبر - أى الذهب والفضة قبل أن يصاغ - وهو فى حجر بلال ﷺ ويقسم الغنائم، فقال رجل اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، فقال عمر: دعنى يا رسول الله، حتى أضرب عنق هذا المنافق.

فقال ﷺ: «**إنَّ هذا فى أصحاب له يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمى**» وفى روايه: «**إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..**»[٢] ومعنى يمرقون من الدين: أى يتشددون فى الدين فى غير موضع التشدد، ويبالغون فى الصلاة والقراءة، ولا يقومون بحقوق الإسلام

كذلك قصة الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها، كأنهم تقالوها - أى عدوها قليلة - فقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم له من ذنبه وما تأخر

فقال أحدهم: أما أنا فأقوم الليل أبدًا ولا أرقد.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه (٢٩ ٣) وصحيح الجامع (٢٦٨)

(٢) رواه البخارى وابن ماجه وغيرهما

وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبدًا ولا أفطر.

وقال الآخر وأما أنا فأعتزل النساء، ولا أتزوج أبدًا.

فلما علم بهم النبى ﷺ قال لهم: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله، إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى، فليس منى**»[١]

قال صاحب الفتح - رحمه الله -

فيه إشارة إلى رد ما بنوا عليه أمرهم من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد فى العبادة بخلاف غيره، فأعلمهم أنه مع كونه يبالغ فى التشديد فى العبادة أخشى لله وأتقى من الذين يتشددون، وإنما كان كذلك، لأن المشدد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد، فإنه أمكن لاستمراره، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه وقد أشار إلى ذلك فى قوله فى الحديث الآخر «**المنبت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى**»[٢]

ومن الأحاديث التى حذرت من الغلو، ونهت عنه، وبينت أن أتباع الغلو هالكون لقول النبى المصطفى ﷺ «**هلك المتنطعون**»[٣] قالها ثلاثًا قال الإمام النووى - رحمه الله - فى شرحه لهذا الحديث: المتنطعون: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود فى أقوالهم وأفعالهم

وعن عائشة رضي الله عنها قالت. دخلت على خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية، وكانت عند عثمان بن مظعون رضي الله عنه قالت: فرأى رسول الله ﷺ بذاذة هيئتها، فقال لى: «**يا عائشة، ما أبذ هيئة خويلة!**» قالت: فقلت: يا رسول الله، امرأة لها زوج يصوم النهار، ويقوم الليل، فهى كمن لا زوج لها،تركت نفسها وأضاعتها

---

(١) رواه البخارى وغيره.

(٢) فتح البارى ١١/ ١٣ لابن حجر

(٣) رواه مسلم وأبو داود.

قالت: فبعث رسول الله ﷺ إلى عثمان بن مظعون، فلما جاءه قال له: **يا عثمان، أرغبة عن سنتى**»؟

فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب.

فقال ﷺ: «**فإنى أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، فصم وأفطر، وصلِّ ونم**»

وفى رواية: «**يا عثمان، إنَّ الرهبانية لم تكتب علينا، أفمالك فىَّ أسوة؟ فوالله، إنى أخشاكم لله، وأحفظكم لحدوده**»[١]

وتأملوا هذا الحديث الذى رواه البخارى وأحمد وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: أنكحنى أبى امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته - أى زوجة ابنه - حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟ قالت. خير الرجال، أو كخير البعولة، من رجل لم يُفتش لنا كنفًا، ولم يعرف لنا فراشًا يقول: فأقبل علىَّ، وعضنى بلسانه، وقال لى: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب، فعضلتها، وفعلت وفعلت. ثم انطلق إلى النبى ﷺ فشكانى، فأرسل إلى النبى ﷺ فأتيته، فقال لى: «**أتصوم النهار؟**» قلت: نعم، قال: «**وتقوم الليل؟**» قلت: نعم. قال: «**لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأمس النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى**»

وقال: «**اقرأ القرآن فى كل شهر..**» قلت: إنى أجدنى أقوى من ذلك. قال: «**فاقرأه فى كل عشر مرة..**» قلت: إنى أجدنى أقوى من ذلك قال: «**فاقرأه فى كل ثلاث**» ثم قال: «**وصم فى كل شهر ثلاثة أيام..**» قلت: إنى أقوى من ذلك. قال: فلم يزل يرفعنى، حتى قال: «**صم يومًا وأفطر يومًا فإنه أفضل الصيام، وهو صيام أخى داود عليه السلام، واقرأ فى كل سبع ليال مرة..**» يقول عبد الله ﷺ: فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذاك أنى كبرت وضعفت[٢]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده.

(٢) رواه البخارى وأحمد وغيرهما.

أحبتى فى الله.

ولقد علم السلف - رضوان الله عليهم - خطورة الغلو، فحذروا منه، فهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يسأله رجل عن معنى (الأب) فى قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فيقول له: نهينا عن التعمق والتكلف.

وقال عُبادة بن نسى رضي الله عنه لجماعة: أدركت أقوامًا ما كانوا يشددون تشديدكم، ولا يسألون مسائلكم.

وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر، فكتب، أما بعد:

أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد فى أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم سنته، فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها، أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما فى خلافها. ولم يقل ابن كثير: من قد عُلم من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك ما رضى به القوم لأنفسهم..»[1]

وجاء رجل إلى ابن عقيل رحمه الله - فقال له: أنغمس فى الماء مرارًا كثيرة وأشك، هل صح لى الغسل أم لا؟ فما ترى فى ذلك؟

قال ابن عقيل يا شيخ، اذهب فقد سقطت عنك الصلاة.

قال الرجل: وكيف. قال. لأن النبى ﷺ قال: «**رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يفيق..**»[2] الحديث ومن ينغمس فى الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء أم لا، فهو مجنون؟

والإسلام أيها الأحبة دين التيسير، وعدم التشدد، ألم يقل الله تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿وما جعل عليكم فى الدين من حرجٍ..﴾ [الحج: ٧٨] ألم يقل: ﴿لا

---

(١) صحيح. صححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (٤٦١٢) ورواه هناد فى الزهد.

(٢) صحيح: رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد وصححه الألبانى.

يُكَلِّفُ اللَّهُ نفْسًا إلاَّ وُسْعَها..﴾ [البقرة: ٢٨٦] ألم يقل نبينا وحبيبنا محمد ﷺ: **«إنَّ الدين يسر، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا»**[١]

قال المناوى فى شرحه لهذا الحديث:

أى لا يتعمق أحد فى العبادة، ويترك الرفق كالرهبان فى الصوامع إلا عجز، فغلب عليه العبد من العجز والمعبود من عظم الأمر، وليس المراد ترك طلب الأكمل فى العبادة، فإنه محمود، بل منع الإفراط المؤدى للملال. **(فسددوا)** أى الزموا السداد وهو الصواب بلا إفراط وبلا تفريط **(وقاربوا)** أى لا تبلغوا النهاية، بل تقربوا منها، وأبشروا بالثواب على العمل الدائم، وإن قل[٢]

أيها الأحبة الكرام.

وللغلو فى الدين أسباب متعددة، لأنه لابد من معرفتها، حتى لا نقع فيما وقعوا فيه، فكل منا يريد الخير، ويريد أن يتقرب إلى الله عز وجل به، فما هى أسباب الغلو؟

أسباب كثيرة ومتعددة، منها:

١ - عدم فهم القرآن الكريم على طريقة الصحابة - رضوان الله عليهم - وهذا مأخوذ من قول النبى ﷺ عن الخوارج **«يقرأون القرآن، لا يجاوز حناجرهم»**[٣] وهذا وصف عام لكل أهل البدع، ومعناه: أنه لا يجاوز كونهم يتلفظون به، فهو لا يدخل قلوبهم على وجهه الصحيح، فلو دخل على وجهه الصحيح، لكان سببًا فى الهداية. قال تعالى: **﴿إنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدى للَّتى هى أَقْوَمُ..﴾** [الإسراء: ٩] فينبغى أن يتدبروا القرآن تدبرًا صحيحًا، حتى لايقعوا فى الغلو

٢ - ومنها: وجود المتشابه فى الكتاب والسنة، فقد قال مولانا سبحانه: **﴿هو**

---

(١) رواه البخارى

(٢) فيض القدير للمناوى ٢/٤١٧

(٣) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده وأبو داود والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٢٢٧) وصحيح سنن النسائى (١ ٤١)

الَّذى أنزل عَلَيْك الْكتَاب منه آيَاتٌ محكَمات هُنَّ أُمُّ الْكتَاب وأُخَرُ مُتَشَابهَاتٌ فَأَمَّا الَّذين فِي قُلُوبهمْ زَيْغٌ فَيَتَّبعون ما تشابه منْهُ ابْتغاء الْفتْنَة وَابْتغَاء تَأْويله ومَا يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إلاَّ اللَّهُ والرَّاسخُونَ فى الْعلْمِ يقُولُون آمنَّا به كُلٌّ مّنْ عند رَبّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَاب﴾ [آل عمران: ٧]

فالقرآن الكريم منه المحكم البين الواضح الذى يفهمه كل أحد. وفيه المتشابه الذى يشتبه معناه إلا على الراسخين فى العلم، وخاصة فى مسائل الغيبيات وفى مسائل الأحكام، فيرد المتشابه إلى المحكم، فيتبين المعنى فأهل الزيغ يذهبون إلى القرآن فيتبعون المتشابه، ليخرخوا الحجج لهم مع أنه ليس لهم حجة فيما ذهبوا إليه. ولذلك قال ربنا **﴿فَأَمَّا الَّذين فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ...﴾** [آل عمران: ٧] فقد جعل الزيغ فى قلوبهم أولاً، فوجود الزيغ سابق.

النصارى احتجوا على خصوصية بعثة الرسول محمد ﷺ للعرب بقوله: **﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّك ولِقَوْمك..﴾** [الزخرف: ٤٤] وبقوله: **﴿وأَنذرْ عشيرَتَك الأَقْرَبين..﴾** [الشعراء: ٢١٤] قالوا: هذه أدلة على أن رسالته خاصة، لكن ليس فيه حجة، وإلا فماذا يفيد قوله سبحانه **﴿وما أَرْسَلْنَاك إلاَّ رحْمَةً لِّلْعَالَمين﴾** [الأنبياء: ١٠٧] وقوله سبحانه: **﴿وما أَرْسَلْنَاك إلاَّ كافَّةً لِّلنَّاسِ بشيراً وَنَذيراً..﴾** [سبأ: ٢٨] وآيات أخرى كثيرة.

وكذلك يوجد فى السنة متشابهات، وفى أقوال السلف وأفعالهم، والعلماء العاملين، لذلك ينبغى الرجوع للراسخين فى العلم إذا أشكل عليك شيء من الأدلة النقلية.

٣ - اتباع الهوى: لأن اتباع الهوى يصد عن الحق، ويعمى عنه، قال تعالى: **﴿أَفَرَأَيْت من اتَّخَذ إلَهَهُ هواه وأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ علْمٍ وختم عَلَىٰ سمْعه وقَلْبِه وجَعَل عَلَىٰ بصرِه غشاوَةً فَمن يهْديه من بعد اللَّه أَفَلا تذَكَّرُونَ﴾** [الجاثية: ٢٣] وسمى الهوى هوًى لأنه يهوى بصاحبه فى النار

قال ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكر الله هوًى فى القرآن إلا ذمه، قال تعالى: **﴿واتَّبَع**

هواه وكان أَمْرُهُ فُرُطًا..﴾ [الكهف: ٢٨] وقال تعالى ﴿**ومنْ أَضلُّ ممنِ اتَّبَع هَوَاهُ بغيرِ هُدى من اللَّه..**﴾ [القصص: ٥] وقال لنبيه داود عليه السلام ﴿**ولا تَتَّبِعِ الْهوَىٰ فَيُضلَّك عن سَبِيلِ اللَّه إنَّ الَّذين يضلُّون عن سبيلِ اللَّه لَهُم عَذَابٌ شديدٌ بِما نسوا يوم الْحسابِ**﴾ [ص: ٢٦] وآيات كثيرة.

وقد ذم الحبيب المصطفى الذين يتبعون أهواءهم، ووضح للأمة أن من الهالكين الخاسرين، فقال ﷺ: «**ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فالمهلكات: شح مطاع، وهوى متبع..**»(١)

وقال سهل بن عبد الله التسترى - رحمه الله -: هواك داؤك، فإن خالفته فدواؤك.

٤ - ومنها الاقتصار على علماء معينين، وقراءة كتب معينة دون الرجوع إلى غيرهم، ودون قراءة الكتب الأخرى، والرأى والرأى الآخر، فهذا يؤدى إلى التعصب والغلو فى الدين، والتشدد فيه.

فكل إنسان يؤخذ من قوله ويرد إلا الحبيب محمد ﷺ والحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها، فهو أحق بها.

٥ - ومنها: ظهور أوضاع سياسية مختلفة، أو ظهور تغير فى الأحوال: وهذا الغلو قد ينشأ بسبب فساد فى الفهم، أو بسبب كثرة مخالفة الناس للشريعة الإسلامية.

٦ - وقد يكون سببه الاستعلاء على الغير بالعبادة وهو مأخوذ من قوله ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم..**»(٢) يعنى هذا أن عندهم زيادة فى التعبد. وهناك أسباب أخرى.

أحبتى فى الله.

إذا تقرر هذا فما هى مظاهر الغلو فى عصرنا هذا؟

---

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٧ ٢٦) وصحيح الجامع (٥٣٥).

(٢) رواه البخارى وغيره.

الغلو يكون فى بابين عظيمين: الأول: فى العقائد.

الثانى: فى العبادات.

فأما ما يتصل بالعقيدة، فهو على أنواع:

١ - نوع غلا فى الأنبياء والمرسلين، فجعلوا لهم بعض صفات الألوهية مثل غلو النصارى فى عيسى عليه السلام، واليهود فى عزير، وغلا بعض هذه الأمة فى سيدنا محمد ﷺ كيف غلواً فى رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ؟ قالوا: إنه يملك أن يغيث من استغاث به بعد مماته، يملك أن يُجير من استجار به. ولذلك طلبوا منه المدد، فيقولون: مدد يا رسول الله وهذا لا ينبغى إلا لله.

٢ - كذلك غلا طائفة فى بعض الأشخاص فى الأولياء والصالحين، فيذهبون إلى قبورهم ويطوفون بها، وينذرون لهم، ويذبحون لهم. ورسولنا وحبيبنا محمد ﷺ كان يدعو ربه بقوله: «اللهم لا تجعل قبرى وثنًا يعبد»(١)

٣ - ومنهم من غلا فى العلماء، فجعل قول العالم مقدمًا على قول الرسول ﷺ تقول له: قال الله تعالى كذا، وقال رسول الله كذا، يقول لك: لكن فلان العالم والإمام فلان يقول كذا

٤ - ومنهم من غلا فى الولاة والأمراء.

٥ - وهناك من يغالى فى مسألة التكفير: فهناك من يكفر الحكام بغير دليل سائغ، ومنهم من يكفر بعض العلماء، ومنهم من يكفرون من لا يوافقهم على آرائهم نسأل الله لنا ولهم الهداية. فالرسول ﷺ قد قال فى الحديث: **«إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، فقد باء به أحدهما»**(٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: وليس لأحد أن يكفر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده ومالك فى الموطأ وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح رقم (٧٥)

(٢) رواه البخارى والترمذى وقال حديث حسن صحيح

إسلامه بيقين، لم يَزُل عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة.

وقال أيضًا: والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله. قال النبى ﷺ **«إنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا، فى شهركم هذا»**(١)

وقال: **«كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»**(٢) وقال: **«من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ذمة الله ورسوله»**(٣)

أما القسم الثانى (العبادات):

فقد سمى رسول الله ﷺ الذين يغالون ويتشددون فى الدين بالعصاة، لأنهم يخالفون ما عليه الإسلام من يسر، فعن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة المكرمة فى رمضان، فصام حتى بلغ «كراع الغميم» فصام الناس، ثم دعا بقدح من ماء، فرفعه، حتى نظر الناس إليه، فقيل له بعد ذلك: إنَّ بعض الناس قد صام، فقال ﷺ: **«أولئك العصاة، أولئك العصاة»**(٤) لأنهم شددوا على أنفسهم، وأرادوا أن يأتوا بشىء زائد عما فعله أعظم مشرع، وأنبل أستاذ عرفه التاريخ.

وعن أنس ﷺ قال: كنَّا مع النبى ﷺ فى السفر، فمنا الصائم، ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً فى يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، فمنا من يتقى الشمس بيده، قال: فسقط الصوام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية، وسقوا الركاب، فقال ﷺ **«ذهب المفطرون اليوم بالأجر»**(٥) وقال: **«لا صام من صام الدهر»**(٦)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.

(٤) رواه مسلم والنسائى والترمذى.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه البخارى عن ابن عمر ومسلم والألبانى فى صحيح الجامع (٧ ٧٥).

هذا فى الصوم. وفى الحج لما قال الرسول المعلم ﷺ: «**إنَّ الله كتب عليكم الحج فحجوا**» فقام رجل، وقال: يا رسول الله، أفى كل عام؟ ورسول الله ساكت لم يرد عليه، حتى كررها ثلاثًا (أفى كل عام يا رسول الله؟) قال: «**لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شىء فذروه**»(١)

والغلو حتى فى الوضوء. فكم من موسوس فى وضوئه؟ وكم من معتدٍ فى طهارته؟ ولهذا قال ﷺ «**إنه سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء**»(٢)

والاعتداء بأن لا يستن بثلاث مرات، بل ربما غسل العضو عشر مرات، بل وربما بقى فى دورة المياه لإزالة النجاسة، أو غسل أعضاء الوضوء ساعة، كلما توضأ رأى أنه نجسا، وكلما أزال النجاسة، رأى أنها باقية، فغلا فى دينه غلوًا خرج به عن المشروع.

وها هو الرسول ﷺ يحذر من الغلو فى الدعاء فيقول أحد التابعين: سمعنى أبى وأنا أقول: اللهم إنى أسألك الجنة ونعيمها وبهجتها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا، فقال: يا بنى، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون قوم يعتدون فى الدعاء**»(٣) فإياك أن تكون منهم، إنك إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أعذت من النار، أعذت منها، وما فيها من الشر

اللهم إنا أسلمنا لك وجوهنا، واتبعنا ملة إبراهيم حنيفًا فاغفر لنا وارحمنا اللهم

---

(١) صحيح رواه أحمد.

(٢) صحيح. رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣٩٦).

(٣) حسن صحيح. صححه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود برقم (١٤٨).

إنا نسألك خيراً يقودنا إلى الجنة، وعملاً ذاكرًا يذكرنا عندك، وإيمانًا خالصًا، وسكينة تسكن قلوبنا. اللهم إنا بادرنا إلى زلاتنا فاغسلها بالتـوبة حتى تتوب علينا وترحمنا فأنت أرحم الراحمين.

الوصية رقم (٢٧)
لا تسبوا الريح فإنها من روح الله

عن أُبى بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال. «**لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون،فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به**»[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

الريح جند من جند الله، يعز بها أولياءه، ويذل بها أعداءه،أكرم الله عز وجل بها نبيه سليمان عليه السلام، ذلك لآن الله عز وجل قد سخر له الخيل، فانشغل بها يومًا من الأيام عن الصلاة، قال تعالى: ﴿**ووهَبْنَا لداوُود سُلَيْمان نعْم الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِض علَيْه بالْعشيِّ الصَّافنات الْجيَادُ ۝٣١ فَقَال إِنِّي أحببتُ حُبَّ الْخَيْرِ عن ذكْرِ رَبِّي حَتَّى توارتْ بالْحجَاب ۝٣٢ رُدُّوها عَلَيَّ فَطَفق مسْحًا بالسُّوق وَالأَعْنَاقِ..**﴾ [ص: ٣٣ ٣]

الصافنان قال مجاهد: هى التى تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة، والجياد: السراع، وكانت عشرين فرسًا ذات أجنحة كما ذكره ابن جرير وقال إبراهيم التيمى: كانت الخيل التى شغلت سليمان عليه السلام عشرين ألف فرس، فعقرها.

فلما عقرها عوضه الله عز وجل الريح، لأن من ترك شيئًا لله عز وجل عوضه الله خيرًا منه. فعن أبى قتادة وأبى الدهماء - وكانا يكثران السفر نحو البيت - قالا: أتينا على رجل من أهل البادية، فقال البدوى: أخذ بيدى رسول الله ﷺ

(١) **صحيح**: رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٧٥٦) وصحيح الجامع برقم (٧٣١٥).

فجعل يعلمنى مما علمه الله تعالى، وقال: «**إنك لا تدع شيئًا اتقاء الله عز وجل، إلا أعطاك الله خيراً منه**»(١)

عوضه الله ﴿ **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِيح تجْرِى بِأَمْرِهِ رخاء حيثُ أَصَابَ** ﴾ [ص: ٣٦] أى تطيعه حيث أراد. غدوها شهر، ورواحها شهر، فهذا أسرع وخير من الخيل. ﴿ **وَلِسُلَيْمان الرِّيح غُدُوُّها شهر ورواحُهَا شهْرٌ** ﴾ [سبأ: ١٢].

وإن كانت الريح الرخاء مطيعة

سليمان لا تألو تروح وتسرح

فإن الصبا كانت لنصر نبينا

برعب على شهر به الخصم يكدح

فنصر الله عز وجل بالريح نبينا محمدًا ﷺ قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نعْمَةَ اللَّه عَلَيْكُمْ إِذْ جاءتْكُمْ جنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عليْهِم رِيحًا وجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وكَان اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بصيراً** ﴾ [الأحزاب: ٩]

وعن ابن عباس ﭬ أن النبى ﷺ قال. «**نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور**»(٢)

الريح عذاب يسلطه الله عز وجل على من شاء من أعدائه. توعد الله بها الكافرين، فقال: ﴿ **أَأَمنتُم من فى السَّمَاء أَن يخْسف بكُمُ الأَرْض فَإذَا هى تمُور (١٦) أَمْ أَمنتُم من فى السَّمَاء أَن يُرْسل عَلَيْكُمْ حاصبًا فَستَعْلَمُون كَيْف نذيرِ** ﴾ [الملك: ١٦، ١٧] وحاصبًا أى ريحًا فيها حصباء تدمغكم.

وتوعد الله بها المعرضين الذين يعرفونه في الشدة دون الرخاء، أن يسلط عليهم الريح، فيغرقهم بها، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضلَّ من تدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**

---

(١) صحيح: رواه أحمد فى مسنده (٥/ ٧٨) وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٢٩٦) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

فلمَّا نجَّاكُمْ إلَى الْبَرِّ أَعْرضْتُمْ وكَان الإنسانُ كفُورا ﴿٦٧﴾ أفأمنتم أن يخسف بكُمْ جانب الْبر أَوْ يرْسِل عَلَيْكُمْ حَاصبًا ثُمَّ لا تجدُوا لَكُم وَكيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمنتُمْ أَن يعيدكُم فيه تارةً أُخرىٰ فيُرْسل عَلَيْكُمْ قَاصفا من الريح فَيُغْرقَكُم بما كفرتُم ثُم لا تجدوا لَكُمْ علينا به تبيعا﴾ [الإسراء: ٦٧ - ٦٩] وقاصفًا أى الريح الشديدة التى تقصف ما تأتى عليه.

أحبتى فى الله.

وكانت الريح هى سبب هلاك قوم هود، قال تعالى ﴿**وفى عاد إذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم الرِيح الْعَقيم**﴾ [الذاريات: ٤١] ومعنى عقيم: أى لا تأتى بخير

قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -

وهى التى لا خيـر فيهـا ولا بركة، لا تلقح شجـرًا، ولا تحمل مطرًا، وإنما هى للإهلاك.

ووصف الله عز وجل هلاك عاد بالريح المدمرة العاتية، فقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلكُوا بريحٍ صرصر عاتيَة ﴿٦﴾ سخَّرها عَلَيْهِمْ سبع ليالٍ وثمانية أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرى الْقَوْمَ فيهَا صرْعىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نخْلٍ خاوِية ﴿٧﴾ فهلْ ترىٰ لهم مّنْ باقية..**﴾ [الحاقة: ٦ - ٨] ففى هذه الآيات تصوير فنى لمصرع عاد بعذاب شديد، استمر سبع ليال وثمـانية أيام متتابـعات، وأهلكهم وأباد قراهم عن آخرها وقـال تعالى عنهم ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صرصراً في أَيَّامٍ نَّحسات لِّنُذيقهُم عذاب الْخزي في الْحياة الدُّنْيا وَلَعَذَابُ الآخرة أَخْزَىٰ وهُمْ لا يُنصَرُونَ**﴾ [فصلت: ١٦] والصرصر الشديدة العاتية، ويوم نحس، أى شديد الشقاء. قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عليهم رِيحا صرْصرا فِي يومِ نحسٍ مُّسْتَمرٍ ﴿١٩﴾ تنزعُ النَّاس كَأَنَّهُم أَعْجَازُ نخلٍ منقعرٍ**﴾ [القمر ١٩، ٢]

قال السعدى فى تفسيره:

كأنهم جثث بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوى، الذى أصابته الريح، فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره[١]

---

(١) تفسير (تيسير الكريم الرحمن) ص ٨٢٦

وقال ابن كثير جعلت الريح تضرب بأحـدهم الأرض، فيخر ميتًا على أم رأسه فينشدخ رأسه، وتبقى جثته هامدة، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان[١]

وقال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥]

وكذلك من صور عـذاب الريح، ما نال أمريكا، فقد سـلط الله عز وجل عليهم إعصار كاترينا، الذى لم يستغرق سـوى سويعات معدودات. وتجاوز ضحاياه آلاف البشر ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾ [البروج: ١٢]

أحبتى الكرام.

وهناك فرق بين الريح والرياح، فما هو الفرق؟

الريح بالمفرد قد تكون رحمـة، كما فى قوله عز وجل: ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ..** ﴾ [يونس: ٢٢] وقد تكون عذابًا

أما الرياح بالجمـع فلا تكون إلا خيرًا ورحمـة. ويدل لذلك حديث النبى ﷺ الذى يقول فيه: «**الريح تبعث عذابًا لقوم، ورحمة لآخرين**»[٢]

وحديث: «**الريح من روح الله تأتى بالرحمـة، وتأتى بالعذاب، فإذا رأيتمـوها فلا تسبوها، وسلوا الله خيرها، واستعيذوا بالله من شرها**»[٣]

لهذا السبب نهى رسول الله ﷺ عن سب الريح، ولكن ينبغى للمسلم أن يقول كما علمنا رسول الله ﷺ فى الوصية التى نعيش فى رحابها: «**اللهم إنا نسألك خير هذه الريح، وخير ما فـيها، وخير ما أمرت به، ونعـوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما**

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٩ ٢)

(٢) **صحيح**: ذكره الألبانى فى الصحيحة (١٨٧٤) وفى صحيح الجامع برقم (٣٥٦٣)

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألبانى برقم (٣٥٦٤) فى صحيح الجامع.

فيها، وشر ما أمرت به»[١] وكما نهانا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ عن سب الريح فقد نهانا عن لعنها، فقال عندما لعن رجل الريح فى مجلسه: «**لا تلعن الريح فإنها مأمورة، من لعن شيئًا ليس له بأهل، رجعت اللعنة عليه**»[٢] وكان النبى ﷺ إذا اشتد الريح يقول: «**اللهمَّ لقحًا لا عقيمًا**»[٣] لأنها تقوم بتلقيح النباتات، وهى رحمة من الله، ونعمة من نعمه، قال تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ [الحجر: ٢٢] فتلقيح النبات بالعوامل الطبيعية يكون بواسطة الحشرات والطيور، وبواسطة المياه، وبواسطة الريح، وهو ما يسمى بالتلقيح الريحى والتلقيح الريحى ضرورى فى عملية الإخصاب، لاسيما للنباتات التى لا تنجذب إليها الحشرات، فتقوم الرياح بنقل (حبيبات اللقاح) من الذكور فى النبات إلى الإناث، فيتم الإخصاب.

وكذلك فإن من فوائد الرياح: أنها تحرك السفن، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [الشورى: ٣٢، ٣٣] فالسفن التى تعمل بالمحركات والوقود لابد من وجود الرياح، حتى تتم عملية احتراق الوقود، ولايمكن لهذه الأجهزة أن تعمل بكفاءة إلا بهواء التبريد.

ولا تزال هذه الأنواع من الفلك التى تجرى بواسطة الرياح، مسخرة للبشر فتبقى منة الله فى الآية باقية ما بقى الليل والنهار

أحبتى الكرام.

الرياح من الآيات الربانية التى تدخل السرور على النفس البشرية، ويستبشر بها،

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه فى أول الوصية.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذى وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨٠) والصحيحة (٥٢٨) وصحيح سنن الترمذى (٦١ ٢)

(٣) **حسن**: حسنه الألبانى فى الصحيحة برقم (٥٨ ٢) وصحيح الجامع (٤٦٧).

قال تعالى: ﴿وهُو الَّذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأَنزَلْنَا من السماء مَاء طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨]

وقال سبحانه: ﴿ومن آياته أَن يرسلِ الرياح مبشّرات وليُذيقَكُم مّن رَّحْمَته ولَتجرِى الْفُلْك بأَمْرِه ولتَبْتَغوا من فضْله ولعَلَّكُمْ تشْكُرُون﴾ [الروم: ٤٦]

وقد أوضح الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - فى كتابه (زاد المسير) عند تأويله لهذه الآية، أن هذه الجمل كلها تتعلق بالرياح.

﴿ومنْ آيَاته أَن يرسل الرياح مبشّرات..﴾ فتفرح النفوس بالرياح

﴿وَلِيُذيقَكُم مّن رحمته.﴾ بالمطر الذى تحمله الرياح.

﴿وَلتجرِى الْفُلْك بأَمْرِه.﴾ والفلك تحركها الرياح.

﴿وَلتَبْتَغُوا من فَضْله..﴾ بتجارة البحار، التى تحرك الرياح بواخرها.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تشْكُرُونَ﴾ أى تشكرون الله على نعمة الرياح.

والرياح اليوم تعتبر مصدرًا من مصادر الطاقة، فطواحين الهواء، استمدت فكرتها من هذه الآية الربانية الكونية

وكذلك من فوائد الرياح أنها تنقل السحب إلى الأرض الميتة، فينزل المطر ليحيى هذه الأرض. قال تعالى: ﴿وهو الَّذى يرسلُ الرِّيَاح بُشْرًا بيْن يدى رحمته حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سحابًا ثقَالاً سُقْنَاهُ لبَلَد مَيِّت فَأَنزلْنَا به الْماء فَأَخْرَجْنَا به من كُلِّ الثَّمرات كَذَلك نُخْرِجُ الْموْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تذَكَّرُون﴾ [الأعراف: ٥٧]

والريح والرياح كلاهما من آيات الله عز وجل، ودلائل قدرته، قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّ فى خَلْقِ السموات والأَرْض واخْتلاف اللَّيْلِ والنَّهارِ والْفُلك الَّتى تجْرى فى الْبحرِ بمَا ينفعُ النَّاس وما أنزل اللَّهُ من السماء من مَّاءٍ فَأَحْيَا به الأَرْض بعْدَ موْتهَا وَبَثَّ فيهَا من كُلِّ دَابَّة وتصْريف الرياحِ والسحاب الْمُسخَّرِ بين السَّمَاء والأَرْضِ لآيَات لِّقَوْمٍ يعْقلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

قـال السعـدى - رحمـه الله - فى قـوله وتصريف الريح أى باردة وحـارة، وجنوبًا وشـمالاً، وشرقًـا ودبورًا، وبين ذلك. وتارة تثـير السحـاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقـحه، وتارة تدره، وتـارة تمزقه، وتزيل ضـرره، وتارة تكون رحمـة، وتارة ترسل بالعذاب. فمن الذى صرفها هذا التصريف؟ وأودع فيها من منافع العباد ما لا يسـتغنون عنه؟ وجعلهـا تصلح للأبدان والأشجار، والحـبوب، والنوابت، إلا العزيز الرحيم[1]؟

تقول السيدة عائشة ﵂: كان رسول الله ﷺ إذا رأى غيمًا أو ريحًا، عرف ذلك فى وجهه، فقالت: يا رسـول الله، أرى الناس إذا رأوا الغيم، فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت فـى وجهك الكراهية، فقال: «**يا عائشة، ما يؤمننى أن يكون فـيه عـذاب، قد عـذب قوم بالريح، وقـد رأى قوم العـذاب، فقـالوا: (هذا عارض ممطرنا)**»[2] وفى لفظ لمسلم: كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم الريح والغيم، عرف ذلك فى وجـهه، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سـر به، وذهب عنه ذلك، قالت عائشة ﵂: فسألته، فقال: «**إنى خشيت أن يكون عذابًا سلط على أمتى**»[3]

ولعل هذا قبل أن يُنزل الله عز وجل قوله تعالى: ﴿**وما كان اللَّهُ ليُعَذّبَهُمْ وَأَنت فيهِم وَمَا كَان اللَّهُ مُعَذّبَهُمْ وَهُمْ يسْتَغْفرونَ**﴾ [الأنفال: ٣٣]

أحبتى فى الله.

وبعد أن عرفنا كل هذا عن الريح أو الرياح، فهل هناك أحكام تتعلق بها؟ أو هل يجوز التخلف عن صلاة الجماعة بسبب الريح الشديدة؟

والجواب: أن الريح إذا اشتـدت، وضعف الإنسان عن الذهاب إلى المسـجد فلا واجب مع العجز، ألم يقل الله تعالى فى كتابه ﴿**فَاتَّقُوا اللَّه ما اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦] وقال: ﴿**لا يُكَلّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسعها**﴾؟ [البقرة: ٢٨٦]

---

(١) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان ص ٧٨ للشيخ السعدى - رحمه الله.
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه مسلم.

ألم يقل النبى ﷺ «**إذا أمـرتكم بأمـر، فأتوا مـنه ما استطعـتم**»؟ وقد ورد فى الصحيحين عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما أذن بالصلاة فى ليلة ذات برد وريح، ثم قال: «**ألا صلوا فى الرحال**» ثم قال إن رسول الله ﷺ كان يأمر المؤذن إذا كانت ليلة ذات برد ومطر، أن يقول: «**صلوا فى الرحال**»[1] بدلاً من (حى على الصلاة، وحى على الفـلاح) وإذا اجتمـع الناس فى المسجـد، فاشـتدت الريح، فلهم أن يجـمعـوا بين الصلاتين المغرب والعشاء، أو الظهر والعصر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة فى غير خوف ولا مطر

فقيل لابن عباس: لم فعل ذلك؟

قال: لكى لايحرج أمته أى كى لا يشق عليها[2]

ففى الحديث دليـل على الجمع إذا كان هناك حرج أو عذر، والـريح إذا عصفت واشتدت، وأثارت الرمال والغبار، كانت عذرًا. والله أعلم.

اللهم جمل بواطـننا بالإخلاص لك، وحسِّن أعمـالنا باتباع رسـولك والتأدب بآدابه. اللهمَّ أيقظنا من الغفلات، ونجنا من الدركات وكفر عنا الذنوب والسيئات.

اللهمَّ ارزقنا تلاوة كتابك حق التلاوة، واجعلنا ممن نال به الفلاح والسعادة.

اللهم فرج كربتنا، وارحم ضعفنا، واقض حوائجنا، واكفنا شر ما أهمنا وغمنا، وعلى الحق والهداية توفنا وأنت راضٍ عنا يا كريم واغفر لنا ولجميع المسلمين.

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

الوصية رقم (٢٨)

* لا تقولوا للمنافق سيدًا

عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال. «**لا تقولوا للمنافق سيدًا، فإنه إن يك سيدًا، فقد أسخطتم ربكم عز وجل**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

فى هذه الوصية الكريمة المباركة ينهانا أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية، سيدنا محمد ﷺ أن لا نعظم من لا يستحق التعظيم، لأن فى ذلك غضبه سبحانه، وعدم رضاه، وخاصة إذا كان ذلك المعظم منافقًا، أو يكون الإنسان الذى يعظم إنسانًا آخر لا يستحق التعظيم، فهذا من باب الكذب والنفاق.

والمنافق هو الذى يظهر خلاف ما يبطن. يظهر الخير، ويبطن الشر يظهر الحب، ويبطن البغض. يظهر المودة، ويبطن الحقد والحسد. يظهر الإخلاص، ويبطن الرياء والمداهنة. يظهر التدين وهو منه براء.

إننا نعيش فى هذه الأيام زمن النفاق. زمن النفاق والمنافقين الذين اعتبروا الجاهل عالـمًا. وجعلوا الشريف وضيعا. والوضيع شريف، زمن النفاق الذى صار فيه الخائن أمينًا. وصار اللئيم كريمًا زمن النفاق الذى سمى المتدين فيه إرهابيًا

وقد أخبرنا القرآن الكريم بأن النفاق مذموم، وأن المنافقين مذمومون وأخبرنا أنهم فى الدرك الأسفل من النار، وذلك إذا كان نفاقهم نفاقًا فى عقيدتهم.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والنسائى وابن حبان وغيرهم وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٧) وصحيح الجامع (٥ ٧٤) وصحيح الترغيب (٢٩٢٣)

ولأجل خطر النفاق والمنافقين ذهب فاروق الأمة عمر بن الخطاب ﷺ يذهب إلى حذيفة بن اليمان - كاتم سر الرسول الأعظم ﷺ لكى يسأله، قائلاً له: أنشدك بالله يا حذيفة، أما ذكرنى رسول الله ﷺ مع المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكى أحداً بعدك الله أكبر عمر بن الخطاب الذى قال عنه رسول الله ﷺ: **«والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا، إلا سلك فجًّا غيرك فجك»**[1] يسأل حذيفة، خائفًا أن يكون اسمه بين أسماء المنافقين؟! لله درك يا أبا حفص.

إذًا النفاق أمر عظيم، وخطره جسيم. ولا يخفى على المسلم أنه لن يجد علامة محددة. لن تجد للمنافق علامة صريحة. لن تجد لافتة مكتوبة عند رأسه بأنه منافق. ولن تجد أيضا من يرضى أن يوصم بالنفاق أو يعد من المنافقين، ولو كان من شرار الخليقة، وكبار المنافقين، ولكنها أعمالهم وأفعالهم، التى تكشف النفاق، وتحدد هويتهم.

الأفعال تفضحهم. ولحن القول يرديهم. وفلتات اللسان تبرزهم قال تعالى لرسوله ﷺ ﴿**وَلَوْ نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهُمْ ولتعرِفنَّهُمْ فِى لحْنِ الْقَوْل وَاللَّهُ يَعلَمُ أَعْمالَكم**..﴾ [محمد: ٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

«فمعرفة المنافقين فى لحن القول ثابتة، مقسم عليها، لكن هذا يكون إذا تكلموا، وأما معرفتهم بالسيما، فهو موقوف على مشيئة الله».

وهناك أسئلة متعددة تتوارد على المسلم:

ما هو موقف المسلم من المنافقين؟

وما هى أنواع النفاق؟

وهل أحدنا فى نجوة منه؟ أم لابد أن يتهم المسلم نفسه؟

---

(١) رواه البخارى.

إنَّ المتأمل فى كتاب الله تعالى وفى سنة رسوله ﷺ يجد الإجابة على هذه الأسئلة. يجد الإجابة عن موقفه الشرعى من المنافقين.

أولاً: ينبغى الحذر منهم، فلقد حذر رب العزة واجلال رسوله محمدًا ﷺ منهم، فقال: ﴿**هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُون**﴾ [المنافقون: ٤] ولم لا يكون الحذر منهم، وهم يظهرون ما لا يبطنون، ويسرون ما لا يعلنون بل ولربما تحدثوا باسم الدين، وقد يُغتر بهم، فيُحسبون من الناصحين والله بهم عليم.

ثانيًا: تحقيرهم، وعدم تسويدهم، كما بينت السنة المطهرة فى الوصية التى نحن بصدد الحديث عنها: «**لا تقولوا للمنافق سيدًا، إن يك سيدًا، فقد أغضبتم ربكم**»[١]

ثالثا: عدم موالاتهم، والحذر من اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، كما قال رب العالمين جل فى علاه مناديًا على المؤمنين: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذين آمنوا لا تَتَّخذُوا بطَانَةً من دونكُم لا يَأْلُونَكُم خبالاً ودُّوا ما عنتُّمْ قَدْ بَدت الْبَغْضَاء من أَفْوَاههم وما تُخْفى صُدُورهُم أَكْبَرُ قَد بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَات إن كُنتُمْ تعقلُون ﴿١١٨﴾ ها أَنتم أُوْلاء تُحبُّونَهم وَلا يحبونَكُمْ وَتُؤمنون بالْكتَاب كُلِّه وإذا لَقُوكُمْ قالُوا آمَنَّا وإذا خلوا عضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامل من الْغَيْظ قُلْ مُوتُوا بغَيْظكُمْ إنَّ اللَّه عَليمٌ بذات الصُّدُور**﴾ [آل عمران: ١١٧ - ١١٩]

رابعًا: عدم الدفاع عنهم، والمجادلة عنهم، كما فى قوله لنبيه ﷺ ﴿**إنَّا أنزلْنَا إلَيْك الْكتَاب بالحَقّ لتَحْكُم بَيْن النَّاس بما أَرَاك اللَّهُ وَلا تَكُن لّلْخائنين خصيماً ﴿١٠٥﴾ واسْتَغْفر اللَّهَ إنَّ اللَّهَ كَان غَفُورا رحيما ﴿١٠٦﴾ ولا تجادلْ عن الَّذين يخْتَانونَ أَنفُسَهُمْ إنَّ اللَّه لا يُحبُّ مَن كان خَوَّانًا أثيما**﴾ [النساء: ١٠٥ - ١٠٧]

خامسًا: ينبغى على المسلم أن يفضح أساليبهم، ويكشف خططهم، فهم جبناء، ليست عندهم الجرأة على أن يصرحوا بما يريدون، بل هم أصحاب حيل ومكر وخديعة، وأصحاب ظواهر لا بواطن، فلربما سعوا إلى التدمير باسم التطوير، ولربما

---

(١) سبق تخريجه.

سعوا فى الأرض فسادًا، وهم يزعمون أنهم هم المصلحون. كما قال سبحانه عنهم: ﴿أَلا إِنَّهُم هم الْمُفسدون ولَكن لاَّ يشْعُرُون﴾ [البقرة: ١٢].

سادسًا: ينبغي مجاهدتهم بقدر الطاقة، والغلظة عليهم، امتثالاً لقول الله عز وجل: ﴿أَيُّها النَّبى جاهد الْكُفَّار والْمُنَافقين واغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبئْس الْمصيرُ﴾ [التحريم. ٩]

قال الإمام القرطبى: الخطاب للنبى ﷺ وتدخل فيه أمته من بعده.

سابعًا: ينبغى على المسلم أن يواظب على وعظهم، ويقوم بتذكيرهم بأن الله عز وجل مطلع على ما خفى، وعالم ببواطنهم، ومراقب لهم فى السر والعلانية، قال سبحانه لرسوله وحبيبه ﷺ ﴿أُولَئك الَّذين يعْلَمُ اللَّهُ ما فِي قُلُوبهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وعظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فى أَنفُسهم قَولا بليغًا﴾ [النساء: ٦٣].

أحبتى الكرام.

النفاق كله شر ووبال. وهو نوعان:

١ - نفاق فى العقيدة، وهو الذى يخلد صاحبه فى النار - والعياذ بالله - لأن صاحبه يظهر الإسلام، ويبطن الكفر

٢ - نفاق سلوكى، وهو من أكبر الذنوب، وهو التلبس بشئ من علامات المنافقين كالكذب فى الحديث، والخلف فى الوعد، ونحو ذلك من أوصاف، قال النبى المصطفى ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[١]

والنفاق أكبر وأصغر، كما أن الكفر أكبر وأصغر، ولذا قال أهل العلم عن الكفر كفر بنقل عن الملة، وكفرٌ لا ينقل عن الملة.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله - لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا، بل

(١) رواه البخارى وأحمد

فيهم المنافق المحض - (الخالص) وفيه من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب، وفيه شعبة من النفاق.

وفى زماننا تسمى المنافقون بأسماء ظاهرها جمال، وباطنها مر المذاق، ومن ذلك من يسمون بالعلمانيين، ومنهم من يسمون أنفسهم بالحداثيين، الذين يتنكرون لكل ما هو ماض، بزعم أن ذلك تخلف ورجعية، فينكرون الدين واللغة والأخلاق الفاضلة، ويصفون أنفسهم بالأدباء والمثقفين وتنشر صورهم، وتلمع أسماؤهم، وتؤخذ آراؤهم.

أحبتى فى الله

وهذا كله يدعونا إلى الحذر من النفاق، صغيره وكبيره، دقه وجله، العملى منه والاعتقادى، فقد يؤول النفاق الأصغر بصاحبه إلى النفاق الأكبر - والعياذ بالله -

يقول الإمام ابن رجب الحنبلى - رحمه الله -

والنفاق الأصغر وسيلة إلى النفاق الأكبر، كما أن المعاصى بريد الكفر وكما يخشى على من أصر على المعصية أن يسلب الإيمان عند الموت، كذلك يخشى على من أصر على النفاق أن يسلب الإيمان، فيصير منافقًا خالصًا»

إنَّ العبد إذا لم يتعاهد إيمانه، ويحافظ على طاعة ربه، واستهان بالمعاصى، قاده ذلك إلى الشر ومراتعه، فينسل من الخير رويدا رويدًا، حتى يغلف قلبه الران، الذى قال عنه سيدنا وحبيبنا ومعلمنا محمد ﷺ **«تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عودًا عودًا فأى قلب أشربها، نكتت فى قلبه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها، نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه»**[1]

فينبغى على كل مسلم أن يخاف على نفسه من الوقوع فى هذا الداء الوبيل فقد

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد عن حذيفة وذكره الألبانى فى صحيح الجامع (٢٩٦).

كان السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يخافون على أنفسهم من النفاق أشد الخوف، فقد رأينا حرص عمر بن الخطاب على أن يسأل كاتم سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه هل كتبه رسول الله مع المنافقين.

بل كان عمر يتفقد حذيفة حين يموت أحد، فإذا صلى حذيفة عليه، علم أنه ليس من المنافقين، فصلى عليه، وإذا لم يصلِّ حذيفة، لم يكن عمر يصلى هو الآخر

وقال البخارى رحمه الله - قال ابن أبى ملكية: أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق.

وسئل الإمام أحمد - رحمه الله - ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟

فقال: ومن يأمن النفاق على نفسه؟

إذا كان هذا فى عصور مضت، فكيف بنا وقد صرنا فى عصر كثر فيه النفاق وطغت فيه الشهوات، وعصى فيه رب الأرض والسموات؟!

فحذيفة رضي الله عنه يقول منذ زمن السلف، الذين قال فيهم النبى ﷺ: «**خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**..»[١] يقول. المنافقون اليوم، شر منهم على عهد رسول الله، كانوا يومئذ يكتمونه، وهم اليوم يظهرونه[٢]

قالوا لابن عمر رضي الله عنهما: إذا دخلنا على هؤلاء - أى الأمراء والحكام - نقول ما يشتهون، فإذا خرجنا من عندهم، قلنا خلاف ذلك؟!

قال: كنَّا نعد ذلك نفاقًا على عهد رسول الله ﷺ[٣]

فكيف بنا الآن؟ ونحن نساير الكبراء، ونصفق لهم، ثم نكون خلاف ذلك

---

(١) صحيح. رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وغيرهم.

(٢) حلية الأولياء (١/ ٢٨) لأبى نعيم

(٣) المصدر السابق (٤/ ٣٣٢).

بعدهم؟ ورسول الله ﷺ يبين أن هذا أشر أصناف البشر إنه المنافق. **«تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله تعالى،ذا الوجهين، الذى يأتى هذا بوجه، وذاك بوجه آخر»**[(١)]

يقول نوف البكالى - وكان يقرأ الكتب السابقة -:

إنى لأجد أناسا من هذه الأمة قومًا يحتالون للدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس مسوح الضأن وقلوبهم قلوب الذئاب. يقول الرب: فعلىَّ تجترئون، وبى تغترون؟ حلفت بنفسى، لأبعثن عليهم فتنة، تترك الحليم فيهم حيران[(٢)]

قال القرطى:

تدبرتها فى القرآن، فإذا هم المنافقون: ﴿**من النَّاسِ من يعجبُك قَوْلُهُ فِى الْحَيَاة الدُّنْيَا وَيُشْهدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبه وَهُوَ أَلَدُّ الْخصَام ﴿٢٠٤﴾ وإذا تولَّىٰ سعىٰ فِى الأَرْضِ لِيُفْسد فيهَا وَيُهلكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحبُّ الْفَسَادَ**..﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

أحبتى الكرام.

الحذر الحذر من النفاق وخصال المنافقين، اصدقوا فى الأقوال والأفعال. عن الأوزاعى قال: إنَّ المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يقول كثيرًا ويعمل قليلاً

إذا رأيت أنك تحب الحمد وتكره الذم، فاحذر النفاق، فعن وهب بن منبه قال: من خصال المنافق: أنه يحب الحمد ويكره الذم.

وفوا بعهودكم، واعفوا إذا ظلمتم، ولا تخونوا، ولا تراءوا فالرياء شعبة من النفاق، وخصلة من خصاله[(٣)]

عن شميط بن عجلان قال: أوحى الله إلى داود عليه السلام: **(ألا ترى إلى**

---

(١) صحيح. رواه أحمد والبيهقى وصححه الألبانى.

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٤٩) لأبى نعيم.

(٣) المرجع السابق (٦/ ١٤٢).

المنافق، كيف يخادعنى، وأنا أخادعه؟ يسبحنى بطرف لسانه، وقلبه بعيد منى؟! يا دواد: قل للملأ من بنى إسرائيل: لا يدعونى والخطايا بين أضبانهم - أى أحضانهم أى فى قلوبهم - ليلقوها - أى يتركوها، ثم يدعونى أستجب لهم).

فلا نكن وليًا لله فى العلانية، وعدوه فى السر، وابتعد عن المنافقين، لا تصاحب منافقًا، ولا تصادق ذا الوجهين، فالوحدة أحسن من صحبته ولله در إمامنا الشافعى - حين قال:

إذا لم أجد خلاً تقيا فوحدتى
ألذ وأشهى من غوىٍّ أعاشره
وأجلس وحدى للعبادة آمنا
أمرّ لعينى من جليس أحاذره[1]

وكونوا حربًا على المنافقين، يرض عنكم رب العالمين، ويحبكم رسوله الأمين وتحشرون يوم القيامة مع المتقين الفائزين.

اللهم يا عالم الأسرار، ويا مطلعًا على الضمائر. يا من أظهر غناه للراغبين، اجعل مآلنا إلى دار المقربين، وكتابنا فى عليين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأعذنا من عذابك وانتقامك يا رب العالمين.

اللهم يا مقدر المقدور ويا عالمًا بما تخفيه الصدور، اغفر لنا يوم الحشر والنشور. واستر علينا يوم تبلى السرائر واغفر لنا ولجميع المسلمين.

---

(١) الحلية (١٢٨/٣) لأبى نعيم

الوصية رقم (٢٩)
النهى عن الطيرة

عن فضالة بن عبيد الأنصارى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك**» قالوا: فما كفارة ذلك يا رسول الله؟

قال ﷺ: «**أن تقولوا: اللهمَّ لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

احذروا الطيرة، فإنها نوع من أنواع الشرك - والعياذ بالله - وقد حذرنا رسولنا ومعلمنا ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ من هذا النوع من الشرك، وهو الطيرة، فقال كما فى هذه الوصية: «**من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك**» إنه أسلوب خبرى يتضمن النهى عن الطيرة فما هى الطيرة؟ وما صورها فى الزمن الماضى؟ وما صورها فى زماننا الحاضر؟ وكيف عالجها أستاذنا ومعلمنا ﷺ؟

أما الطيرة فهى التشاؤم من الشيء المرئى، أو المسموع، أو المعلوم سميت بذلك إما من الطير، لأن العرب كانت تزجر الطير، أى ترسلها وتتفاءل أو تتشاءم فى أصواتها وممراتها.

كانت العرب تتشاءم من الغراب، لأن القوم كانوا إذا فارقوا ديارهم وتركوها خالية، وقعت الغربان عليها تأكل من بقايا ما تركوا وتنعق وتصيح على عادتها، وقد تألف المكان، فتتخذه سكنًا لها.

---

(١) صحيح. رواه أحمد والطبرانى وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٠٦٥) وصحيح الجامع (٦٢٦٤).

فكرهها العرب وأبغضوها شكلاً وصوتًا، واعتبروها نذير الخراب والفرقة، وسموا الغراب (غراب البين) أى الفراق.

ولقد كان هذا التطير والتشاؤم من الغراب منتشرًا بين العرب الرحل، ومع تعاقب السنين هاجر إلى المدن والقرى، وشاركوهم هذا الاعتقاد.

أحبتى فى الله.

ولما كانت البومة تشارك الغراب فى هذه الصفات تشاءموا منها، وإذا وقعت على بيت أحدهم قال: نعت إلى نفسى - أى أنه سيموت -

أو أحدًا من أهل بيتى وكانوا يدعون على من يكرهونه أن يصبح بيته خرابًا تنعق فيه البوم والغربان.

وكأن الطائر (البوم، أو الغراب) عندهم يقرر المصير، ويحدد المستقبل ويؤثر فى مجرى حياتهم

فعندما يريد أحدهم أن يتخذ قرارًا، كسفر ونحوه، فإنه يذهب إلى ذلك الطائر الجاثم فى عشه، ويدفعه إلى الطيران، فإذا اتجه يمينًا، تفاءل وتقدم، وإذا اتجه شمالاً تشاءم وأحجم، وكانوا يقولون: على الطائر الميمون. وفى عصرنا الحاضر، أضيف الخفاش إلى قائمة الطيور التى تجلب الشؤم، لأنه يأوى إلى البيوت المظلمة الخالية من أهلها، فاعتبره المتشائم نذير خراب للبيت، الذى يظهر فيه.

وكذلك فى عصرنا الحاضر، قامت الكلمة مكان الطائر، حيث تنشر الصحف والمطابع كل صباح، عناوين مثيرة مثل: حظك هذا اليوم. بختك هذا اليوم. أو أنت والنجوم. مع ذكر البرج والميلاد.

إنها كلمات يسطرها شخص يحدد فيها مصير الإنسان، وما يحدث فيه من نجاح، أو فشل، أو غنى أو فقر، أو صحة أو مرض.

أيها الأحبة الكرام.

هذا عندنا فى شرقنا العربى المعاصر، أما الغرب الذى يعتمد على العلم، ويزعم أنه يكفيه عن الإيمان. يتشاءمون من العدد (١٣) بل ويفرون منه هلعًا، يعتبرونه

نحسا وشؤمًا، ويرفضون التعامل معه فى مواقع تواجده سواء كان غرفة فى فندق. أو مقعد فى سيارة أو طائرة. أو رقم شقة. ونحو ذلك.

ما السبب فى ذلك؟

إنهم زعموا أن اليهود لما أرادوا قتل المسيح عليه السلام، وجدوا أن الحوارى الذى أرشدهم إليه يحمل الرقم الثالث عشر

إنه التشاؤم المتأصل فى الغرب، المبنى على ضلال، والذى لا أصل له

التشاؤم سوء ظن بالله عز وجل بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به سبحانه، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال

المتطير إنسان ضيق الصدر، مغلق النفس، فاتر الهمة، ثقيل الظل، كسول، متلبد. وهو جبان رعديد، يشتد فزعه من الحوادث التافهة الحقيرة، ويغضب أشد الغضب لأدنى تصرف لا يحبه.

المتطير يعيش فى عالم الأحلام والأوهام والخيالات، ويشعر دائما بالخيبة والخسارة، والخذلان.

أحبتى فى الله.

ولقد وردت أدلة النهى من الشرع الحنيف عن التطير، فأخبر الله عز وجل عن المشركين أنهم كانوا يتطيرون بالمؤمنين، ومن ذلك قول الله جل فى علاه: ﴿ **فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٣١] ومما لا شك فيه أن هذا ورد على سبيل الذم لهذه العادة القبيحة.

وهناك أدلة متعددة من السنة المطهرة على تحريم التطير والتشاؤم والتحذير منهما، والحث على الإقدام بعد العزم، والأمر بالتفاؤل والتحذير من التباطؤ والعجز، بسبب الأوهام، من هذه الأدلة:

١ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفر من المجذوم، كما تفر من الأسد»**[١]

٢ - وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لا طيرة وخيرها الفأل»** قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟

قال: **«الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»**[٢]

٣ - وقوله ﷺ **«الطيرة شرك»**[٣] وكررها ثلاثًا كما فى بعضها **قال الشيخ بن** عثيمين - رحمه الله - واعلم أن التطير ينافى التوحيد، ووجه منا فاته لهمن وجهين

الأول: أن المتطير قطع توكله عى الله، واعتمد على غيره.

الثانى: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له

٤ - وفى الوصية التى نعيش فى ظلالها: **«من ردته الطيرة عن حاجته، فقد أشرك»**[٤] وقد جعل ذلك شركًا، لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا، أو يدفع ضرًا، فكأنهم أشركوا مع الله عز وجل

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله ومن امتنع بها - أى بالتشاؤم، أو بالطيرة - عما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه، وبرئ من التوكل على الله، وفتح على نفسه باب الخوف، والتعلق بغير الله[٥]

٥ - وقد جاء الوعيد للمتطيرين فى قوله ﷺ **«ليس منا من تطير أو تطير له»**[٦].

---

(١) رواه البخارى وأحمد.

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٥٣٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذى وابن حبان وقال الترمذى حسن صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) مفتاح دار السعادة (٣/ ٣١١) لابن القيم.

(٦) **صحيح**: رواه البزار والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٣٥) والصحيحة برقم (٢١٩٥).

لكن ما الفرق بين الطيرة والفأل؟

وقد جاء فى حديث أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**لاعدوى ولا طيرة، ويعجبنى الفأل**» قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**» وفى رواية: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبنى الفأل، الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة**»(١)

قال الكرمانى:

وقد جعل الله تعالى فى الفطرة محبة ذلك، كما جعل فيها الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافى، وإن لم يشرب منه أو يستعمله.

فالطيرة منهى عنها كما سمعنا الأحاديث المتقدمة، وأما الفأل فمحبوب مندوب إليه، لأن الطيرة تشاؤم وهو سوء ظن بالله عز وجل بغير سبب محقق، والفأل حسن ظن بالله عز وجل(٢)

قال الإمام النووى - رحمه الله -: قال العلماء: وإنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمل فائدة الله عز وجل وفضله عند سبب قوى أو ضعيف فهو على خير فى الحال، وإن غلط فى جهة الرجاء، فالرجاء له خير، وأما إذا قطع رجاءه وأمله من الله، فإن ذلك شر له، والطيرة فيها سوء الظن، وتوقع البلاء(٣)

وقال الخطابى - رحمه الله - الفرق بين الفأل والطيرة، أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا فى السوء، فلذلك كرهت(٤)

والإمام النووى، ذكر أن الفأل يكون فيما يسوء وفيما يسرلكن أكثره فى السرور، لكن الطيرة لا تكون إلا فى الشؤم.

---

(١) سبق تخريجه رواه البخارى (٥٤٤) ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) عون المعبود.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى.

(٤) فتح البارى (١/ ٢١٥) لابن حجر العسقلانى

أيها الأحبة الكرام.

وقد ورد حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«لا عدوى، ولا طيرة، والشؤم فى ثلاثة: فى المرأة، والدار، والدابة»**[١]

فما المقصود بحديث النبى ﷺ هذا؟ أو ماذا يكون المراد من شؤم المرأة والدابة والدار؟

قال أهل العلم: المراد بشؤم المرأة، سوء خلقها، ورداءة طبعها، وكبرها وتعاليها، ونشوزها على زوجها خاصة، وهذا هوالأصح.

وأمَّا شؤم الدابة، ففى صعوبة قيادتها، وقباحة طبعها.

وأمَّا شؤم الدار، ففى ضيقها، وسوء جيرانها، ولذا قيل: الجار قبل الدار.
والتطير والتشاؤم له أسباب كثيرة، منها:

١ - ضعف اليقين، وعدم التوكل على الله عز وجل، الذى بيده مقاليد الأمور، وبيده مفاتيح خزائن السموات والأرض.

٢ - كذلك الإنسان الذى يتشاءم لا يستحضر نعم الله الكثيرة عليه.

نعمٌ فى نفسه، نعمٌ فى ماله، نعمٌ فى أهله، ولذلك قال ﷺ: **«من أصبح آمنًا فى سر به، معافىً فى جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذا فيرها»**[٢]

٣ - وكذلك الإنسان المتشائم يجعل الدنيا أكبر همه، ويتغافل عن الآخرة وقد قال ﷺ: **«من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه فى قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلاما قدر له»**[٣]

---

(١) صحيح. السلسلة الصحيحة للألبانى (٧٨٨) وصحيح الجامع (٧٥٢٨).
(٢) حسن. رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٢٣١٨) وصحيح الترغيب (٨٣٣).
(٣) صحيح: رواه ابن حبان وأبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٠) وصحيح الجامع (٦٥١)

٤ - الإنسان المتطير ضعيف الإيمان، قليل الذكر، ضعيف العقل، قليل البصيرة. متعب القلب. كاسف البال. سيئ الخُلق. أشد الناس خوفًا. وأنكدهم عيشًا. وأضيقهم صدرًا.

أيها الأحبة الكرام.

بقى معنا أن نتساءل ما هو علاج التطير؟ ما هو علاج التشاؤم؟

إنَّ من رحمة الله عز وجل بعباده أنه ما أنزل من داء إلا جعل له دواء، ولا شك أن التشاؤم داء عظيم. وقد شفى النبى الأعظم، والرسول الأكرم أمته من هذه العلة الخبيثة، حيث جاءه الصحابى الجليل معاوية بن الحكم السلمى، فقال له: يا رسول الله، إنى حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منَّا رجالاً يأتون الكهان، قال: «**فلا تأتهم**» قال: ومنَّا رجال يتطيرون. قال. «**ذاك شىء يجدونه فى صدورهم، فلا يصدنهم**»(١)

قال الماوردى - رحمه الله -: ينبغى لمن منى بالتطير، أن يصرف عن نفسه دواعى الخيبة، وذرائع الحرمان، ولا يجعل للشيطان سلطانًا فى نقض عزائمه، ومعارضة خالقه، ويعلم أن قضاء الله تعالى عليه غالب، وأن رزقه له طالب، إلا أن الحركة سبب فلا يثنيه عنها ما لا يضير مخلوقًا ولا يدفع مقدورًا، وليمض فى عزائمه واثقًا بالله تعالى إن أعطى، وراضيًا به إن منع

فليصدق المسلم مع نفسه وربه، وليثق به، وليتوكل عليه، ويطرح الوساوس والأوهام، ويقطع دابرها، ويجتث أصولها، ولا يلتفت إليها

ومن علاج التطير أن يتيقن المسلم أنه لا يقع شىء فى هذا الكون إلا بقدر، وقد أكد الرسول ﷺ هذا المعنى فى قلوب أهل الإيمان، من خلال وصيته التى قال فيها لابن عباس رضي الله عنهما: «**واعلم أنَّ الأمة، لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء، لم**

(١) **صحيح**: رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ، فلن يضروك إلابشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»(١)

وكذلك ينبغى على المسلم إذا حصل له تشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم، أن يقول كما ورد فى الوصية التى نحن فى ظلالها **«اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»**(٢)

قال المناوى - رحمه الله - فى فيض القدير

فينبغى لمن طرقته الطيرة أن يسأل الله تعالى الخير، ويستعيذ به من الشر، ويمضى فى حاجته متوكلاً عليه(٣)

كما ينبغى على العبد أن يرد الطيرة متى ما وردت عليه، ولا يستجيب لداعيها، فعن عروة بن عامر ﷺ قال ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: **«أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله»**(٤)

كما ينبغى على المسلم أن لا يتشبه بالمتطيرين، ولا يأتى بأفعالهم، **فعن أم كرز** ﷺ قالت: سمعت النبى ﷺ يقول. «**أقروا الطير على مكناتها**»(٥) ومعناه: **أن لا ينفروا الطيور عن أماكنها وأعشاشها فإن زجر هذه الطيور غير مجدٍ، ولا يجلب** نفعًا، ولا يدفع ضراً

وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكرون التطير، **فمنهم القائل**:

---

(١) **صحيح**. رواه أحمد والترمذى وقال: حسن صحيح وصححه **الألبانى فى صحيح الجامع** (٧٩٥٧).

(٢) تخرج فى أول الوصية

(٣) فيض القدير (٦/ ١٣٦) للمناوى

(٤) ضعيف رواه أبو داود والبيهقى وضعفه الألبانى فى ضعيف سنن أبى داود.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال: هذا حديث **صحيح وصححه الألبانى فى** صحيح الجامع (١١٧٧).

الزجـــر والـطيـــر والكـهـــان كلـهم
مـــضلـلون ودون الـغـــيب أقـــفـــال

وقال آخر:

لعـــمـرك مـــا تدرى الـطوارق بالحـــصى
ولا زاجـــرات الـطيـــر مـــا الله صـــانع

وقال آخر:

ومـــا عـــاجـــلات الـطيـــر تدنى من الـفـتى
نجـــاحًـــا ولا عـن ريشـــهـن قـــصـــور

اللهم عافـنا واعف عنا، وأكرمنا ولا تهنا، وزدنا ولا تنقصنا، وكن لنا ولا تكن علينا، يا عـالم السرائر، ويا مطلعـا على الضمـائر، اغفـر لنا واستـر علينا يوم تبلى السرائر

اللهم الطف بنا فى تيسير كل عسير، فإن كل عسير عليك يسير

اللهم زينا بالحلم، واجعلنا هداة مهتدين. اللهم ارزقنا رزقًا حلالاً هنيئًا. ولا تجعل لأحد من خلقك علينا سـبيلاً، واجعل العاقبـة لنا فى الدنيا والآخرة إنك على شىء قدير

الوصية رقم (٣٠)
لا تسبوا الدهر

عن أبى هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا الدهر، فإنَّ الله عز وجل، قال: أنا الدهر، الأيام والليالى لى، أجددها وأبليها، وآتى بملوك بعد ملوك**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

احذروا أن تكونوا من أولئك الذين يسبون الدهر، بسبب أو بغير سبب. فالدهر هو الزمان، الذى يتكون من أجزاء: السنة، الشهر، الأسبوع، اليوم، والليل والنهار، الساعة، الدقيقة، اللحظة. من خلق الله. من صنع الله. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ...**﴾ [التوبة: ٣٦]

وجاء فى السنة المطهرة فى خطبة الوداع بمنى فى أوسط أيام التشريق أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً**»(٢)

هذا الزمان جعله الله تعالى وعاء للأحداث. يخلق الله فيه الأحداث، والأحداث تنقسم إلى قسمين

١ - أحداث إرادية: حدث بالاختيار، فالإنسان له حرية الفعل أو الترك مثاله

---

(١) صحيح. رواه أحمد فى مسنده ورجاله رجال الصحيح قاله الهيثمى فى المجمع ٨/ ٧١ وقال الألبانى فى الصحيحة (٥٣٢): إسناده جيد وهو على شرط مسلم (٢/ ٣١).

(٢) رواه البخارى ومسلم.

مثلاً: الكلام. الأكل الشرب، الصلاة، الصوم، السب، الشتم، وغيره، فهذا يحدث باختيارك أنت: لك أن تتكلم أو تسكت. لك أن تأكل أو لا تأكل. لك أن تمشى أو لا

٢ - أما الحدث اللاإرادى: فهو الحدث القدرى. هو ما ليس لك فيه اختيار ليس للإنسان فيه حيلة فى جلبه أو دفعه. مثل النوم، أو الموت، أو المرض، وهذه الأحداث لا إرادة لك فيها. وهذا معناه فى مفهوم شريعة الإسلام **(القضاء والقدر)** وهو ركن من أركان الإيمان **بالله عز وجل**

لكن هيا بنا لنعيش مع الحدث الإرادى. سب الزمان ما حكمه وهل **(الدهر)** من أسماء **الله** الحسنى؟ وما المقصود بذلك؟

بعض الناس إذا أصابتهم مصيبة، أو ألمت بهم ملمة، أو حرموا شيئًا معينًا، أخذوا يسبون الدهر، ويلعنون الزمان، فيقول أحدهم: **قبح الله الدهر الذى شتت** شملنا أو لعن الله الزمان الذى جرى فيه كذا وكذا. وما أشبه **ذلك من عبارات** التقبيح والشتم. أو يقول أحدهم للآخر نهارك أسود. أو ليلتك سوداء. أو نحو ذلك.

إنّ الاعتراض على الأحداث، تصرف خطير يضر بالعقيدة، **ويحدث خللاً فى** التوحيد، **يؤدى** إلى الكفر الصريح - والعياذ **بالله** -.

لأن الله عز وجل هو خالق الوجود. وهوخالق كل **شىء فى هذا الوجود فمن** سب الزمان. فالسب فى الحقيقة لخالق الزمان، وخالق الأحداث **جل فى** علاه. وليس للأحداث ذاتها ولذلك قال الله عز وجل فى الحديث القدسى الجليل: **«يؤذينى ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر بيدى الأمر، أقلب الليل والنهار»**[(١)]

وعند مسلم: **«قال الله عز وجل: يؤذينى ابن آدم، يقول: يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر، فإنى الدهر، أقلب ليله ونهاره»**[(٢)]

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

الدهر لا فعل له، ولا تصرف له، وإنما الفاعل هو الله، والمتصرف هو الله، هو المعطى، وهو المانع، وهو الرافع، وهو الخافض وهو المعز، وهو المذل، وأما الزمان، أما الدهر، فليس له من الأمر شئ فمسبتهم للدهر، مسبة لله عز وجل، ولهذا كان هذا العمل إيذاءً لرب العزة والجلال سبحانه.

ومثلُ من يفعل هذا كمثل رجل قضى عليه القاضى بحق، أو أفتاه مفتٍ بفتوى، فجعل يقول: لعن الله من قضى بهذا، أو أفتى بهذا

ويكون ذلك من قضاء النبى ﷺ أو فتواه، فيقع السب عليه فى الحقيقة. وإن كان الساب لجهله، أضاف الأمر إلى المبلغ، مع أن هذا المبلغ ناقل للحكم، أو للفتوى. فكيف بالدهر والزمان، الذى هو مجرد وعاء، وطرف محايد، لا له، ولا عليه. فالله تعالى هو الذى يقلبه، ويصرفه كيف شاء. وهو منقاد لأمر الله، متذلل لتسخيره قال تعالى: ﴿وسخَّر لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ والشَّمسَ وَالْقَمرَ وَالنُّجُومُ مُسخَّراتٌ بأَمْرهِ﴾ [النحل ١٢] وقال: ﴿وسخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائبَيْنِ وسخَّر لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهارَ...﴾ [إبراهيم: ٣٣] وقال سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤] وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [الفرقان: ٦٢].

أحبتى الكرام.

فسب الدهر صاحبه مرتكب لجملة من المفاسد، لأن سبه هذا قد يتضمن الإشراك بالله عز وجل، إذ يعتقد أن الدهر يضر وينفع، وأنه ظالم حين ضر من لا يستحق الضر، ورفع من لا يستحق أن يرفع، وحرم من ليس أهلاً للحرمان. فهذا سلوك مرجعه إلى عقيدة الدهريين ومن وافقهم من مشركى العرب. فقد جاءت هذه العقيدة الفاسدة عبر الأجيال، وزحفت عن الركب الإنسانى، حتى ألقت بنفسها بين يدى المجتمع المسلم المعاصر

وفى غيبة التدين الصحيح، وفى غياب الصحوة الإيمانية السليمة، تلقاها بعض البشر بالقبول، إيمانًا وتصديقًا.

فقد زعموا أن الدهر صانع الأحداث، نسبوا كل شىء إلى الدهر يموت قوم، ويأتى آخرون. جيل يذهب.. وجيل يقبل

﴿وَقَالُوا ما هِيَ إلاَّ حياتُنَا الدُّنْيَا نمُوتُ ونحْيَا ومَا يُهْلكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بذَلكَ منْ علْمٍ إنْ هُمْ إلاَّ يظُنُّونَ﴾ [الجاثية ٢٤]

وزعموا أن بعد كل مدة من الزمان يعود كل شىء على ما كان عليه، وأن هذه المدة هى ست وثلاثون ألف سنة، وأنها تتكرر مرات ولا تتناهى ولا تتوقف. وزعموا أن العالم موجود أبدًا وأزلاً، وأنها ليست إلا هذه الدار. نفوا البعث وأنكروا. ونفوا اليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء، وجنة ونار. وقد تحدث القرآن عن تلك العقيدة الفاسدة فى قوله تعالى: **﴿إنَّ هَؤُلاء لَيَقُولُون ﴿٣٤﴾ إنْ هِيَ إلاَّ موْتَتُنَا الأُولَىٰ وما نحْنُ بمنشرِين ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائنا إن كُنتُمْ صادقينَ﴾**
[الدخان: ٣٤ - ٣٦]

وقد جاء الرد الحاسم الحازم القاطع، لإبطال عقيدة هؤلاء، التى لا أصل لها، ولاأساس لها **﴿وما لَهُم بِذلك منْ علْمٍ إنْ هُمْ إلاَّ يظُنُّون﴾** يظنون ظنًا واهيًا، لا يستند إلى علم، ولا إدراك. إن شاعر هؤلاء يتحدث ويقول:

أشاب الصغير وأفنى الكبير

كر الغداة ومر العشى

فإذا كان مرور الأيام، وكر الليالى هو الذى أشاب الصغير، وأفنى الكبير فمن الذى أسقط الجنين قبل أن يرى نور الحياة؟

ومن الذى أمات الطفل قبل المشيب؟

ومن الذى أمات الشاب قبل الشيخ؟

ومن الذى قضى على الصحة والعافية قبل المشيب؟

من الذى أصاب النبتة الصغيرة بالذبول قبل أن تطول قامتها، أو يتضخم جذعها؟

أحبتى الكرام.

هذه الدنيا التى نعيش فيها، جعلها الله عز وجل، وهو الذى خلقها وأبدعها - جعلها ابتلاء واختبارًا جعلها دار ممر، لا دار مقر جعلها الله عز وجل متناقضة. فيها خير وشر فيها يسر وعسر فيها فرح وحزن. فيها هم وسرور.

فمن لحقه مكروه، أو ناله أذى، أو أصابته مصيبة، فلا يلق باللوم على عاتق الزمان. ولا ينح بائسًا: هذا قدرى.

فالإيمان بالقضاء والقدر من مكملات الإيمان، والإيمان بالله عز وجل علمك كيف تتعامل مع المحن والابتلاءات؟

الإيمان يجعلك تصبر وتتصبر لأنك تعلم أن ذلك من الله الذى خلقك فسواك فعدلك. قال تعالى: ﴿**وَإِن يمسسك اللَّهُ بضرٍ فَلا كَاشف لَهُ إِلاَّ هُو وَإِن يمسسْك بخيرٍ فَهُو عَلَى كُلِّ شىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الأنعام ١٧] ويقول سبحانه: ﴿**قُل لَّن يُصيبنَا إِلاَّ مَا كَتَب اللَّهُ لنا هُوَ موْلانَا وعلَى اللَّه فَلْيتوكَّلِ الْمُؤْمنُونَ**﴾ [التوبة: ٥١].

ويقول: ﴿**وَلِلَّه غَيْبُ السموات وَالأَرْضِ وإليه يرجعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْه وما رَبُّك بِغافلٍ عمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٢٣]

ويقول جل فى علاه: ﴿**قُلْ من ذَا الَّذى يعصمُكُم من اللَّه إِنْ أَرَاد بِكُم سوءا أَوْ أَرَاد بكُمْ رحمَةً..**﴾ [الأحزاب: ١٧]

أيها الأحبة فى الله.

إنَّ فى النهى عن سب الدهر دعوة إلى اشتغال الإنسان بما يفيد ويجدى دعوة إلى الاهتمام بالأمور العملية التى يستفيد منها المسلم

وإلا فما الذى يستفيده الإنسان ويجنيه ظل يلعن الدهر ويسبه صباح مساء، هل سيغير من حاله؟ هل سيرفع الألم والمعاناة التى يجدها؟ هل سيحصل ما كان

يطمح إليه؟ إنَّ ذلك لن يغير من الواقع شيئًا لكن لابد من اللجوء إلى من بيده الأمر وحده. لابد من اللجوء إلى من له غيب السموات والأرض. وذلك بالتوجه والدعاء والتوسل إليه. قال ﷺ: «**لايرد القضاء إلا الدعاء**»(١)

وقال - صلوات ربى وسلامه عليه «**الدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»(٢)

توجهوا بالدعاء والتضرع إلى رب العزة والجلال. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾ [الأعراف: ١ ٢].

قال ﷺ: «**ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرنى فى مصيبتى، واخلف لى خيرًا منها، إلا آجره الله فى مصيبته، وخلف له خيرًا منها**»(٣)

هذا منهج المسلم فى مواجهة القضاء والقدر، لكن احذروا أن تعيبوا الزمان.

نعيب زماننا والعيب فينا
وليس لزماننا عيب سوانا

يأتى واحد من الفنانين والفنانات، الأحياء منهم والأموات، ويقول: قدر أحمق الخطا، سحقت هامتى خطاه. ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم. أحمق. يعنى غبى. فهذا سب فى تقدير الله عز وجل نفس هذا الكائن يقول: لا هرضى بالمكتوب، ولاهبات مغلوب. مع أننا مأمورون أن نقول: اللهمَّ رضينا بقضائك، فأوزعنا أن نشكر نعماءك، وصبرنا على بلائك

وآخر يقول: لا تقل شئنا، فإن الحظ شاء .وهل يشاء الحظ؟ والناس يستمعون،

---

(١) حسن: رواه الترمذى وحسنه الألبانى في صحيح الترغيب برقم (٢٤٨٩) سنن الترمذى (٢١٣٩).

(٢) حسن: رواه الحاكم (١٨١٣) وصححه ورواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٩ ٣٤) وصحيح الترغيب (١٦٣٤)

(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وذكره الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٤٩).

والكل يصغون. ويردد مع الفنان قدر أحـمق الخطى ولا تقل: شئنا، فإنَّ الحظ شاء. وغير هذا كثير وآخر يقـول: جيب الدنيا ما نعرف ليه، ولا جايين ليه، ولا رايحين فـين. يا الله. يا الله لكن احنا عارفـين جايين ليـه. جئنا إلى هذه الدنيـا لأجل أن نعبـد الله عز وجل لعـبادته وتوحـيده، والإقـرار له بالوحدانـية والألوهية والربوبية. ﴿وما خَلَقْتُ الْجن والإنس إلاَّ ليعْبُدُون ۝ ما أُرِيدُ منْهُم مِّن رِّزْقٍ وما أُرِيدُ أَن يُطْعمُون..﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]

نحن نعرف إلى أين نحن ذاهبون. ﴿يا أَيُّها الإنسانُ إِنَّك كَادحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فمُلاقيه..﴾ [الانشقاق ٦] وقال تعالى ﴿وأنَّ إلى ربك الْمُنتهىٰ..﴾ [النجم: ٤٢] النهـاية والمآل إلى الله عز وجل. حـسبنا الله ونعم الوكـيل. إنَّ رب العـزة والجلال خلق الحيوانات لسبب، قال تعالى: ﴿والْخيل والْبغال والْحمير لتركَبُوها وزِينَةً ويخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٨] فالحـيوانات خلقـها مـولانا سبحـانه لرسالة تؤديـها فى الحياة. والإنسان الذى كرمه الله تعالى وفضله لا يدرى لماذا خلقه الله عز وجل؟

أحبتى الكرام.

بقى سؤال هام نجيب عليه: هل الدهر من أسماء الله؟

والدهر ليس من أسماء الله عـز وجل، وذلك لأن أسماءه سبحـانه كلها حسنى، أى بالغة فى الحسن أكـمله، فلابد أن تشتمل وصف ومعـنى هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعانى فى دلالة هذه الكلمة، ولهذا لا يوجد فى أسماء الله عز وجل اسم جامد، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى سوى أنه اسم للوقت والزمن. إذن فماذا يكون معنى (وأنا الدهر)

قال ابن حجر معناه: أنا صاحب الدهر، ومدبر الأمور التى ينسبونها إلى الدهر ممن سب الدهـر من أجل أنه فـاعل هذه الأمـور، عـاد سـبـه إلـى ربه، الذى هو فاعلها[1]

---

(١) فتح البارى ١٣/ ٣٩

وقيل فى تفسيره ثلاثة أوجه.

الأولى: أن المراد (هو الدهر) أى المدبر للأمور

الثانى: أنه على حذف مضاف أى صاحب الدهر

الثالث: التقدير أى مقلب الدهر، ولذلك عقبه بقوله (بيدى الليل والنهار)(١)

وقال ابن بطال فى شرحه: أنا الدهر، أى ملك الدهر ومصرفه، فحذف اختصاراً للفظ، واتساعًا فى المعنى(٢) أو أن الله معمر الدهر إذن (الدهر) ليس من أسماء الله الحسنى. فما معنى يؤذينى ابن آدم.

هل الأذى يصيب رب العزة والجلال؟

كلا وحاشا قال الإمـام القرطبى الله منزه عن أن يصل إليه الأذى وإنما هذا من التوسع فى الكلام. والمراد أن من وقع ذلك منه، تعرض لسخط الله عز وجل(٣)

وقال أهل العلم لا يلزم من الأذى وصـول الضرر، فقد يتأذى الإنسـان بسماع القبـيح أو مشاهدتـه، أو الرائحة الكريهة مـثلاً، ولكنه لا يتـضرر بذلك، ولله المثل الأعلى، ولهـذا أثبت الله عـز وجل الأذية فى القـرآن، فقـال تعـالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾** [الأحزاب: ٥٧] ونفى عن نفسـه أن يضره شئ، فقال سـبحانه: **﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾** [آل عمران: ١٧٦] وجاء فى الحديث القدسى الجليل: «**يا عبادى، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى**»(٤)

أحبتى فى الله.

وهل سب الدهر شرك؟

---

(١) فتح البارى (١٧/ ٣٨٠) لابن حجر.

(٢) شرح ابن بطال (١٧/ ٤٢٣).

(٣) فتح البارى (١٣/ ٣٩) لابن حجر

(٤) رواه مسلم.

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد الخبر المحض، دون اللوم فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم، أو برده، وما أشبه ذلك، لأن الأعمال بالنيات، واللفظ صالح لمجرد الخبر

الثانى: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يقصد بسبه الدهر أن الدهر هو الذى يقلب الأمور إلى الخير أو الشر   فهذ شرك أكبر، لأنه اعتقد أن مع الله خالقًا، حيث نسب الحوادث إلى غير الله

الثالث: أن يسب الدهر، ويعتقد أن الفاعل هو الله، ولكن يسبه لأجل هذه الأمور المكروهة، فهذا محرم، لأنه مناف للصبر الواجب، وليس بكفر لأنه ما سب الله مباشرة، ولو سب الله مباشرة، لكان كافرًا[1]

اللهمَّ إن القلوب بين أصبعين من أصابعك الكريمة تقلبها كيف تشاء فثبت قلوبنا على دينك. واجعل قلوبنا مطمئنة بذكرك، وأنزل السكينة على قلوبنا، وألزمنا كلمة التقوى، واجعلنا أحق بها وأهلها

اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام، واكنفنا بكنفك الذى لا يرام اللهم يابديع السموات والأرض، يا حى يا قيوم. ياذا الجلال والإكرام نسألك بعظيم ألوهيتك أن تنقل طباعنا من طباع الشر إلى الخير، يا محول الحول والأحوال، حول حالنا إلى أحسن حال، واجعلنا ممن سبقت لهم منا الحسنى وزيادة. واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين بفضلك وجودك وكرمك يا أكرم الأكرمين يارب العالمين.

---

(١) فتاوى العقيدة (١/ ١٩٧).

الوصية رقم (٣١)
لا تجاهر بالذنب *

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتى معافى إلا المجاهرون، وإنَّ من الجهار أن يعمل الرجل عملاً بالليل، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

حين يبتلى الله عز وجل أحدًا من عباده، فتغلبه نفسه الأمارة بالسوء ويدعوه هواه لمقارفة ذنب، أوارتكاب معصية من المعاصى، وقد خلا الناس، وأرخى على نفسه الستار، حينها ينبغى عليه أن يستتر بستر الله عليه، ولا يهتك هذا السياج.

فلا يصبح وقد ستر الله عليه ذنبه، فيحدث به، ويقول: عملت البارحة كذا وكذا من المعاصى، فيكون بذلك قد كشف ستر الله عنه

وقد بوب الإمام البخارى - رحمه الله - على هذا الحديث باب (ستر المؤمن على نفسه) وأورد فى الباب حديث ابن عمر ﷺ أنَّ رجلاً سأله كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى؟ قال: «**يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إنى سترت عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**»(٢)

قال ابن بطال: فى الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله ﷺ، وبصالحى المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفى الستر بها السلامة من الاستخفاف، لأن

---

(١) رواه البخارى ومسلم والطبرانى فى الأوسط.

(٢) رواه البخارى.

المعاصى تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه ن كان فيه حد، ومن التعزير إن لم يوجب حدًّا، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره فى الدنيا، لم يفضحه فى الآخرة، والذى يجاهر يفوته جميع ذلك(١)

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال. ما ستر الله على عبد فى الدنيا، إلا ستر عليه فى الآخرة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ وأَسبغ عَلَيْكُمْ نعمهُ ظَاهِرَةً وبَاطنَةً.. ﴾ [لقمان: ٢] قال: أما الظاهر بالإسلام، وما حسن من خلقك، وأفضل عليك من الرزق. وأما الباطنة: فما ستر عليك من الذنوب والعيوب(٢)

أحبتى الكرام.

وكما أن الطاعات تتفاوت مراتبها ودرجاتها بحسب الأعمال ذاتها، وبحسب العامل والوقت، والسر والجهر فالمعاصى كذلك.

فالمعصية الواحدة يختلف إثمها ووزرها بحسب العامل، وحرمة الزمان والمكان، والجهر والإسرار

وقد دلت النصوص الشرعية على أن المعصية التى يستتر بها صاحبها أخف جرمًا من التى يعلنها

إنّ المؤمن الذى يخاف مولاه ويعظمه ويجله إنه وإن أوقعته نفسه فى المعصية وقارف ما قارف، فهو يمقت هذه المعصية، وما يذكره بها من قريب أو بعيد، فكيف يحدث الناس أنه عمل وعمل؟!

ولقد جاء النهى النبوى عن التستر، وعدم المجاهرة، فقال ﷺ فيما رواه عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: **«اجتنبوا هذه القاذورة، التى نهى الله عنها، فمن ألم فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله، فإنه من يبد لنا صفحته، نقم عليه كتاب الله عز وجل»**(٣)

---

(١) فتح البارى لابن حجر (١٧/ ٢٣٨) وشرح ابن بطال (١٧/ ٣٢٢).

(٢) فتح القدير (٤/ ٣٤٣) للشوكانى وتفسير القرطبى (٦/ ٢٢٤)

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٤٩).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ وهو أحد النقباء ليلة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «**لا تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا فى معروف، فمن وفى منكم، فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فعوقب به فى الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك**»(١)

وأما ما نقل من مجئ بعض الصحب الكرام - رضوان الله عليهم - إليه يشكون وقوعهم فى بعض المعاصى، فإنما هى حالات خاصة، والقاعدة خلاف ذلك، ثم يبدو من سياق بعض هذه الأحداث أن الرجل ربما كان يجهل أن له توبة، أو أنه يسأل عن الكفارة، وماذا يلزمه مثل الرجل الذى جاء يقول له. يا رسول الله، هلكت، قال: «**مالك؟**» قال: وقعت على امرأتى، وأنا صائم(٢) فدله النبى ﷺ على الكفارة اللازمة لذلك.

وفى الحوادث نجد أن بعض أصحاب النبى ﷺ ينكرون على السائل، ويأمرونه بالاستتار مما يدل على أن هذا هو الأصل المتقرر لديهم، وما يخرج عن ذلك كله يبقى حالة خاصة، لا تخرج عن القاعدة العامة.

فالأولى بالمسلم حين يبتلى بالمعصية أن يستتر بستر الله عز وجل، وأن يجاهد نفسه على ترك المعصية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وحين يجد الأمر صعبًا، ويحتاج لمن يعينه، ويضئ له الطريق، فله بديل فى سؤال من لا يعرفه مشافهة أو مهاتفة أو كتابة، أو من يعرفه، لكن لا تربطه به تلك الصلة، أو البحث فيما قيل عنها من أهل العلم مكتوبًا أو مسجلاً

---

(١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

أخى الحبيب.

وحين تقع فى المعصية، وتلم بها، فبادر بالتوبة، وسارع إليها، والتسويف والتأجيل، فالأعمار بيد الله عز وجل، وما يدريك لو دعيت للرحيل، فأجبت نداء ربك، وودعت الدنيا، وقدمت على ربك مذنبًا عاصيًا ولقد كان العارفون بالله عز وجل يعدون تأخير التوبة ذنبًا آخر، ينبغى أن يتوبوا منه. قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: أن المبادرة إلى التوبة من الذنب فرض على الفور، ولا يجوز تأخيرها، فمتى أخرها، عصى بالتأخير فإذا تاب من الذنب بقى عليه توبة أخرى، وهى توبته من تأخير التوبة وقل أن تخطر هذه ببال التائب، بل عنده أنه إذا تاب من الذنب لم يبق عليه شىء آخر، وقد بقى عليه التوبة من تأخير التوبة[١]

أحبتى الكرام.

والمجاهرة بالذنب داء عضال، وقد تفشى بين بعض المسلمين - هداهم الله - وسرى فى جسد الأمة، حتى لا يكاد يسلم منه مجتمع ولا حول، ولا قوة إلابالله العلى العظيم.

ومن صور المجاهرة بالمعاصى التى ابتلى بها بعض المسلمين:

١ - التخلف عن صلاة الجماعة - مع القدرة عليها - فتجد أحدهم جالسًا فى الشارع، وأحيانًا قريب من المسجد، والصلاة تقام ولا يلقى لها بالاً، ولا يستتر. وكأن النداء لغيره من الناس. وفى الحديث الصحيح عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة، فتقام ثم أخالف إلى منازل قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم**»[٢]

والأدهى من ذلك والأمر أن يتخلف أناس عن صلاة الجمعة، وأيضًا يجاهرون بالعصيان، فيجلسون على المقاهى أو فى الطرقات، والخطيب يخطب، والصلاة تقام،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد.

ولا يبالون، وكأنها ما كتبت عليهم، وكأن الخطاب فى قوله عز وجل ﴿**يَا أَيُّها الَّذين آمَنُوا إِذَا نُودى للصَّلاة من يومِ الْجمعة فاسعوا إِلَى ذكرِ اللَّه وذروا الْبَيْع ذَلكُم خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعلَمُونَ..**﴾ [الجمعة ٩] كأنه لغيرهم.

٢ - ومن صور المجاهرة الدعـوة إلى المعاصى والكبائر،والإعلان عنها وإذاعـتها كما يحصل ذلك فى الإعلان عن تجارة ربوية، أو المساهمة فى بنك يتعامل بالربا، أو مبيـعات محرمـة، أو الدعوة إلى مشاهدة عـروض غنائية، أو حفلات مشـتملة على الأغانى والموسيقى والطبول والمعازف، ونحو ذلك.

٣ - ومنهـا: ما يشاهد بـين أوساط بعض الشـباب المسلم من التـشبه بـالغرب وتقليدهم فى الكلام، والـلباس، والمركب، وقصات الشـعر، وما شـابه ذلك، حتى صار بعـضهم يفـتخر بذلـك ويتعالى به، ومـا علم المسكين أنه بذلك، دخل جـحر الضب من أضـيق أبوابه. فعن أبى سـعيـد الخدرى ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: «**لتتبـعن سنن من كان قـبلكم شبـرا بشبـر،وذراعًا بذراع، حـتى لو دخلوا فى جـحر ضب،لا تبعتموهم**»..

قلنا: يا رسول الله، آليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[1]

وماشـاكل ذلك كثيـر، كخروج الفـتيات والنسـاء متبـرجات سافـرات الوجوه، مغيرات لخلق الله. كاسيات عاريات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة.

أحبتى فى الله.

ولا ينبـغى للمسلم أن يتـعالى على إخـوانه المسلمين، فـيعـيرهم بما فـعلوه من الذنوب. لأن كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون.

وفى حديث جندب بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ حدثنا: «**أن رجلاً قال:**

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذى يتألى علىّ أن لا أغفر لفلان؟ فإنى قد غفرت له، وأحبطت عملك»(١)

وكان فى بنى إسرائيل، كما روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ: **«رجلان متواخيان، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد فى العبادة، وكان لايزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر، فقال له: خلنى وربى، أبعثت علىّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد أكنت بى عالمًا، أو كنت على ما فى يدى قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب، فادخل الجنة برحمتى.. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»**(٢) قال أبو هريرة لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

والكلمة التى أوبقت دنيا العبد، وأدخل النار لأجلها، ليست هى قوله [أقصر] وإنكاره عليه، ولكن تأليه على الله، وقوله: لن يغفر الله لك.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبا، فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولون: اللهم اخزه، اللهمَّ العنه، ولكن سلو الله العافية، فإنا أصحاب محمد كنا لا نقول فى أحد شيئًا، حتى نعلم على ما يموت، فإن ختم له بخير، علمنا أنه قد أصاب خيرًا، وإن ختم له بشر، خفنا عليه عمله(٣)

ومرَّ أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل قد أصاب ذنبًا، فكانوا يسبونه فقال: أرأيتم، لو وجدتموه فى قليب، ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى قال: فلا تسبوا أخاكم،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٤٤٥٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه برقم (٢٦٦ ٢)

واحمدوا الله الذى عافاكم، قالوا أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخى[(١)]

إذا فما يقوم به بعض الناس من انتقاد فلان، الذى يقع فى معصية كذا ويفعل كذا وكذا على جهة التعيير، شيء غير محمود شرعًا، والأولى بالمسلم أن ينشغل بعيب نفسه، ويخشى ذنوبه، ويشعر أن واجبه تجاه أخطاء غيره يقف عند حد المناصحة، والستر والدعاء لهم، وسؤال الله العافية.

لأن تعيير المسلم بذنبه برهان على إفراط صاحبه فى ثقته بنفسه، وتزكيته لها، والغرور بوابة من بوابات الهلاك، وأمارة من أمارات إحساس العبد باستغنائه عن معونة مولاه، وهو سبب لأن يوكل المرء لنفسه.

وأين هذا من أعرف الخلق بالله، الذين كان يقول أحدهم: ﴿**وَإِن لَّم تَغْفِرْ لَنَا وترحمْنَا لَنَكُونن من الْخاسرِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٣] والذى يقول: ﴿**وإلاَّ تصْرِفْ عَنِّى كَيْدهُنَّ أَصبُ إِلَيْهِن وَأَكُن من الْجاهلين**﴾ [يوسف ٣٣]

والثالث يقول لمولاه بعد أن حطم الأصنام، واحتمل فى ذلك ما احتمل: ﴿**وَاجْنُبْنِى وبنِىَّ أَن نَّعْبُد الأَصنام..**﴾ [إبراهيم: ٣٥]

أما رسولنا وحبيبنا ﷺ فكان من دعائه: «**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت**»[(٢)]

وتعيير المسلم لأخيه المسلم بذنبه، فيه صولة الطاعة، وتزكية للنفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب.

أحبتى الكرام.

حين يقع المسلم فى معصية، فعليه أن يبادر بفعل حسنة، أو حسنات لعلها أن

---

(١) المرجع السابق رقم (٢٦٧ ٢) وأبو نعيم فى الحلية (١/ ٢٢٥).

(٢) **حسن**: رواه زحمد وأبو داود والنسائى والبزار بإسناد صحيح والحاكم وقال: صحيح على شرطهما وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٦٦١) وصحيح الجامع (٣٣٨٨).

تكفر هذه المعصية، أو تلك السيئة. كما قال النبى ﷺ: «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**»(١)

وعن ابن مسعود ﷺ أنّ رجلاً أصاب من امرأة قُبلة، فأتى النبى ﷺ فأخبره، فأنزل الله عز وجل قوله تعالى ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**..﴾ [هود: ١١٤]

فقال الرجل: يا رسول الله، ألى خاصة؟ فقال النبى ﷺ: «**بل لجميع أمتى كلهم**» وفى رواية لمسلم: إن الرجل قال يا رسول الله، عالجت امرأة فى أقصى المدينة، وإنى أصبت منها دون أن أمسها، فأنا هذا، فاقض فىّ بما شئت، فقال له عمر بن الخطاب ﷺ لقد سترك الله، لو سترت نفسك. قال: فلم يرد النبى ﷺ شيئًا، فقام الرجل، فانطلق فأتبعه النبى ﷺ رجلاً، فتلا عليه هذه الآية: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**..﴾ [هود: ١١٤].

فقال رجل من القوم: يا نبى الله، هذا له خاصة؟ قال: «**بل للناس كافة**»(٢)

والنبى ﷺ لما جاءه رجل فقال له أوصنى، قال: «**إذا عملت سيئة، فأتبعها حسنة**..»(٣)

ويضرب النبى ﷺ مثلاً لذلك، فيقول: «**إنَّ مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات، كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة، فانفكت حلقة، ثم عمل أخرى، فانفكت الأخرى حتى يخرج إلى الأرض**»(٤)

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى والدارمى وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٣٧٣) وحسنه فى صحيح الجامع برقم(٩٧)

(٢)رواه مسلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد عن شمر بن عطية وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٣١٦٢).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣١٥٧) وصحيح الجامع (٢١٩٢).

وحين أراد معاذ بن جبل سفرًا، قال: يا رسول الله، أوصنى، قال له: «**اعبد الله، ولا تشرك به شيئًا**» قال: يا رسول الله، زدنى

قال: «**إذا أسأت، فأحسن**» قال. يا رسول الله، زدنى

قال: «**استقم، ولتحسِّن خلقك**»(١)

وهذا الأمر فى الحسنات جملة، فهى مكفرة للسيئات

أحبتى فى الله.

والناس فى المعصية على أنواع وأصناف. روى البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن السماك أنه قال: أصبحت الخليقة على ثلاثة أصناف: صنف من الذنب تائب، موطن لنفسه على هجران ذنبه، لا يريد أن يرجع إلى شىء من سيئاته، هذا المبرز، وصنف يذنب ثم يندم، ويذنب ويحزن، ويذنب ويبكى، هذا يرجى له، ويخاف عليه، وصنف يذنب ولا يندم، ولا يحزن، ويذنب ولا يبكى، فهذا الكائن الحائد عن طريق الجنة إلى النار.

فمن أى الأصناف أنتم؟ كل يسأل نفسه هذا السؤال من أى أنواع العصاة أنا؟

أمن العصاة الذين تتحكم المعصية فى قلوبهم،وتسيطر على تفكيرهم، ويخططون لها، ويعملون جهدهم وفكرهم لتحصيل طريق توصل إليها، ثم يسعون لذلك بجوارحهم، وربما يبذلون لذلك أموالهم وسلطانهم، وحين تفارق جوارحهم المعصية، لايزال صداها يتردد فى خاطرهم، فيهيمون فى ذكراها، وحين يلقون أصحابهم فهم يفاخرون بما عملوا، ويجاهرون بما اقترفوا، وحين تفوتهم الفرصة يجترون الحسرات، ويعتصرون الندم على ما فات، وإن حدثتهم أنفسهم بالتوبة، فهو خاطر سرعان ما يزول.

---

(١) **حسن**: حسنه الألبانى فى الصحيحة برقم (١٢٢٨) ورواه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح الأسناد.

أم أنتم من العصاة، الذين يبغضون المعصية، لكنهم ارتكبوها فى لحظة ضعف بشريتهم. وما إن يفارقونها، حتى تلتهب أفئدتهم ندمًا وحسرة، فيتألمون ويحزنون، وهم المشار إليهم فى قول مولانا عز وجل

﴿ **والَّذين إذَا فعَلُوا فَاحشة أَو ظَلَمُوا أَنفُسهم ذَكروا اللَّهَ فَاستَغْفَرُوا لذُنُوبهم ومن يَغفرُ الذُّنُوب إلاَّ اللَّهُ ولَم يُصروا علَى ما فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فبالله عليكم هل يستويان؟ وأى الصنفين أقرب إلى رحمة الملك العلام والتواب الرحيم؟

وإلى هذا المعنى أشار الإمام ابن القيم - رحمه الله -فقال: والله تعالى إنما يغفر للعبد إذا كان وقوع الذنب منه على وجه غلبة الشهوة، وقوة الطبيعة فيواقع الذنب مع كراهته له من غير إصرار فى نفسه، فهذا ترجى له المغفرة من الله وصفحه وعفوه، لعلمه تعالى بضعفه، وغلبة شهوته له، وأنه يرى كل وقت ما لا صبر له عليه، فهو إذا واقع الذنب، واقعه مواقعة ذليل خاضع لربه، خائف. فهذا يجيب داعى النفس تارة، وداعى الإيمان تارات

فأما من بنى أمره على أن لا يقف عن ذنب، ولا يقدم خوفًا، ولا يدع لله شهوة، وهو فرح مسرور، يضحك ظهرًا لبطن، إذا ظفر بالذنب، فهذا الذى يُخاف عليه أن يحال بينه وبين التوبة، ولا يوفق لها

فنسأل الله العظيم أن يوفقنا للتوبة من العصيان، وأن يجعل خوف ربنا عز وجل ملء قلوبنا وجوارحنا

اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا، واغفر يا ربنا ذنوبنا، وتوفنا مسلمين. توفنا وأنت راضٍ عنا، وألحقنا بالصالحين

اللهم اجعلنا نتوب إليك توبة نصوحًا، ونسألك عملاً متقبلاً، وعملاً ناجحًا، وسعيًا مشكور، وذنبًا مغفورًا، وتجارة لن تبور حسبنا الله عند الموت. حسبنا الله عند الميزان. حسبنا الله فى قبورنا

اللهمَّ أفرغ علينا صبرًا، واجعلنـا من الراشدين   يا من ذلت له رقاب الجبابرة، وخضـعت له أعناق الفراعنة، ندعوك دعـاء الخائف الذليل   دعاء من خـضعت له رقبته، وفاضت له عبرته، وذل جسمه، ورغم له أنفه. اللهمَّ لا تجعلنا بدعائك من الأشقياء، واكتبنا عندك من السعداء، يا رب العالمين

الوصية رقم (٣٢)
مشروعية الرقية من العين

عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لأسماء بنت عميس: **«ما لى أرى أجسام بنى أخى ضارعة؟ تصيبهم الحاجة؟»** قالت. لا، ولكن تسرع إليهم العين

قال: **«ارقيهم»**[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

ما من شيء يحدث فى هذا الوجود إلا بقدرة الله عز وجل وإرادته وتحت مشيئته، قال تعالى: ﴿**وما تشاءون إلاَّ أن يشاء اللَّهُ**﴾ [الإنسان: ٣].

والحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، ولهذا لا يستطيع أحد أن يؤثر أو يتصرف فى أحد، لا عائنًا، ولا حاسدًا، ولا ساحرًا، ولا غيرهم، إلاإذا أراد الله عز وجل ذلك، قال سبحانه: ﴿**قُل لَّن يُصيبنا إلاَّ ما كتب اللَّهُ لنا هُو موْلانا وعلَى اللَّه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمنُون**﴾ [التوبة: ٥١].

ولعلنا نتذكر تلك الوصية العظيمة التى أوصى بها أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ لأمته فى شخص تلميذه النجيب عبد الله بن عباس حين قال له: **«واعلم أن الأمة، لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك..»**[٢]

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم(٧٩٥٧).

هذه حقيقة ثابتـة فى هذا الكون كله النافع والضار هو الله، ولا يحدث النفع والضر إلا بإرادته ومشيئته.

وقد دلت الآيات القـرآنية، والأحـاديث النبوية أن للعـين تأثيرًا فـما هى الآيات الدالة على ذلك؟ وما هى الأحاديث التى تدل على ذلك؟ وما كيـفية تأثير العين على الإنسان أو غيره؟ وما أقوال أهل العلم فى ذلك؟ وما علاج ذلك؟ وهل هو مشروع؟

أما من القـرآن الكريم، فقول الله تعـالى على لسان نبى الله يعقـوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وهو يوصى أبناءه: ﴿ **وَقَالَ يا بنيَّ لا تدْخُلُوا من بَاب وَاحد وَادْخُلُوا منْ أَبْواب مُّتفرّقَة وما أُغْنِي عنكُم من اللَّه من شيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّه عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وعَلَيْه فَلْيتوكَّلِ الْمُتَوَكّلُونَ** ﴾ [يوسف ٦٧]

قال الإمام القرطبى - رحمه الله - فى تفسيرها:

لما عزمـوا على الخروج، خـشى عليهم العين، فـأمرهم أن لا يدخلوا مـصر من باب، وكانت مصر لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجل واحد، وكانوا أهل جمال وبسطة.

قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم(١)

وفى سورة الكهف فى قصة صاحب الجنتين ﴿ **وَلَوْلا إِذْ دخَلْت جَنَّتَك قُلْت مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّه ..** ﴾ [الكهف: ٣٩]

قال أنس بن مالك ﷺ قال النبى ﷺ «**من رأى شيئًـا فأعجبه، فقـال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، لم يضره عين**»(٢)

وروى أن من قال أربعًا، أمن من أربع من قـال. ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، أمن من العـين، ومن قال: حسـبنا الله ونعم الوكيـل، أمن من كيد الشـيطان، ومن

---

(١) تفسير القرطبى (٩/ ٢٢٦).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن السنى وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع برقم (٥٥٨٨).

قال: وأفوض أمرى إلى الله، أمن من مكر الناس، ومن قال: لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، أمن من الغم[١]

وقال تعالى: ﴿وإن يكادُ الَّذين كفروا لَيُزْلِقُونك بأبْصارهم لَمَّا سمعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُون إنَّهُ لَمجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]

قال القرطبى فى تفسيرها: أخبر بشدة عداوتهم للنبى ﷺ وأرادوا أن يصيبوه بالعين، فنظر إليه قوم من قريش، فقالوا: ما رأينا مثله، ولا مثل حججه.

وقيل: كانت العين فى بنى أسد، حتى إن البقرة السمينة، أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها، ثم يقول: يا جارية، خذى المكتل والدرهم فأتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر

وقال الكلبى: كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئًا يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء، فتمر به الإبل أو الغنم، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنمًا أحسن من هذا، فما تذهب إلا قليلاً، حتى تسقط منها طائفة هالكة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبى ﷺ بالعين، فأجابهم، فلما مر النبى ﷺ أنشد:

قد كان قومك يحسبونك سيدًا

وإخال إنك سيد معيون

فعصم الله النبى ﷺ ونزلت: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذين كفروا لَيُزْلِقُونَك بِأَبْصَارِهِم..﴾ [القلم: ٥١] والعرب كانت إذا أراد أحدهم أن يصيب أحدًا - يعنى فى نفسه وماله - تجوّع ثلاثة أيام، ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول: تالله ما رأيت أقوى منه، ولا أشجع، ولا أكثر منه، ولا أحسن فيصيبه بعينه، فيهلك هو وماله، فأنزل الله هذه الآية[٢]

أحبتى فى الله.

وقد دلت السنة المطهرة على حقيقة العين، وأن لها تأثيرًا، وثبوت الرقية منها،

---

(١) تفسير القرطبى (١/ ٧ ٤).
(٢) تفسير القرطبى (١٨/ ٢٥٥).

كما فى الوصية التى نحن بصدد الحديث عنها. وأحاديث أخرى منها: قول النبى ﷺ «**العين حق**»(١) أى الإصابة بالعين شىء ثابت موجود.

وعند مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**العين حق ولو كان شىء سابق القدر، سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا**»(٢)

وعن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**أكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالأنفس**»(٣)

وعن عائشة رضي الله عنها - قالت. أمرنى النبى ﷺ أو أمر أن يسترقى من العين.

وحديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة، فقال: «**استرقوا لها، فإن بها النظرة**»(٤) والنظرة هى العين، وقيل: هى المس من الشيطان.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «رخص رسول الله ﷺ فى الرقية من العين، والحمة، والنملة».

وروى عن الحسن مرفوعا: إنَّ العين لتدخل الرجل القبر، والجمل القدر والعلماء قد تكلموا فى تأثير العين بالحسد، ونحوه، ومنهم:

الإمام ابن القيم - رحمه الله - يقول:

والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية كما يظن من قل علمه، ومعرفته بالطبيعة والشريعة، بل التأثير يكون تارة بالاتصال، وتارة بالمقابلة، وتارة بالرؤية،

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى.

(٢) رواه مسلم والترمذى.

(٣) **حسن**: رواه أبو داود الطيالسى والحكيم الترمذى والبزار وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦ ١٢) والصحيحة برقم (٧٤٧).

(٤) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأحمد والبيهقى وغيرهم.

وتارة بتوجه الروح نحو من يؤثر فيه، وتارة بالأدعية والرقى والتعوذات، وتارة بالوهم والتخيل.

ونفس العين لا يتوقف تأثيرها على الرؤية، بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء، فتؤثر نفسه فيه، وإن لم يره، وكثير من العائنين يؤثر فى المعين بالوصف من غير رؤية، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿**وإن يكادُ الَّذين كفرُوا لَيُزْلِقُونَك بأَبْصَارِهِمْ..**﴾ [القلم: ٥١] وقال ﴿**قُلْ أَعُوذُ برب الْفَلَق (١) من شرِ مَا خَلَق (٢) ومن شَرِّ غَاسق إِذَا وَقَب (٣) ومن شر النَّفَّاثات فى الْعُقَد (٤) وَمِن شرِ حاسد إِذَا حسد**﴾ [الفلق: ١ - ٥]

وقال: أبطلت طائفة ممن قل نصيبهم من السمع والعقل أمر العين، وقالوا: إنما ذلك أوهام لا حقيقة لها، وهؤلاء من أجهل الناس بالسمع والعقل ومن أغلظهم حجابًا، وأكثفهم طباعًا، وأبعدهم من معرفة الأرواح والنفوس وصفاتها وأفعالها، وتأثيراتها

وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين، ولا تنكره، وإن اختلفوا فى سببه.

أحبتى فى الله.

الإمام ابن القيم - رحمه الله - يقول فى تأثير الحاسد:

«وتأثير الحاسد فى أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين، فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود، فتتأثر بتلك الخاصية، وأشبه الأشياء بهذا الأفعى، فإن السم كامن فيها بالقوة، فإذا قابلت عدوها، انبعث منها قوة غضبية، وتكيفت بكيفية خبيثة مؤذية، فمنها ما تشتد كيفيتها، وتقوى حتى تؤثر فى إسقاط الجنين، ومنها ما يؤثر فى طمس البصر، كما قال النبى ﷺ فى الأبتر وذى الطفيتين من الحيات. «**إنهما**

يلتمسان البصر، ويسقطان الحبل»[١] ومنها ما تؤثر فى الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به، لشدة خبث تلك النفس، وكيفيتها الخبيثة المؤثرة.

أيها الأحبة الكرام.

العين عينان

١ - عين إنسية.

٢ - وعين جنية، وهى ما يعبر عنها بالنظرة ولهذا أمرنا رسولنا ﷺ بالتعوذ من شياطين الإنس والجن والدليل على العين الجنية، ما صح عن أم سلمة ﵂ أن النبى ﷺ رأى فى بيتها جارية فى وجهها سفعة، فقال ﷺ: «**استرقوا لها، فإنَّ بها النظرة**»[٢]

وسفعة أى نظرة من الجن.

لكن كيف نتحرز من أضرار العين (الحسد)؟

قال أهل العلم: فى التحرز والتحفظ من العين أو الحسد أمور:

أولاً: ما يتعلق بالعائن (الحاسد).

ثانيًا: ما يتعلق بالمعيون (المحسود)

* **أما العائن:**

فقد أمر الرسول ﷺ العائن، بل وكل مسلم إذا رأى شيئًا يعجبه، سواء كان هذا الشىء له أم لغيره، أن يبارك.

قال ﷺ: «**إذا رأى أحدكم من نفسه، أو من ماله، أو من أخيه ما يعجبه، فليدع له بالبركة، فإن العين حق**»[٣]

---

(١) صحيح. رواه مسلم وأبو داود والترمذى

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

(٣) صحيح. رواه أبو يعلى والطبرانى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجة برقم (٩ ٣٥) وصحيح الجامع (٥٥٦)

ولما رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل، فقال له. والله ما رأيت كاليوم، ولا جلد مخبأة، قال: فلُبط سهل، فأتى رسول الله ﷺ عامرًا، فتغيظ عليه، وقال:

«علام يقتل أحدكم أخاه؟ ألا برّكت؟ اغتسل له»(١)

ولكن ما كيفية التبريك؟ وما حكمه؟

لقد وردت صيغ متعددة فى ذلك، كأن يقول: تبارك الله أحسن الخالقين، اللهم بارك فيه. أو يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أو يقول اللهم بارك فيه، أو بارك عليه، ونحو ذلك.

والتبريك هذا عند كثير من أهل العلم واجب، للأمر به، كما فى الحديثين السابقين.

قال القرطبى - رحمه الله - واجب على كل مسلم أعجبه شىء أن يبرك فيه، فإذا دعا بالبركة، صُرِّف المحذور لا محالة

وقال ابن القيم - رحمه الله - وإذا كان العائن المشهور بالحسد - يخشى ضرر عينه وإصابتها للمعين، فليدفع شرها بقوله: اللهم بارك عليه

* **ثانيا: ما يتعلق بالمعيون (المحسود)** أمور منها

١ - المحافظة على أذكار الصباح والمساء.

ونعنى بالأذكار والأوراد أى السنية التى ورد بها دليل صحيح بالسنة وليست الأوراد التى ألفها بعض المشايخ، وألزموا بها مريديهم

٢ - الإكثار من قراءة فاتحة الكتاب وآية الكرسى، والمعوذتين

٣ التعاويذ النبوية، خاصة:

«أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. »

---

(١) **صحيح**: رواه النسائى والبيهقى وابن ماجه وهو فى صحيح الجامع برقم (٢ ٤).

و«أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» و«أعوذ بكلمات الله التامات اللاتى لا يجاوزهن برٌّ، ولا فاجر، من شر ما خلق، وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ فى الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرق بخير، يا رحمن. » و«أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأعوذ بك أن يحضرون».

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: **«باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذى عين»**[1]

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - بعد أن ذكر عددًا من التعاويذ النبوية: ومن جرب هذه الدعوات، والعوذ، عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهى تمنع وصول أثر العائن (الحاسد) وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه واستعداده، وقوة توكله، وثبات قلبه، فإنها سلاح، والسلاح بضاربه».

ومن الرقى والتعاويذ النافعة بجانب ما سبق ذكره:

١ - أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا

٢ - رقية جبريل للرسول ﷺ باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك.

٣ - اللهمَّ أنت ربى لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما، وأحصى كل شىء عددًا

اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، وشر الشيطان وشركه، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربى على صراط مستقيم.

٤ - تحصنت بالله الذى لا إله إلا هو إلهى وإله كل شىء، واعتصمت بربى

---

(١) **صحيح**: صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٦٠).

ورب كل شيء، وتوكلت على الحي الذى لا يموت، واستدفعت الشر بلا حول ولا قوة إلا بالله، حسبى الله ونعم الوكيل. حسبى الرب من العباد. حسبى الخالق من المخلوق. حسبى الرازق من المرزوق. حسبى الله هو حسبى، حسبى الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه. حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، وليس وراء الله مرمى حسبى الله لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم.

وبالجملة فيجوز الاسترقاء بما سوى ذلك بشروط

١ - أن يكون خاليًا من الشرك.

٢ - أن يكون الاسترقاء باللغة العربية.

٣ - أن يكون بكلام معلوم ومفهوم وواضح.

وأما الاسترقاء بالقرآن، والاستشفاء به فهذا أمر جائز، قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ..**﴾ [الإسراء: ٨٢] وقال: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ...**﴾ [فصلت: ٤٤]

وسورة الفاتحة تسمى بسورة الشفاء، وقصة الصحابى الذى رقى اللديغ بسورة الفاتحة معروفة.

وقراءة شيء من القرآن ثم النفث فى اليدين، ومسح العضو المصاب وغير المصاب بهما، أو قراءة شيء من القرآن، ثم النفث فى سائل كالماء ونحوه، ثم شربه، أو الاغتسال به فى مكان طاهر شيء أجازه أهل العلم فى الاسترقاء بالقرآن.

قال ابن القيم - رحمه الله -: ورأى جماعة من السلف أن يكتب له - أى للمعيون -الآيات من القرآن، ثم يشربها قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض..

ويذكر عن ابن عباس ﷺ أنه أمر أن يكتب لامرأة يعسر عليها الولادة آيتان من القرآن، يغسل ويسقى.

وقال أيوب السختيانى: رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن، ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع.

وهذا - أى كتابة القرآن وإزالته بالماء - مختلف فيه بين أهل العلم.

ومن المعلوم أن قول الصحابى وعمله حجة إذا لم يخالفه صحابى آخر، أما إذا خالفه فقوله ليس بحجة، وقد خالف ابن عباس الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود وغيره من الصحابة - رضوان الله عليهم - والله أعلى وأعلم.

اللهمَّ ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل الرشاد ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك فى أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

اللهم اجعلنا لنعمائك شاكرين، وقنعنا بما رزقتنا، وبارك لنا فى أرزاقنا.

اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا، وإذا أردت فتنة قوم فتوفنا غير مفتونين.

اللهم إنا نسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربنا إلى حبك يا رب العالمين.

الوصية رقم (٣٣)
من علق تميمة فلا أتم الله له

عن عقبة بن عـامر الجهنى ﷺ أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة، وأمسك عن رجل منهم، فقالوا: ما شأنه؟ فقال «**إنَّ فى عضده تميمة**» فقطع الرجل التميمة، فبايعه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**من علق تميمة فقد أشرك**»[1]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

إن من الأمور التى عمت بها البلوى بين العبـاد، وكثرت منها الشكوى، وكانت سببـا فى وقوع البعض فى الذنب الأكـبر، والخطيئة التى لا تغـتفر، التعلق بالتـمائم والعزائم، والاعتـماد عليها فى صرف الضرر، وجلـب النفع، ودفع البلاء قبل نزوله بتمائم وتعاويذ شركية، وطلاسم ورقى أعجمية، مخالفة لما أرشدنا إليه سيد البرية.

فـقد نهـانا الشـارع الحكيم، وحـذرنا الرسـول العظيم ﷺ من تعليق التـمـائم والعزائم. لاسـيما قبـل نزول البلاء، لصرف العين، واتـقاء شر الهوام، ومـا شابه ذلك.

وقـد أمرنا بالتـعوذ بآى القـرآن، والآثار العظام، التى خـرجت من فى حبـيب الرحمن، الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى.

فما هى التمائم؟ وما حكم تعليقها؟ وما دليل ذلك؟

أحبتى فى الله.

التمـائم جمع تمـيمة، وهى كل ما يعلق على جـسم إنسان أو حـيوان، أو على

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (١٧٣٥٣) وصححه حمزة الزين فى تخريج المسند (٣٦٨/١٣) والألبانى فى الصحيحة (٤٩٢) وفى صحيح الجامع مختصراً برقم (٦٣٩٤).

مركبة من كتاب - أى حجاب - أو حديدة، أو خرزة، أو خيط، أو ودعة، أو قلادة، أو ما شابه ذلك قبل وبعد نزول البلاء، لدفع الضر، أو جلب النفع.

قال أبو السعادات: التمائم جمع تميمة، وهى خرزات كانت العرب فى جاهليتهم، تعلقها على أولادهم يتقون بها العين، فى زعمهم، فأبطلها الإسلام.

ولا تزال هذه الضلالات فاشية بين البدو والفلاحين، وبعض المدنيين، ومثلها الخرزات التى يضعها بعض السائقين أمامهم فى السيارة، يعلقونها على المرآة.

وبعضهم يعلق نعلاً فى مقدمة السيارة، أو فى مؤخرتها، وبعضهم يعلقون نعل الفرس فى واجهة الدار أو الدكان، كله لدفع العين

أيها الأحبة الكرام.

ذكر الشيخ وحيد عبد السلام فى كتابه (الأخطاء الشائعة):

فهذا رجل قد اشترى سيارة جديدة، فخاف عليها من العين والحسد، فماذا يصنع؟

إذا به يحضر قطعة بلاستك على صورة كف إنسان، يسمونها (خمسة وخميسة) ثم يعلقها على السيارة ظنًا منه أنها ترد العين، وتدفع الحسد!

لا إله إلا الله. وهل البلاستك ينفع أو يضر؟

ومن الناس من ألغى عقله، ونسخ تفكيره، وقلد غيره، فاعتقد أن الحذاء - أكرمكم الله - ينفع ويضر، فإذا ما بنى مصنعًا جديدًا، أو اشترى سيارة جديدة، فخشى عليها العين، عمد إلى (حذاء) وعلقه على السيارة ظنًا منه أنه يرد الحسد، ويدفع عنه العين

وهذا ضلال مبين، لا ينبغى أن يكون فى بلاد المسلمين، نعم النبى ﷺ قال:

«**العين حق**»[١] لكن المسلم إذا خاف على شىء من العين أو الحسد، عوذه، بما علمنا إياه رسولنا وحبيبنا محمد ﷺ

أحبتى الكرام.

وهذا كله حرام وفساد فى الاعتقاد وضلال، لأجل ذلك، قال لنا الأستاذ الأعظم، والمعلم الأكبر ﷺ «**من علق تميمة فقد أشرك**»[٢] ولما جاءه الوفد ليبايعوه، بايعهم جميعًا إلا هذا الذى علق فى رقبته تميمة. ولم يبايعه إلا بعد أن نزعها.

لأن الذى يملك النفع والضر هو الله وحده لا شريك له. ﴿**وَإن يمسسْك اللَّهُ بِضُرٍ فَلا كَاشف لهُ إلاَّ هُوَ وَإن يمْسسْك بخَيْرٍ فَهُو على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ**﴾ [الأنعام: ١٧] وقال جل فى علاه: ﴿**وَإن يمْسسْك اللَّهُ بضُرٍّ فَلا كاشفَ لَهُ إلاَّ هُوَ وَإن يُرِدْك بخَيْرٍ فَلا رَادَّ لفضْله يُصيبُ به من يشَاءُ من عبَاده وهُوَ الْغفُورُ الرَّحيمُ**﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَمَا بكُم مّن نّعْمَة فمن اللَّه ثُمَّ إذَا مسَّكُمُ الضُّرُّ فَإلَيْه تجْأَرُون**﴾ [النحل: ٥٣]

وقد ورد تحريم ذلك فى سنة الحبيب المصطفى ﷺ فعن قيس بن السكن الأسدى قال: دخل الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ على امرأة من أهله، فرأى عليها خرزًا من الحمرة، فقطعه قطعًا عنيفًا، ثم قال: إنَّ آل عبد الله عن الشرك أغنياء، وقال: كان مما حفظنا عن النبى ﷺ: «**إنَّ الرقى والتمائم، والتولة شرك**»[٣] وفى بعض الروايات فقالت أم ناجية: يا أبا عبد الرحمن، أما الرقى والتمائم فقد عرفنا، فما التولة؟

قال ابن مسعود: التولة ما يهيج النساء.

فقال تولة: هى جعل ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر، وغيره.

---

(١) رواه البخارى وأحمد وغيرهما.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن حبان والحاكم وقال: صحيح الإسناد وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٣١) وصحيح الترغيب (٣٤٥٧).

قال ابن الأثير جعله من الشرك، لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدره الله تعالى

وعن عقبة بن عبد عامر ﷺ مرفوعًا: «**من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعةً فلا ودع الله له**»[١]

وعن عيسى بن الرحمن قال: دخلنا على عبد الله بن عكيم وهو مريض نعوده فقيل له: لو تعلقت شيئًا، فقال: أتعلق شيئًا، وقد قال رسول الله ﷺ: «**من تعلق شيئًا، وُكل إليه**»[٢]؟!

وفى بعض الروايات. لما قالوا له: ألا تعلق تميمة؟

قال: الموت أقرب من ذلك. وفى المشكاة قال: نعوذ بالله من ذلك.

قال القارى: وسببه أنه نوع من الشرك.

ومعنى من تعلق شيئًا، وكل إليه: أى من علق على نفسه شيئًا من التعاويذ والتمائم وأشباهها معتقدًا أنها تجلب إليه نفعًا، أو تدفع عنه ضرًّا، وُكِلَ إليه أى خلى إلى ذلك الشىء، وترك بينه وبينه.

وروى ابن أبى حاتم قال: دخل حذيفة على مريض، فرأى فى عضده سيرًا، فقطعه، أو نزعه، ثم قال: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يوسف: ١٠٦] وفى رواية أن حذيفة قال له: «**لو مت وعليك هذا الخيط، ما صليت عليك**».

وعن عمران بن حصين ﷺ أنَّ النبى ﷺ رأى رجلاً فى يده حلقة من **صُفْرٍ**[٣]، فقال: «**ما هذه الحلقة؟**»

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده (١٧٣٣٥) وصحيح إسناده حمزة الزين (١٣/ ٣٦٣) وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٠٣ رواه أحمد وأبو يعلى ورجاله ثقات.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح (١٨٦٨٥) ورواه النسائى والترمذى والحاكم وسكت عنه الذهبى وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٣٤٥ ٢).

(٣) صُفر النحاس الأصفر

قال: هذه من الواهنة - وهى مرض يأخذ فى العضد[(١)]، وهو للرجال دون النساء. فماذا قال له النبى ﷺ؟

قال له: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**»[(٢)]

وفى رواية: «**فإنك لو مت وهى عليك، ما أفلحت أبدًا**»

ونهاه عنها، لأنه أخذها على أنها تعصمه من الألم، فكانت فى معنى المنهى عنها وفى مصنف ابن أبى شيبة. «**لو مت وأنت تراها نافعتك، لمت على غير الفطرة**»[(٣)] أى على غير ملة الإسلام

وعن أبى بشير الأنصارى رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ **فى بعض أسفاره،** فأرسل رسولاً: «**لا يبقين فى رقبة بعير قلادة إلا قطعت**»[(٤)]

قال البغوى فى شرح السنة تأول مالك أمره ﷺ بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبى ﷺ عنها، وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا.

قال أبو عبيد: كانوا يقلدون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبى ﷺ بإزالتها، إعلامًا لهم بأن الأوتار لا ترد شيئًا

أحبتى الكرام.

كل هذه الأدلة تحرم التمائم والقلائد. وقد قال السلف بذلك أيضًا فعن سعيد بن جبير - رحمه الله - قال: «من قطع تميمة من إنسان، كان كعدل رقبة» - أى عتقها-[(٥)]

---

(١) العضد: ما بين المرفق والكتف.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده (١٩٨٨٥) بإسناد صححه حمزة الزين فى تخريج المسند (٩٧/١٥) والهيثمى فى المجمع (٥/ ٣ ١).

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه

(٤) **صحيح**: أخرجه البيهقى فى السنن وابن أبى شيبة وأحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧ ٧٢).

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه (٥/ ٤٢٨).

وقال إبراهيم النخعى: كانوا يكرهون التمـائم كلها، من القرآن وغير القرآن يعنى أصحاب ابن مسعود.

وقال ربـيعـة شيخ الإمـام مالك: من ألبس امـرأته خرزة لكى تحَبَل أو لكى لا تحبل، فهذا من الرأى المسخوط.

أحبتى فى الله.

وكمـا فى الوصية التى نحن بصـدد الحديث عنهـا، يقول النبى ﷺ: **«من علق تميمة فقد أشرك»** فمتى تكون التمائم شركًا أكبر ومتى تكون شركًا أصغر؟

لقد أجمع أهل العلم سلفًـا وخلفًا على تحريم تعليق التمائم والعـزائم قبل البلاء وبعد نزوله. وقد تكون التمائم شركًا أكـبر، وقد تكون شركًا أصغر، فالذى يعلق شيئًا ويعبده من دون الله، كأن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن فيه النفع أو الضر، فهذا شرك أكبـر، أما إذا اعـتقـد أنه سبب من أسـباب السـلامة من العـين، فهذا مـن الشرك الأصغر.

والأسباب إما شرعية، وإما طبيعية:

فالسبب الشرعى ما جعله الله سببًا فى الشرع بنص آية، أو حديث، كمثل الدعاء والرقية الشرعية، فإنهما سبب شرعى لجلب الخير للعبد، أو لدفع الشر عنه، بإذن الله تعالى، فـالمباشر لهـذه الأسباب، إنما لجأ إلى الله الذى أمـر بها وبين أنها أسـباب، والاعتمـاد على الله عز وجل لا عليها، لأنه سـبحانه هو الذى جعلهـا أسبابًا، وهو القادر على تعطيل تأثيرها، فيكون والاعتماد أولاً وأخيرًا على الله عز وجل.

أما السبب الطبيعى فهو ما كـان بينه وبين تأثيره مناسبة واضحة يدركها الناس فى الواقع المحسوس، أو المعقول مثل شـرب الماء فهو سبب من أسباب زوال العطش. وارتداء الملابس سبب لإزالة البرد.

أيها الأحبة الكرام.

التميمة جماد لا تأثير له، ولا علاقة له بالشفاء، وعلى هذا فإن الذى يعلقها فإنه

يجعلها سببا شرعيًا، وضابط السبب الشرعى أن يثبت بدليل، وهذه التميمة لم يثبت، ولم يقم دليل على أنها سبب شرعى.

لكن فما حكمها إذا كانت من آيات القرآن الكريم؟

التمائم التى من الآيات القرآنية على أشكال مختلفة، منها ما يكتب فى أوراق، ثم تحاط بجلد صغير، ومنها مصاحف تطبع بحجم صغير جدًا، تُعلق فى الرقبة، ومن الناس من يحملها معه بدون تعليق، ومنها كتابة بعض الآيات القرآنية فى قطع ذهبية، أو فضية، أو غيرهما، وغالبًا ما تعلق فى أعناق الصبيان، وعلى السيارات، ونحو ذلك. وهذا النوع من التمائم اختلف العلماء فيه فمنهم من منعه، واستدلوا بعموم النهى الوارد فى تحريم التمائم، ولم يأت ما يخصص هذا العموم.

والقاعدة الأصولية تقول: إنَّ العام يبقى على عمومه، حتى يرد دليل بالتخصيص، فقد قال البشير النذير، والسراج المنير ﷺ كما ذكرنا: «**من علق تميمة فقد أشرك**» وقال: «**إنَّ الرقى والتمائم والتولة شرك**» قالوا: هذه الأحاديث، دلت بعمومها على منع التعليق مطلقًا، ولم يرد ما يخصص التمائم التى هى من القرآن، أو غيره فالواجب حملها على عمومها

وأصحاب هذا الرأى - أى المانعون - قالوا: لو كان هذا العمل مشروعًا لبينه رسول الله ﷺ لأمته، إذ البيان لا يؤخر عن وقت الحاجة، والذى يتتبع الأحاديث الشريفة، وأوامر الرسول المعلم، يرى أن معظم الأحاديث التى وردت فى الأذكار، والدعوات، إنما وردت بلفظ: «من قال كذا، أو من قرأ كذا ولم يرد فى أى حديث، «من كتب كذا، أو علق كذا»

قال ابن العربى المالكى: وتعليق القرآن ليس من السنة، وإنما السنة فيه الذكر دون التعليق.

وأصحاب هذا الرأى قالوا: لو قلنا بجواز التعليق للتمائم التى من آيات القرآن الكريم والدعوات النبوية، لانفتح باب الشرك، واشتبهت التميمة الجائزة بالممنوعة،

وتعذر التمييز بينهما إلا بمشقة عظيمه، ولاستغل هذا الباب دعاة الضلال والخرافات. فيعمل بباب (سد الذرائع) وهو باب عظيم من أبواب الشريعة.

* الرأى الثانى: قالوا بجواز تعليق هذا النوع من التمائم، مستدلين بقول الرسول ﷺ: «**من تعلق شيئًا، وكل إليه، أوعليه**»

فمن علق القرآن تولاه الله، ولا يكله إلى غيره، لأنه تعالى هو المرغب إليه، والمتوكل عليه فى الاستشفاء بالقرآن.

ورد على ذلك، بأنه لو كان الأمر كذلك، لعلقنا آيات القرآن، والأذكار والأدعية، ولا داعى لقراءتها، وهذا تعطيل لما ثبت فى السنة من الرقى ثبوتًا صحيحًا.

والراجح هو المنع، لأنه لم يرد فى كتاب ولا سنة، ولا من فعل السلف رضوان الله عليهم، والقرآن نزل للتلاوة والذكر قال تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٤] ولتذكير المؤمنين بربهم، ونحو ذلك. وكذا السنة للسير على منهجها، والعمل بها .والله أعلى وأعلم.

اللهم يا علام الغيوب. يا مقلب القلوب يا ستار العيوب. يا غفار الذنوب يا رب الأرباب. يا منزل السحاب. يا من إذا دعى أجاب يا حنان. يا منان. أنت المستعان، وعليك التكلان اهدنا بنورك إليك وأقمنا بصدق العبودية بين يديك. واجعل ألسنتنا رطبة بذكرك، ونفوسنا مطيعة لأمرك، وقلوبنا مملوءة بمعرفتك.

اللهمَّ اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم، وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير يا رب العالمين.

الوصية رقم (٣٤)
لا تكن لعَّانًا *

عن جرموذ الجهنى ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، أوصنى، قال. «**أوصيك ألا تكون لعَّانًا**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كان الصحب الكرام ﷺ دائمًا يحبون أن يزودهم الأستاذ الأعظم، والمعلم الأكبر سيدنا محمد ﷺ بأعظم الوصايا الدفعة التى تنظم سلوكهم مع بنى جنسهم، وتنظم سلوكهم مع غيرهم مما حولهم، وتنظم سلوكهم مع خالقهم تبارك وتعالى. فكان يوصيهم بما يراه مناسبًا لكل واحد مهم يتفرس فى أحدهم، حين يسأله الوصية، فيجد أنه كثير الغضب، فيقول له «**لا تغضب**»(٢)

وهذا الصحابى تفرس فيه النبى ﷺ فوجده كثير السب والشتم واللعن، فأوصاه ألا يكون كثير اللعن.

واللعن معناه: الطرد من رحمة الله عز وجل

والمتأمل فى مقاصد رسالة الإسلام العظيمة، يجدها تهذب الأخلاق، وتزكى النفوس، وتنقى المشاعر، وتنشر المحبة والألفة، وروح التعاون والإخاء بين

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده والطبرانى و ببخارى فى التاريخ وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٧٨٨) وفى صحيح الجامع برقم (٢٥٤٢)

(٢) تخرج فى موضع آخر تقدم

المسلمين. قال سيد الأولين والآخرين ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١) وهذه الصفة نفاها عنه، فقال: «**إنى لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة**»(٢)

وآفة اللعن قد انتشرت بين معظم فئات المجتمع على اختلاف طبقاتهم، ومراحل أعمارهم. آفة نشأ عليها الصغير، ودرج عليها الكبير، وتساهل بها الآباء والأبناء، والرجال والنساء. والشبان والفتيات

آفة اللعن والسب آفة عظيمة. تتولد منها الأحقاد، وتثير الضغائن وتهيج العداوة والبغضاء.

آفة تغضب رب العزة والجلال، وتخرج العبد المسلم من ديوان الصالحين، وتدخله فى زمرة العصاة الفاسقين.

تجد الأب يسب أبناءه ويلعنهم. والأم تفعل مثله، ولا يدريان أن ذلك من كبائر الذنوب والآثام.

وتجد الصديق يسب ويلعن صديقه جادًا، أو مازحًا، فيرد عليه بسبب أمه وأبيه ولعنهما. حتى الطفل الصغير تجده قد تعود على السباب واللعن للآخرين، وربما فعل ذلك بأبيه أو أمه، وهما مبهوران به معجبان بشأنه. لكن الواجب الذى ينبغى على الآباء والأمهات أن يرشداه ويقوما بتوجيهه ونصحه، فلا يعودانه على هذا الخلق الذميم. بل ينبغى أن يكونا قدوة لأبنائهما فيضبطان لسانهما دائمًا، ولا يتعودان على السب واللعن، حتى مع الخادم، والصغير بل ومع أى شىء كان كالجمادات والحيوانات.

والمسلم لا يأمن إذا سب مثله أو لعنه أن يقابله بمثل قوله، أو يزيد عليه فيثور غضبه ويطغى، ويقوده إلى ما لا تحمد عقباه. فكم من جريمة وقعت كانت بدايتها

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى فى الأدب المفرد (٢٧٣) وأحمد فى مسنده وصححه الألبانى فى الصحيحة (٤٥).

(٢) رواه مسلم.

السب واللعن. ومعظم النار من مستصغر الشرر والمسلم إذا سب مسلمًا مثله فقد آذاه. ورب العزة والجلال يقــول فى كتابه: ﴿ **والَّذين يُؤْذُون الْمُؤْمِنِين وَالْمُؤْمِنَات بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَد احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإِثْمًا مبينًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقد جاءت السنة المطهــرة بالتحذير من السب أو اللعن، بل ونفت عن صاحــبها الإيمان، قال معلم البشرية ﷺ «**ليس المؤمن بالطعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش، ولا البذىء**»(١)

ونهى عن اللعن، والنهى يقتضى التحريم. قال ﷺ: «**لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضب الله، ولا بجهنم**»(٢)

ومعناه: لا تدعوا الناس بما يـبعدهم من رحمة الله كقــولكم: لعنة الله عليه، أو عليه غضب الله، أو أدخله الله النار ونحو ذلك.

بل لقد جعل الرسول الأعظم ﷺ سباب المسلم من الفــسوق والخروج عن طاعة الله عز وجل، فقال: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»(٣)

قال النووى - رحمه الله -: فسب المسلم بغيــر حق حرام بإجماع الأمة، وفاعله فاسق، كما أخبر به النبى ﷺ.

فهل تصور أولئك الذين يطلقون ألسنتهم سبًّا وشتمًا، وانتهاكًا لأعراض المسلمين أنهم يكونون بذلك فساقًا، خــارجين عن طاعة الله ورسوله ﷺ؟ ألا فليتق الله أناس تركوا العنان لألسنــتهم، حتى أوردتهم مــوارد الهلكة، ومراتع الحســرات، قال ﷺ: «**سبّاب المسلم كالمشرف على الهلكة**»(٤)

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى والبيهقى وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (٣٢).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحــيح ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٤٤٣) والصحيحة (٨٩٣).

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم.

(٤) **حسن**: رواه البزار وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٧٨) وصحيح الجامع (٣٥٨٦).

وعن زيد بن أسلم أن عبد الملك بن مروان بعث إلى أم الدرداء بأنجاد من عنده، فلما أن كان ذات ليلة، قام عبد الملك من الليل، فدعا خادمه، فكأنه أبطأ عليه، فلعنه، فلما أصبح قالت أم الدرداء سمعتك الليلة لعنت خادمك حين دعوته - أى طلبته - لقد سمعت أبا الدرداء ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»**(١)

ومعنى شفعاء أى لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون فى إخوانهم الذين وجبت لهم النار (ولا شهداء) أى لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات. وقيل: لا يرزقون الشهادة فى سبيل الله وقال النووى ـ رحمه الله -

«فيه الزجر عن اللعن، وأن من تخلق به، لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة، لأن اللعنة فى الدعاء، يراد بها الإبعاد من رحمة الله تعالى، وليس الدعاء بهذا من أخلاق المؤمنين، الذين وصفهم الله تعالى بالرحمة بينهم، والتعاون على البر والتقوى، وجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضًا وكالجسد الواحد، وأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فمن دعا على أخيه باللعنة، فهو فى نهاية المقاطعة والتدابر»(٢)

وقد قال سيد الأولين والآخرين ﷺ **«لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»**(٣)

وتأملوا فى جريمة القتل، وشدة قبحها، وما رتب الله عليها من العذاب والنكال واللعنة والغضب فى الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣] فهذا جزاء قاتل المؤمن. والنبى ﷺ يقول عمن يلعنه: **«لعنُ المؤمن كقتله»**(٤) أى فى

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وأحمد.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد والصبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧١).

التحريم أو العقـاب أو الإبعاد، إذ اللعنة تبعيد من رحمة الله الرحـمن، **والقتل يبعد** من الحياة الحسية.

أحبتى فى **الله**.

احذروا من أن يلعن مسلمٌ مـسلمًا، حتى لا يقع فى مثل هذه الآفة الكبـيرة، **قال** سلمة بن الأكوع ﷺ: كنَّا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأينا أنه أتى بابًا من الكبائر.

هل تعرفـون يا من تلعنون إخوانكم أن اللعنة تصعـد إلى السماء، **فيـهرب أهل** السماء منها خشية أن تصيبهم؟

هل تدرون بأنها تهـبط إلى الأرض بعد ذلك، فتـهرب الكائنات منها خشـية أن تصيبـهم؟ هل تدرون أنها تذهب بعد ذلك يمينًا ويسارًا حـتى تصادف من يستحـقها؟ هل تعلمون أنهـا ترد على صاحبها؟ فـعن أبى الدرداء ﷺ أن رسول **الله** ﷺ قال: «**إنَّ العبد إذا لعن شـيئًا، صعدت اللعنة إلـى السماء، فتغلق أبواب السـماء دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتـغلق أبوابها دونها، ثم تأخذ يمـينًا وشمالاً، فإن لم تجد مـساغًا، رجعت إلى الذى لعن،فإن كان أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها**»[1] فلماذا المسلم يُحمِّل نفسه هذا الذنب العظيم؟ ولماذا يصر على هذا الجرم الكبير؟ لماذا لا يعود المسلم لسانه على الدعـاء لأبنائه وبناته بدلاً من أن يلعنهم ويدعـو عليهم؟! ألا يخـشى أن ترجع وترد عليه اللعنة؟

وربما كانت ساعة إجابة، فـيكون من المطرودين من رحمة الله الرحيم. ويكون من المبعدين المقـبوحين؟ ألا يخشى هذا الإنسان أن يلـقى ربه بلسان ولغ فى أعراض المسلمين، واستباح حرماتهم؟

ولتعلموا أيها الأحبة أن الذى يبـدأ بالسباب هوالذى يتحمل الإثم وحده، إلا إذا عفا عنه المسـبوب، أو انتصر بقـدر مظلمته، ولم يتجاوز ذلـك إلى ما ظلم وتعدى، قال النبى ﷺ: «**المستبان ما قالا، فعلى البادئ منهما، ما لم يعتد المظلوم**»[2]

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٢) والصحيحة (٤٩٠٥).

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى

يقول الإمام النووى - رحمه الله[١] - فى فوائد هذا الحديث: **معناه: أن إثم** السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله، إلا أن **يتجاوز الثانى قدر** الانتصار فيكون للبادئ أكثر مما قال له.

وفيه: جواز الانتصار، ولا خلاف فى جوازه، وقد جاء القرآن الكريم **بذلك فى** قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ** .. ﴾ [الشورى ٣٩ - ٤١]

وقد قال خير من عفا ﷺ «**وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا**..»[٢]

أحبتى فى الله.

وليحذر كل مسلم من أن هذا يكون سببا فى سب والديه، فيكون **كمن سبهما**، فقد قال ﷺ: «**إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قالوا: كيف يلعن الرجل والديه يا رسول **الله**؟

قال: «**يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه، ويسب أمه**»[٣]

وللأسف الشديد أن النوع من السب والشتم قد انتشر بين شباب المسلمين وطلابهم، وهذا دليل على انحطاط التربية، ودليل على سوء أخلاقهم، **ودليل على** تفريط أولياء أمورهم فى تنشيءتهم على الأخلاق الحسنة، والفضائل الجميلة، والخصال الحميدة.

وهذا الوعيد فيمن تسبب فى سب والديه، دون أن يباشر سبهما بنفسه، **فكيف** يكون حال من يقوم بسبهما أو لعنهما، أو ضربهما ولا حول ولا قوة إلا **بالله**.

وهناك بعض الناس يسبون كل شيء حولهم، ويلعنون حتى الحيوانات. **فتتعود** ألسنتهم على سب ولعن غيرهم، لذا نرى الحبيب المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى.

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) رواه البخارى وأحمد وغيرهما

سدَّ كل منفذ يؤدى إلى السب واللعن، حتى ولو كان حيوانًا أعجميًا. فعن عمران ابن حصين ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة لها، فضجرت منها، فلعنتها، فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك، ماذا فعل معها؟ قال لها: «**خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة**»

قال عمران: فكأنى أراها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد(١)

قال الإمام النووى - رحمه الله - إنما قال هذا زجرًا لها ولغيرها، وكان قد سبق نهيها، ونهى غيرها عن اللعن، فعوقبت بإرسال الناقة(٢)

وقد نهى النبى ﷺ عن سب الديك أو لعنه، لماذا؟ لأنه يسبح الله، **لأنه يوقظ** صاحبه للصلاة. قال ﷺ: «**لا تسبوا الديك، فإنه يوقظ للصلاة**»(٣)

وقد نهى عن سب الحمى، فعن جابر ﷺ أن النبى ﷺ دخل على أم السائب، فقال لها: «**ما لك تزفزفين؟**»

قالت: الحُمى، لا بارك الله فيها

فقال ﷺ: «**لا تسبى الحمى، فإنها تذهب خطايا بنى آدم، كما يذهب الكير الخبث**»(٤)

ونهى عن لعن الريح، فعن ابن عمر ﷺ أن رجلاً لعن الريح عند رسول الله ﷺ فقال له: «**لا تلعن الريح**» لماذا؟ وما هو سبب النهى عن لعن الريح؟ قال: «**فإنها مأمورة...**»(٥) من قبل الله عز وجل ثم قال. «.. **من لعن شيئًا ليس له بأهل، رجعت اللعنة عليه**».

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٦/ ٣٦٣)

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣١٤).

(٤) رواه مسلم.

(٥) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذى وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨٠).

إنَّ عظمة الإسـلام تتجلى فى هذه التوجـيهات السامـية، والآداب الرفيعـة كلها تحرص على أن يكون المؤمن طاهـر اللسان، حلو المنطق، عذب الكلمـات، لا يشينه شىء، ولا يقدح فى مروءته قادح

أيها الأحبة فى الله.

كونوا منفـذين لهذه الوصية، فقـد كان سلف الأمة أحرص مـا يكون على فعل الخيرات، وترك ما يشين من المنكرات

كانوا يجتنبون السب واللعن والشتم، وكـانوا يطيبون ألسنتهم بذكر الله عز وجل وشكره. كانوا يطيبون ألسنتهم بقراءة القرآن، وتسبيـحه وحمده فهذا سيدنا عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما يقول عنه سالم: ما لعن ابن عمر خادمًا قط، إلا واحدًا فأعتقه.

وقال الزهرى: أراد ابن عمـر أن يلعن خادمه، فقال: اللهمَّ الع. فلم يتـمها، وقال: هذه كلمة ما أحب أن أقولها[1]

وعن سفيان بن عيينة، قال كان ابن عياش المنتوف يقع فى عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر، فقال: يا هذا، لا تفـرط فى شتمنا، وأبق للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا، بأكثر من أن نطيع الله فيه[2]

وقال المثنـى بن الصبـاح لبث وهب بن مـنبه أربعـين سنة لم يسـب شيـئًا فيـه روح.

وقال عاصم بن أبى النجـود. ما سمعت أبا وائل شقـيق بن سلمة، سب إنسانًا قط، ولا بهيمة.

وقال الزبرقـان: كنت عند أبى وائل، فجعلت أسبُّ الحـجاج، وأذكر مـساوئه، فقال أبو وائل: لعلّه قال: اللهم اغفر لى، فغفر له.

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧ ٣) لأبى نعيم.
(٢)حلية الأولياء لأبى نعيم (٥/ ١١٣)

وعن عاصم قال: ما رأيت أبا وائل ملتفتًا فى صلاة، ولا فى غيرها ولا سمعته يسب دابة قط، إلا أنه ذكر الحجاج يومًا، فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضريع، لا يسمن ولا يغنى من جوع، ثم تداركها، فقال: إن كان ذاك أحب إليك[1]

ورضى الله عنه سيدنا عبد الله بن مسعود فقد قال إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا، فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولون اللهمَّ اخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية.

ورُوى أن سيدنا أبا الدرداء ﷺ مر على رجل قد اصاب ذنبًا، فكانوا يسبونه، فقال لهم أبو الدرداء: أرأيتم لو وجدتموه فى بئر، ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا، واحمدوا الله الذى عافاكم قالوا أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخى

أحبتى فى الله.

لو أن المسلمين تعاملوا بهذه الأخلاق الكريمة، والنفوس الصافية، والصدور السليمة، لتغير حالهم، وعظم أثرهم فى أنفسهم، وفى غيرهم من غير المسلمين.

وفى سنة الحبيب المصطفى ﷺ طائفة ملعونة، نذكر بعضًا منهم على سبيل الإجمال. فقد قال ﷺ:

«لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه»[2]

«لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها»[3]

«لعن الله الخامشة وجهها، والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور»[4]

---

(١) المرجع السابق (٤/ ٢ ١).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح اجامع (٥٠٨٩).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٩١ ٥).

(٤) **حسن**: رواه ابن حبان والبيهقى وحسنه الألبانى فى صحيح (٩٢ ٥).

«لعن الله الراشى والمرتشى»[١]

«لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[٢].

«لعن الله الرجلة من النساء»[٣]

«لعن الله السارق يسرق البيضة، فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»[٤]

«لعن الله العقرب، ما تدع المصلى وغير المصلى، اقتلوها فى الحل والحرم»[٥]

«لعن الله المحلل، والمحلل له»[٦]

«لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»[٧]

«لعن الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٨]

«لعن الله زوارات القبور»[٩]

«لعن الله من يسم فى الوجه»[١٠]

«لعن الله من سب أصحابى»[١١]

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩٣).
(٢) صحيح: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩٥).
(٣) صحيح: صحيح الجامع (٥٠٩٦)
(٤) صحيح: رواه أحمد والنسائى والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩٧).
(٥) صحيح: رواه البيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠٩٨).
(٦) صحيح: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠١).
(٧) صحيح. صحيح الجامع (٥١٠٤).
(٨) صحيح: رواه النسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠٦).
(٩) صحيح: رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١٠٩).
(١٠) صحيح: رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١٠).
(١١) حسن: رواه الطبرانى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١١).

«لعن الله من لعن والديه، ولعن الله مـن ذبح لغيـر الله، ولعن الله من آوى محـدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض»[١]

«لعن الله من مثَّل بالحيوان»[٢]

نسأل الله العظيم رب العرش العـظيم أن يرحمنا برحمته، وأن يتم علينا نعـمته، وأن ينصرنا على أعدائنا

ونسألك يا ربنا أن تنور قلوبنا بنور هدايتك، وأن تلهمنا حب مـعرفتك وأن تستر علينا بستر حمايتك، وأن تجعل أنسنا بك، وشوقنا إليك، وخوفنا منك حتى لا نرجو أحدًا غيرك، ولا نـخشى أحدًا سواك اللهم ارزقنا الاعتمـاد عليك، والانقياد إليك، والحب فـيك، والقـرب منك، والأدب مـعك. أنت نور الســموات والأرض عـز جارك، وجل ثناؤك، وتقدست أسماؤك، وعظم شأنك ولا إله غيرك.

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائى.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والبيهقى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١٣).

الوصية رقم (٣٥)
لا تنكر جميل من أسدى إليك معروفًا *

عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من صنع إليكم معروفًا، فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه به، فادعوا له، حتى تروا أنكم كافأتموه**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كونوا منفذين لوصية خير الأنام ﷺ وإياكم ونكران الجميل، واشكروا صنائع المعروف، وكونوا من الأوفياء

لأن نكران الجميل من مساوئ الخلال، وذميم الخصال، التى حذرنا منها الإسلام.

نكران الجميل يتنافى مع طبائع النفوس المؤمنة السوية، التى جبلت على حب من أحسن إليها، والتوقف إزاء من أساء إليها، لذلك كان من الصعوبة بمكان أن يكون ناكرًا الجميل سويًا فى نفسه، أو حتى مستقيمًا فى سلوكه وطبائعه، وهذا ينعكس بالدرجة الأولى على ذاته وشخصيته، وعلاقته بغيره، فينفض الناس من خدمته بعد أن يكتشفوا حقيقة مرضه الدفين فى نفسه.

والإنسان فى هذه الحياة لايستغنى عن مثله، فلا يستطيع أى إنسان أن يعيش وحده، فمعنى ذلك أن هذا الإنسان سوف يؤدى إلى الآخرين بعض ما يحتاجون إليه، كما أنه سوف يأخذ منهم بعض ما يحتاج إليه، لذلك وجه أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ الأمة المحمدية إلى الاعتراف بالجميل، وعدم نكرانه، فقال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٦٠٢١) وصحيح سنن أبى داود برقم (١٤٦٨).

«من أعطى عطاء، فوجد، فليجز به، ومن لم يجد، فليثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يعطه، كان كلابس ثوبى زور»(١)

أما أن يحسن الآخرون إلى أحدنا، فلا يجدون إلا نكرانًا، فهذا دليل على خسة نفس هذا الإنسان وحقارتها، لأن النفوس الكريمة لا تعرف الجحود ولا النكران، لكنها دائمًا وفية، تعترف لأهل الفضل بفضلهم وتشكر لأهل النعمة شكرهم.

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى
فعددت قولهم من الإضلال
إنى امرؤ فىَّ الوفاء سجية
وفعال كل مهذب مفضال

وأما اللئيم، فإنه لا يزيده الإحسان والمعروف إلا تمردًا:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فحين يكون الإنسان جاحدًا غير مقر بلسانه، بما يقر به قلبه من المعروف والصنائع الجميلة التى أسديت إليه، سواء من الله عز وجل، أو من المخلوقين فهو منكر للجميل، جاحد للنعمة.

ونكران الجميل، أو الجحود فطرة قديمة، ولذلك كان أول من جحد كان آدم أبو البشرية عليه السلام.

قال ﷺ **«أول من جحد آدم عليه السلام»** قالها ثلاث مرات ثم قال: **«إن الله لما خلقه مسح ظهره، فأخرج ذريته، فعرضهم عليه، فرأى فيهم رجلاً يزهر، قال: أى رب من هذا؟ قال: ابنك داود قال: كم عمره؟ قال: ستون، قال: أى ربٍّ، زد فى عمره، قال: لا إلا أن تزيده أنت من عمرك، فزاده أربعين سنة من عمره، فكتب الله**

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى وأبو داود وابن حبان وصححه الألبانى فى الصحيحة (٦١٧).

عليه كتابًا، وأشهد عليه الملائكة، فلما أراد أن يقبض روحه، قال: بقى من أجلى أربعون، فقيل له: إنك جعلته لابنك داود.. قال: فجحد، فأخرج الله عز وجل الكتاب، وأقام عليه البينة، فأتمها لداود عليه السلام مائة سنة، وأتمها لآدم عليه السلام عمره، ألف سنة»[١]

أحبتى الكرام.

إن نكران الجميل، وجحد نعمة الآخرين، سبب من أسباب دخول النار - والعياذ بالله فعن عبد الله بن عباس ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**أُريت النار، فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن**» قيل يا رسول الله، أيكفرن بالله؟

قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيراً قط**»[٢]

تأملوا نكران الجميل خاصة من النساء تأملوا كيف يجحدن النعمة.

كانت امرأة تدعى (اعتماد البرمكية) أم أولاد المعتمد بن عبَّاد، وكان أحد أعظم ملوك الأندلس. عاشت معه فى رفاهية وعز، فاق الوصف وحظيت عنده بمكانة لدرجة أنه كان لايرد لها طلبًا

وفى يوم من الأيام رأت بعض النساء يخضن فى الطين، وقد شمرن عن سوقهن. فاشتهت أن تخوض فى الطين مثل هؤلاء

فما كان من ابن عباد إلا أنه بادر إلى تلبية طلبها، وتحقيق رغبتها، ولكن بطريقة فيها بذخ وتبذير مفرطين طريقة كلفت الدولة أموالاً طائلة حيث أمر بالمسك والعنبر والكافور، فسحق بماء الورد ليكون فى هيئة الطين، ووضع ذلك فى جنبات أو فى بستان القصر، وخاضت برجليها فى ذلك الطين الثمين المصنوع من المسك

---

(١) صحيح رواه أحمد فى مسنده وأبو داود والترمذى وحسنه الألبانى فى المشكاة (١١٨) وصححه فى صحيح الجامع (٨ ٥٢).

(٢) رواه البخارى وأحمد فى مسنده.

والعنبر والكافور، وماء الورد. لكن هذا العز، وتلك الرفاهية لم تدم طويلاً حيث انقلبت الأمور، وتبدلت الأحوال على ابن عباد، فطرد من الأندلس شر طردة ونزل مراكش ذليلاً خائفًا يترقب، مسلوب الملك والجاه، وأراه الله عز وجل وبال فعله فى الدنيا حتى قالت له امرأته يومًا (اعتماد البرمكية) ما رأيت منك خيراً قط. تجحد ما كانت فيه من النعمة، وتنكر جميله. فقال لها: ولا يوم الطين؟! فسكتت.

أيها الأحبة الكرام.

إنه من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فقد جاء فى حديث النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال. «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس، لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب**»[1]

وهكذا كان الأستاذ الأعظم، والمعلم الأكرم ﷺ يوجه أمته إلى مكارم الأخلاق، يوجههم إلى ما فيه الخير والصلاح فى الدنيا، والخير والفلاح فى الآخرة، بجنة الله ورضوانه.

لقد وجه أمته قولاً وعملاً إلى الاقرار بالجميل، وشكر من أسداه، بل والدعاء له، حتى يعلم أنه قد كافأه، فعن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**من استعاذكم بالله، فأعينوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع إليكم معروفًا، فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له، حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه**»[2]

(١) **صحيح**: رواه أحمد و بن أبى الدنيا وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٧٦) وصحيح الجامع (١٤ ٣)

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٥٤) وصحيح سنن أبى داود (٩ ٥١) وصحيح الجامع (٢١ ٦)

قال المناوى فى فيض القدير

(من صنع إليكم معروفا) هو اسم جامع للخير، فكافئوه على إحسانه بمثله أو خير منه، **فإن لم تجدوا، فادعوا له**، وكرروا الدعاء حتى تروا أنكم قد كافأتموه.

ووجه المبالغة: أنه رأى من نفسه تقصيراً فى المجازاة، فأحالها إلى **الله** عز وجل، ونعم المجازى هو سبحانه وتعالى.

وكان ﷺ يوجه الأمة إلى عدم نكران الجميل وعدم جحوده عمليًا وتطبيقيًا فى حياته، ومع زوجاته أمهات المؤمنين(١)

فهذه هى السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها زوجته الأولى، إنه ما تزوج عليها فى حياتها قط.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ما غرت على نساء النبى ﷺإلا على خديجة، وإنى لم أدركها. قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة، يقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**» قالت: فأغضبته يومًا، فقلت: خديجة؟!

فقال رسول الله: «**إنى قد رزقت حبها**»(٢)

وعند النجارى. أنها قالت - أى عائشة - كأنه لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول: «**إنها كانت وكانت، وكان لى منها ولد**»(٣)

وهذا اعتراف من النبى ﷺ بجميل هذه السيدة الفاضلة وجاء ذلك واضحًا كما فى مسند الإمام أحمد عن حديث عائشة أن النبى ﷺ أثنى عليها ثناء كثيراً فقالت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين، وقد أبدلك الله خيراً منها.

فماذا يقول خير من أقر بالجميل، ولم يجحده؟ قال: «**والله ما أبدلنى الله خيراً**

---

(١) فيض القدير للمناوى.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى.

منها، قد آمنت بى حين كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله منها الولد، وحرمنى أولاد الناس»[١] صلوات ربى وسلامه عليك يا رسول الله.

لقد كان شاكرًا أولاً لله عز وجل، ثم لمن قدم له الجميل، ولمن وقف بجانبه فى تأييد دعوته. فقد كان عم النبى ﷺ يدافع عنه، ويدفع عنه إيذاء المشركين، حتى آخر لحظات حياته.

إنه عمه أبو طالب، رغم موته على الكفر رغم أنه أبى أن يقول كلمة التوحيد حتى وهو على فراش الموت. أبى أن يقول: لا إله إلا الله.

يقول العباس - عم الحبيب ﷺ - ما أغنيت عن عمك، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال ﷺ **«هو فى ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار»**[٢] صلوات ربى وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله. وبأبى أنت وأمى، لم تنكر جميلاً، ولم تجحد معروفًا. ولكنك كنت تقر بالجميل، وتعترف بمن يقدم لك أى خير

لقد ردَّ الجميل لصاحبه وحبيبه أبى بكر الصديق رضي الله عنه ولم ينكره، ولم يجحده، لكنه قال لأمته: **«ما أحد أعظم عندى يدًا من أبى بكر الصديق، واسانى بنفسه وماله، وأنكحنى ابنته»**[٣]

وقال يومًا معترفًا ومقرًا بجميله ومعروفه: **«ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافأناه بها،ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربى، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الله»**[٤]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في مسنده (٢٣٧١٩)

(٢) رواه مسلم والبخارى وأحمد

(٣) **صحيح**. رواه الطبرانى عن ابن عباس وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (٢٢١٤).

(٤) **صحيح**: رواه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح سنن الترمذى رقم (٣٦٦١) وصحيح سنن ابن ماجة (٩٤)

أيها الأحبة الكرام الأفاضل.

لما هاجر النبى ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة - نورها الله ببركته - من الذى استقبله؟ ومن الذى وقف بجانبه يؤازره؟ ومن الذى قدم له ولمن هاجر معه العون المادى؟ إنهم الأنصار - رضوان الله عليهم - فهل نسى رسول الله ﷺ كل ذلك؟ هل جحد فضلهم؟ هل أنكر معروفهم وجميلهم؟ كلا والله.

ولكنه قال معترفًا بجميلهم، غير منكر لمعروفهم. «**من أحب الأنصار، أحبه الله، ومن أبغض الأنصار، أبغضه الله**»(١)

ويوم حنين حين أعطى للمؤلفة قلوبهم، وترك الأنصار لإيمانهم. فوجد عليه بعض الأنصار، فلما علم ذلك، خطب فيهم قائلاً:

«**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً، فهداكم الله، وكنتم متفرقين، فألفكم الله، وعالة فأغناكم الله بى؟** كلما قال شيئًا قالوا: لله المن ولرسوله ثم قال لهم: **لوشئتم قلتم: جئتنا طريداً فآويناك.. وقلتم: جئتنا خائفًا فأمناك.. وكذا وكذا... ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبى إلى رحالكم؟** ثم قال مقرًا لهم بالجميل:

والله لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار، ولو سلك الناس واديًا أو شعبًا لسلكت وادى الأنصار وشعبها..»(٢)

فصلوات ربى وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله.

وهذا هو الصحابى الجليل ربيعة بن كعب رضي الله عنه الذى كان يخدمه ﷺ ويضع له الوضوء لصلاة الفجر يقول: كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم فى حوائجه نهارى أجمع، حتى يصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة، فأجلس ببابه، إذا دخل بيته،

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد ورواه ابن ماجه وصححه الألبانى فى الصحيحة (٩٩١) وصحيح الجامع (٥٩٥٣).

(٢) رواه البخارى والترمذى وأحمد وغيرهم.

أقول: لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة فما أزال أسمعه يقول: **سبحان الله سبحان الله وبحمده!** حتى أمل، فأرجع، أو تغلبنى عينى فأرقد، قال: فقال لى يومًا لما يرى من خفتى له، وخدمتى إياه: (**سلنى يا ربيعة أعطك**).

قال: فقلت: أنظر فى أمرى يا رسول الله، ثم أعلمك ذلك. قال: ففكرت فى نفسى، فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة، وأنَّ لى فيها رزقًا سيكفينى ويأتينى، قال: فقلت: أسأل رسول الله ﷺ لآخرتى، فإنه من الله بالمنزل الذى هو به. قال: فجئت، فقال: «**ما فعلت يا ربيعة؟**» فقلت: نعم يا رسول الله. أسألك أن تشفع لى إلى ربى، فيعتقنى من النار فقال «**من أمرك بهذا يا ربيعة؟**» **فقلت: لا** والذى بعثك بالحق، ما أمرنى به أحد، ولكنك لما قلت: سلنى أعطك، وكنت من الله بالمنزل الذى أنت به نظرت فى أمرى، عرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لى فيها رزقًا سيأتينى فقلت فى نفسى: أسأل رسول الله لآخرتى، فصمت رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال: «**إنى فاعل، فأعنى على نفسك بكثرة السجود**»[1]

رضى الله عنك يا ربيعة. إنك علمت أن الدنيا زائلة. وعلمت أنها فانية فآثرت ما يبقى على ما يفنى. وقنعت بما رزقك الله.

هى القناعة فالزمها تعش ملكًا
لولم يكن لك فيها إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
هل راح منها بغير القطن والكفن

أحبتى فى الله.

ومن كفر نعمة الناس، كفر نعمة الله عز وجل قال ابن الأثير: من كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس، وترك شكره لهم، كان من عادته كفر نعمة الله - عز وجل - وترك الشكر له[2]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده واللفظ له ورواه مسلم بنحوه وصححه الألبانى.
(٢) جامع الأصول (٢/ ٥٦) والآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٣١٣).

ونكران الجميل سبب للعقوبة، وزوال النعمة، قال الأصمعي - رحمه الله -: سمعت أعرابيًا يقول: «أسرع الذنوب عقوبة، كفر المعروف»[(١)]

وقد جاءت السنة المطهرة بذلك، ففى الصحيحين وفى صحيح ابن حبان ومسند الإمام أحمد وغيرهم من حديث أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:

«إنَّ ثلاثة فى بنى إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الإبل، فمسحه، فذهب عنه، قال: وأعطى ناقة عشراء فقال: بارك الله لك فيها قال: وأتى الأقرع فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قذرنى الناس قال فمسحه فذهب عنه وأُعطى شعرًا حسنًا قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر فأعطى بقرة حافلة قال بارك الله لك فيها.

قال: وأتى الأعمى فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلى بصرى فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم قال: فأُعطى شاة والدا وأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم.

قال: ثم أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ بى اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ به فى سفرى فقال: الحقوق كثيرة فقال: كأنى أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

قال: ثم أتى الأقرع فى صورته فقال له مثل ما قال لهذا فرد عليه مثل ما رد هذا فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح(١/ ٣١٢).

وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى! فقال: قد كنت أعمى فرد الله علىّ بصرى فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم شيئًا أخذته، فقال: أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم فقد رضى عنك وسخط على صاحبيك..

وهكذا جزاء من جحد النعمة ولم يشكرها، وجزاء من لم يشكر نعمة الله عز وجل. هكذا يكون جزاء الجحود والنكران للجميل.

أحبتى الكرام.

وأولى الناس برد الجميل هما الوالدان، فقد قرن الله عز وجل حقهما فى الشكر بحقه سبحانه، فقال تعالى: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير**﴾ [لقمان: ١٤] فمن كان شاكرًا لأنعم الله وفضله وإحسانه، كان شاكرًا لوالديه، معترفًا بفضلهما، عارفًا بحقهما، قائمًا ببرهما، ورحم الله الزين العراقى حين قال:

فإن قيل: ما وجه تعلق رضا الله عنه، برضى الوالد؟ قلنا: الجزاء من جنس العمل فلما أرضى من أمر الله بإرضائه ﷺ فهو من قبيل «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(١)

والإنسان فى هذه الدنيا مهما صنع لا يستطيع أن يؤدى، ولا يكافئ والديه عما فعلاه لأبنائهما فى حياتهما. فماذا نصنع؟ لابد من الدعاء لهما، فنقول: ﴿**رب ارحمهما كما ربيانى صغيرًا**﴾ [الإسراء ٢٤]

﴿**ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب**﴾ [إبراهيم: ٤١] فلندع لوالدينا فى حياتهما وبعد مماتهما. قال ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢)

---

(١) فيض القدير (٤/ ٣٣) للمناوى.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى.

إلهى. يا من خضع كل شيء لعزتك. وعنت الوجـوه لعظمتك. إذا أساء عبادك حلمت وأمهلت. وإن أحسنوا تفضلت وقبلت، وإن عصوا سترت وإذا أذنبوا عفـوت وغفرت، وإذا دعـونا أجبت. وإذا نادينا سـمعت اغفـر لنا ذنوبنا، وتوفنا مسلـمين، وألحقنـا بالصالحين، ويـسر أمورنا فى الـدنيا والآخرة يا كـريم، وأوردنا حوض نبينا يا جواد يا حليم، يا رب العالمين

الوصية رقم (٣٦)
التحذير من الاحتكار

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**من احتكر حكرة يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ**»[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

إذا كان الواحد منكم يعمل فى أى نوع من أنواع التجارة، يبيع أى سلعة نافعة للناس، فليكن منفذًا لهذه الوصية - أى يحذر أن يحتكر أى سلعة من السلع - فمن يعمل هذا العمل فهو عاصٍ آثم.

إنَّ الشريعة الإسلامية جاءت ببيان طرق التعامل الحلال، وجاءت بالمحبة بين المسلمين، فحرمت أكل المال بالباطل، قال تعالى ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ..** ﴾ [النساء ٢٩]

وحرمت عليهم ما يكون سببًا فى البغضاء والشحناء، فقال ﷺ: «**لا يبع بعضكم على بيع بعض**»[٢] «**ولا يسوم على سوم أخيه**»[٣] وحرمت الغش فى البيع والشراء، فقال ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»[٤]

وكذلك من المعاملات المحرمة فى الإسلام التى يكون فيها إيغار الصدور، وأكل المال بالباطل، والتضييق على عباد الله. [الاحتكار]

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده (٢ ٨٦) وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (٣٣٦٢).

(٢) **صحيح**: رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

(٣) **صحيح**: رواه مسلم والترمذى.

(٤) **صحيح**: رواه مسلم وابن ماجه والترمذى وأبو داود.

فما هو الاحتكار؟ وما حكمه؟ وفيم يكون؟ وما الحكمة من تحريمه؟

الاحتكار هو حبس أى شىء تشتد حاجة الناس إليه، ويستعملونه فى حياتهم، ويتضررون من حبسه، ليرفع سعره ويغليه على الناس عند الضيق والاحتياج.

والاحتكار عمل مذموم عقلاً ومحرم شرعًا، ولذلك قال النبى ﷺ فى الوصية التى بين أيدينا: «**من احتكر حكرة، يريد أن يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ**»[1]

وعند مسلم فى صحيحه من حديث معمر أن رسول الله ﷺ قال: «**من احتكر فهو خاطئ**»[2]

قال النووى - رحمه الله - فى شرحه لهذا الحديث: قال أهل اللغة: الخاطئ هو العاصى الآثم وهذا الحديث صريح فى تحريم الاحتكار.

قال: والحكمة فى تحريم الاحتكار، دفع الضرر عن عامة الناس، كما أجمع العلماء على أنه لو كان عند إنسان طعام، واضطر الناس إليه، ولم يجدوا غيره، أجبر على بيعه دفعًا للضرر عن الناس[3]

نعم إنه خطأ فادح فى حق المجتمع إنه ظلم وانتهازية مضرة بالمجتمع إنه تحكم فى السوق يقضى على التنافس الشريف

إنَّ هذا العمل يحمل فى طياته بذور الهلاك والدمار، لما يسببه من ظلم وغلاء فى الأسعار، وتضييق لأبواب العمل والرزق، وهو نوع من الأنانية، وحب الذات.

والاحتكار ليس خاصا بالأقوات، بل هو عام فى كل ما يحتاج إليه الناس ويقعون فى حرج أو ضيق إذا فُقد أو قل، أو ارتفع سعره ارتفاعًا فاحشًا، سواء كان طعامًا أو لباسًا، أو دواء أو عقارًا سواء كان ما يباع أو يؤجر، وهذا مذهب

(١) **صحيح**: رواه أحمد برقم (٢ ٨٦) وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة برقم (٣٣٦٢).

(٢) رواه مسلم (١٢ ٣).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى (٥/ ٤٨٢)

الإمام مالك - رحمه الله - وأبى يوسف ورواية عن الإمام أحمد، وقال به بعض الشافعية - ويدل عليه عموم قوله ﷺ «**لا يحتكر إلا خاطئ**»(١)

قال الشوكانى - رحمه الله وظاهر الأحاديث أن الاحتكار محرم من غير فرق بين قوت الآدمى والدواب وبين غيره، والتصريح بلفظ الطعام فى بعض الروايات لا يصلح لتقييد بقية الروايات المطلقة، بل هو من التنصيص على فرد من الأفراد التى يطلق عليها المطلق.

وإذا اتفق أصحاب صنعة معينة على عدم بذلها إلا بسعر مرتفع فهو نوع من الاحتكار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فإذا كان الناس محتاجين إلى فلاحة قوم أونساجتهم، أو بنائهم، صار هذا العمل واجبًا، يجبرهم ولى الأمر عليه، إذا امتنعوا عنه بعوض المثل

ولما كان هذا العمل مذمومًا عند الله عز وجل، لأنه يتنافى مع الإحسان الذى أمر به الواحد الديان فى قوله تعالى: ﴿**وَأَحْسِنوا إِنَّ اللَّه يحب الْمُحْسِنينَ**﴾ [البقرة: ١٩٥] ومخالفًا لقواعد الأخوة فى الإسلام، والتى تفرض عليه. «**أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا**»(٢)

لذلك كان عقاب الله عز وجل للمحتكر أليما، ومن جنس عمله. قال ﷺ: «**من احتكر على المسلمين طعامهم، ضربه الله بالإفلاس، أو بجذام**»(٣)

والحديث فى مسند الإمام أحمد، وله قصة ذكرها، عن فروخ مولى عثمان، أن عمر، وهو يومئذ أمير المؤمنين، خرج إلى المسجد، فرأى طعامًا منثورًا، فقال: ما هذا الطعام؟ فقالوا: طعام جلب إلينا

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده (١٥٦٩٨) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٧٦٣١)

(٢) **حسن**: رواه أحمد والترمذى والبيهقى وحسنه الألبانى برقم (٤٥٨) فى صحيح الجامع.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد (١٣٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر (١/ ٢٢٤).

قال: بارك الله فيه، وفيمن جلبه، قيل: يا أمير المؤمنين، فإنه قد احتكر قال: ومن احتكره؟ قالوا: فروخ مولى عثمان، وفلان مولى عمر، فأرسل إليهما فدعاهما، فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟

قال: يا أمير المؤمنين، نشترى بأموالنا ونبيع، فقال عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من احتكر على المسلمين طعامهم، ضربه الله بالإفلاس أو بجذام**»[1] فقال فروخ عند ذلك: يا أمير المؤمنين، أعاهد الله، وأعاهدك أن لا أعود فى طعام أبدًا، وأما مولى عمر، فقال: إنما نشترى بأموالنا ونبيع، فقال أبو يحيى: فلقد رأيت مولى عمر مجذومًا - أى مصاب بمرض الجذام - والعياذ بالله - وهو مرض جلدى خطير، يحمر الجلد، ثم يسود، ثم يتناثر اللحم منه.

أحبتى فى الله.

والاحتكار بُعدٌ عن منهج الله تعالى، وغياب للتقوى، ونوع طمع وجشع والعبد حرٌّ ما قنع، والحر عبدٌ ما طمع، فما أبعد هذا التصرف عن روح الشريعة الإسلامية.

وبئس العبد المحتكر، إن سمع برخص ساءه، وإن سمع بغلاء، فرح. وقد كان السلف - رضوان الله عليهم - يعرفون خطورة الاحتكار، فكانوا يخشون عقوبته، فهذا سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ماذا فعل حين قحط الناس فى زمان أبى بكر الصديق رضي الله عنه قحطًا شديدًا؟ فقال لهم أبو بكر إن شاء الله لا تمسون غدًا حتى يأتيكم فرج الله، فلما كان الصباح، قدمت قافلة لعثمان بن عفان رضي الله عنه محملة بالأطعمة. فغدا عليه التجار يريدون أن يشتروا ما فى هذه القافلة بأى ثمن ليحتكروا هذا الطعام، لكى يبيعوه للناس بأغلى الأسعار

فقال لهم عثمان: كم تربحوننى؟ قال: العشرة باثنى عشر

فقال: قد زادنى من هو خير منكم. قالوا: فالعشرة بخمسة عشر.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (١٣٥) وصححه الشيخ أحمد شاكر جـ (١/ ٢٢٤).

قال: قد زادنى، قالوا: من الذى زادك ونحن تجار المدينة؟ قال: إنه الله زادنى بكل درهم عشرًا، فهل لديكم أزيد من ذلك؟

فانصرف عنه التجار، وهو يقول: اللهم إنى وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن وبلا حساب.

وعن بعض السلف أنه كان بواسط (اسم مكان فى البصرة فى العراق) فجهز سفينة حنطة (قمح) إلى البصرة، وكتب إلى وكيله: بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة، ولا تؤخره إلى غد، فوافق سعة فى السعر، فقال له التجار: لو أخرته جمعة، ربحت فيه أضعافه، فأخره جمعة - أى اسبوع - فربح فيه أمثاله، فكتب إلى صاحبه بذلك، فكتب إليه صاحب الطعام - لما علم أنه احتكره لمدة أسبوع: يا هذا، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وإنك قد خالفت، وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شىء من الدين فقد جنيت علينا جناية عظيمة، فإذا أتاك كتابى هذا، فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة، وليتنى أنجو من إثم الاحتكار كفافًا، لا علىَّ، ولا لى.

فليت أولئك المحتكرون للسلع التى ينتفع بها المسلمون يعلمون ذلك، وليتهم يعرفون أن رسول الله ﷺ قال: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه..**»(١)

ليت هؤلاء يتحلون بالقناعة، ويتجنبون الجشع، فالإنسان الجشع لا يشبع، ولا يقنع، قال ﷺ: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب، لابتغى ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»(٢)

ليت هؤلاء يعلمون أن الطمع فى هذه الدنيا مذموم، قال ﷺ: «**إنَّ هذا المال**

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.
(٢) رواه البخارى والترمذى وغيرهما

خضـرة حلوة، فمن أخذه بحقـه، بورك له فيه، ومن أخـذه بإشراف نفس - أى بلهفة وحرص شديد على تحصيله - **لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع**»[١]

ليت أولئك يعلمـون أنهم سوف يخرجـون من الدنيا دون أن يأخذوا مـا حصلوا من أمـوال، وما بنوا من قـصـور، وما عـمـروا من أراض وعقـارات وكل ذلك هم تاركوه. قـال تعالى: ﴿**وَلَقَد جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ..**﴾ [الأنعام: ٩٤]

ولا يرمى وراء الظهر ولا يخلف وراءه إلا كل تافه حـقير   ليت أولئك يعلمون أن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله عز وجل.

«**يقول ابن آدم: مـالى مالى، وهل لك من مـالك إلا ما أكلت فأفـنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت**»[٢]

فـبئس العـبد المحـتكر   بئس من احـتكر طعام المسـلمين. بئس من همـهم وغـمهم، وضـيق عليهم. بـئس من تجبـر وتكبر بمالـه ومنصبـه. بئس من تجبـر عليهم. بئس العبد عبـد تخيل واختال، ونسى الكبير المتعال، بئس العبـد عبد تجبر واعتدى، ونسى الجبار الأعلى، بئس العبد عـبد سها ولها، ونسى المقابر والبلى، بئس العبد عـبدٌ عتى وطغى ونسى المبدأ والمنتـهى   بئس العبد عبـد طمع يقوده. بئس العبد عبدٌ هوى يضله. بئس العبد عبدٌ رغب يذله.

أحبتى فى الله.

إنَّ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[٣] حب لا أثرة فيه، ولا استغلال، ولا غش، ولا ابتزاز، ولا تدليس، ولا احتكار.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن حبان وغيرهم.

(٢) رواه مسلم ورواه أحمد فى مسنده والترمذى والنسائى.

(٣) رواه البخارى ومسلم وابن حبان والترمذى والنسائى وغيرهم.

إنَّ العدالة الاجتماعية فى المعاملة الإنسانية تقتضى أن يراعى الناس حقوق وحاجات بعضهم البعض، وأن لا يكون كل منهم سببًا فى تضييق عيش الآخر والإضرار بمصالحه، وذلك مما تستنكفه الفطر السليمة، وتترفع عنه الطبيعة الإنسانية، ويتنافى مع موجبات العلاقات الاجتماعية، ذلك لأنه مسبب للفرقة، مستنبت للكراهية والضغينة، مولد للحقد والبغضاء بين الناس، وهو بهذا داخل ضمن الإثم والعدوان، الذى نهى الله عن التعاون عليه فى قوله تعالى ﴿**وتعاونُوا علَى الْبرِّ والتَّقْوىٰ ولَا تعاونُوا علَى الإثْمِ والْعُدوان...**﴾ [المائدة: ٢] كما أن هذا إضرار بالناس، والرسول ﷺ يقول: «**لا ضرر ولا ضرار**»[١]

ويقول ﷺ «**خير الناس أنفعهم للناس**»[٢] فاجعلوا ـ هداكم الله، وبارك فيكم ـ، من هذه الإشراقة النبوية، والإضاءة الربانية نبراسا يهديكم إلى حسن المعاملة، ونبل الأخلاق فى بيعكم وشرائكم. وتناصحوا فيمابينكم، يقول جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه بايعت رسول الله ﷺ بيدى هذه على الإسلام، وشرط علىَّ النصح لكل مسلم.

فكان جرير رضي الله عنه إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها - ثم أخبر، ثم قال: إن شئت فخذ، وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إن فعلت ذلك لم ينفذ لك بيع، فقال: بايعت النبى ﷺ على النصح لكل مسلم[٣]

وكان واثلة بن الأسقع واقفًا فى السوق، فباع رجل ناقة له بثلثمائة درهم، فغفل واثلة، وقد ذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه، وجعل يصيح به: يا هذا. يا هذا. اشتريتها للحم أو للظهر؟ فقال: بل للظهر فقال له إنَّ بخفها ثقبًا قد رأيته، وإنها لا تتابع السير، فعاد فردها، فنقصها البائع مائة درهم، وقال لواثلة: رحمك الله، أفسدت علىَّ بيعى، فقال: إنَّا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم[٤]

---

(١) **صحيح**: السلسلة الصحيحة (٢٥) وإرواء الغليل (١٤٣٢)

(٢) **حسن**: رواه القضاعى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٣٢٨٩).

(٣) رواه مسلم وأحمد والنسائى والبيهقى فى الشعب والطبرانى.

(٤) رواه أحمد فى مسنده وذكره الغزالى فى الأحياء (٣/ ١ ١) وإسناده صحيح.

وعند الإمام أحمد فى مسنده أنه قال. إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا يحل لأحد يبيع شيئًا إلا بين ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه»**[1] كم فرقًا بين هؤلاء الصحب الكرام الذين تخرجوا فى جامعة الإسلام الكبرى أعظم جامعة عرفها التاريخ، جامعة كان عميدها سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ كم الفرق بينهم وبين أولئك الأفاكين المروجين للسلع الخسيسة الفاسدة؟ كم الفرق بينهم وبين أولئك الغشاشين الذى انتزع الإيمان من قلوبهم، تصوروا أن جزارين يقومون بسلخ الحمير والكلاب ويبيعون لحمها إلى الناس البسطاء يقومون بفرم هذه اللحوم وتتبيلها وتوزيعها على محلات الكفتة والفنادق، أين الإيمان؟ أين الدين؟ أين الضمير؟ أين الأمانة؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

أحبتى فى الله.

هذا شرع الله عز وجل فى التجارة، وحكمه فى الاحتكار، فاتقوا الله أيها التجار، واحرصوا أن تكونوا من الأخيار الأبرار، ولا تكونوا ممن ساءت طويتهم، وغلبت عليهم أنانيتهم، فباعوا نعيمًا دائمًا، وآخرة خالدة، بحطام زائل، ودنيا فانية، ولا يحملنكم جمع المال على كسبه وجمعه من الطرق غير المشروعة.

نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه.

إلهنا يا كاشف كل مستور. يا من إليك ترجع الأمور. وبك تدفع الشرور يا رحيم يا غفور. يا مصرف القلوب. يا من خضع لك من ركع. وذل من سجد. وبك اهتدى من طلب. اغفر لنا الذنوب والأوزار، وابعدنا بجودك وكرمك عن النار وعن طريق الفجار واهدنا إلى سبيل الأبرار. واحشرنا مع حبيبنا صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، واسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدًا يا رب العالمين

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وذكره الغزالى فى الأحياء (٣/ ١ ١) وإسناده صحيح.

الوصية رقم (٣٧)
لا يذل أحدكم نفسه

عن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه**» قالوا: وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ قال. «**يتعرض من البلاء لما لا يطيق**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

كونوا منفذين لهذه الوصية الكريمة المباركة، فصونوا أنفسكم، واحفظوا لها كرامتها، واسموا بها عن المذلة، فهذا ما تدعونا إليه شريعتنا، لذا قال النبى الأكرم ﷺ «**لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه**» لأن الأمور كلها ليست بيد أحد سوى الله وحده لا شريك له، لأنه لا يملك أحد من الخلق لأحد موتًا، ولا حياة، ولا نفعًا، ولا ضرًا، ولا يملكون رزقًا، فلما يذل العبد نفسه لغير الله خلقه فسواه؟

﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ٢٦] لماذا يتذلل المسلم لغيره؟ ألأجل الطمع فى كثرة الرزق؟ إن الأرزاق كلها بيد الله عز وجل - لا بيد أحد سواه. قال ﷺ لابن عباس ﷺ «**واعلم أن الأمة، لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشئ فلن ينفعوك إلابشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء فلن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام، وطويت الصحف**»(٢) ورحم الله القائل:

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٩٧) وفى السلسلة الصحيحة (٦١٣) وصحيح سنن ابن ماجة (١٦ ٤).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى وغيرهما وصححه الألبانى - سبق.

لا تـخـــــضـــــعـن لمخلـوق علـى طمـع
فــــــإن ذلـك نـقـص منـك فـى الـديـن
لن يســـتطيع العـــبــد أن يعطيـك خـــردلة
إلا بـإذن الـذى ســـــــــواك مـن طـيـن
فـــلا تصـــاحب غنيـــا تســـتـــعـــز به
وكن عـــفـــيـــفًـــا وعظـم حـــرمـــة الدين
واســـــتـــــرزق الله مما فـى خـــــزائنـه
فـــــــإن رزقـك بـيـن الـكـاف والـنـون
واســـــتـــــغن بـالله عن دنيـــــا الملـوك
كـمـــا استـــغنى الملـوك بدنيـاهـم عن الدين

ارفع هامـتك، فإن الرازق الله. يقـول لك فى الحديث القـدسى الجليل: «ابن آدم. عندك مـا يكفيك، وأنت تطـلب ما يطغـيك، لا بقليل تقنع، ولا من كـثيـر تشبع. إذا كنت معافى فى بدنك. آمنًـا فى سربك عندك قوت يومك. فعلى الدنيا العفاء.

لاتـســـــقنى مـــــاء الحـــــيـــــاة بذلـة
بل واســــقنى بـالعـــــز كـــــأس الحنـظل
كـــــأس الحـــيـــــاة بـذلة كـــــجـــــهـنم
وجـــــــهـنـم بـالعـــــــز أطيب مـنـزل

ورحم الله من قال: نزح بحـرين بغربالين، وحفـر بئرين بإبرتين، وكنس أرض الحجاز فى يوم شديد الهواء بريشتين، وغسل عـبدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين، خير لى من أن أقف على باب غير الله، يضيع فيه ماء عينى. وقل مع القائل:

لـغـــــيـــــرك مـــــا مـــــددت يـدا
وغـــــيـــــرك لايـفـــــيـض نـدا

وليـــس يضـــــــــــيق بـابـك بـى
فكـيـف تـرد من قـــــــــــصـــــــــدا

أحبتى فى الله.

الذل إذا كان من جهة الإنسـان نفسه لنفسه فمحمـود، كما فى قول ربنا جل فى علاه: ﴿ **فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بقومٍ يحبهم ويحبونَهُ أَذلَّةٍ على الْمُؤْمنين..** ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال تعالى: ﴿ **ولَقَدْ نصركُمُ اللَّهُ ببدرٍ وَأَنْتم أَذلَّةٌ..** ﴾ [آل عمران. ١٢٣].

وفيـما عدا ذلك يكون مـذمومًا، لأن العزة لله ولرسـوله وللمؤمنين، كمـا قال سبـحانه فى كـتابه: ﴿ **وَللَّه الْعزَةُ ولِرسوله وللْمُؤمنين وَلَكن الْمُنَافقين لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [المنافقون: ٨] أما من كانت الدنيا أكبر همه، وغلب عليه أن يريق ماء وجهه لينالها، أوينال شيـئًا من حطامها، فـقد ذمه سيـد البشر، وأخبـر عنه فى قوله: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البـقر، ورضيتم بالزرع، وتركتـم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حـتى ترجعـوا إلى دينكم**»[1] ولقد كان الحـبيب المصطفى ﷺ يستعـيذ من بعض الأمور، وكـان من بينها الذلة. فـعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقـول: «**اللهـمَّ إنى أعـــوذ بك من الفـــقــر والـقلة، والذلة، وأعـــوذ بـك أن أظلم أو أظلم**»[2]

والله عز وجل قـد جعل العزة فى طاعـته سبـحانه وطاعة رسـوله وحبيـبه ﷺ وجعل الذل فى معصيته، وعصيان رسوله وحبيبه ﷺ فقد قال ﷺ: «**بعثت بين يدى الساعـة بالسيف، حـتى يعبد الله وحـده لا شريك له، وجعـل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى، ومن تشبه بقوم فهو متهم**»[3]

ورحم الله عز وجل الحسن البصـرى حين قال: أبى الله عز وجل إلا أن يذل من

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود برقم (٣٤٦٢) للألبانى

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود واللفظ له وصححه الألبانى

(٣) **حسن**: رواه أحمد واللفظ له.

عصـاه، فمهمـا طقطقت بهم البغال، وهملجت بـهم البراذين، فإن ذل المعصـية فى رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه

وكان من دعاء السلف: اللهمَّ أعزنى بطاعتك، ولا تذلنى بمعصيتك.

وقال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -:

رأيـــت الـــذل تمـــيـــت الـــقـــلـــوب
وقـــــد يـورث الذل إدمـــــانـهــــــا
وتـرك الذنـوب حـــيـــــــاة القلـوب
وخـــيـــر لـنفـسـك عـــصـــيـــانـهـــا
وهـل أفـــــســـــــد الـدين إلا المـلـوك
وأحـــبـــــار ســــوء ورهـبــــانـهـــا؟

أحبتى الكرام.

ولما كان بعض العـرب فى الجاهلية يفتنون المؤمـنين على دينهم، قال النبى ﷺ: **«إنَّ هذا الحى من مـضر لا تدعُ لله فى الأرض عـبدًا صالحًـا إلا أفتنتـه وأهلكتـه، حتى يدركها الله بجنود من عباده فيذلها..»**[١]

وقـال ﷺ **«لا يبـقى عـلى ظهـر الأرض من بيت مـدر ولا وبر، إلا أدخل الله عليهم كلمة الإسـلام، بعز عزيز، وذل ذليل، يعزهم الله فيـجعلهم من أهلها، أويذلهم فلا يدينوا لها»**[٢]

ولتعلموا أن هذا الذل قد يكون من نصيب من كفر بالنبى ﷺ وكذا من ابتدع أو عصى كل بحسبه، كما قـال ربنا عز وجل عن بنى إسرائيل، لما عبدوا العجل من دون

---

(١) رواه أحمـد فى مسنده واللفظ له، ورواه الحـاكم فى المستدرك (٤/ ٤٧) وصـححه ووافـقه الذهبى بلفظ متقارب.

(٢) رواه أحمـد من حديث تميم الدارى ورواه الحـاكم (٤/ ٤٣) واللفظ له وقال: هـذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وصححه ووافقه الذهبى.

الله: ﴿إِنَّ الَّذين اتَّخَذُوا الْعِجْل سينالُهُمْ غضبٌ من رَّبِّهِمْ وذِلَّةٌ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَكذَلكَ نجزِى الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]

اليهود. إخوان القردة والخنازير، أذل وأحقر الناس على وجه الأرض مهما علوًّا فى الأرض وتجبـروا وتكبروا. قـال سبـحانه ﴿وضُرِبتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بغضب من اللَّه ذَلك بأَنَّهُم كَانوا يَكْفُرُون بآيات اللَّه وَيَقْتُلُونَ النَّبيين بغَيْرِ الْحقِّ ذَلك بمَا عصوا وَّكانُوا يعتدُون﴾ [البقرة: ٦١] وفى سورة أخرى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْن ما ثُقفُوا إِلاَّ بحَبْلٍ من اللَّه وحَبْلٍ من النَّاس وَبَاءُوا بغضب مِّنَ اللَّه وضُرِبتْ عَلَيْهِمُ الْمسْكَنةُ..﴾ [آل عمران ١١٢]

وسـوف يكون الذل من نصيبـهم يوم القيـامة، جـزاء كـفرهم وعنادهم. قـال سبـحانه: ﴿إِنَّ الَّذين يُحَادُّون اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئك فى الأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢] ويوم البعث والنشور تجد الخزى على وجوههم. ﴿يوم يخْرُجُون منَ الأَجْدَاث سرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُون ﴿٤٣﴾ خاشعةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهقُهم ذِلَّةٌ...﴾ [المعارج ٤٣، ٤٤].

أحبتى فى الله.

كونوا أعزاء بدينكم. كـونوا أعزاء بقرآنكم كونوا أعزاء برسولكم وحـبيبكم محمد ﷺ واستحـضروا قول عمـر بن الخطاب رضي الله عنه لأمين الأمة أبى عبـيدة بن الجراح رضي الله عنه كنَّا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فإن طلبنا العزة فى غيره، أذلنا الله عز وجل.

فكونوا أعزة، لا تذلوا أنفسكم فتاريخنا كله عزة.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاروق الأمة، نحبه، لأنه مثال للعزة.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول يوم الردة أينقض الدين، وأنا حىٌّ؟!

أسماء بنت أبى بكر الصديق رضي الله عنها وهى شابة صغيرة يضربها أبو جهل بن هشام، لتخبره عن مكان أبيها يوم غار ثور، فلا ترد.

لكن وهى عجـوز قبل أن يقتل الحجـاج بن يوسف الثقفـى ولدها وفلذة كـبدها عبد الله بن الزبير ﷺ يقول لها ابنها يا أمى، أخاف أن يمثلوا بجسدى بعد موتى، فترد عليه: وما يضر الشاة سلخها بعد ذبحـها، وبعد أن قتل، يأتيها الحجاج، فيقول لها: أرأيت كيف فعلت بابنك؟ فتقول لـه بلسان العزة والكرامة، لا الذلة والامتهان: نعم، أراك أفسدت عليه دنياه، وقد أفسد عليك آخرتك.

المعـتـصم. حـاكم عزيـز فى تاريخنا لما صـرخت المرأة المسلمـة الموحـدة: (وامعتصماه) ماذا فعل؟ إنه عزيز القوم

لقـد أرسل إلى ملك الروم، رسالـة، يقول له فـيهـا، بلسـان العزة والكرامـة، لابلسان الذل والمهانة: أرسل إلىَّ المرأة معززة مكرمة، وإلا أرسلت إليك جيشًا، أوله عندك، وآخره عندى. فأرسل له المرأة معززة مكرمة

العز بن عـبد السـلام العالم الفـاضل. الذى أعز الله الدين فى عـصره. وقصتـه مع الأمراء الأتراك فى مصر مشهـورة، فهم جماعة ذكـر أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الـرق مستصـحب عليهم لبـيت مال المسلمين، فـبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم فـيه، وأضرم الأمر، والشيخ مـصمم أن لا يصحح لهم بيعًا ولاشـراء، ولا نكاحًا، وتعطلت مصاخـهم بذلك، وكان من بينهم نائب السلطنة فى مصر آنذاك، فاستشاط غضبًا، فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلسًا، وينادى عليكم ونبيعكـم، والمال لبيت مال المسلمين، ويحصل عـتقكم بطريق شرعى فرفعـوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليـه فلم يذهب، فجرت من السلطان كلمة فـيها غلظة، حاصلهـا: الإنكار على الشيخ فى دخوله فى هذا الأمـر، وأنه لا يتعلق به، فغضب الشيخ، وحـمل حوائجه على حمار، وأركب أهله على حـمار آخر، ومشى خلفهـم خارجًا من القـاهرة، قاصـدًا بلاد الشام، فـخرج وراءه العلماء والـصلحاء والتجار، والرجال والنسـاء والصبيان، فبلغ ذلك الخبـر إلى السلطان، وقيل له: متى راح، ذهب ملكك، فركب السلطان بنفـسه، ولحقه واسترضـاه، وطيب قلبه، فرجع واتفق مـعـه على أنه ينادى على أولئك الأمـراء، فأرسـل إليه نائب الـسلطان باللين

والملاطفة، لكى يتراجع عن قراره هذا، فلم يفد، فانزعج النائب، وقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا، ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفى هذا، فركب بنفسه، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول فى يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطان ما رأى، فعاد إلى الشيخ وشرح له الحال، فما انزعج ولا تغير، وقال لابنه. يا بنى، أبوك أقل من أن يقتل فى سبيل الله، ثم خرج كأنه قضاء الله عز وجل الذى نزل على نائب السلطان، فحين وقع بصره على النائب، يبست يده، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله وبكى بكاء شديدًا، وطلب من الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدى خير، إيش تعمل؟ قال: أنادى عليكم وأبيعكم.

قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: فى مصالح المسلمين. قال: من يقبضه؟ قال: أنا. وتم له ما أراد، وباع الأمراء، ونادى عليهم واحدًا واحدًا، وغالى فى ثمنهم،وصرفه فى وجوه الخير

وهكذا كان هؤلاء الأخيار، كانوا يسيرون بعزة كرسولهم وحبيبهم سيد الأبرار ﷺ وكذا صحابته الأخيار، لقد أكلوا ورق الأشجار فى مقاطعة قريش للنبى المختار ﷺ فى بداية ظهور الإسلام وانتشاره، وقتل حمزة بن عبد المطلب أسد الله - رضى الله عنه وأرضاه - ومثلت به هند بنت عتبة، فجدعت أنفه، وبقرت بطنه، ولاكت كبده، ولم يزد هؤلاء القوم الأبرار إلا عزًا لم يعرف الذل طريقًا إلى قلوبهم.

عذب بلال بن رباح من سيده أمية بن خلف، حتى تذلل أمية لعبده بلال، ليقول فى اللات والعزى كلمة طيبة، تشفى صدره، وكلمة سب فى سيد الأولين والآخرين، لكن بلالاً لم يزدد إلا عزًا بإيمانه بربه، ورسوله، فلم يقل سوى: أحدٌ أحدٌ.

إنهم كانوا أبطالاً لا يعرفون الذل، ولا الخور، ولا التدنى، وإنما كانوا أعزاء، كان اليقين يملأ قلوبهم.

ولقد حبس من حبس من الأئمة والعلماء، والمجاهدين الموحدين، ومات تحت

التعذيب مـن مات، ولم يزدادوا إلا عزة وكرامة. وبقـيت أقوالهم وأفعالهـم نبراسًا ونورًا يهتدى به الأحـياء، وذكرى طيبـة على مر العصور. ولقد كـانت هذه المقولة الشهيرة على لسان الإمام ابن تيمـية - رحمه الله تعالى -:(ما يصنع أعدائى بى، أنا جنتى وبستانى فى صدرى، إن رحت فهى معى لا تفارقنى، إنَّ حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة فأى عزة كانت عزتهم؟! وأى علو هذا؟ تلك هى العزة الإيمـانية. ﴿**وَلِلَّه الْعزَّةُ ولرسوله ولِلْمُؤْمِنِين وَلَكن الْمُنَافقين لا يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون: ٨]

هذه الآية تكفى كل مسلم، ما الذى يخـرجكم عن هؤلاء الثلاثة: الله عز وجل والرسول ﷺ وأهل الإيمان.

ومن ابتغى العزة عند غير الله، أدله الله عز وجل. قال تعالى: ﴿**من كَانَ يُرِيدُ الْعزَّةَ فَللَّه الْعزَّةُ جميعا**﴾ [فاطر ١٠] هل تجدها فى سلطة، هل تجدها فى المال؟ هل تجدها فى الأولاد؟ ﴿**أَيَبْتَغُون عندهم الْعزَّةَ فَإنَّ الْعزَّةَ للَّه جميعًا..**﴾ [النساء: ١٣٩] فإذا كان مصدر النور للأرض هو الشمس، ومصدر الماء فى مصدر هو نيلها، فمصدر العزة جميعها من الله العزيز،الذى أراد منك أن تكون عزيزًا بإيمانك وربك ورسولك وقرآنك.

أحبتى الكرام الأفاضل:

إنَّ الأمة تمر بمحن واختـبارات، ومن المحن تأتى المنح ﴿**فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهوا شَيْئًا ويجْعَلَ اللَّهُ فيه خَيْرا كثيرا..**﴾ [النساء ١٩]

وسئل الشافعى - رحمه الله أيهمـا أفضل للمرء، أن يُمكن أم يبتلى؟ فقال: لا يمكن حتى يبتلى

فإن أردتم التـمكين والنصر، فأقيـموا دولة الإسلام فى قلوبكم وأفـعالكم، تقم لكم على أرضكم. أقيمـوا الإسلام فى قلوبكم، فى أولادكم. فى أسرتكم، وفى جيرانكم،واجعـلوا الصلة بينكم وبين ربكم، ساعتها، لن تشعـروا بالذل لن تشعروا

بالندم، حتى ولو فصلت رقابكم عن أجسادكم، فقد عذب آل ياسر، وكان النبى ﷺ يقول لهم: «**صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة**»[١]

ولا تيأسوا فالنصر للإسلام قادم. ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم...**﴾ [محمد: ٧]

لا تيأسوا فعدوكم لا ييأس، ولا يغفل ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ [الأنفال: ٣٠].

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أولياؤك، ويذل فيه أعداؤك اللهم نصرك الذى وعدتنا اللهم انصر الإسلام والمسلمين اللهم دلنا بك عليك، وارحم ذلنا بين يديك، واجعل رغبتنا فيما لديك ولا تحرمنا بذنوبنا، ولا تطردنا بعيوبنا يا ربنا. فأنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل، وملجؤنا إذا انقطع الأمر

اللهم اغفر ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا واكشف عنا السوء، ونجنا من الغم، واجعل لنا فرجًا ومخرجًا إنك على كل شيء قدير يا لطيف يا باسط. يا قوى، يا عزيز، ابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم لنا بالسعادة التى ختمت بها لأوليائك يا أكرم الأكرمين، يا رب العالمين

---

(١) صححه الألبانى فى صحيح السيرة النبوية (١/ ١٥٤) وفقه السيرة (ص ١٠٣)

الوصية رقم (٣٨)
احذروا دعوة المظلوم

عن ابن عباس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن، فقال له: «**اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله - عز وجل - حجاب**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

فى هذه الوصية الكريمة المباركة، يحذرنا النبى ﷺ من دعوة المظلوم، **لأنه ليس** بينها وبين **الله** عز وجل حجاب، فإنه مهما كان ذليلاً، أو مهانًا وضيعًا **فإن الله** عز وجل ناصره على من ظلمه، ومؤيده على من اعتدى عليه، وقد جاء فى بعض الروايات، أن رسول الله ﷺ قال محذرًا من دعوة المظلوم، ولو كان هذا المظلوم كافرًا: «**اتق دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجاب**»(٢)

وقال صلوات ربى وسلامه عليه: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه**»(٣)

والله عز وجل يرفع دعوة المظلوم، ويستجيبها، يقول ﷺ «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تحمل على الغمام، يقول الله جل جلاله: وعزتى وجلالى، لأنصرنك ولو بعد حين**»(٤)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٢) **حسن**: رواه أحمد وغيره وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١١٩).

(٣) **حسن**: رواه أحمد وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٢٢٩) والصحيحة (٧٦٧).

(٤) **حسن**: رواه الطبرانى وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٢٣) وصحيح الجامع (١١٧).

وقال: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة**»[١]

وقال ﷺ مؤكدًا على أن دعوة المظلوم مستجابة ضمن دعوات ثلاث، فقال: «**ثلاث دعوات لا شك فى إجابتهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده**»[٢]

وهذا تحذير شديد، وإنذار ووعيد، موجه من المصطفى ﷺ للظالمين، حيث يقول: «**إنَّ الله عز وجل يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته**»[٣] ثم قرأ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود: ٢ ١].

والجزاء يأتى عاجلاً من رب العزة تبارك وتعالى، وقد أجاد من قال:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم آخره يأتيك بالندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

أحبتى فى الله.

إنَّ الناظر فى أحوال الناس اليوم يرى عجبًا. يرى ظلمًا فاشيًا. فهذا زوج يظلم زوجته ولا يبالى.

وذاك أب لا يلقى بالاً للظلم الذى يوقعه على بعض أبنائه.

وثالث يظلم أمه ليرضى زوجته.

وتاجر يظلم من استأمنه على ماله.

---

(١) **صحيح**: رواه الحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٢٢٨) وصحيح الجامع (١١٨).

(٢) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١ ٣) وصحيح الترغيب (١٦٥٥)

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى.

وصاحب عقار يظلم من يتعامل معه.

ومسئول يظلم مرؤوسه.

وقد حذر الإسلام من الظلم أشد التحذير، وبين آثاره المشينة، وعواقبه الوخيمة، ونتائجه المدمرة، على الفرد والمجتمع قال تعالى ﴿**وسيعلم الَّذين ظلموا أىَّ منقلب ينقلبون**﴾ [الشعراء: ٢٢٧]

وقال: ﴿**إنَّ اللَّهَ لا يَهْدى الْقَوْمَ الظَّالمين**﴾ [القصص: ٥] وبين أنهم لا يفلحون بل يلازمهم الخسران والهلاك والبوار. قال تعالى ﴿**إنَّهُ لا يُفْلحُ الظَّالمُونَ**﴾ [الأنعام: ٢١] وهل يتصور أحد منا حال تلك الأجساد البشرية، وهى تحشر إلى جهنم زمراً؟ يقول العزيز الحكيم: ﴿**احْشُرُوا الَّذين ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ من دُون اللَّه فَاهْدُوهُمْ إلَىٰ صراط الْجحيم**﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] وقال: ﴿**إنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالمين نَارًا أَحَاطَ بهمْ سُرَادقُهَا وإن يستغيثوا يُغَاثُوا بمَاءٍ كَالْمُهْل يشْوي الْوُجُوه بئْس الشَّرَابُ وسَاءتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف ٢٩]

من تؤلمه البقة كيف يواجه لدغات العقارب والحيات؟ ومن لا يتحمل حرارة الصيف اللاذعة كيف يتحدى نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة؟ أهل الظلم ليس لهم يوم القيامة أعوان ولا أصحاب كما فى الدنيا، قال تعالى: ﴿**وَأَنذرْهُمْ يَوْمَ الآزفَة إذ الْقُلُوبُ لَدى الْحَنَاجرِ كَاظمين ما للظَّالمين من حميمٍ وَلا شَفيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غافر: ١٨].

وجاء التحذير من الظلم فى السنة المطهرة، فعن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال فيما يرويه عن رب العزة والجلال: «**يا عبادى، إنى حرمت الظلم على نفسى، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»(١) وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٢)

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم والبخارى والترمذى وأبو داود والحاكم

أمـــا والله إنَّ الظـلـم شـــؤم
ومـــازال الظـلـوم هـو المـلـوم
إلـى ديـان يـوم الـديـن نمـضـى
وعـند الله تجـتـمع الخـصـوم
سـتـعـلم فى المعـاد اذا التـقـينا
غــداً عـنـد المـلـيك من الظـلـوم

ورحم الله الشافعى، فقد قال: بئس الزاد إلى المعاد، العدوان على العباد. وميمون بن مهران يقول: الظالم، والمعين على الظلم، والمحب له سواء والإمام ابن تيمية - رحمه الله - يقول: إنَّ الله يقيم الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة، وإن كانت مؤمنة.

أحبتى الكرام.

اعلموا أن الظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة:

الأول: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك بالله عز وجل، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، كما قال فى كتابه العزيز: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى حكاية عن لقمان الحكيم: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: ١٣].

وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله تعالى يستوفيه كله، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار، ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه**»(١)

---

(١) رواه البخارى.

وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظـلم العبد نفسه بينه وبيـن ربه عز وجل، **فإن هذا** الديوان أخف الدواوين، وأسرعها مـحوًا، فإنه يمحى بالتوبة والاستـغفار والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ونحـو ذلك، قال الله فى حديثه القدسى الجليل: **«يا ابن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السمـاء، ثم استغفرتنى، غـفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم، إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا، ثم لقيـتنى لا تشرك بى شيئًا، لأتيتك بقرابهـا مغفرة»**(١) بخلاف ديوان الشـرك، فإنه لا يمحى إلا بالـتوحيد، وديـوان المظالم، لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها، واستحلالهم منها

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثـلاثة عند الله عز وجل، حرم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التـوحيد الخالص، فإن التـوحيد هو مفتاح بابها، فإن من لم يكن معه مفتاح، لم يفتح له

فاحذر أخا الإسلام.

احذر ورد المظالم قبل أن يحيـط بك يوم القيامة خصماؤك، فـهذا يأخذك بيدك، والآخر يقبض على ناصيتك، وهذا يتـعلق برقبتك، وهذا يقول لك: ظلمتنى، وذاك يقول: شـتمتنى، وآخـر يقول: استـهزأت بى. وهذا يقـول: قد اغتـبتنى، وهذا يقول: غـششتنى. وهذا يقـول: وجدتنى مظلومًا فلم تنصـرنى. وذاك يقول: لم ترفع الظلم عنى، ولكنك داهـنت الظالم وما راعـيتنى وبينمـا أنت كذلـك، وقد أنشب الخصماء فيك مـخالبهم. وأحكموا فى تلابيبك أيديهم، وأنت مبهـور متحير من كثرتهم، وقـد ضعفت عن مقاومـتهم، ومددت عنق الرجاء إلى سـيدك ومولاك، لعله يخلصك من أيديهم، إذ قرع سمـعك نداء الجبار **﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** [غافر ١٧] فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيـبة، وتوقن نفـسك بالبوار، وتعلم أنـك من أهل النار، وتتذكـر ما أنذرك به

---

(١) حسن: رواه الترمـذى وحسنه الألبانى فى صحـيح سنن الترمذى (٣٥٤) وصحـيح الجامع (٧٧٨٧).

الواحد القهار على لسان نبيه المختار ﴿**ولا تحسبنَّ اللَّهَ غَافلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تشْخصُ فيه الأَبْصارُ**﴾ [إبراهيم: ٤٢] كيف ترجو الخلاص فى يوم يقتص رب العزة والجلال فيه من القرناء للجماء؟ كيف بك يا مسكين فى يوم ترَى فيه صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك، فتقول: أين حسناتى؟

فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك، وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك فتقول: يارب هذه سيئات ما فعلتها قط!

فيقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم، وشتمتهم، وقصدتهم بالسوء، وظلمتهم فى المعاملة.

أحبتى فى الله.

تدبروا العواقب، واحذروا قوة المناقب، واخشوا عقوبة المعاقب، وخافوا سلب السالب، فإنه والله غالب.

أما والله لو علم الأنام
لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأيته
عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ثم قبر ثم حشر
وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد علمت رجال
فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن إذا أمرنا أو نهينا
كأهل الكهف أيقاظ نيام

ولا تحزن أيها المظلوم.

فالويل لأهل الظلم من ثقل الأوزار، وذكرهم بالقبائح قد ملأ الأقطار، يكفيهم

أنهم قد وسموا بالأشرار، ذهبت لذاتهم بما ظلموا وبقى العار وداروا إلى دار العقاب، وملك الغير الدار، وخلوا بالعذاب فى بطون الأحجار، فلا مغيث، ولا أنيس ولا رفيق، ولا جار، ولا راحة لهم، ولا سكون ولا مزار، سالت دموع أسفهم كالأنهار، شيدوا بنيان الأمل فإذا به قد انهار.

أما علموا أن الله جار المظلوم ممن جار، فإذا قاموا فى القيامة، زاد البلاء على المقدار.

أيها المظلوم صبرًا لا تهن
إن عين الله يقظى لا تنام
نم قرير العين واهنأ خاطرًا
فعدل الله دائم بين الأنام
وإن أمهل الله يومًا ظالمًا
فإن أخذه شديد ذى انتقام

أيها الأحبة الكرام.

يروى لنا حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ قال: إن ملكًا من الملوك خرج يسير فى مملكته، وهو مستخف من الناس، فنزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة، فحلبت، فإذا حلابها مقدار ثلاثين بقرة

قال: فأعجب الملك بها، وقال: ما صلحت هذه البقرة إلا أن تكون لى، فإذا صرت إلى موضعى بعثت إليه، فأخذتها.

قال: وأقام إلى الغد، فغدت البقرة إلى مرعاها، ثم راحت فحلبت فإذا حلابها قد نقص عن النصف، فجاء حلاب خمس عشرة بقرة.

قال: فدعا الملك ربها - أى صاحبها - فقال له: هل رعت فى غير مرعاها بالأمس أو شربت فى غير مشربها بالأمس؟ قال: ما رعت فى غير مرعاها بالأمس، ولا شربت فى غير مشربها بالأمس، قال: فما بال لبنها قد نقص؟

قال: يشبه أن يكون الملك قد هم بأخذها.

فقال الملك: وأنت من أين يعرفك الملك؟

فقال له: هو كما أقول لك، فإذا الملك ظلم، أو هم بظلم، ذهبت البركة وارتفعت.

قال: فعاهد الملك ربه فى نفسه أن لا يأخذها، ولا تكون له فى ملكه أبدًا.

قال: وأقام إلى الغد، ثم ذهبت البقرة إلى مرعاها، فحلبت، فإذا حلابها قد عاد إلى ما كان عليه.

قال: فدعا صاحبها، فقال له. هل رعت بقرتك فى غير مرعاها بالأمس أو شربت فى غير مشربها بالأمس؟ قال فما بال لبنها قد عاد؟

قال: يشبه أن يكون الملك قد هم بالعدل. قال: فاعتبر الملك، وقال: والله لأعدلن، ولأكونن على أفضل من ذلك.

أحبتى الكرام.

ويتحدث إلينا أحد الظلمة، فيقول استدنت من رجل مبلغ مائتى ألف ريال من أجل إتمام أحد المشاريع، وبعد انتهاء المدة المحددة لى لاستعادة المبلغ، وحضر الرجل للمطالبة بحقه، ولكننى قمت بطرده، وأنكرت أنه أعطانى شيئًا، وخاصة أنه لم يأخذ منى أى إثبات.

يقول: لم أكن أعلم ما ينتظرنى بسبب ظلمى، فبعد مضى ثلاثة أشهر، خسرت صفقة بقيمة نصف مليون ريال، ومنذ ذلك اليوم والخسارة تلازمنى، ولقد نصحتنى زوجتى بإرجاع المبلغ ورده إلى صاحبه، لأن ما يحدث لنا هو عقاب الله تعالى على ذلك الظلم، لكنى لم أستمع إليها وتماديت فى المكابرة، حتى خسرت أعز ما أملك من أبنائى - خسرت ثلاثة من أبنائى فى حادث سيارة أثناء عودتهم من السفر.

يقول: وأمام ذلك الحدث الرهيب، قررت وبدون تردد إعادة الحق لصاحبه وطلب المسامحة منه، حتى لا يحرمنى الله من زوجتى وابنى ذى السبع سنوات فهم كل ما بقى لدى من الدنيا.

أحبتى الكرام.

هذا شىء من الواقع الذى نعيشه، وقد دل على بشاعة الظلم، وأن عاقبته وخيمة فى الدنيا قبل الآخر. ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [الفجر ١٤].

وتلك صورة من صور الظلم، وهناك صور أخرى للظلم ومنها:

* **غصب الأرض:** فقد قال سيد الأنام ﷺ «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله من سبع أرضين**»(١)

ومنها: **مماطلة من له حق عليه:** مثلما ذكرنا فى القصة السابقة، فقد قال ﷺ عن ذلك: «**مطل الغنى ظلم**»(٢)

ومنها: **منع أجر الأجير:** قال ﷺ: «**قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة:** ومنهم.. **ورجل استأجر أجيرًا، فاستوفى منه، ولم يعطه أجره**»(٣)

ونذكر هنا قصة ذكرها أحد المشايخ فى كلمة له فى أحد المساجد بمكة المكرمة كان رجل يعمل عند كفيله، فلم يعطه راتب الشهر الأول، والشهر الثانى، والثالث وهو يتردد إليه، ويلح وأنه فى حاجة إلى النقود، وله والدان وزوجة وأبناء فى بلده، وأنهم فى حاجة ماسة، لكنه لم يستجب له، وكأن فى أذنيه وقر - والعياذ بالله - فقال له المظلوم: حسبى الله ونعم الوكيل فيك. والله سوف أدعو عليك.

فقال له الظالم: اذهب وادعو على عند الكعبة وشتمه وطرده. سبحان الله. جرأة عجيبة على الله عز وجل.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن
لها أمد وللأمد انقضاء

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البخارى.

فـــيـــــمـــــسكهــــا إذا مـــا شــــاء ربى
ويـرسلـهـــــا إذا نفـــــذ الـقــــضــــــاء

وفعلاً دعا عليه الرجل عند الكعبة فى جنح الليل، وتحرى الرجل أوقات الإجابة وكان ذلك فى ليلة من ليـالى رمضان ﴿**وَسيعلَمُ الَّذين ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ ينقَلبُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ومرت الأيام، فإذا بالكفيل يمرض مرضًا شديدًا لا يستطيع تحريك جسده، وانصب عليه الألم صبًّا، حتى ذهب إلى إحدى المستشفيات فترة من الزمن، فعلم المظلوم بما حدث له، فذهب يعـوده مع الناس، فلما رآه قال له الظالم المريض: أدعوت عـلىَّ، قال له المظلوم: نعم وفى المكان الذى طـلبت منى، فنادى على ابنه، وقال له: أعطه جميع حقوقه، وطلب منه السماح، وأن يدعو له بالشفاء.

وصور كثيرة للظلم. فعـدم العدل بين الأولاد ظلم، وحبس الحيوانات والطيور حتى تمـوت ظلم، وشهادة الزور ظـلم، وأكل صداق الزوجـة بالقوة ظلم والسـرقة ظلم، وأذية المؤمنين والمؤمنات والجيـران ظلم، والغش ظلم، وكتمان الـشهادة ظلم، والسكت عن قول الحق ظلم، ونقض العهود، وعدم الوفـاء بها ظلم، والغيبة ظلم، وخداع الغافل ظلم، وعدم رد الظالم عن ظلمــه ظلم، إلى غير ذلك من صور الظلم وأنواعه.

أحبتى الكرام.

اتقوا دعوة المظلوم، فإن الله عز وجل يرفعها فوق الغمام ويقول لها:

«وعزتى وجلالى، لأنصرنك ولو بعد حين»

اتقوا دعوة المظلوم فإنها لا شك مستجابة من الله عز وجل.

وهناك دعوات أخرى مستجابات غير دعوة المظلوم منها:

*** دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب**

قال ﷺ فيما يرويه عن سيدنا أبى الدرداء رضي الله عنه: «**ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلا قال الملك الموكل: ولك بمثلها**»(١)

---

(١) رواه مسلم.

* ودعوة الوالد، ودعوة المسافر

قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر، ودعوة الوالد لولده»[١]

* ودعوة الصائم والإمام العادل

قال ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم. الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم...»[٢]

* ودعوة الولد الصالح

لحديث أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٣]

* دعوة المضطر

قال تعالى: ﴿أَمَّن يجيبُ الْمضْطَرَّ إذَا دعاهُ...﴾ [النمل ٦٢].

* من بات طاهرا على ذكر الله عز وجل

لحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال «ما من مسلم يبيت على ذكر الله طاهرًا، فيتعار من الليل، فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه»[٤]

* من دعا بدعوة نبى الله يونس عليه السلام:

لحديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إنى كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم، إلا استجاب الله له»[٥]

---

(١) تقدم فى أول الوصية.

(٢) **صحيح**: رواه البيهقى وغيره وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣ ٣).

(٣) رواه مسلم.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى.

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى وغيره وصححه الألبانى

* **دعوة ذاكر الله كثيراً:**

لحديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا يرد دعاؤهم: الذاكر الله كثيرًا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط**»(١)

* **ودعوة من أحبه الله ورضى عنه:**

لحديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: من عادى لى وليًّا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحبَّ إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى عليها، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى، لأعيذنه..**»(٢)

أخى الحبيب.

أقبل على قبلة التوجه إلى مولاك، واعرض عن مواصلة غيك وهواك وواصل بقية العمر بوظائف الطاعات. واصبر على ترك عاجل الشهوات فالفرار أيها المكلف كل الفرار من مواصلة الجرائم والأوزار، فالصبر على الطاعة فى الدنيا، أيسر من الصبر على النار.

يا من كلما طال عمره، زاد ذنبه، يا من كلما ابيض شعره بمرور الأيام، اسود بالآثام قلبه، يا من تمر عليه سنة بعد سنة، وهو مستثقل فى نوم الغفلة والسنة. يا من يأتى عليه عام بعد عام، وقد غرق فى بحر الخطايا فعام. يا من يشهد الآيات والعبر، كلما توالت عليه الأعوام والشهور، ويسمع الآيات والسور، ولا ينتفع بما يسمع، ولا بما يرى من عظائم الأمور ما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء فى الكتاب المسطور. ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦] ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ..**﴾ [النور: ٤٠].

(١) حسن: رواه الطبرانى والبيهقى وحسنه الألبانى.

(٢) رواه البخارى.

اللهم إنا نسألك لسانًا رطبًا بذكرك، وقلبًا منعمًا بشكرك، وبدنًا هينًا لينًا بطاعتك، وأعطنا مع ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما أخبرنا بذلك رسولك ومصطفاك ﷺ

اللهمَّ أفض علينا من بحر كرمك وفضلك وجودك وعفوك، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين

الوصية رقم (٣٩)
لاتستبطئوا الرزق

عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبدٌ ليموت، حتى يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا فى الطلب..**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

إنَّ ربنا تبارك وتعالى هو الذى خلقنا، وهو الذى يعلم ما توسوس به نفوسنا، وهو الذى يعلم ما يصلح خلقه. لذلك تكفل بأرزاقهم، وطمأنهم على أقواتهم، فقال سبحانه: ﴿**اللَّهُ الَّذى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُم يميتكُم ثُمَّ يحْيِيكُمْ..**﴾ [الروم: ٤] فعبر بالخلق والرزق بالفعل الماضى، الذى يدل على الفراغ والانتهاء. وقد عبر بالفعل الماضى ليطمئن القلق، وليقول له: لا تقلق، ولا تنصب فما قدرته لك من رزق سيأتيك.

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل
الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا
لكنه خلق الإنسان من عجل

وهذه الوصية المباركة فيها إشارة إلى هذا المعنى «**لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبدٌ ليموت حتى يبلغ آخر رزق هوله..**» بل وبما هو أشد من ذلك، فقال ﷺ فيما

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (١٦٩٧) والسلسلة الصحيحة (٧ ٢٦).وصحيح الجامع (٧٣٢٣).

يرويه عنه سيدنا أبو الدرداء ﷺ: «**الرزق أشد طلبًا للعبد من أجله**»[1] وفى رواية للطبرانى بإسناد جيد «**إنَّ الرزق ليطلب العبد، كما يطلبه أجله**» فسبحان الرزاق ذو القوة المتين. لذلك قد ورد فى حديث قدسى جليل. يقول فيه الرب الجليل: «**عبدى.. خلقت لك السموات والأرض، ولم أعى بخلقهن، أفيعينى رغيف أسوقه إليك كل حين، عبدى.. لى عليك فريضة.. ولك علىَّ رزق.. فإن خالفتنى فى فريضتى، لم أخالفك فى رزقك..**

وعزتى وجلالى، إن لم ترض بما قسمته لك، فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية.. ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالى وكنت عندى مذمومًا..» الله الرزق مضمون ومن الشقاء أن ينشغل المرء بما ضمن له، ويسهو ويغفل عما كلف به. ﴿**قُلْ من يرزُقُكم من السماء والأَرْضِ أَمَّن يمْلكُ السمع والأبْصار..**﴾ [يونس: ٣١]

﴿**واللَّهُ جعل لَكُم من أَنفُسكُم أَزواجا وجعل لَكُم من أَزْواجكُم بنين وحَفَدَةً وَرَزَقَكُم من الطَّيِّبات..**﴾ [النحل ٧٢]

فكل ما بيد الإنسان هو من رزق الله عز وجل الأموال رزق، البنون رزق البيوت والدور رزق، الصحة، والعافية رزق، الزوجة الصالحة رزق العلم رزق، الجليس الصالح رزق، وكلها بيد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّه رزْقُها وَيَعْلَمُ مسْتَقَرَّهَا ومستوْدعها كُلٌّ فى كتاب مُّبينٍ**﴾ [هود: ٦] وليس الرزق مقتصرًا على المؤمنين كما فهم خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد دعا ربه عندما ترك ولده إسماعيل وأمه بواد غير ذى زرع عند بيته المحرم، فقال: ﴿**ربّ اجعلْ هذا بلدا آمنا وارزُقْ أَهْلَهُ من الثَّمرات من آمن منهم باللَّه والْيَوْمِ الآخرِ..**﴾ [البقرة: ١٢٦] فردَّ عليه ربه الرزاق ذو القوة المتين، وأعلمه أن الرزق للجميع فى الدنيا ﴿**قَال ومن كفر فأُمتعه قليلا ثُم أَضْطره إِلَى عذاب النَّارِ وبئس الْمصيرُ**﴾ [البقرة: ١٢٦] كان

---

(١) **حسن**: حسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٥١) وأبو نعيم فى الحلية.

عَلَيْهِ السَّلامُ لا يأكل الغذاء إلا ومعه ضيف، فجيى بالضيف يومًا، وقدم الغداء. فقال الخليل: لا يأكل أحد طعامنا إلا بثمن، وثمنه أن نسم الله فى أوله، وتحمده فى آخره. وكان الرجل مشركًا لا يعرف الله ولايوحده. فقال له: أنا لا أفعل. فقال له الخليل: إذًا لا تأكل فخرج الرجل وترك الطعام، فعاتب الله عز وجل خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلامُ وقال له يا إبراهيم، إن هذا الرجل منذ ستين سنة يأكل رزقى ويعبد غيرى أفلا تسعه فى بيتك ساعة؟!

فخرج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلامُ يبحث عن الرجل، حتى وجده، وطلب منه أن يرجع معه، فقال له لو أخبرتنى بسر ذلك لفعلت. قال له الخليل لقد عاتبنى فيك ربى. فقال الرجل: إن ربًا يعاتب خليله من أجل عدوه أحق أن يعبد. وأسلم ورجع إلى ربه ومولاه.

ولو فكرت البشرية فى قوله عز وجل ﴿**إلاَّ على اللَّه رِزْقُهَا**..﴾ [هود: ٦] لسعدت بذلك سعادة عظيمة. سعدت بها الحمامة. سعدت بها النملة. سعدت بها البشرية والمخلوقات أجمع، لماذا؟ لأنه سبحانه قد ألزم نفسه برزق جميع الكائنات الحية. وهذا لا يملكه إلا الله عز وجل. فالله سبحانه عندما خلق الخلق. عندما لم يتركهم هملاً ولم يتركهم جياعًا عطاشًا بل قدر لهم المقادير. وكتب لهم الأرزاق والأعمار

قال ﷺ: «**إنَّ أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك،ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكًا، ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله، وشقى أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**»(١)

والله الذى لا إله إلا هو، لو اجتمعت الدنيا كلها بجيوشها وملوكها، ودولها وعسكرها، وأرادوا أن يمنعوا رزقًا قدره الله لك ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ولو أرادوا أن يسقوك شربة ماء، لم يكتبه الله لك، فسوف تموت قبل أن تشربها.

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

أحبتى فى الله.

وتقسيم الأرزاق بين الناس لا علاقة له لا بالحسب، ولا بالنسب ولا بالعقل، ولا بالذكاء، ولا بالوجاهة، ولا بالمكانة، ولا بالطاعة، ولا بالعصيان. **إنما يوزع الله** الرزاق على العباد لحكمة هو يعلمها سبحانه فقد يعطى المجنون، ويحرم العاقل، وقد يعطى الوضيع، ويمنع الحسيب.

ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا

هلكن إذا من جهلهن البهائم

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد

ولا المجد فى كف امرئ والدراهم

وعقولنا قاصرة عن أن تدرك حكمة الله عز وجل فيما يرزق به العباد وربما كان فى العطاء خير، وربما كان شراً. من الذى يعلم ذلك؟ إنما هو الرزاق ذو القوة المتين.

لذلك يقول بعض العارفين: ربما كان المنع عطاء، وربما كان العطاء منعًا وإذا كشف لك الحكمة فى المنع، عاد المنع عين العطاء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**وعسىٰ أَن تَكْرَهُوا شيئا وَهُو خَيْرٌ لَّكُمْ وعسىٰ أَن تُحبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وأَنتُمْ لا تعْلَمُون**﴾ [البقرة: ٢١٦] لأنه سبحانه علم ما كان، ويعلم ما يكون، ويعلم ما سيكون ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون. تشكو قلة الرزق، وأنت لا تعلم أن الله لو أمدك برزق وفير ما كنت مستمراً فى طاعته. ﴿**وَلَوْ بَسطَ اللَّهُ الرِّزْق لعباده لبغوْا فى الأَرْضِ وَلَكن يُنَزِّلُ بِقدرٍ مَّا يشاءُ إِنَّهُ بعِبَاده خَبيرٌ بصيرٌ**﴾ [الشورى ٢٧]

أحبتى فى الله

وينبغى أن يعلم المسلم أنَّ الله عز وجل فضَّل بعض الناس على بعض فى الرزق فأعطى لهذا، وبسط له الكثير، وأعطى غيره أقل منه بكثير، وحرم الثالث فلم يعطه إلا القوت، قال سبحانه: ﴿**واللَّهُ فَضَّل بعْضَكُمْ عَلَى بعضٍ فِى الرِّزْق فَما الَّذين فُضِّلُوا**

برادّى رِزْقِهِم عَلَىٰ ما مَلَكتْ أَيْمانُهُمْ فهُمْ فيه سواءٌ أفبنعمة اللّه يجحدُون . . ﴾ [النحل: ٧١]

إذًا هناك حكمة، بل حكم وأسرار فى العطاء والمنع، والغنى والفقر. قال ﷺ: «**أتانى جبريل فقال: يا محمد، ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إنَّ من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى، ولو أفقرته، لكفر، وإنَّ من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر، ولو أغنيته لكفر.. وإن من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم، ولو أصححته لكفر.. وإنَّ من عبادى من لا يصلح إيمانه إلا بالصحة، ولو أسقمته لكفر**»(١)

كما ينبغى أن يعلم المسلم أنَّ الله عز وجل أجرى الرزق لعباده، للاستعانة به على طاعة الله عز وجل.

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - إنما خلق الله الخلق ليعبدوه، وإنما خلق الله الخلق، ليعبدوه، وإنما خلق الرزق لهم، ليستعينوا به على عبادته».

فكيف إذا سخر العبد رزق الله له للاستعانه به على معصيته جل فى علاه؟ هذاموقف عجيب. تأكل رزقه وتعصيه؟ تسكن أرضه وتعصيه؟ تعصيه وهو يراك؟ تعصيه ولا تخاف العقاب؟!

إنه أعطاك ما أعطاك لا لتلهو به وتلعب، ولا لتستخدمه فى محرماته. إنما أعطاك ورزقك، لتستعين به على عبادة ربك ومولاك، التى من أجلها خلقت، ولأجلها أعطيت. وسوف يُسأل الإنسان عن ذلك كله يوم القيامة. ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يوْمَئذ عنِ النَّعيمِ**﴾ [التكاثر ٨].

فبماذا يجيب من يستعمل رزق الله فى محاربة دين الله؟

بماذا يجيب من يستخدم رزق الله فى محاربة أولياء الله؟

بماذا يجيب من يستخدم رزق الله فى التمكين لأعداء الله؟!

---

(١) ضعيف: ضعيف الجامع (٧٥) السلسلة الضعيفة (١٧٧٤)

يقول ابن عياد الصيرفى - رحمه الله -:

بينما أنا نائم إذ قيل لى فى المنام. يا عياد، قم فأغث الملهوف.

فقلت: وأين هو؟ فقيل لى: اركب دابتك فهو حيثما وقفت.

يقول: فركبت دابتى، فجعلت أتخلل أزقة بغداد، حتى أتيت إلى مسجد خرب فوقفت الدابة، فنزلت عنها، ودخلت المسجد، فإذا أنا بفقير مستقبل القبلة، فسلمت عليه، وقلت له: ما قضيتك؟

قال: إنى رجل ذو عيال، ولم يكن الليلة عندهم شيء، فجلست ها هنا، وطلبت من الله تعالى وسألته.

قال: فأعطيته مائة دينار، وقلت له إن احتجت إلى شيء فأتنى.

فقلت: سبحان الله، أأترك الذى أقامك من فراشك، وأتى بك فى ظلمة الليل، وأذهب إلى غيره؟!

قال مولانا فى قرآنه: ﴿**فَابْتَغُوا عند اللَّه الرِّزْق واعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ..**﴾ [العنكبوت: ١٧] فلا تطلب إلا من الله، ولا تسأل إلا الكريم الرزاق، ولا تستعن إلا بالله. ولذلك فإن الله عز وجل ذم أولئك الذين يدعون غيره فى طلب الرزق، فقال: ﴿**وَيَعْبُدُون من دُون اللَّه مَا لا يملك لَهُمْ رِزْقًا من السموَات والأَرْضِ شَيْئًا وَلا يسْتَطيعُونَ..**﴾ [النحل: ٧٣]

فمن طلب الله وسأله، وبذل الأسباب، وتوكل عليه، أعطاه الله عز وجل وسخر له ما لا يتوقع، ورزقه من حيث لا يحتسب، وأتته الدنيا وهى راغمة. وأما من التفت إلى غيرالله عز وجل، وتعلق قلبه بما فى يد فلان وفلان، وظن أنهم سيعطوه، وترك سؤال الله، أذله الله، وحرمه ما تمنى، ولم يأته من رزقه، ولا من دنياه إلا ما قدره الله له ﴿**أَمَّنْ هَذَا الَّذى يرزُقُكُمْ إنْ أَمْسك رِزْقَهُ بل لَجُّوا فِى عُتُوٍ وَنُفُورٍ**﴾ [الملك: ٢١]

أحبتى فى الله.

وليعلم المسلم أن كثرة الرزق والعطاء من الرزاق لبعض الناس ليس دليلاً على محبة الله لهذا العبد، لأنه سبحانه قد يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب، لكنه لاَ يعطى الدين إلا لمن يحب. فإعطاء المال الكثير، والسعة فى الرزق - ليس دليلاً كافيًا على أن الله عز وجل يحب ذلك العبد

لقد أعطى مولانا سبحانه المال لقارون وهو لا يحبه، وأعطى الملك لفرعون وهو لا يحبه وأما الذين يحبهم الله فإنه يعطيهم الحكمة يعطيهم العلم. يعطيهم الأشياء الثمينة قال تعالى مخاطبًا سيد الأولين والآخرين ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

وقد قال صلوات ربى وسلامه عليه «إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا»[١]: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]

وقال سبحانه. ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر ١٥ - ١٧].

نسأل الله عز وجل أن يوسع أرزاقنا، وأن يبارك لنا فى أولادنا وأزواجنا وذرياتنا

اللهم رضنا بقضائك، وصبرنا على طاعتك، وعن معصيتك، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك، وهب لنا حقيقة الإيمان بك والتوكل عليك حتى لا نخاف غيرك، ولا نرجو سواك، وأوزعنا أن نشكر نعمتك التى أنعمت علينا،

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد والطبرانى والبيهقى فى الشعب وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (٤١٣)

ولا تعــاقبنا بالسلب بعــد العطاء اللهم اهدنا لنــورك بقدرتك، وأعطنا من فـضلك، وهب لنا لسانًا لا يفتر عن ذكــرك، وروحًا يُكرم بالنظر إلى وجهك الكريم فى جنات النعيم.

الوصية رقم (٤٠)
احذر أن تأكل حرامًا

عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ هذا المالَ خَضرةٌ حلوةٌ، فمن أخذه بحقه، ووضعه فى حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه، كان كالذى يأكل ولا يشبع، ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة**»[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

هذه الوصية النبوية العظيمة لها سبب، أو أنها كانت ضمن موعظة وعظها رسول الله ﷺ أصحابه يومًا من الأيام. يقول راويها: جلس رسول الله ﷺ يومًا على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «**إنَّ مما أخاف عليكم من بعدى مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**» وفى رواية عند البخارى أيضًا: «**إنَّ أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض..**» قيل له: يارسول الله، وما بركات الأرض؟

قال: «**زهرة الدنيا**»[٢]

فقال له رجل متسائلاً: يا رسول الله، أو يأتى الخير بالشر؟ أى هل تصير النعمة من الله عز وجل عقوبة؟ لأن زهرة الدنيا نعمة من الله تبارك وتعالى فهل يمكن أن تصبح النعمة نقمة؟

لكن النبى المصطفى، معلم البشرية، وأستاذ الإنسانية ﷺ لم يجب هذا السائل حيث إنه كان يوحى إليه، ومن شدة الوحى أنه كان يمسح العرق ولما سُرى عنه،

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى فى باب النفقة فى سبيل الله (٢٦٣) ومسلم باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا (١٧٤٣).

(٢) رواه البخارى ومسلم أيضًا

قال: **أين السائل؟** أى الذى سأله أو يأتى الخير بالشر؟ فأجابه السائل: أنا يا رسول **الله**. فقال له الحبيب المصطفى ﷺ «**لايأتى الخيـر إلا بالخير.. لا يأتى الخير إلا بالخيـر.. لا يأتى الخير إلا بالخيـر**» أى أن المال والرزق إن كثر فهو من جملة الخير،لكن يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه، والإسراف فى إنفاقه فيما لم يشرعه الله ولا رسوله وكل شىء قضى الله أن يكون خيرًا فلا يكون شرًا وبالعكس، لكن يُخشى على من رزق الخير أن يعرض له فى تصرفه فيه ما يجلب له الشر

ثم ضرب الرسول ﷺ مثلاً فقال «**وإن مما ينبت الربيع يقتل حنطًا**»

أى أن الاستكثار من المال، والخروج من حد الاقتصاد فيه ضرر، كما أن الإستكثار من المأكل مسقم مهلك

فضرب هذا المثل للحريص على جمع المال، المانع له من حقه.

ثم حذر النبى ﷺ من أكل المال الحرام، فقال لأصحابه ولأمته إلى يوم القيامة. «**إنَّ هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بحقه، ووضعه فى حقه، فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه، كان كالذى يأكل ولا يشبع**»

قال ابن بطال - رحمه الله

فيه: أن المكتسب للمال من غير حله، غير مبارك له فيه، لقوله: «**كالذى يأكل ولا يشبع**» لأن الله عز وجل قد رفع عنه البركة، وألقى فى قلوب آكليه ومكتسبيه الفاقة، وقلة القناعة،ويشهد لهذا قول ربنا عز وجل: ﴿ **يمحق اللَّهُ الربا ويُرْبِى الصَّدَقَات..** ﴾ [البقرة. ٢٧٦] فالمحق أبدًا فى المال المكتسب من غير حله[١]

أحبتى فى الله.

إنّ اكتساب المال بطريق محرم أمر ممنوع منه المسلم، لأن المسلم الحق دائمًا يعين على البر والتقوى، لا الإثم والعدوان

(١) شرح ابن بطال (٦/ ٣٣)

لذلك فاعلموا أن أى مال يدخل عليكم بطريق غير مشروع، فاعلموا أنه مكسب خبيث، ومال خبيث. .إن تصدقتم منه ما قبل الله صدقتكم وإن أنفقتم منه فى أى مشروع خيرى، ما قبل الله منكم، وإن تركتموه كان ذلك زادًا لكم إلى النار - والعياذ بالله - وإن دعوتم الله عز وجل وأنتم تأكلون الحرام. لم يستجب الله عز وجل دعاءكم.

إنَّ المال الحرام يسبب قسوة القلوب، وعدم انقياد أصحابها إلى الشارع الحكيم. قال سبحانه: ﴿**يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا من الطَّيِّبات واعملوا صالحًا إنّى بما تَعْمَلُون عَليمٌ**﴾ [المؤمنون. ٥١]

قال بعض العلماء: قدم الله عز وجل الأكل على العمل، لأن أكل الطيب يعين على كل خير، وأكل الخبيث، يُثبط عن كل خير، ويفتح أبواب الشر والبلاء.

وقال ﷺ: «**إنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿**يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا من الطَّيِّبات واعملوا صالحا**﴾ [المؤمنون: ٥١] **وقال:** ﴿**يا أَيُّها الَّذين آمَنُوا كُلُوا من طَيِّبات ما رزقْنَاكُم..**﴾ [البقرة: ١٧٢]» ثم ذكر النبى ﷺ الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يارب، يارب، يارب، قال: «**ومطعمه من حرام وملبسه من حرام، وغذى بالحرام، فأنى يستجاب له**»؟[1]

أحبتى فى الله

اتقوا الله فى أموالكم، فإن رسول الله ﷺ قد خبر عن زمن من الأزمان، فقال: «**يأتى على الناس زمان لا يبالى فيه الرجل اكتسب من حلال أو من حرام**»[2]

وهذه من الأمور الغيبية التى أخبرنا بها من لا ينطق عن الهوى ﷺ وقد وقع ما أخبر به. فكم من أناس لا يبالون من أين يكتسبون أموالهم. أمن الربا؟ أم من الرشاوى؟ أم أخذوها واكتسبوها بظلم الآخرين؟ أو بجحد حقوقهم؟ أو بأكل أموال

---

(١) رواه مسلم والترمذى وأحمد.

(٢) رواه البخارى والنسائى.

اليتامى ظلمًا؟ أم اكتسبوها بغش وتدليس وخداع واحتيال، **يستحلون الرشوة، ويجحدون** الحقوق، ويخونون الأمانات، ويبحثون عن جمع الأموال **بأى طريقة** كانت، فالحرام عندهم ما عجزوا عنه، لا يبالون، فأين الإيمان **بالله عز وجل؟ وأين** الإيمان بلقائه؟

سوف تموت وتتركه لورثتك يتمتعون به، وتحاسب عليه وحدك يوم القيامة قال الحسن البصرى - رحمه **الله** - يصاب ابن آدم فى ماله بمصيبتين: الأولى: **أنه يتركه** كله، والثانية: أنه يحاسب عليه وحده.

فيا عجبًا لجامع المال من حله ومن حرامه، وينسى حقوق **الله** فيه، **ثم يبقى فى** غد آثامه وذنوبه وأوزاره!

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها
من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها
لا خير فى لذة من بعدها النار

إن المؤمن الذى يخاف **الله** عز وجل ويرجوه، هو الذى يأخذ المال من حله، ويضعه فى حله، إن أكله أجر عليه، وإن تصدق، قبلت صدقته، وإن **أمسكه بورك** له فيه، وإن مولاه، أجاب دعوته، وإن خلفه وراءه، خلّف من بعده الخير، وعاش من بعده فى سعادة ونعمة من **الله** عز وجل

وكيف ترضى أن تخلف لمن بعدك مكاسب خبيثة، وبضائع محرمة من مخدرات وأمور حرم الشارع الحكيم بيعها؟!

أحبتى فى **الله**.

وكما يقول أستاذ البشرية ومعلمها، ومخرجها من الظلمات إلى النور ﷺ:
«الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن

اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات، وقع فى الحرام..»[١]

ولذلك قال العلماء عن هذا الحديث. إنه أصل من الأصول التى يدور عليها شرع الإسلام. .والشارع الحكيم لم يدع الناس فى غمة من أمر دينهم، فأنزل لهم فى كتابه، وبين لهم على لسان رسوله وحبيبه ﷺ ما يحل لهم، وما يحرم عليهم. حتى قال ﷺ قبل أن يفارق الحياة الدنيوية: «**آلفقر تخافون؟ والذى نفسى بيده، لتصبن عليكم الدنيا** صبًّا، **حتى لا يزيغ قلب أحدكم إن أزاغه إلا هى، وايم الله، لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء..»**[٢] وفى رواية: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك..»**[٣]

وحين لحق الرسول بالرفيق الأعلى، واختاره مولاه لجواره، وشك بعض الناس فى موته، فقال عمه العباس رضي الله عنه إن رسول الله ما مات، حتى ترك لنا السبيل نهجًا واضحًا، فأحل الحلال، وحرم الحرام»[٤]

فالحلال بيِّنٌ، والحرام بيِّنٌ.

من يجهل أن الربا حرام؟ من فى الناس يجهل أن الرشوة حرام؟ من لا يعرف أن أكل مال اليتيم حرام؟ من فى الناس يجهل أن ارتكاب المظالم والاعتداء على الضعفاء حرام؟ من يجهل أن أكل أموال الناس بالباطل حرام؟ هذه الأمور ظاهرة واضحة الحرمة بالفطرة. فما بالك وقد وضحها لك ربك فى كتابه الذى ما ترك صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها وبينها. وكذلك سنة الحبيب ﷺ

إن الهرة - هذا الحيوان الأعجم - لو رميت إليها بقطعة من اللحم، جلست بجوارك آمنة مطمئنة لتأكلها فى سلام. لكن إذا خطفتها رغمًا عنك، ذهبت بها،

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى.

(٢) **حسن**: حسنه الألبانى فى الصحيحة برقم (٦٨٨) وصحيح الجامع (٩).

(٣) **صحيح**: صححه الألبانى فى الصحيحة (٩٣٧) وصحيح الترغيب (٥٩)

(٤) أخرجه الدارمى فى المقدمة (٨٣) وابن سعد فى الطبقات (٢/ ٢٦٧) عن عكرمة.

وعدت عـدواً سريعًا لتـهرب بهـا، لأنها تخشى أن تعـاقبـها، لأن فى الحرام عـقابًا وعذابًا. وفى الحلال أمانًا وسلامًا

المـال ينـفـــــذ حـله وحـــــرامـــــه
يـومــــا ويبـــــقى فى غـــــد آثـامــــه
لـيس الـتـــــــقى بمـتـق لإلـهـــــه
حـــتى يطـيب شـــرابـه وطعــــامـــه
ويطـيب مــا يحـــوى وتكسـب كــفــه
ويكـون فى حـــسن الحـــديث كـــلامـــه
نـطـــق الـــنبـــى لـــنـا بـــه عـــن ربــه
فـــعـلى الـنبـى صـــلاته وســــلامـــه

ولنا فى سيـد الأولين والآخرين الأسوة الحسنة، لقـد كان يجد التمـرة فى بيته، فيـريد أن يأكلها وهو جـائع، لكنه يخشى أن تكون هذه التـمرة قد وقـعت من مال الصدقة، وهو - أى الصدقة مـحرمة عليه - وهى مال عام، فيتـركها وهو جائع وقد تأرق ﷺ ليلة من الليالى، فبـحثت عنه إحدى نسائه، فوجدته قـائمًا، فقالت له: يا رسول الله، أرقت الليلة؟ فقال: «**نعم.. إنى قد وجدت تمرة تحت جنبى، فـأكلتها، ثم خشيت أن تكون من تمر الصدقة، فهذا الذى أرقنى..**»[1]

تمرة واحدة خـشى أن تكون من تمر الصدقـة المحرم عليـه، فأرقت عليـه ليلته، وأطارت النوم من عينيه، ونغصت عليه ليلته مع أنه ليس متأكدًا، بل إنه يشك فى كونها حلالاً أم حرامًا؟!

يا سبـحان الله! تمرة واحـدة. فمـا بال الناس فى هذا الزمان يأكـلون الحرام، ويلبسون الحرام ولا يبالون. ؟

---

(١) **صحيح**: رواه أحمـد فى مسنده (٦٧٢) وصحـحه الشيخ أحمـد شاكر فى تحـقيق المسند (٦/٢٦٦)

وسيدنا أبو بكر الصديق ﷺ كان له غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشئ، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: أتدرى من أين هذا؟ قال: ومن أين هذا الطعام؟ قال كنت قد تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنى خدعته، فلقينى فأعطانى ذلك الطعام. فماذا فعل صديق هذه الأمة؟

لقد وضع أصبعه فى فمه، وظل يحاول التقيئ، حتى يخرج ما أكله. فقيل له: لم فعلت ذلك؟ فقال: والله لو لم تخرج إلا مع روحى لأخرجتها، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به**» وهكذا كان سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - يخافون الحرام، بل يتقون الشبهات.

يقول فاروق الأمة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ كنَّا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع فى الحرام

وهذا محمد بن المنكدر - رحمه الله - كان له غلام يبيع فى الدكان مناديل، فباع منديلاً ثمنه خمسة، باعه لرجل بعشرة، فلما رجع أخبره بذلك، فقال له: كيف تبيع ما ثمنه بخمسة بعشرة؟ فقال: إنَّ الرجل قد ارتضى ذلك

قال له: ولكن كيف ترتضى له ما لا ترضاه لنفسك، ثم ظل يبحث عن هذا الرجل نهارًا كاملاً، حتى عثر عليه. وقال له هذا الذى اشتريته بخمسة.

قال: ولكنه يساوى عندى عشرة، وقد رضيت به

قال: ولكننا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا، فإمَّا أن تأخذ واحدًا آخر، وإما أن نعطيك خمسة دراهم. فقبل أن يأخذ خمسة دراهم.

وقالوا: إنّ الإمام أبا حنيفة - رحمه الله - كان تاجر بزٍّ - أى القماش - وكان له شريك، فقال لشريكه يومًا: هذا الثوب فيه خروق أو فيه عيب، فإن بعته فبين للمشترى ذلك العيب، حتى يكون على بينة من أمره فباعه شريكه دون أن يُعلم المشترى أو يخبره بذلك العيب فلما جاء الإمام أخبره شريكه بذلك، فقال له: هل

بينت له العيب؟ قال لا قال: هل تعرفه؟ قال: لا، قال: فإن نصيبى من هذا الثوب صدقة لله لا أريد أن آكل ما أعلم أن فيه غشًا لمسلم من المسلمين.

وهذا يزيد بن زريع، خلَّف أبوه ميراثًا يُقدر بخمسمائة ألف درهم - نصف مليون درهم - لكن يزيد ترك كل هذا المال، لماذا؟ أتدرون لماذا؟ لأن أباه كان يعمل لبعض السلاطين الظلمة، فخشى أن يكون فى هذا المال حرام أو ظلم، أو غصب، أو نهب أو رشوة، أو شىء من ذلك، فتركه، وظل هذا الرجل يعمل فى صنعة الخوص - سعف النخل - وظل يتقوت منها إلى أن مات - وقد ترك راضيًا مختارًا نصف مليون درهم، زهدًا وورعًا فى الحرام.

وهكذا كانوا يخافون من الحرام لماذا؟

جاء فى الخبر المكتوب فى التوراة «من لم يبال أين مطعمه؟ لم يبال الله فى أى أبواب النار أدخله؟!

أحبتى فى الله.

اتقوا الله فى مكاسبكم، وارفقوا بأنفسكم، واعلموا أن المال الحرام إثمه عليكم، وأنتم الذين تتحملون الإثم والوزر كله يوم القدوم على ملك الملوك ومالك الملك **﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** [التوبة ٣٥]

قال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما محذرًا من أكل الحرام -: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصممتم حتى تكونوا كالأوتار، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز»(١) أى يمنعكم عن أكل الحرام

وقال وهب بن الورد - رحمه الله لو قمت مقام هذه السارية، لم ينفعك شىء حتى تنظر ما يدخل فى بطنك حلال حرام

---

(١) الإحياء للغزالى (١/ ٤٣٧)

ففكروا فى ثرواتكم، وأعيدوا النظر فيها، وفى مكاسبكم، وقلبوا الأمور من كل جوانبهـا، واحذروا المكاسب الخبيـثة، المتمثلة فى أكل أموال الناس بـالباطل من بيوع حرمها الله عليكم، كبيع المسكرات والمخدرات وأمـثالها، وبيع ما يلهى وما يصد عن ذكر الله عز وجل.

واحذروا المعامـلات الربوية، واحذروا التحايل على جلب الأمـوال بغير الطريق الشرعى، فليس المهم وصول الأموال إلى خزائنكم، فقد يحل فى أيديكم أموالاً تكون سببـا فى وقوع العذاب بكم يوم القيـامة مر النبى ﷺ برجل قتل فى سبيل الله، فأثنى عليه أصحابه، فقال عنه **«أفٍّ له، لقد رأيته تشتعل عليه النار فى قبره، فى بردة غلها من الغنيمة»**[١]

وقد أوصى النبى ﷺ كعب بن عجـرة ﷺ وصية شديدة عظيمة كـثيرة النفع، فقال له: **«أعيـذك بالله يا كـعب بن عجـرة من أمراء يكونون من بعـدى فمن غـشى أبوابهم، فصدقهم فى كذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منى، ولست منه، ولا يرد علىَّ الحوض، ومن لم يغشهم، ولم يصدقهم فى كذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه، وسيرد علىَّ الحوض..**

يا كعب بن عجرة، الصلاة برهان، والصوم جنة حصينة، والصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار..

يا كعب بن عجرة، إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»[٢]

ذكروا أن جنيد البغدادى - رحمـه الله جاء يوما إلى داره، فرأى جاريـة جاره ترضع ولده، فانتزع ولده منها، وأدخل أصبعه فى فيه، وجعله يتقيأ كل الذى شربه، فلما سئل فى ذلك. قال: جارى يأكل الربا، يأكل الحرام وجارية جارى تعمل عنده،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الترمذى وقال: حسن غريب وصححه الألبانى

فتأكل من ماله الحرام، ثم ترضع ولدى، فهى ترضعه الحرام، ورسول الله ﷺ يقول: **«إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»**(١)

اللهمَّ أنت إلهنا، تفضلت فعم إفضالك، وأنت الأول والآخر والظاهر والباطن. وأنت على كل شيء قدير

إلهى. كيف يناجيك فى الصلوات من يعصيك فى الخلوات. لولا حلمك. أم كيف يدعوك عند الحاجات من ينساك عن الشهوات لولا فضلك أم كيف تنام العيون، وفى كل ليلة تقول: هل من مستغفر هل من سائل؟! اللهم جد علينا بفضلك، وتغمدنا برحمتك، وأدركنا بلطفك، وعاملنا برأفتك، ووفقنا لخدمتك، واغفر لنا ولجميع المسلمين يا رب العالمين

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٧٢٨) وصحيح الجامع (٤٥١٩).

الوصية رقم (٤١)

* إياكم أن تؤذوا مسلمًا *

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: **«يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته، يفضحه ولو فى رحله»**(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله

إن إيذاء المسلم بأى شكل كان، وبأى وسيله تمت، فهو منهى عنه، لأنه نزغة من نزغات الشيطان. لذلك نادى الرسول على أصحابه الكرام من فوق منبره، وبصوت عالٍ، نادى على المسلم الصالح، ونادى على المسلم الفاسق. نادى على من وقر الإيمان فى قلبه، ونادى على من أسلم بلسانه، ولم يستقر الإيمان فى قلبه، ناهيًا عن إيذاء المسلمين بشتى الطرق، فقال: **«لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم»** إنه يود من وراء ذلك أن يشيع المحبة بين المسلمين، ويوثق روابط المودة بينهم، ويحذرهم عن كل ما يخل بتآلفهم، لكن الشيطان قاعد للإنسان بجميع طرقه، ينزغ، ويوسوس، ويؤلب، وينصب رايته فى الإفساد هنا وهناك، وإن كان كيد الشيطان ضعيفًا، فما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين

وأذية المسلم لأخيه المسلم نزعة ووسوسة من وساوسه، يضعف فيها الإنسان عن رقابة الرحيم الرحمن.

---

(١) **حسن صحيح**: رواه ابن حبان والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٣٣٩) وصحيح الجامع برقم (٧٩٨٥)

وإذا كان الإسلام نهى عن أذية الذمى (غير المسلم) فما ظنكم بأذية المسلم لأخيه المسلم؟! فقد جاء فى الحديث. «**من آذى ذميا، فأنا خصمه يوم القيامة**»[١]

أما أذية المسلم فقد عظم الله أمرها، ورتب العقوبة الشديدة عليها، **فقال تعالى**: ﴿ **وَالَّذِين يُؤْذُون الْمُؤْمنين والْمُؤْمنات بغير ما اكْتَسبوا فَقَد احتمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٨]

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله فى معنى الآية: أى ينسبون إليهم ما هم براء منه، وما لم يعملوه، وما لم يفعلوه، ثم ساق حديث عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يومًا: «**أىُّ الربا أربى عند الله؟**» قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «**أربى الربا عند الله عز وجل، استحلال عرض امرئ مسلم..**»[٢] ثم قرأ: ﴿ **وَالَّذين يُؤْذُون الْمُؤْمنين والْمُؤْمنات..** ﴾

إنَّ حبيبنا ورسولنا وقائدنا، ومخرجنا من الظلمات محمدًا ﷺ **أعلنها صريحة** مدوية، حين قال: «**كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله، وعرضه**»[٣]

وفى صحيح سنن الترمذى فى خاتمة الوصية التى بين أيدينا أن رسول الله ﷺ نظر يومًا إلى البيت الحرام، أو إلى الكعبة، فقال: «**ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك**»[٤]

أحبتى الكرام.

وصور إيذاء المسلم كثيرة ومتعددة منها

١ - **السخرية منه**: وقد نهانا مولانا عنها، فقال فى محكم كتابه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا لا يسْخَرْ قَوْمٌ مّن قَوْمٍ عسى أَن يكُونوا خيرا منهم..** ﴾ [الحجرات: ١١] قال

---

(١) ضعيف: ضعفه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣١٤)

(٢) **صحيح**: رواه أحمد ورواه أبو داود و البيهقى فى شعب الإيمان والطبرانى فى الأوسط وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨٣) وصحيح الجامع (٣ ٢٢).

(٣) رواه مسلم والترمذى.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذى وصححه الألبانى

الضحاك: نزلت فى وفد بنى تميم، كانوا يستهزئون بفقراء الصحابة مثل عمار وخباب وبلال وصهيب، وسلمان وسالم مولى أبى حذيفة وغيرهم لما رأوا من رثاثة حالهم، فنزلت فى الذين آمنوا منهم

وقيل: نزلت فى عكرمة بن أبى جهل حين قدم المدينة مسلمًا، وكان المسلمون إذا رأوه، قالوا: ابن فرعون هذه الأمة، فشكا ذلك إلى النبى ﷺ فنزلت.

فقد يسخر الرجل القوى من الضعيف، وقد يسخر الغنى من الفقير، وقد يسخر الرجل السوى من الرجل الدميم، وقد يسخر الذكى من الغبى، وقد تسخر المرأة الجميلة من المرأة القبيحة، أو تسخر المرأة الشابة القوية من المرأة العجوز الضعيفة، وقد تسخر المرأة الغنية من الفقيرة.

فعن عائشة ﵂ قالت قلت لرسول الله ﷺ حسبك من صفية أنها كذا وكذا - تعنى قصيرة - فقال: «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته**»[١] لماذا؟ لأن هذه الأشياء التى يسخر الناس بعضهم من بعض بسببها إنما هى من قيم الأرض ليست هى المقياس. ليست الميزان الحق. ولذلك وضح النبى ﷺ هذه الحقيقة فى حديث البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتى الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**»[٢] ثم قرأ: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف: ١٠٥] وقال. «**رب أشعث أغبر مدفوع الأبواب، لو أقسم على الله لأبره**»[٣] فالمسلم ليس بمظهره، ولا بمنظره، ولابجسده، قال ﷺ: «**إنّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٤] هذا هو المقياس الحقيقى. هذا هو الميزان ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..**﴾ [الحجرات: ١٣].

لا تسخر من إخوانك الموحدين. لا تسخروا من إخوانكم الملتزمين. لا

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى وأبو داود والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨٣٤) وصحيح الجامع (٥١٤٠)

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٣) رواه مسلم وأحمد.

(٤) رواه مسلم.

تسخرون من أخواتكم الملتـزمات. الصالحات. تسخر المتبرجـة الوقحة من المتدينة المتمسكة بدينها وتلك عادة الباطل تلك عادة الكفرة. ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ...**﴾ [المطففين: ٢٩ ٣٢]

لقد كانوا يضحكـون استهزاء بهم، وسخرية منهم. إما لفـقرهم ورثاثة حالهم، وإما لضعفـهم عن رد الأذى، وإما لترفعهم عن سفاهة السـفهاء وهم يسلطون عليهم الأذى، ثم يضحكون ضحكهم اللئيم الوضيع

وإذا مروا بهم يتغامزون بعضهم لبعض، أو يشـير بعضهم بحركة بينهم للسخرية من المؤمنين. وهى حركة ضعيـفه هابطة، تكشف عن سوء الأدب لكن الجزاء يكون من جنس العمل الدنيـا تفنى. لأنها لا تساوى عند الله جناح بعـوضة. وتأتى الآخرة الباقية. ويأتى الحساب.

﴿**فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المطففين ٣٤ - ٣٦]

ومظاهر الإيذاء لا تقف عند حد الاستهزاء فهناك أمور أخرى مثل:

٢ - التنابز بالألقـاب فـقـد ينادى الرجل أخـاه بما يكره من الأسـمـاء والكنى والألقاب، فمن الأدب أن لا يؤذى المسلم شعور أخـيه المسلم بمثل هذا فمن واجبه أن يناديه بأحب الألقاب اليـه قال تعالى ﴿**وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات: ١١] فلا تؤذه بقولك مثلاً: فـلانًا الأعمى أو فلانًا الأعرج أو الأطرش إلا إذا كانت هذه شهرته ولا يعرف إلا بذلك ورضيه.

٣ - ومن الإيذاء بالمسلم (سـوء الظن به)، قـال تعـالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا..**﴾ [الحجرات: ١٢] وقد حذر النبى ﷺ من سوء الظن، فقال «**إياكم والظن فإن الظن أكـذب الحديث، ولا**

تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[(١)] والظن هو التهمة بغير سبب، ومن غير دليل، كمن يتهم بالفاحشة أو بشرب الخمر مثلاً، ولم يظهر دليل على ذلك.

وقال بعض السلف: الظن هو أن تظن بأهل الخير من المؤمنين شرًا.

يقول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: أحسن بصاحبك الظن ما لم يغلبك[(٢)]

وقال ﷺ: قال لى أبى: يا بنى، إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم، فلا تحملها على شىء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير[(٣)]

وقال سفيان الثورى - رحمه الله - من العجب أن يظن بأهل الشر الخير.

وهذه أعرابية توصى ولدها قائلة:

يا بنى، إياك والتعرض للعيوب، فتتخذ غرضًا، وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت السهام غرضًا حتى يهى ما اشتد من قوته.

وقال الأحنف بن قيس من أسرع إلى الناس فيما يكرهون، قالوا فيه ما لا يعلمون.

فالحذر الحذر من سوء الظن بالمسلمين.

٤ - ومن صور الإيذاء التجسس على المسلمين والغيبة والنميمة فى حقهم، وتتبع عوراتهم. ﴿**ولا تجسسُوا ولا يغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحبُّ أَحدُكُمْ أَن يَأْكُل لَحْم أَخيه ميْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّه..**﴾ [الحجرات: ١٢]

إنها أخلاق السوء نعوذ بالله منها - إنها أمور تفرق بين الأحبة، وتفرق الأمة. قال ﷺ «**من قال فى مؤمن ما ليس فيه، أسكنه الله عز وجل ردغة الخبال، حتى يخرج مما قال، وليس بخارج»**[(٤)]

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى وغيرهم.

(٢)،(٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٧٧، ٢٧٨).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده (٥٣٨٥) وأبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد ووقفه الذهبى وصححه الألبانى فى الصحيحة (٤٣٧)

أتدرون ما ردغة الخبال؟ إنه صديد أهل النار. الصديد الذى يسيل من أجسادهم، القيح والدماء.

من نم فى الناس لم تؤمن عقاربه
على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدرى به أحد
من أين جاء ولا من أين يأتيه
فالويل للعهد منه كيف ينقضه
والويل للود منه كيف يفنيه[1]

أحبتى الكرام.

ومظاهر الأذية للمسلمين لا تقف عند هذا الحد، مع خطورة تلك الأمور التى ذكرناها. وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم
فلا عيب إلا دون ما منك يذكر
فإن عبت قوما بالذى فيك مثله
فكيف يعيب العور من هو أعور؟
وإن عبت قومًا بالذى هو فيهم
فذلك عند الله والناس منكر
وكيف يعيب الناس من عيب نفسه
أشد إذا عدَّ العيوب وأنكر
متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم
عيوبًا، ولكن الذى فيك أكثر

(١) روضته العقلاء لابن حبان ص ٣٤٧

فســـالمهم بالكف عنهم فـــإنهم
بعـــيــــبك من عـــينيك أهدى وأبصـــر

وهناك إيذاء للمسلمين فى بيوتهم مثل المعاكسات الهاتفية، كمن يتصل بالتليفون فى ساعات محرجة من الليل، فإذا فزع الإنسان من نومه، وقام ورفع السماعة، أغلقها الآخر فى وجهه. ولربما أصابوا دعوة فتحت لها أبواب السماء. فهل هذا من أخلق الإسلام؟ أم هو نوع من الأذى؟

وقد تكون الأذية فى الشوارع والطرقات، مثل رفع الصوت بالغناء أو نحوه أو كسر الإشارات المرورية، أو نحوها فهذا إيذاء للمسلمين.

ومن الإيذاء للمسلمين فى الشوارع: الجلوس فى الطرقات، للنظر إلى النساء أو التعرض للفتيات حين خروجهن من مدارسهن، ومن قدِّر له الجلوس فى الطرقات لغرض صحيح من الأغراض، فلابد من إعطاء الطريق حقه.

والمماطلة فى أداء الحقوق المستحقة نوع من الإيذاء.

وقد يتحول الأذى للمسلمين فى مساجدهم، كمن جاء إلى المسجد وفى فمه رائحة كريهة مثل الثوم أو البصل، أو الكراث، فقد قال ﷺ: **«من أكل ثومًا أو بصلاً، فليعتزل مسجدنا»**(١)

وقد يأتى وقد شرب الدخان والسجائر، وقد خرجت منه رائحة كريهة فهذا إيذاء لمن حوله من المسلمين، وإيذاء للملائكة الكرام، لأن رسول الله ﷺ قال: **«الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»**(٢)

وقد يأتى إلى المسجد وفى بدنه، أو ملبسه ما يستنكر ويستقذر، وهو قادر على إزالته، وفى القرآن الكريم، وصية لكل المسلمين ﴿**يا بنِي آدم خُذُوا زِينَتَكُمْ عند كُلِّ مسجد...**﴾ [الأعراف: ٣١]

ومن الإيذاء فى المساجد إحضار الأطفال الصغار، الذين دون سبع سنوات أو

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

دون سن التمييز، فيصرخون، ويبكون، ويجرون، فيزعجون المصلين ويشغلونهم عن عبادتهم وخشوعهم.

وكذلك من يأتى يوم الجمعة متأخرًا، فيتخطى رقاب الناس، ويتخَطى الصفوف لكى يصل إلى مكان متقدم مع أنه متأخر فى المجىء. وقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يوم الجمعة يفعل ذلك - أى يتخطى رقاب الناس - فقال له: «**اجلس فقد آذيت وآنيت**»(١)

وأذية الجار جاره نوع من الإيذاء المنهى عنه، فللجار المسلم حق الجوار، وحقوق الإسلام، وسواء كان هذا الإيذاء بإسماعه ما يكره، أو تتبع عوراته، أو إفشاء أسراره، أو تخوينه فيما هو مؤتمن عليه، وبالجملة فـ «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**»(٢)

أحبتى الكرام.

وإذا عرفنا حرمة إيذاء المسلم، وعرفنا بعض مظاهر الإيذاء. فما موقف المسلم ممن تعرض له بالأذى؟

ينبغى للمسلم أن يكون صبورًا، لابد من الصبر على ما يصيبه من عزم الأمور، ولابد من احتساب الأجر عند الله عز وجل، والثقة بعدل الله وجزائه، إن فى الدنيا، أو فى الآخرة، وهو أعظم وأبقى

ولابد من الحلم مع من يؤذى، وعدم مجاراة الجهول بجهله، وقد قيل:

إذا أنا كافيت الجهول بفعله　　فهل أنا إلا مثله إذ أحاوره

ولكن إذا ما طاش بالجهل طائش　　على فإنى بالتحلم قاهره

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود النسائى وابن حبان وغيرهم وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٧١٤)

(٢) رواه مسلم وأحمد وغيرهما

وقال آخر

احفظ لسانك إن لقيت مشاتمًا
لا تجرين مع اللئيم إذا جرى
من يشترى عرض اللئيم بعرضه
يحوى الندامة حين يقبض ما اشترى(١)

ومن الأمور التى تحسن بمن أوذى أن يتجاهل المؤذين، حتى لا يضيع الوقت سدى فى الهراش معه، وحتى لا يشيع ذكره، وقد يكون تجاهله أكثر الطرق لسقوطه ونهايته، وأخمل لذكره، وكم هو جميل قول القائل

ولقد أمر على اللئيم يسبنى
فمضيت ثمة قلت لا يعنينى

وأجمل من ذلك ألا يحمل الحق، أو الاشتغال بمعايب من أذاه، بل يدافع عنه، على حد قول القائل:

إذا قد حوالى نار حرب بزندهم
قدحت لهم فى كل مكرمة زندا
وإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدًا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

ولا شك أن هذه مرتبة عالية، لا يستطيعها إلا أهل الفضل، والعظماء من الناس.

أحبتى فى الله.

وعلى من أوذى ثم اعتذر إليه أن يقبل العذر، سواء كان المعتذر صادقًا أم كاذبًا، قال تعالى لرسوله مخاطبًا ﴿**فاصفح الصفح الجميل**﴾

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان ص ٩٤٧

قال ابن عباس: الرضا بغير عتاب.

وقد قيل: الاعتراف (أى الاعتذار) يهدم الاقتراف(١)

وقال ذو النون المصرى - رحمه الله - ثلاث خصال من الكرام: حسن النظر، واحتمال الزلة، وقلة الملامة(٢)

وقال عبد الله بن خبيق؛ كان يُقال احتمل لمن ذل عليك، واقبل ممن اعتذر إليك(٣)

وقال ابن حبان البستى - رحمه الله -

ولايخلو المعتذر فى اعتذاره من إحدى حالتين إما أن يكون صادقًا فى اعتذاره أو كاذبًا، فإن كان صادقًا، فقد استحق الغفران، لأن شر الناس، من لم يقل العثرات، ولا يستر الزلات، وإن كان كاذبًا فالواجب على المرء إذا علم من المعتذر إثم الكذب وريبته، وخضوع الاعتذار وذلته، ألا يعاقبه على الذنب السالف، بل يشكر له الإحسان المحدث، الذى جاءه فى اعتذاره، وليس يعيب على المعتذر إن ذل وخضع فى اعتذاره إلى أخيه.

وأنشد بعضهم:

أليس الله يستعفى فيعفو

وقد ملك العقوبة والثوابا

أحبتى الكرام.

احذروا إيذاء المسلمين بأى نوع من أنواع الإيذاء، فليس يخفى عليكم أن ربكم يعفو ويصفح ويغفر أما الخلق فسوف يطلبون حقهم منكم فى يوم لا تملكون فيه إرضاءهم بالدرهم أو الدينار، فيؤخذون من حسناتكم فإن فنيت، أُخذ من سيئاتهم، فطرحت عليكم، ثم طرحتم فى النار، وذلك منتهى الخزى والخسران.

---

(١)، (٢)، (٣) شعب الإيمان للبيهقى.

كونوا عناصر نافعة فى مجتمعـاتكم، تجمعون وتؤلفون وتصلحون، ولا تفرقوا، فتفسدوا.

اللهم اجمع شـمل المسلمين، ووحـد كلمتهم على الهـدى والدين، واقطع دابر المفسدين. اللهمَّ لا تشمت بنا عدوًّا ولا حاسدًا

الوصية رقم (٤٢)

* النهى عن التسول *

عن ثوبان ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: «**من يتـقـبل لى بـواحـدة، وأتقبل له بالجنة**»؟!

قلت: أنا يا رسول الله. قال «**لاتسأل الناس شيئًا**»

فكان ثوبان يقـع سوطـه وهو راكب، فـلا يقـول لأحـد. ناولنيـه، حـتى ينزل فيأخذه[١]

أحبتى فى الله.

إنّ من امتنع عن سـؤال الناس، ولم يسألهم، أعطاه الله عز وجل أعـز السؤال، وهو الجنة.

فكان ثوبان ﷺ يسقط ثوبه، وهو راكب، وربما وقع على عـاتق رجل، فيأخذه فيناوله، فلا يأخذه منه، حتى ينزل هو، فيأخذه

ولذلك وردت هذه الوصية برواية أخرى عن ثوبان أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «**من يتكفل لى أن لا يسأل الناس شيئًا، أتكفل له بالجنة**»[٢]

فالمؤمن الحق هو الذى يسأل الله عز وجل، ولا يسـأل أحدًا سواه. إذا سألت، فاسأل الله.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والنسائى وابن حـبان وصححه الألبانى فى صـحيح ابن ماجه (١٨٣٧) وصحيح أبى داود (١٤٥) وصحيح الجامع (٣ ٦٦)

(٢) **صحيح**: رواه الحاكم وأبو داود وصححه الألبانى فى صحح الجامع برقم (٦٤٨).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من أصابته فاقة، فأنزلها بالناس، لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله، أو شك الله له بالغنى، إما بموت عاجل، أو غنى عاجل**»(١)

وإن من أجل مقاصد شريعة الإسلام، صيانة المسلم عن التبذل، وحفظ ماء وجهه عن المهانة والذلة، وهذا منبثق عن عقيدة صافية خالصة، تجعل المسلم دائمًا فى كل حياته مرتبطًا بالله القدير، فى سرائه وضرائه فى عسره وفى يسره، لعلمه بطلاقة صفة (الغنى) فهو المعطى، وهو المانع، وهو الضار، وهو النافع، وهو الخافض، وهو الرافع، وهو القوى الجامع

فالمؤمن الحق دائما قلبه متعلق بالسماء. إذا سأل، سأل الله، وإذا استعان، استعان بالله. هو تعالى حسبه، وهو عضده، ونصيره، به يصول، وبه يجول.

وسؤال الله تعالى، وحسن الالتجاء إليه، مع الاستعفاف عن سؤال الناس أصل عظيم من أصول الدين، وشواهد ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿**لِلْفُقَرَاء الَّذِين أُحْصِرُوا فِي سبِيلِ اللَّه لا يستطِيعون ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِن التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بسيمَاهُمْ لا يسْأَلُون النَّاس إِلْحَافًا وما تُنفِقُوا من خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِه عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٧٣]

قال المفسرون: (يحسبهم الجاهل) أى الذى لا يعرف حالهم (أغنياء من التعفف) أى من أجل تعففهم عن السؤال، والتلويح به، قناعة بما أعطاهم مولاهم، ورضًا عنه، وشرف النفس (تعرفهم بسيماهم) أى بما يظهر لذوى الألباب من صفاتهم.

قال السدى: هى أثر الفاقة والحاجة فى وجوههم، وقلة النعمة.

(لا يسألون الناس إلحافًا) الإلحاف: هو الإلحاح، وهو اللزوم، وأن لا يفارق إلا بشىء يعطاه.

وقيل المعنى: إن سألوا، سألوا بتلطف، ولم يلحوا، فيكون النفى متوجهًا إلى القيد وحده.

---

(١) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤١ ٦).

وفيه تنبيه على سوء طريقة من يسأل الناس إلحافًا، واستحباب المدح والتعظيم للمتعفف عن ذلك.

وجاء في السنة قول النبى ﷺ «**ليس المسكين الذى ترده التمرة، والتمرتان، ولا اللقمة، ولا اللقمتان،إنما المسكين الذى يتعفف، واقرءوا إن شئتم**»(١): ﴿**لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**..﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال ﷺ: «**لا تزال المسألة بأحدكم، حتى يلقى الله عز وجل وليس فى وجهه مزعة لحم**»(٢)

أحبتى الكرام.

إنَّ هناك ظاهرة منتشرة انتشاراً واسعًا فى جميع بلاد المسلمين. إنها ظاهرة التسول. فلا يخلو مكان من وجودها. فإذا ما ذهبت إلى مصلحة من المصالح، وجدت المتسولين على أبوابها، وإذا سرت فى الشوارع، وجدتهم عن اليمين، وعن الشمال، وإذا نزلنا إلى السوق، وجدناهم يتجولون هنا وهناك. وإذا ذهبت إلى إحدى المستشفيات وجدتهم قابعين عند مداخلها، وإذا ذهبت إلى المساجد، بيوت الله فى الأرض، فحدث ولا حرج، فما من مسجد من المساجد إلا وتجد كل صلاة، وكل وقت متسولاً على بابه أو بداخله. تراهم يسألون الناس تارة بصوت عال دون مراعاة لآداب المسجد ودون مراعاة لآداب الكلام. حتى أصبح التسول عند الكثير من هؤلاء حرفة يتعايش بها، أو وظيفة. وذلك لأنه وجد أنه ببذله ماء وجهه وسؤاله الناس، بقلة حيائه، يجمع دراهم كثيرة دون أدنى تعب، وربما لا يقدر على جمعها من عمل آخر على زعمه وظنه. وترتب على هذا أن أصبح الكثير من الناس لا يستطيعون أن يميزوا بين من هو مستحق للمال، محتاج إليه، فيساعدوه، وبين من هو كذاب محتال، فيعرضوا عنه

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم.

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم.

هذا عن كثرة المتسولين، وأما عن أساليبهم، فقد تعددت وتنوعت، فتجد أحدهم وقد ربط قارورة ماء أو قربة بخيط فى حقويه، ومن تحت ثيابه، ووضع بها محلولاً أحمر، ثم قام يسأل الناس، ويخبرهم أنه مصاب بمرض السرطان ونحوه.

وهذا ما حدث بالفعل فى مسجد من مساجد بلاد المسلمين، فقد جاء أحد المتسولين إلى المسجد، وقد فعل ذلك، وفى أثناء الصلاة، صلى جالسًا، ولما انتهى من الصلاة - وكانت صلاة العصر- وقف يسأل المصلين، مظهرًا تلك القربة، وأنه مصاب بمرض السرطان، فما كان من الناس إلا أنهم تأثروا تأثرًا بالغًا، وأبدوا تعاطفهم معه، وجمعوا له مبلغًا كبيرًا من المال، بل أراد أحد الإخوة الفضلاء أن يتمم الإحسان، فيذهب به إلى مسجد مجاور، عله يجمع ما يعالج مرضه.

ولما وصلا إلى المسجد فى صلاة المغرب، ما كان من ذلك المصاب بمرض السرطان إلا أن أعاد تشغيل ذلك الشريط، الذى شنف به آذان المساكين فى المسجد الأول. ولكن كانت الفضيحة والفاجعة لذلك الدعى، فقد كان إمام ذلك المسجد طبيبًا يعمل فى مستشفى حكومى، لا يخدع بالتمثيليات الفاترة التى انتهيت صلاحيتها للعرض، حيث استغرب من قوله إنه مصاب بالسرطان وأن علامة ذلك، ذلك الدم الذى يحمله فى القربة.

وجرى بين الإمام وبين المتسول حديث سريع عن طبيعة المرض، وقف على إثرها الإمام الطبيب محذرًا للناس من إعطاء ذلك المتسول شيئًا من المال، لأن السرطان الذى يدعيه لا يسبب خروج الدم، الذى يدلس به على الناس، فبهت المتسول، وخرج من المسجد مفضوحًا، خاسئًا وهو حسير

أحبتى فى الله

وهناك من قصص المتسولين ما هو أكثر من ذلك، وأكثر كذبًا ونصبًا وخداعًا واحتيالاً، ولكن ذكرنا هذه القصة، لبعض أمور منها:

١ - أن كثيرًا من المتسولين كذبة، يستعينون بما يجمعون من أموال فى المعاصى

والفجور، وقد تكلم العلماء عن حكم السؤال، فمنهم من حرمه، ومنهم من كرهه، ومنهم من أجازه بشروط، وفى حالة معينة، وذلك لورود أدلة، تدل على منعه، وأدلة أخرى توحى بجوازه، فى حالات معينة، وبشروط محددة، ومن هؤلاء: الإمام ابن تيمية - رحمه الله - كما ورد فى كتاب «غذاء الألباب» للسفارينى، أنه سئل عن حكم السؤال فى المسجد، فقال

أصل السؤال محرم فى المسجد وخارجه، إلا لضرورة، فإن كانت ضرورة وسأل فى المسجد، ولم يؤذ أحدًا كتخطية رقاب الناس، ولم يكذب فيما يرويه ويذكر من حاله، ولم يجهر جهرًا يضر بالناس، مثل أن يسأل والخطيب يخطب، أووهم يسمعون علمًا، يشغلهم به، ونحو ذلك، جاز[1]

قال ابن عبد البر من أحسن ما روى من أجوبة الفقهاء فى معانى السؤال وكراهيته ومذهب أهل الورع فيه، ما حكاه الأثرم عن أحمد بن حنبل، وقد سئل عن المسألة، متى تحل؟

قال: إذا لم يكن عنده ما يغديه ويعيشه على حديث سهل بن الحنظلية.

قيل لأبى عبد الله: فإن اضطر إلى المسألة؟

قال: هى مباحة له، إذا اضطر

قيل له: فإن تعفف؟ قال: ذلك خير له ثم قال. ما أظن أن أحدًا يموت من الجوع. الله يأتيه برزقه، ثم ذكر حديث أبى سعيد الخدرى، الذى يقول فيه: «**ومن يستعفف، يعفه الله..**»

وقال الإمام الغزالى فى الإحياء:

وإنما يباح بضرورة، أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، وذلك لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور:

---

(١) غذاء الألباب (٢/ ٦٧) للسفارينى.

الأول: إظهار الشكوى من الله عز وجل، إذ السؤال إظهار للفقر، وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه، وهو عين الشكوى

الثانى: أنَّ فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه

الثالث: أنه لا ينفك عن إيذاء المسئول غالبًا، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياء من السائل، أو رياء، فهو حرام على الآخذ(١)

أحبتى الكرام.

وقد وردت الأحاديث فى ذم التسول، والتحذير منه، من ذلك:

حديث قبيصة بن المخارق الهلالى، الذى رواه مسلم فى صحيحه: «**إنَّ المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة، فحلت له المسألة، حتى يصيبها، ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة، اجتاحت ماله، فحلت له المسألة، حتى يصيب قوامًا من عيش، قال: أو سدادًا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا من قومه، لقد أصابت فلانًا فاقة، فحلت له المسألة، حتى يصيب قوامًا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتًا يأكلها صاحبها سحتًا**»(٢)

وحديث أبى كبشة الأنمارى الذى رواه الترمذى: «**ثلاثة أقسم عليهن**.. وفيه: **وما فتح عبد باب مسألة، إلا فتح الله عليه باب فقر**»(٣)

وحديث حكيم بن حزام الذى رواه مسلم فى صحيحه: «**إنَّ هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس، بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذى يأكل ولا يشبع**»(٤)

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى.

(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى وقال: حسن صحيح وهو كما قال.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذى والنسائى وأحمد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٣١٧).

وحديث أبى داود وأحمد عن سمرة أن النبى ﷺ قال: «**المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء ترك إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان، أو فى أمر لا يجد منه بدًا**»(١)

والحديث الذى فى مسند الإمام أحمد وأبى داود الذى رواه سهل بن الحنظلية «**من سأل شيئًا وعنده ما يغنيه، فإنما يستكثر من جمر جهنم**»

قالوا: وما يغنيه؟ قال «**قدر ما يغديه ويعشيه**»(٢)

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنَّ ناسا من الأنصار، سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفذ ما عنده، فقال لهم: «**ما يكن عندى من خير، فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف، يعفه الله،ومن يستغن، يغنه الله، ومن يصبر، يصبره الله، وما أعطى أحد من عطاء خيرٌ وأوسع من الصبر**»(٣)

وقال: «**من استغنى أغناه الله، ومن استعف، أعفه الله، ومن استكفى كفاه الله، ومن سأل، وله قيمة أوقية، فقد ألحف**»(٤) أى سأل الناس إلحافًا، تبرمًا بما قسم له.

ومقصود ذلك أن فى طلب الرزق من باب المخلوق ذلاً وعناءً، وفى طلبه من الخالق، بلوغ المنى والغنى، قال بعض العارفين: من استغنى بالله، افتقر الناس إليه:

إن الغنى هو الغنى بنفسه

ولو أنه عارى المناكب حافى

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود والترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٧٩٢).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان فى صحيحه وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٨٠٥).

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد والنسائى وأبو داود وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٤٤).

مــا كل مــا فــوق البــسـيطـة كــافـيًــا

فـــإذا قنـعت فــبــعض شــىء كـــافى[1]

يقول ابن الجـوزى - رحمه الله -: لما تلمـحت تدبير الصـانع فى سوق رزقى، بتسخـير السحاب، وإنزال المطر برفق، والبذر دفين تحت الأرض كـالموتى، قد عفن، ينتظر نفحـة من صور الحياة، فإذا أصـابته اهتز خضـرًا، وإذا انقطع عنه الماء، مد يد الطلب يستعطى، وأمـال رأسه خاضعًا، ولبس حلل التـغير، **فهو محـتاج إلى ما أنا** مـحتـاج إليـه من حرارة الشـمس، وبرودة الماء، ولطف النـسيم، وتربيـة الأرض، فسبحان من أرانى كيف تربيتى فى الأصل

فيا أيتها النفس التى اطلعت على بعض حكمـه قبيح بك والله الإقبال على غيره ثم العجب كيف تقـبلين على فقير مثلـك. ينادينى لسان حاله: [بى مثل ما بك] فارجعى إلى أصل الأول، واطلبى من المسبب، ويا طوبى لك إن عرفتيه، فإن عرفانه ملك الدنيا والآخرة.

فيـا من احتـرفوا التسـول من غيـر حاجة وعـوز، هداكم الله، ورفع عنكم هذا الابتلاء، واعلموا أنه: «**لأن يحتطب أحـدكم حزمة على ظهره، خيـر له من أن يسأل الناس أعطوه،أو منعوه**»[2] أو كما قال ﷺ

أحبتى الكرام.

لكن هناك سـؤال يتبـادر إلى أذهان الكثـير، وهو: أيـن نضع صدقـاتنا؟ أو لمن نعطيها إذن؟

إنه سؤال مهم وصعب فى آن واحد، ويحتاج فـى الإجابة عليه إلى قدر كبير من الحكمة، لذلك لا عـجب أن نرى أن آية الحكمة. ﴿**ومن يُؤْت الْحكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي**

---

(١) فيض القدير (٦/٥٨) للمناوى.

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

خَيْراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] فقد وردت ضمن آيات الإنفاق فى سورة البقرة لتنبه إلى أن وضع المال فى موضعه يحتاج إلى حكمة المنفق

ولحكمة ما، لم يترك الله عز وجل مصارف الزكاة للبشر، بل عين مصارفها الثمانية فى كتابه، ونص عليها نصًا فى سورة التوبة، ومع ذلك فقد ضيع مجتمعنا بعض هذه المصارف.

إذا فمن هم أولى المحتاجين؟

ذكر صاحب كتاب مختصر منهاج القاصدين، صفات تجعل أصحابها مقدمين على غيرهم فى أولوية الإنفاق عليهم، هذه الصفات هى

١ - التقوى والعلم: وذلك من أجل زيادة همتهم فى طلب العلم، وتوجيه طاقتهم لما ينفع الناس، حتى لا يشغلوا بحاجتهم عن تعليم الناس.

٢ - أن يكون ممن يرى الإنعام من الله وحده. وأما الذى عادته المدح عند العطاء، أو الذم عند المنع، فلا يقدم.

٣ - أن يكون صائنًا لفقره، ساترًا لحاجاته

٤ - أن يكون ذا عائلة أو دين، أو محبوسا، فهؤلاء من المحصورين والإنفاق عليهم، إطلاق لحصرهم

٥ - القرابة والرحم، فتكون الصدقة عليهم صدقة وصلة. وكل من جمع خلتين، أو أكثر، كان عطاؤه أفضل. قال ﷺ «**لا يدخل بيتك إلا مؤمن، ولا يأكل طعامك إلا تقى**»(١)

اللهم ارزقنا من فضلك رزقًا تزيدنا به لك شكرًا، وإليك فاقة وفقرًا وبك عمن سواك غنى وتعففًا يا أكرم الأكرمين.

اللهم اشرح صدورنا ويسر أمورنا واقض حوائجنا يا قاضى الحاجات ويا كاشف الكربات

---

(١) **حسن**: رواه أحمد وأبو داود والترمذى والدارمى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣٤١).

اللهم أمـدنا بمدد من عندك. اللهم برحـمتك عـمنا، وفرج عنا همنا وغـمنا، واكفنا ما أهمنا وغمنا

اللهم جملنا بالعافية، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إنا نعوذ بك من الجـهل والشقاء، والهم والحزن ونعـوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال - وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد.

خامساً: الزهد والرقائق

الوصية رقم (٤٣)

ازهد فى الدنيا يحبك الله

عن سهل بن سعد الساعدى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على عمل، إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال ﷺ: «**ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**»[١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

هذه الوصية المباركة أصل من الأصول، كما جاء ذلك عن الإمام أبى داود - كما فى بعض الروايات - أصول السنن فى كل فن أربعة أحاديث (**إنما الأعمال بالنيات**)[٢] و(**الحلال بين والحرام بين**)[٣] و(**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**)[٤] و(**ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس**).

فهذه الوصية أصل من أصول السنن، وقد اشتمل على وصيتين عظيمتين - كما قال ابن رجب الحنبلى-

١ - إحداهما: الزهد فى الدنيا، وأنه مقتض لمحبة **الله** عز وجل لعبده.

٢ - والثانية: الزهد فيما فى أيدى الناس، وأنه مقتض لمحبة الناس.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجة والطبرانى والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٩٢٢).

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه البخارى.

(٤) **صحيح**: رواه الترمذى وأحمد والحاكم وغيرهم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٩١١)

فأما الزهد فى الدنيا، فقد كثرت فيه آيات القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ والآخرةُ خيرٌ وأبْقى** ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] وقال: ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخرةُ خيرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُون فَتيلاً** ﴾ [النساء: ٧٧] وقال حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه: ﴿ **وقال الَّذى آمنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدكُمْ سبيل الرَّشَاد ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إنَّما هَذه الْحياةُ الدُّنْيَا متاعٌ وإنَّ الآخرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ** ﴾ [غافر ٣٨ - ٣٩].

والقرآن الكريم مملوء من التزهيد فى الدنيا، والإخبار بخستها، وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها، والترغيب فى الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله عز وجل بعبد خيرًا، أقام فى قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة، ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار.

أحبتى الكرام.

إنَّ الزهد فى الدنيا سفر القلب من وطن الدنيا، وأخذه فى منازل الآخرة والزهد فى الشئ هو الإعراض عنه، واحتقاره، وارتفاع الهمة عنه وقد تكلم السلف ومن بعدهم فى تفسير الزهد فى الدنيا، وتنوعت عباراتهم. قال الحسن: ليس الزهد فى الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، ولكن أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يد نفسك، وأن تكون فى حالك فى المصيبة، وحالك إذا لم تصب بها سواء، وأن يكون مادحك وذامك فى الحق سواء

ففسر الزهد فى الدنيا بثلاثة أشياء كلها من أعمال القلوب، لا أعمال الجوارح ولهذا كان أبو سليمان الداراني يقول: لا تشهد لأحد بالزهد، فإن الزهد فى القلب.

أحدها: أن يكون العبد بما فى يد الله، أوثق منه بما فى يد نفسه، وهذا ينشأ من صحة اليقين، وقوته، فإن الله تعالى ضمن أرزاق عباده، وتكفل بها، كما قال سبحانه: ﴿ **وَمَا من دَابَّة فى الأَرْضِ إلاَّ عَلَى اللَّه رزْقُها ويعلم مستقرها ومستوْدَعها ..** ﴾ [هود: ٦].

قيل لأبى حازم الزاهد: ما مالك؟ قال لى مالان، لا أخشى معهما الفقر: الثقة فى الله، واليأس مما فى أيدى الناس

قيل له: أما تخاف الفقر؟ قال. أنا لا أخاف الفقر ومولاى له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - أصل الزهد، الرضا عن الله عز وجل.

وقال: القنوع هو الزهد، وهو الغنى

فمن حقق اليقين، وثق بالله فى أموره كلها، ورضى بتدبيره له، وانقطع عن التعلق بالمخلوقين، رجاء وخوفًا، ومنعه ذلك من طلب الدنيا حقيقة، وكان من أغنى الناس، حتى ولو لم يكن له شىء من الدنيا كما قال عمار: كفى بالله واعظًا، وكفى باليقين غنى، وكفى بالعبادة شغلاً

وجاء رجل إلى حاتم الأصم، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أى شىء رأس الزهد ووسط الزهد، وآخر الزهد؟

فقال: رأس الزهد: الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

الثانى: أن يكون العبد إذا أصيب بمصيبة فى دنياه من ذهاب مال، أو ولد، أو غير ذلك، كان أرغب فى ثواب ذلك مما دهب منه من الدنيا، وهذا ينشىء من كمال اليقين كذلك.

وقد روى عن ابن عمر ﭬ أن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه: «**اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**»[1] ولذلك قال على بن أبى طالب ﭬ: من زهد فى الدنيا، هانت عليه المصيبات

والثالث: أن يستوى عند العبد حامده وذامه فى الحق، وهذا من علامات الزهد فى الدنيا، واحتقارها، وقلة الرغبة فيها، فإن من عظمت الدنيا عنده، أحب المدح، وكره الذم.

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى والحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٢٦٨).

فمن استـوى عنده الأمران، دل على سقوط منزلة المخلوقين من قلبـه، وامتلائه من محبة الحق، وما فيه رضا مولاه.

وهناك عبـارات أخرى للسلف فى تفسـير الزهد فى الدنيا، وكلهـا ترجع إلى ما تقدم، كقول الحسن: الزاهد، إذا رأى أحدًا، قال: هو أفضل منى وقال ربيعة: رأس الزهادة، جمع الأشياء بحقها، ووضعها فى حقها.

وقال سفيان الثورى: الزهد فى الدنيا، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباءة.

وهذا كلام صـحيح فقد كـان سيدنا داود وسليـمان عليهمـا السلام، أزهد أهل زمانهمـا ولهما من المال والملك والنساء مالهمـا، وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق، وله تسع نسـوة، وكـان على بن أبى طالب، وعـبد الـرحمن بن عـوف، والزبير وعـثمـان بن عفـان ﷺ من الزهَّاد مع ما كـان لهم من الأموال، وغـيرهم كثير[١]

أحبتى فى الله.

وقد قسم العلماء الزهد إلى أقسام.

قال إبراهيم بن أدهم - رحمـه الله - الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض، وزهد فضل، وزهـد سلامة، فـالفرض الزهد فى الحـرام، والفضل: الزهـد فى الحلال، والسلامة: الزهد فى الشبهات[٢]

وقال ابن القيم - رحمه الله - الزهد أقسام: زهد فى الحرام، وهو فرض عين، وزهد فى الشبـهات، وهو بحسب مراتب الشـبهة، فإن قويت، التـحقت بالواجب، وإن ضعفت، كان مـستحبًا. وزهد فى الفضول، وزهد فـيما لا يعنى من الكلام والنظر، والسؤال واللقاء وغيـره، وزهد فى الناس وزهد فى النفس بحيث تهون عليه نفسه فى الله.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٣، ١٤) لابن القيم.
(٢) حلية الأولياء (٨/ ٢٦) لأبى نعيم الأصبهانى

وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفى كل ما شغلك عن الله عز وجل. وأفضل الزهد: إخفاء الزهد[١]

وكلام ابن القيم الأخير موافق لقول أبى سليمان الدارانى: الزهد: ترك ما يشغلك عن الله عز وجل.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله - عجبت من ثلاث: رجل يرائى بعمله مخلوقًا مثله، ويترك أن يعمله لله. ورجل يبخل بماله، وربه يستقرضه منه، فلا يقرضه منه شيئًا، ورجل يرغب فى صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته[٢]

والإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - قال: الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

الثانى: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

الثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين

واعلموا أنه لا تتم الرغبة فى الآخرة إلا بالزهد فى الدنيا، ولا يستقيم الزهد فى الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر فى الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، واضمحلالها، ونقصها، وخستها، وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما فى ذلك من الغصص، والأنكاد، وآخر ذلك: الزوال والانقطاع، مع ما يعقب من الحسرة والأسف.

النظر الثانى: النظر فى الآخرة، وإقبالها، ومجيئها ولابد، ودوامها، وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذى بينه وبين ما هاهنا فهى كما قال سبحانه: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى ١٧] فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضى العقل إيثاره، وزهد فيما يقتضى الزهد فيه.

---

(١)،(٢) الفوائد لابن القيم ص (١٧٢، ١٧٣)

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضى بالحياة الدنيا، واطمأن بها، وغفل عن آياته، ولم يرج لقاءه، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يونس: ٧، ٨] وقوله تعالى ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ**﴾ [يونس: ٤٥]

ويكفى فى الزهد فى الدنيا قوله تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧]

أحبتى الكرام.

وقد علم النبى ﷺ الأمة أن الدنيا لا تستحق أن ينشغل العبد بحطامها الزائل، فقال: «**من أصبح منكم آمنًا فى سربه، معافى فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**»(١)

ووضح لهم أن الزهد فى الدنيا من أعظم أسباب صلاح هذه الأمة، فقال: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»(٢) وقال لهم معلمًا إياهم أنهم إذا أرادوا أن ينظروا إلى غيرهم، فليكن نظرهم إلى من هو دونهم، ليعرفوا نعمة الله عليهم، فيشكروها، ولا يكفروها: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظر إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»(٣)

وأخبرهم أن العبد إذا انشغل بالآخرة أتته الدنيا وهى راغمة، وإذا انشغل بالدنيا،

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى وابن ماجة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٠٤٢).

(٢) **حسن**: رواه أحمد فى الزهد والطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٤٥).

(٣) رواه مسلم ورواه الترمذى وابن ماجه وأحمد

خسر الدنيا والآخرة. فقال ﷺ «**من كانت الدنيا همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له**»(١)

وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاه أو عالمًا، أو متعلمًا**»(٢)

فالدنيا وكل ما فيها ملعونة، أي مبعدة عن الله عز وجل، لأنها تشغل عنه، إلا العلم النافع، الدال على الله عز وجل، وعلى معرفته، وطلب قربه ورضاه، وذكر الله وما والاه، مما يقرب من الله، فهذا هو المقصود من الدنيا وقد ذم مولانا من يحبها ومن يؤثرها، فقال: ﴿**كلاَّ بل تُحبون الْعاجلَةَ ۝٢٠ وتذرونَ الآخِرةَ**﴾ [القيامة. ٢٠، ٢١]

وقال جندب بن عبد الله ﷺ حب الدنيا رأس كل خطيئة.

وقال الحسن: من أحب الدنيا وسرته، خرج حب الآخرة من قلبه.

وقال عون بن عبد الله - رحمه الله - الدنيا والآخرة في القلب، ككفتي الميزان بقدر ما ترجح إحداهما، تخف الأخرى.

وقال وهب: إنما الدنيا والآخرة، كرجل له امرأتان: إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى.

وما أعظم تشبيه المصطفى ﷺ للدنيا حين خرج مع أصحابه يومًا فمر بجدي أسك ميت - أي معيب - فتناوله، فأخذ بأذنه، ثم قال لهم: «**أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم**»؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشئ، وما نصنع به؟ ثم قال: أتحبون أنه

---

(١) **حسن**: رواه الطبراني والترمذي وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١).

(٢) **حسن**: حسنه الألباني في الصحيحة (٢٧٩٧) وصحيح سنن ابن ماجة (٤١١٢) وصحيح الترغيب (٧٤).

لكم؟ قالوا: والله، لو كان حيًا كان عيبًا أنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال: **«فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»**(١)

قال رجل لمحمد بن واسع - رحمه الله -: أوصنى، قال: أوصيك أن تكون ملكًا فى الدنيا والآخرة، قال: كيف لى بذلك؟

قال: بالزهد فى الدنيا(٢)

وبكل حال فإن الزهد فى الدنيا شعار أنبيائه وأوليائه وأحبائه. قال الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا، ما طوى لأحدهم فى بيته ثوب قط، وما أمر فى أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض فراشًا قط.

لكن كيف أصبحنا الآن؟!

قال عمرو بن العاص ﷺ منذ أيام عصره: ما أبعد هديكم من هدى نبيكم ﷺ إنه كان أزهد الناس فى الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها.

أحبتى الكرام

ولو أردنا أن نقف مع زهد المصطفى ﷺ وإخوانه من الأنبياء والمرسلين وأصحابه والتابعين ما وسعتنا هذه الصفحات القليلة.

ركب سيدنا سليمان الريح يومًا، فمر بحراث فنظر إليه الحراث، فقال: والله يا ابن داود، لقد أوتيت ملكًا عظيمًا، فحملت الريح كلامه، فألقته فى أذن سليمان عليه السلام، فنزل حتى أتى الحراث، فقال له: إنى سمعت قولك، وإنما مشيت إليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه، لتسبيحة واحدة يقبلها الله عز وجل خير مما أوتى آل داود، لأن ما أوتى ابن داود يفنى والتسبيحة تبقى(٣)

---

(١) **حسن**: رواه ابن أبى الدنيا

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٣٥١) لأبى نعيم.

(٣) الزهد للإمام أحمد ص ٧١

الوصية الثانية : (ازهد فيما عند الناس ، يحبك الناس)

فقد روى الحاكم وغيره من حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «**شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه: استغناؤه عن الناس**»(١)

ورحم الله من قال:

كنْ زاهدًا فيما حوته يد الورى
تضحى إلى كل الأنام حبيبًا
أو ما ترى الخطَّاف حرم زاهدهم
فغدا مقيما فى البيوت ربيبًا

قال الحسن: لا تزال كريما على الناس، أو لا يزال الناس يكرمونك ما لم تعاط - أى تأخذ ما فى أيديهم، فإذا فعلت ذلك، استخفوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك.

وقال أيوب السختيانى - رحمه الله -: لا يبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما فى أيدى الناس، والتجاوز عما يكون منهم

قال أعرابى لأهل البصرة: من سيدكم؟ قالوا الحسن.

قال: بم سادكم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم. فقال: ما أحسن هذا.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول فى خطبته على المنبر إنَّ الطمع فقر وإنّ اليأس غنى.

وقال الحسن الشاذلى - رحمه الله - دخل على بالمغرب بعض الأكابر، فقال لى: ما أرى لك كبير عمل. ففيم فقت الناس وعظموك؟ فقلت: بخصلة واحدة، فقال: ما هى؟ فقلت: بالإعراض عن دنياهم.

---

(١) **حسن**: رواه الطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٨٢٤) وصحيح الجامع برقم (٧٣).

تـورع عــن ســـــــــــؤال الـنــاس طـراً
وسـل ربًا كـــــــريـمـــــا ذاهبـــــات
ودع زهـوات دنـيـــــــــاك الـلـــواتـى
تـراها لا مــــحـــــالـة ذا هبـــــات

وحسبك أن تقرأ قول الله عز وجل فى هذا المعنى:

﴿ولا تمدَّنَّ عينيك إلىٰ ما متَّعنا به أزواجا منهم زهرة الْحياة الدُّنْيا لنفْتنهُمْ فيه ورزْقُ ربِّك خيْرٌ وأبْقى ﴿١٣١﴾ وأْمُرْ أهْلك بالصَّلاة واصْطبرْ عليْها لا نسْألُك رزْقًا نَّحْنُ نرْزُقُك والْعاقبةُ للتَّقْوىٰ..﴾ [طه: ١٣١ - ١٣٢]

إن من سأل الناس ما فى أيديهم، كرهوه وأبغضوه، لأنهم مجبولون على حب المال ﴿وتُحبُّون الْمال حُبًّا جمًّا﴾ [الفجر ٢] فمن طلب منهم ما يحبونه، كرهوه لذلك قال سليمـان بن عبد الملك لأبى حازم - وقد كان من العلمـاء العاملين - بعد أن استمع إلى مواعظه، وتأثر بها: يا أبا حازم، أقم عندنا، فنصيب منك - أى العلم - قال: أخاف أن أركن إلى الذين ظلموا، فتمسنى النار

قال سليمان: خذ هذا المال

قال أبو حازم: مالى خير من مالكم.

قال سليمان: وما مالك؟ قال: الثـقة بالله، والاعتماد على الله، والرضا بما عند الله.

وقال ابن عباد الصيرفى البغدادى: بينما أنا نائم، إذ قيل لى فى المنام: يا عباد، قم فأغث الملهوف. فقلت: وأين هو؟ فقيل لى أركب دابتك. فهو حيثما وقفت.

قال: فـانتبـهت من نومى، وركبت دابتـى، وجعلت أتـخلل أزقة بغـداد حتى انتهـيت إلى مسـجد، فـوقفت الدابة، ونزلت عنهـا، ودخلت المسجـد، فإذا برجل مسـتقبل القبلة، فسلمت عليه، وقلت له: مـا قضيتك؟ فقـال: إنى رجل ذو عيال، ولم يكن عندى الليلة شىء، فجلست هاهنا، وطلبت من الله عز وجل الفرج. قال:

فأعطيته مائة دينار، وقلت له أنا ابن عباد الصيرفى، فإذا احتجت إلى شىء فائتنى، فقال لـه: سبحان الله! أتريدنى أن أترك الذى أقـامك من فراشك، وأتى بك إلىَّ فى ظلمة الليل، وأذهب إلى غيره؟ فودعته وانصرف.

وسمع أحد الأدباء رجلاً فى الثلث الأخير من الليل يقول:

أكـــــرم نفـــــسى إننـى إن أهنتـــــهـــــا
وحـــــقك لـم تكرم عـلىَّ أحـــد بعـــــدى

فأعجـبه قوله، فأتاه حـتى وقف على رأسه، فإذا به يقُم الشارع - (زبـال) ليبيع القمامة، ويمون نفسه وعيانه بثـمنها فقال له أنت تقوں: أكرم نفسى، فأى إكرام أنت فيه مع مـا تصنع من جمع القمامة؟ فـقال له إليك عنى. لقد أكرمتـها بهذه الحرفة عں ذل السؤال لمثلك

فقال له: صدقت، وقبّله بين عينيه

وما أحسن قول القائں فى وصف الدنيا وأهىها

ومــا هــى إلا جــيــفـــة مــســـتــحــيلة
عليـــهــا كـــلاب همـــهــن اجــتــذابهـــا
فـــإن تجنبــــهـــا كنـت سلمـــا لأهـلهـــا
وإن تجـــتــــذبهـــا نازعــــتـك كـــلابهـــا

اللهمَّ أنت ملاذنا إن ضـاقت الحيل، وملجـؤںا إذا انقطع الأمل. اللهم دلنا بك عىيك، وارحم ذلنا بين يديك، واجعل رغـبتں فيمـا لديك، ولا تحرمنا بذنوبنا، ولا تطردنا بعيوبنا

إلهى. إن حـاسبـتنا بفـضلك نلنا رضـوانك، وإن حـاسبـتنا بعـدلك لم ننل غفـرانكِ. إن كانت رحمـتك للمحـسنين، فإلى أين تذهب آمال المذنـبين. اللهمَّ جللنا بسترك، واعف عنا بكرمك، واغفر لنا ذنوبنا يا رب العالمين.

الوصية رقم (٤٤)
أهوال يوم القيامة

عن ابن عمـر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**من سره أن يـنظر إلى يوم القيـامة، كـأنه رأى العيـن، فليقـرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ..﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾**»[1] [الانشقاق: ١]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

يوم القيـامة. يا له من يوم ما أطوله! ويا له من يوم مـا أفظعه؟! الشمس فـيه كورت - أى ذهب ضـوؤها - والنجوم فـيه قد انكدرت، والكواكـب قد تناثرت. والجبال سيرت. والعشار عطلت. والوحوش حشرت والبحار سجرت. والنفوس زوجت. والموءودة سئلت بأى ذنب قتلت؟ والصحف نشرت. والسماء كشطت. والجحيم سعرت. والجنة أزلفت يومها ﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ**﴾ [التكوير: ١٤].

ساعتها. ﴿**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ**﴾ [الانفطار: ٥].

إنه يوم ترى الأرض قد زلزلت فيـه زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالهـا. يومئذ تحدث أخـبارها. يومئـذ وقعت الواقعـة. وانشقت السمـاء فهى يومئـذ واهية. والملك على أرجائها، ويحمل عـرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية. يومـئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية.

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى الصحيحة برقم (١٠٨١) وصحيح سنن الترمذى (٣٣٣٣).

يوم ترج فيه الأرض رجا وتبس فيه الجبال بسًّا. فكانت هباءً منبثًّا يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهار. يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه. يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

يوم ترى الجبال تحسبها جامدة، وهى تمر مر السحاب

يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدًا بعيدًا

يوم يرد فيه الجاحدون إلى أشد العذاب. يوم يعض الظالم على يديه يوم عصيب. يوم الحسرة والندامة

مـــــثل لـقلـبك أيهـــــا المغـــــرور
يوم الـقــــيـــامــــة والســـمـــاء تمور
قــد كـورت شــمس النـهـار وضــاعــفت
حــــرًا على رؤوس العـــبـــاد تـفـــور
وإذا الجــــبـــال تـعلقـت بأصــــولـهـــا
فــرأيـتـهــا مــثل الســحــاب تســيــر
وإذا الـنجـــــوم تســـــاقـطت وتـناثـرت
وتبـــدلت بـعـــد الضـــيـــاء كـــدور
وإذا العــــشـــــار تعـطلـت عن أهلـهـــا
خلـت الديار فــمــا بهـــا مــعـــمـــور
وإذا الوحــوش لدى القــيـامــة أحـضـرت
وتقــــول لـلأمـــــلاك أين نـســـيّـــر
فــيقـــال ســيــروا تشــهـدون فــضــائحًــا
وعـــجــائبًـــا قــد أحـــضــرت وأمـــور

وإذا الجنين بأمه متعلق
خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله
كيف المقيم على الذنوب دهور(١)

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، القاهر سلطانه القريب أوانه. ﴿ **اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

لهذا كان رسولنا وحبيبنا ﷺ أشد الناس خوفًا من هول يوم القيامة فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ**» فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبى ﷺ فقال لهم: «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»(٢)

رسول الله ﷺ وهو سيد الأولين والآخرين، وحبيب رب العالمين يقول: كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم قرنه، فماذا نقول نحن الغافلون؟! ماذا نقول نحن المتكاسلون؟ ماذا نقول نحن العاصون المذنبون؟ بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

القرن هو الصور. فقد سأل أعرابى أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ عن الصور ما هو؟ قال: «**قرنٌ ينفخ فيه**»(٣) هذا الصور خلق عظيم مثل البوق، خلقه رب العزة والجلال، ووكل به ملكًا من أعظم الملائكة الكرام، وهو إسرافيل عليه السلام، وسوف ينفخ فيه نفختين: الأولى: وهى التى يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله والثانية: للبعث والإحياء

---

(١) التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة للإمام القرطبى
(٢) **صحيح**: رواه الترمذى وابن حبان وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٠٧٩) وصحيح الترغيب (٣٥٦٩)
(٣) **صحيح**: رواه أحمد أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٨٦٣) وصحيح الترغيب (٣٥٦٨)

قال تعالى عن النفخة الأولى: ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ..** ﴾ [الحاقة ١٣ - ١٧]

وقال تعالى عن النفخة الثانية: ﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا..** ﴾ [النبأ: ١٧، ١٨]

فإذا أراد رب العزة والجلال أن يفنى هذه الحياة الدنيوية، يأمر إسرافيل عليه السلام بالنفخ فى الصور، فيصاب الناس بالفزع والرعب، لأن هذه النفخة تحدث فى هذا الكون انقلابًا هائلاً ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٨].

بالنفخة الأولى تتبدل الأمور وتتغير، تنشق السماء، وتتناثر الكواكب، وتسير الجبال سيرًا، وتدك الأرض دكًا، وتجمع الشمس والقمر، فيكوران وتتأجج البحار بالنيران ﴿ **فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ** ﴾ [القيامة: ٧ - ١٢] لماذا يحدث كل هذا؟ لكى ﴿ **يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ..** ﴾ [القيامة ١٣]

وهذه النفخة تكون والناس فى الأسواق، قد بسط الرجلان الثوب بينهما يتبايعانه، فلا يتبايعانه، ومنهم من يكون قد رفع اللقمة إلى فمه فلا تصل. ويكون بعضهم قد حلب لبن ناقته، فلا يقدر الله له أن يشربه.

ولا تكاد تنتهى النفخة الأولى حتى يخر الناس أجمعون ميتين دفعة واحدة، فيسأل مالك الملك، وملك الملوك: يا دنيا، أين أشجارك؟ أين أنهارك، أين قصورك؟ أين الملوك، وأبناء الملوك؟ ﴿ **لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ** ﴾ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ فلم يجبه أحد، بل يجيب نفسه بنفسه قائلاً: ﴿ **الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [الغافر: ١٦، ١٧].

يقول سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين ﷺ: «**يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟!**»[(١)]

ويظل الخلق كذلك أربعين سنة، حتى يأمر الملك إسرافيل بالنفخ فى الصور مرة ثانية، فينادى: أيتها العظام النخرة. أيتها اللحوم المتناثرة قومى لفصل القضاء بين الواحد الديان.

لكن ما الدليل على أن المدة أربعون سنة بين النفختين؟ يقول النبى الأمين، وقائد الغر المحجلين ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**»[(٢)] فإذا نفخ إسرافيل فى الصور، فإن الأرواح تتطاير من مستودعها وما مستودعها؟ إن لأرواح المؤمنين مستودعًا، وأرواح الكافرين مستودعًا فمستودع أرواح المؤمنين. أعلى عليين، ومستودع أرواح الكافرين: أسفل سافلين فى سجين وقتها تدخل كل روح جسدها، دون أن تخطئه أبدًا. وفى ذلك يقول البلاغ القرآنى العظيم. ﴿**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**﴾ [ق: ٤١ - ٤٤] يوم تشقق الأرض عنهم سراعًا. وأول من تنشق عنه الأرض، هو حبيبنا وشفيعنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور سيدنا محمد ﷺ فهو القائل عن نفسه: «**وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر**»[(٣)]

تنشق الأرض، فيخرجون من القبور حفاة عراة، غرلاً بهمًا، كما ولدتهم أمهاتهم ليس عليهم كساء. ليس عليهم ثياب. ليس عليهم درع أو قميص. عراة لا

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

(٢) رواه البخارى ومسلم ورواه أبو داود والنسائى ومالك.

(٣) **صحيح لغيره:** صححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٥٤٣) وصحيح الترمذى (٣٦١٥).

شيء يسترهم. مما جعل السيدة عائشة ﵂ تسأل المعلم الأعظم، والأستاذ الأكبر، رسول رب العالمين ﷺ، فتقول له. والرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض يا رسول الله؟

فقال ﷺ «**الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**»(١)

فما يكون الحال إذا خرج الناس من قبورهم حفاة عراة. الناس يومها فريقان: أهل الإيمان، وأهل الكفر والطغيان. أهل الطغيان يتساءلون: ﴿**مَنْ بعثنا من مَّرْقَدِنَا**﴾ [يس ٥٢] فيجيب أهل الإيمان ﴿**هذَا ما وعد الرَّحْمَنُ وصدق الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢] ساعتها يساق المؤمنون. ويساق الكافرون. إلى أين؟ إنهم يساقون من الملائكة. أهل الإيمان ﴿**وسيق الَّذين اتَّقوْا ربَّهُمْ إِلَى الْجَنَّة زُمَرًا..**﴾ [الزمر ٧٣] أما الكافرون: ﴿**وسيق الَّذين كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّم زُمرًا..**﴾ [الزمر: ٧١] ﴿**ونسُوقُ الْمُجرمين إِلَىٰ جَهَنَّم وِرْدًا**﴾ [مريم: ٨٦] ﴿**ونحْشُرهُمْ يوْمَ الْقِيَامَة عَلَىٰ وُجُوههِمْ عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا**﴾ [الإسراء: ٩٧] أصحاب الرسول الأعظم ﷺ يتساءلون، فيقولون: يا رسول الله، كيف يمشون على وجوههم؟ قال الرسول المصطفى ﷺ: «**أليس الذى أمشاهم على أرجلهم فى الدنيا بقادر على أن يمشيهم على وجوههم يوم القيامة؟**»(٢)

وفى الصحيحين من حديث أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**يحشر الكافر يوم القيام على وجهه**»

قيل: كيف يحشر على وجهه يا رسول الله؟

قال: «**أوليس الذى أمشاه فى الدنيا على قدميه، قادرٌ على أن يمشيه يوم القيامة على وجهه**» قال قتادة: بلى وعزة ربنا إنه لقادر(٣)

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن مجه

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٨٧).

(٣) رواه البخارى (٤٧٦) ومسلم وأحمد فى مسنده.

سبحان الله. يحشر الناس بهذه المناظر التى تنخلع لها القلوب، وترتجف من هولها الأفئدة، كلٌّ على حسب عمله، كما فى الحديث الذى رواه مسلم من حديث ابن مسعود ﷺ **«يبعث كل عبد على ما مات عليه»**(١) فإذا عشت على الطاعة، مت عليها. وإذا عشت على التوحيد ومت عليه بعثت بخير حال يوم القيامة.

لكن إذا عشت - والعياذ بالله على معصية الله، مت عليها، وبعثت يوم القيامة فى نفس الهيئة التى كنت عليها قبل حلول الموت بك.

فترى صنفًا يبعث ملبيًا كما مات، وآخر وهو ساجد، وثالثًا مات وهو يسرق دجاجة أو شاة، فيبعث يوم القيامة وهو يحمل الشاة على كتفه، وآخر سرق سيارة، وآخر سرق جملاً ﴿ **وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..** ﴾ [آل عمران: ١٦١] وتبعث امرأة وهى تلطم خدها، وأخرى وهى تشق جيبها، وصنفًا آخر يبعث وينطلق إلى أرض المحشر، والنور يشرق من وجهه، ومن بين يديه، وعن يمينه نسأل الله أن يجعلنا منهم ﴿ **يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التحريم. ٨]

قال ابن مسعود ﷺ منهم من يكون نوره كالجبل، ومنهم من يكون نورة كالنخلة، ومنهم من يكون نوره كالرجل القائم، ومنهم من يكون نوره على إبهامه، يوقد مرة، وينطفى مرة، ومنهم من تحيط به الظلمة من كل ناحية، قال سبحانه: ﴿ **يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ ..** ﴾ [الحديد. ١٣، ١٤] أى ينادى أهل الظلمات أهل الأنوار: ﴿ **أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ..** ﴾ أى فى الدنيا. نشهد معكم الجماعات والجمعات؟ ﴿ **قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ ..** ﴾ [الحديد: ١٤] أى بأهل التوحيد والإيمان والسنة ﴿ **وَارْتَبْتُمْ ..** ﴾ أى تشككتم فى وعد الله، ووعد رسوله. ﴿ **وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ..** ﴾ [الحديد: ١٥] إنها

(١) رواه مسلم وأحمد وابن حبان فى صحيحه (٧٣١٩)

أهوال. إنهـا مشـاهد تنخلع لهـا القلوب. وترتجف لهـا الأبدان والأفئـدة ويصل الخلائق جـميعـا إلى أرض المحشر لكـن كيف تكون أرض المحشـر؟ إنها أرض بيضـاء عفراء - أى شديدة البـياض نقية - كـما قال أستـاذنا ومعلمنا ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقى، ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد**»[1]

ومعنى (كقـرصة نقى) أى مثل الدقيق الأبيض، الذى خـلا من النخالة. فليس فيهـا شوارع، ولا علامات، ولا لافـتات، ولا طرق. وفى هذا الوقت الرهيب. يعرض الخلائق للحسـاب، ويبدأ العرض بتطاير الصحف ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا**﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]

مـــثـل وقـــوفك يوم الـعـــرض عـــريـانًا
مـستـوحـشًـا قلق الأحـشـاء حـيــرانا
اقــرأ كــتــابـك يا عــبـدى على مــهل
فــهل تجـد فــيــه حـرفًـا غــيـر مـا كــانا
ولمـا قـــــرأت ولـم تـنـكـر قـــــراءتـه
وأقـررت إقـرار من عـرف الأشـيـاء عـرفـانا
نـادى الجلـيل خــــذوه يـا مـــــلائـكـتـى
وامــضــوا بعــبـد عـصى للنـار عطشـانا
المشــركـون غـــدًا فى النار يلـتــهــبـوا
والمـوحــــــدون بـدار الخـلـد سـكـانـا

فإن كنت من أهل السعـادة - نسأل الله أن يجعلنا من السعداء - أخـذت كتابك بيمينك. فتكون أجـمل لحظة ستمر عليك فى حياتك الفانيـة والباقية. ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾ [الحاقة: ١٩، ٢]

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابن حبان

اقـرءوا معى: هذا توحـيدى، وهذه صـلاتى، هذه عـبادتى، هذه زكـاتى وهذا صيامى، وهذا حجى وعمرتى، وهذا برى بوالدى، وهذه صدقتى، وهذا عطفى على اليتامى والمســاكين، ويرى عمله الطيب، فما جزاؤه؟ ومـا مصيره؟ ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٢١ - ٢٤]

وأما إن كـانت الأخرى - والعـياذ بالله - فكيف يكـون حاله؟ ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ**﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٣٢].

فاستـعد يا مسكين لهذا اليوم الشـديد. الذى يلقى الرجل فيه زوجته، فـيقول لها: يا هذه، أى بعل كنت لك؟

فتقول: نعم البعل كنت، وتثنى عليه بخير ما استطاعت.

فيقـول لها: فإنى أطلب إليك اليوم حسنة واحدة يعود على خيـرها اليوم لعلى أنجو بها مما ترين.

فتـقول له: مـا أيسر ما تطلب، ولـكن لا أطيق، إننى أشكو مما تشكو منه الآن ويلقى الرجل ابنه، فيقـول له: يا بنى، أى والد كنت لك؟ فيثنى بخير فـيقول له: يا بنى، إنى أحتاج إلى حسنة يعود علىَّ خيرها اليوم.

فيقول: يا أبتاه، إننى أشكو مما تشكو منه الآن

والأم تقول: يا بنى، أو ما تعـرفنى؟! فيقول لها أنت أمى، ويثنى بخيـر فتقول له: يا بنى، لقـد كـان بطنى لك وعـاء، وثديى لك سـقاء، وحـجـرى لك غطاء، فأعطنى حسنة يعود علىَّ خيرها اليوم.

فيـقول لها: يا أماه، إننى أشـكو مما تشتكين مـنه الآن نفسى نفـسى. وصدق مولانا إذ يقول: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ..**﴾ [عبس ٣٤ - ٣٧].

اللهمَّ زين ألسنتنا بالصدق والعلم والحكمة، وأسماعنا بالتصديق والوعي وأنفسنا بالطمأنينة والعبودية، وقلوبنا بالسكينة والإيمان، وأرواحنا بالقرب والمشاهدة، وأرواحنا بالتحقيق والسيادة، وكن لنا سمعًا وبصراً ومؤيداً يا سميع يا بصير يا قريب يا مجيب، اسلك بنا طريق السنة وجنبنا طريق البدعة، وفقهنا في الفهم عنك، وحسن الاعتقاد فى الإيمان بأسمائك وصفاتك. وأرنا الحق حقًّا وأرزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واغفر لنا يا رب العالمين.

الوصية رقم (٤٥)

* احرص على ما ينفعك *

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن القوى خير وأحب إلى الله منُ المؤمن الضعيف، وفى كل خير، احرص على ما ينفعكَ، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شئ، فلا تقل: لو أنى فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

فى هذا القبس النورانى المبارك أسطول بلاغى عظيم، ففيه ثلاثة أخبار، وفيه ثلاثة أوامر، ونهيان.

فالجمل الخبرية (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

الثانية: (وفى كل خير).

الثالثة: (فإن لو تفتح عمل الشيطان)

وأما الأوامر (احرص على ما ينفعك)، والثانى (استعن بالله) والثالث: (قل: قدر الله، وما شاء فعل).

وأما النهيان: (ولا تعجز)، والثانى: (فلا تقل لو أنى فعلت كذا)

فرسول الله ﷺ يوازن هنا فى هذه الوصية بين نوعين من المؤمنين كلاهما مؤمن، لكنِ أحدهما قوى، والآخر ضعيف. فالقوى أحب إلى الله عز وجل، لأن الله يحب الأقوياء، ولا يحب الضعفاء الأذلاء

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم.

يحب للمؤمن أن يكون قويًا عزيزًا　يحبه عزيز النفس، مرفوع الرأس، محافظًا على كرامته.

يحبه قويًا فى عزيمته، قويًا فى إرادته، لا يتردد تردد الضعفاء، وَلا يتخاذل تخاذل الجبناء، إذا أراد شيئًا من الخير عمل على تنفيذه، لا يقعده ولا يثبطه عن عزيمته وعيد، ولا يقعد به شح هالع، ولا جبن ضالع يظن بعض الناس أن المراد بالقوة هنا هى قوة الإيمان، ولكن ليس هذا هو المراد.

يقول الإمام النووى　رحمه الله - فى شرحه لهذا الحديث:

المراد بالقوة هنا　عزيمة النفس، والقريحة فى أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو فى الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا فى طلبه، وأشد عزيمة فى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والصبر على الأذى فى كل ذلك، واحتمال المشاق فى ذات الله، وأرغب فى الصلاة والصوم، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظة عليها، ونحو ذلك[(١)]

ثم قال: **(وفى كل خير)** فى المؤمن القوى خير، وفى المؤمن الضعيف لماذا؟ لأن كليهما مؤمن.　ويشترك فى صفة الإيمان.

لكن القوى يحبه مولاه ويفضله عن الآخر، لأنه قوىٌّ فى شخصيته. . قوى فى إرادته.　قوى فى تفكيره، قوى فى تصرفاته.　وكلها مطلوبة من المسلم، لأن الإسلام دين القوة.　دين العزة.　دين الكرامة.　فهو يريد لأبنائه أن يكونوا دائمًا أقوياء.

ثم يوجه النبى ﷺ إلى أسباب القوة ومظاهرها، لنأخذ بها، فقال: «**احرص على ما ينفعك**..» إذا أردت أن تكون مؤمنًا قويًا، فاحرص على ما ينفعك احرص على طاعة الله تعالى، والرغبة فيما عنده.　احرص على كل ما ينفعك فى دينك، وفى دنياك احرص على ما ينفع أمتك　احرص عليه، وأعمل من أجله، واسع فى طلبه.　واشدد يديك عليه.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى (٩/ ١٩).

وقد قسم العلماء الأمور النافعة إلى قسمين:

أمور دينية، وأمور دنيوية

والعبد محتاج إلى الأمور الدنيوية، كما أنه محتاج إلى الأمور الدينية، فمدار سعادته وتوفيقه على الحرص والاجتهاد فى الأمور النافعة. مع الاستعانة بالله تعالى، فمتى حرص العبد على الأمور النافعة، واجتهد فيها، وسلك أسبابها وطرقها، واستعان بربه فى حصولها وتكميلها، كان ذلك كماله، وعنوان فلاحه ومتى فاته واحد من هذه الأمور الثلاثة، فاته من الخير بحسبها

فمن لم يكن حريصا على الأمور النافعة، بل كان كسلانًا، لم يدرك شيئًا فالكسل هو أصل الخيبة والفشل. فالكسلان لا يدرك خيرًا، ولا ينال مكرمة، ولا يحظى بدين ولا دنيا

ثم إن العبد إذا سلك الطرق النافعة، وحرص عليها، واجتهد فيها، لم تتم له إلا بصدق اللجوء إلى الله عز وجل، والاستعانة به على إدراكها وتكميلها وأن لا يتكل على نفسه وحوله وقوته، بل يكون اعتماده التام بباطنه، وظاهره على ربه ومولاه. فبذلك تهون عليه المصاعب، وتتيسر له الأحوال وتتم له النتائج والثمرات الطيبة فى أمر الدين الدنيا، ولكنه فى هذه الأحوال محتاج، بل مضطر غاية الاضطرار إلى معرفة الأمور، التى ينبغى الحرص عليها والجد فى طلبها.

والأمور النافعة فى الدين، ترجع إلى أمرين: علم نافع، وعمل صالح أما العلم النافع، فهو العلم المزكى للقلوب والأرواح، المثمر لسعادة الدارين.

وأما الثانى، وهو العمل الصالح هو الذى جمع الإخلاص لله عز وجل، ومتابعة الرسول ﷺ، وهو التقرب إلى الله عز وجل، باعتقاد ما يجب لله من صفات الكمال، وما يستحقه على عباده من العبودية، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله، وتصديقه، وتصديق رسوله. ثم يسعى فى أداء ما فرضه الله على عباده، ويكمل ذلك بالنوافل، ففى الحديث القدسى الجليل: «**وما تقرب إلى عبدى بشىء أفضل مما افترضته عليه، ومازال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه**

الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به ورجله التى يمشى عليها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استغفرنى، غفرت له»[١] وكذلك يتقرب إلى الله عز وجل بترك المحرمات، وخصوصًا التى تدعو إليها النفس، وتميل إليها، كما يتقرب إليه بفعل المأمورات.

فمتى وفق العبد بسلوك هذا الطريق فى العمل، واستعان بالله على ذلك، أفلح ونجح، وكان كماله بحسب ما قام به من هذه الأمور.

وأما الأمور النافعة فى الدنيا، فالعبد لابد له من طلب الرزق، فينبغى أن يسلك أنفع الأسباب الدنيوية، اللائقة بحاله[٢]

أحبتى فى الله.

ولقد كان الرعيل الأول من سلف هذه الأمة - رضوان الله عليهم - يحرصون كل الحرص على ما ينفعهم فى الدنيا من الطاعات التى تقربهم إلى الله عز وجل، ولذلك كانوا فى شغل دائم بالسؤال عن أقرب الطرق التى تؤدى بهم إلى رضوان الله عز وجل، والجنة.

فقد سألوه يومًا عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال ﷺ: «**أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق**»[٣]

فهذان بابان من أبواب الخير لمن يحرص عليهما.

وهذا أعرابى يأتى إلى رسول الله ﷺ ليسأله عما ينفعه، ليحرص على فعله، فيقول: يا رسول الله، دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة. فيقول له النبى ﷺ: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى.

(٢) من كتاب بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخبار فى شرح جوامع الأخبار للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى - رحمه الله تعالى - بتصرف واختصار.

(٣) **حسن**: رواه الترمذى وابن ماجة وحسنه الألبانى فى الصحيحة برقم (٩٧٧).

فقـال الأعرابى: والذى نفسى بيده، لا أزيـد على هذا، ولا أنقص. فلما ولى قال النبى ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**»(١)

وهذا رجل آخر حـريص على الأعمال النافعـة، يأتى إلى رسول الله ﷺ يسأل عنها، فيـقول له: دلنى على عمل أعمله يدنينى من الجنة، ويبـاعدنى من النار؟ قال له: «**تعبـد الله، ولا تشرك به شيئًـا، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكـاة، وتصل ذا رحمك**» فلما أدبر قـال النبى ﷺ: «**إن تمسك بما أمـر به، دخل الجنة**»(٢) وهذا هو الصـحابى الجليل أبو برزة الأسلمى رضي الله عنه يقول: قلت يا رسـول الله، دلنى على عمل يدخلنى الجنة، أو أنتفع به، قال: «**اعزل الأذى عن طريق المسلمين**»(٣)

وهذا رجل آخر حـريص على العمل النافع، يـسأل النبى ﷺ فيقـول يا رسول الله، دلنى على عمل أدخل به الجنة. فقال: «**عليك بالصوم، فإنه لا مثل له**»(٤)

وهذا أبو شريح رضي الله عنه يقول: يا رسول الله، أخـبرنى بشئ يوجب لى الجنة. قال له الحبيب ﷺ: «**طيب الكلام، وبذل السلام، وإطعـام الطعام**»(٥) وفى رواية جيدة للطبرانى، قال: قلت: يا رسـول الله، دلنى على عمل يدخلنى الجنة. قال: «**إنَّ من موجـبات المغفرة: بذل السـلام، وحسن الكلام**» وهذا سهل بن سعـد الساعدى رضي الله عنه قال: جـاء رجل إلى النبى ﷺ فقـال يا رسول الله، دلنى علـى عمل إذا عمـلته، أحبنى الله، وأحبنـى الناس؟ فقال له: «**ازهد فى الدنيا يـحبك الله، وازهد فيـما عند الناس يحبك الناس**»(٦)

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأحمد.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم.

(٣) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده (١٩٦٥٦) وذكره الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٢ ١).

(٤) **صحيح**: صححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٨٦)

(٥) **صحيح**: رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٦٩٩).

(٦) **حسن**: رواه ابن ماجة وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣٢١٣).

وهذا الحرص على الأعمال النافعة التى تجلب السعادة الأبدية، معلمهم إياها هو قدوتنا وأستاذنا وعظيمنا وقائدنا محمد ﷺ فقد كان حريصًا على أن يعلم أمته الخير كله. فما من خير إلا ودلـنا عليه وأمرنا به، وما من شر إلا حذرنا منه، ونهانا عنه. صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله. فقد سأل ربه، واستعان به على ما ينفع أمته فى الدنيا، فقال ﷺ «**سألت الله عز وجل لأمتى ثلاثًا، فأعطانى اثنتين، ورد على واحدة: سألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم، فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم غرقًا فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردها علىَّ**»[1] هذه فى الدنيا أما فى الآخرة، فيقول. «**سألت الله عز وجل الشفاعة لأمتى، فقال لى. لك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، فقلت: يا رب، زدنى، فقال: فإن لك هكذا، فحثا بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله**»[2]

ومن شدة حرصه على إعطاء الله عز وجل له ما ينفعه وينفع أمته، قال: «**سألت ربى مسألة، وددت أنى لم أسأله، قلت: يا رب، كانت قبلى رسل، منهم من سخرت له الرياح، ومنهم من كان يحيى الموتى، وكلمت موسى عليه السلام. فقال: ألم أجدك يتيمًا فآويتك؟ ألم أجدك ضالاً فهديتك؟ ألم أجدك عائلاً فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك؟ ووضعت عنك وزرك؟ فقلت: بلى يارب..**»[3]

كل هذا على أن طلب الحرص على ما ينفع، دليل على صدق النية، وقوة العزيمة وسلامة الطبع، واعتدال المزاج، وغزارة الفهم، لأن كل عاقل سوى يجتهد فى جلب الخير لنفسه، ودفع الضر عنها

فينبغى على العبد المسلم أن يحرص غاية الحرص على كسب ما ينفعه من الأقوال والأعمال، والرزق الحلال.

واعلم أنه لا يهمل مصلحته إلا غافل بليد، ولا يفرط فى مكاسبه إلا أبله

---

(١) **صحيح**: السلسلة الصحيحة (١٧٢٤)

(٢) **صحيح**: الصحيحة (١٨٧٩)

(٣) السلسلة الصحيحة (٢٥٣٨).

رعديد. وحرص العبد على ما ينفعه أول أبواب الفضائل، لأنه من عمل النية، ثم يتبعه الحركة الراشدة، والتوثب الصادق، واليقظة التامة، فيسعى جاهدًا فى إصلاح نيته، وإحسان عمله.

إن حرص العبد على ما ينفعه واجب شرعى، وضرورة عقلية، وسباق لكل عمل نبيل.

ثم يوصينا رسول الله ﷺ بوصية عظيمة مباركة يقول فيها:

* استعن بالله ولا تعجز *

والاستعانة بالله هى طلب العون منه وحده. ولذلك أوصى النبى ﷺ الأمة المحمدية فى شخص عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..**» وهذا منتزع من قوله سبحانه: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]

أى لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة لله عز وجل، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥] فالأول تبرؤ من الشرك، والثانى تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله عز وجل.

الاستعانة لا تكون بنبى ولا بولى، وإنما تكون به وحده دون غيره من الخلق لأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل. فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول. وهذا تحقيق معنى قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) فمعناها: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله عز وجل.

ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكله الله عز وجل إلى من استعان به مضار مخذولاً

كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز - رحمهما الله -: لا تستعن بغير الله، فيكلك الله إليه.

ومن كلام بعض السلف: يارب، عجبت لمن يعرفك، كيف يرجو غَيرك، وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك؟!

فينبغى على المؤمن أن يستعين بربه ومولاه على مهمات الأمور، وعلى ملمات الحياة. يستعين بربه ولا يعجز ولا يعمل عمل العاجزين، ولا يقف موقف العاجزين، الذين يحيلون كل أمر على المقادير يقول: ربنا أراد كذا وكذا. ربنا قدر كذا. ويتواكل ولا يفعل ما فى وسعه

لا تقل: حسبى الله ونعم الوكيل قولة العاجز، ولكن قلها عندما تنفد أمامك الحيل، وتستنفد كل الوسائل. ولهذا قال الأقدمون: من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير

وقال الشاعر الإسلامى (محمد إقبال): المؤمن الضعيف هو الذى يحتج بقضاء الله وقدره، وأما المؤمن القوى فهو الذى يعتقد أنَّ قضاء الله الذى لا يُرد، وقدره الذى لا يدفع، يعتقد أنه هو قدر الله

وقال أحد قواد الفرس لأحد المسلمين يومًا: من أنتم؟ فقال له: نحن قدر الله ابتلاكم الله بنا، فلو كنتم فى سحابة، لهبطتم إلينا، أو لصعدنا إليكم، نحن قدر الله. هكذا يعتقد المؤمن.

* لا تتحسر ولا تندم على ما فات *

ثم يوصيك أستاذ البشرية ﷺ بأن لا تتحسر ولاتندم على مافات بـ (لو) و(ليت) فيقول:

«ولا تقل: لو أنى فعلت كذا، لكان كذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو، تفتح عمل الشيطان»

لا تعش متحسراً على ما فات، فإن هذا لا يجدى. بعض الناس إذا نزلت به نازلة، أو حلت به مصيبة من مصائب الدهر، يظل يذكرها، ويستعيد آلامها متحسراً متندمًا، شعاره (ليتنى فعلت كذا، وليتنى تركت كذا لو أنى فعلت كذا، لكان كذا، وقديمًا قال الشاعر

ليت شعرى وأين منى (ليت)
إن (ليتًا) وإن (لوًا) عناء

ولهذا ينصح الأطباء النفسيون، أن ينسى الإنسان آلام أمسه، فيعيش فى واقع يومه، فإن الماضى بعد ان مضى لا يعود.

ما مضى فات والمؤمل غيب
ولك الساعة التى أنت فيها

لا تندم على ما فات. لكن اجعل ندمك على عمل الذنوب. أندم على ذنوبك، فإن الندم على الذنوب توبة. لا تتحسر على ما فاتك من الدنيا، لكن تحسر على ما فاتك من الأعمال الصالحات.

قال سبحانه ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ..** ﴾ [الحديد ١٦]

المؤمن الحق يرضى بما قدره الله عز وجل لأنه يوقن أن قدر الله نازل لا محالة. فلا مجال للسخط، ولا مجال للضيق والتبرم ورب العزة والجلال يقول: ﴿ **ما أَصاب من مصيبة فى الأَرضِ ولا فى أَنفسكم إلاَّ فى كتاب من قَبْلِ أَن نَبْرَأَها إِنَّ ذلك عَلَى اللَّه يسيرٌ (٢٢) لكَيْلا تَأْسوْا عَلَى ما فاتكُمْ ولا تَفْرحُوا بمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يحبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فى غزوة أحد، تلك الغزوة التى قتل فيها سبعون من خيار أصحاب الرسول الأمين ﷺ نعى القرآن على طائفة من المنافقين، ومرضى القلوب وضعاف الإيمان، الذين عاشوا بين [لو] المتندمة، و[ليت] المتحسرة فيقول: ﴿ **وطائفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُم**

أَنفُسُهُمْ يظُنُّون باللَّه غَيْرَ الْحق ظَنَّ الْجاهليَّة يقُولُون هل لَّنَا من الأَمْرِ من شيْءٍ قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للَّه يُخْفُون في أَنفُسهم مَّا لا يُبْدُون لَك يَقُولُون لَوْ كانَ لَنا من الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتلْنَا ها هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ في بُيُوتكُمْ لَبرز الَّذين كُتب عليهمُ الْقَتْلُ إلَى مضَاجعهمْ ولَيبْتَلي اللَّهُ ما في صُدُورِكُمْ وليُمحص ما في قُلُوبكُم واللَّهُ عليم بذات الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ويرد على أولئك الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا: ﴿ **لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتلوا قُلْ فَادْرَءُوا عنْ أَنفُسكُمُ الْموت إن كُنتُمْ صادقين** ﴾ [آل عمران: ١٦٨]

المؤمن لا يقف موقف هؤلاء المنافقين، ولا موقف الكفار، الذين نهى القرآن عن التشبه بهم في تحسراتهم الأسيفة، وتمنياتهم الحزينة حين قال مناديًا ومخاطبًا: ﴿ **يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كالَّذين كفروا وَقَالُوا لإخْوَانهم إذَا ضَرَبُوا في الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كانُوا عندنا ما ماتوا وما قُتلُوا ليجْعَلَ اللَّهُ ذَلك حسْرَةً في قُلُوبهِمْ وَاللَّهُ يحيِي ويُميتُ وَاللَّهُ بما تَعْمَلُون بصيرٌ..** ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

ودائمًا شعار أهل الإيمان: «قدر الله وما شاء فعل» الحمد لله على كل حال، وبهذا لا يأس على ما فات.

أحبتى فى الله.

من تفكر فى قصر العمر المعمول فيه، وفكر فى امتداد زمان الجزاء، الذى لا نهاية له، اختطف اللحظة والدقيقة من عمره وانتهبها واستعملها فى الباقيات الصالحات. وزاحم وسابق إلى كل فضيلة، لأنها إذا فاتت لا تدرك أبدًا.

اسمع يا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان، يا معرضًا عن الأرباح، ومتعرضًا للخسران. يا من يوقن بالموت وما استعد لبأسه، ويغتر بإخوانه وأقرانه وكأنه أمن من سرعة أختلاسه.

إياك والدنيا فما الدنيا بدائمة. لقد أبانت للنواظر عيوبها.

اللهم نور قلوبنا بنور الإيمان، وثبت محبتك فيها، وقوها، وألهمنا ذكرك

وشكرك. وارزقنا حب أوليـائك، وبغض أعـدائك، وآتنا فى الدنيـا حـسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهم توفنا مـسلمين. وألحقنا بالصـالحين، واغفـر لنا ولجميـع المسلمين يارب العالمين.

الوصية رقم (٤٦)

* من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل *

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**من استطاع أن ينفع أخاه، فليفعل**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كان خال سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرقى من العقرب، فقال: يا رسول الله، إنك نهيتنا عن الرقى، وإنى أرقى من العقرب، وكأنه يستأذن فى ذلك. فقال رسول الله ﷺ هذه الوصية المباركة «**من استطاع أن ينفع أخاه، فليفعل**».

والرقية مشروعة مادامت بآيات القرآن الكريم، والأذكار المشروعة الثابتة فى السنة الصحيحة. لكن الرقى المجهولة، والتى لا يعرف معناها فهذه حرام ومنهى عنها، لاحتمال أن معناها كفر، أو قريب منه - والعياذ بالله وقد ورد فى البخارى وغيره من حديث أبى سعيد رضي الله عنه قال: انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سفرة سافروها، حتى نزلو على حى من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيفوهم - فلدغ سيد ذلك الحى، فسعوا له بكل شئ، فلم ينفعه شىء.

فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط، الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شئ، فأتوهم، فقالوا يا أيها الرهط، إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شئ، لا ينفعه، فهل عندكم من شىء، فقال بعضهم نعم، والله إنى لأرقى، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم، حتى تجعلوا لنا جُعلاً فصالحوهم على قطيع من الغنم، فانطلق يتفل عليه، ويقرأ ﴿**الْحمد للَه رب الْعَالَمين**﴾ [الفاتحة]

---

(١) رواه مسلم وأحمد فى مسنده وذكره الألبانى فى الصحيحة (٤٧٢) وصحيح الجامع (٦٠١٩).

فكأنما نشط من عقال، فانطلق يمشى، وأوفوهم جُعلهم، الذى صالحوهم عليه.

فقال بعضهم: اقسموا. فقال الذى رقى: لا تفعلوا حتى نأتى النبى ﷺ فنذكر له الذى كان، فننظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ - فذكروا له، **فقال** ﷺ: «**وما يدريك أنها رقية؟**» ثم قال: «**لقد أصبتم، اقسموا، واضربوا لى معكم سهما..**»(١) فضحك رسول الله ﷺ فهذا دليل على مشروعية الرقية، وأنها تشفى من اللدغ وغيره

وفى حديث عائشة ؓ تقول: كنت أرقى رسول الله ﷺ من العين، **فأضع يدى** على صدره، وأقول. امسح البأس رب الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت(٢)

وعن أبى هريرة ؓ قال: دخل على النبى ﷺ وأنا أشتكى، فقال: «**ألا أرقيك برقية رقانى بها جبريل عليه السلام؟**»

قلت: بلى بأبى أنت وأمى، قال «**بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك، ومن شر النفاثات فى العقد، ومن شر حاسد إذا حسد**»(٣) فهذه الأدلة كلها وغيرها تدل على مشروعية الرقية الشرعية

أحبتى فى الله.

والوصية التى معنا أصل فى بيان أنه ينبغى لكل مسلم أن ينفع الناس ويفيدهم، ويعمل على إسعاد الآخرين حوله ونفعهم وعدم ضرهم.

ونحن نجد بعض النفوس أحيانًا تمتنع عن الإقدام على أعمال لا تضرها مع أن فيها نفعًا لغيرهم، اقتصارًا على مصالحها الشخصية فى حدود ذواتها واهتماماتها. وليس هذا من شأن المسلم، ولذلك عنف عمر بن الخطاب ؓ محمد بن مسلمة

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأحمد واللفظ له

(٣) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده.

حين منع الضحاك بن مسلمة شيئًا ينفعه به. فقال عمر لماذا تمنع أخاك ما ينفعه، وهو لك نافع؟

أيها الأحبة الكرام.

يجب أن ننفع إخواننا المسلمين بشتى أنواع النفع، وقد أخبرنا حبيبنا محمد ﷺ أن أحب الناس إلى الله وأكرمهم إليه، أنفعهم للناس، قال ﷺ «**خير الناس أنفعهم للناس**»(١) أنفعهم بالإحسان بالمال والجاه، لأنهم عباد الله، ونفعهم نعمة يسديها الإنسان، ويدفع عنه نقمة، ويرتفع بذلك شرفًا وقدرًا

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -

وقد دل العقل والنقل والفطرة، وتجارب الأمم، على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين بالبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأن أضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله، واستدفعت نقمه بمثل طاعته، والإحسان إلى خلقه

والأصل فى المسلم أن يسعى فى تقديم الخدمة لمن يحتاج إليها، والنصيحة لمن يجهلها، والمنفعة إلى من هو أهل لها بمبادرة منه، وحرص من طرفه. ورسولنا محمد ﷺ كان يسعى إلى العباس ليقول له «**يا عباس، يا عماه، ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك؟**»

وفى رواية: «**يا عم، ألا أحبوك؟ ألا أنفعك؟** ألا **أصلك؟**» قال: بلى(٢) ثم علمه صلاة التسابيح.

وهكذا كان ﷺ يعرض نفسه للنفع، ويعلم الناس النفع وما يؤدى إلى نفعهم فى دنياهم، وفى آخرتهم، وقد كان من وصيته ﷺ لأبى برزة ﷺ حين جاءه يقول

---

(١) **حسن**: رواه الأصبهانى وابن أبى الدنيا وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٨٩).

(٢) صحيح لغيره: رواه ابن ماجة والترمذى والدارقطنى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٦٧٧، ٦٧٨).

له: يا رسول الله، علمنى شيئًا ينفعنى الله تبارك وتعالى به، قال: «**انظر إلى ما يؤذى الناس فاعزله عن طريقهم**»[١]

ومثل هذه الأعمال، وتلك الخدمات تنمى فى نفس الإنسان التواضع، وتعمق فى نفسه معانى الخير، وتجعل المجتمع من حوله يرى فيه الحرص العملى على كل ما يعود على الآخرين بالنفع، ودفع الضرر

وما أجمل قول يحيى بن معاذ - رحمه الله - ذلكم العالم الربانى يقول:

ينبغى أن يكون حظ المسلم من أخيه ثلاث.

إن لم ينفعه، فلا يضره، وإن لم يسره فلا يغمه، وإن لم يمدحه فلا يذمه.

أحبتى الكرام.

معلم البشرية، وأستاذنا وحبيبنا محمد ﷺ علمنا كيف ننتهز الفرصة فى نفع من حولنا. يوم أن ركب معه ذلكم الغلام الصغير، الذى صار بعد ذلك حبر الأمة، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما ركب خلفه ﷺ الدابة، قال له: «**يا غلام، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ احفظ الله يحفظك**..»[٢]

واصطبغ أصحابه الكرام بهذا الخلق، فكان هذا شأنهم، تأملوا الصحابى الجليل أبا هريرة رضي الله عنه مع أنس بن حكيم، حيث قال له: يا فتى، ألا أحدثك حديثًا لعل الله أن ينفعك به؟ قال: بلى.

قال: إنَّ أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم: الصلاة.

وهذا هو الشافعى - رحمه الله - يقول:

وددت أن الخلق يتعلمون هذا العلم - أى علم الشافعى - ولا ينسب إلى منه شئ[٣]

---

(١) **صحيح**: صححه الألبانى فى الصحيحة (٢٣٧٢) وصحيح ابن ماجة (٣٦٨١).
(٢) **صحيح**: رواه الترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع
(٣) حلية الأولياء (٩/١١٨، ١١٩) لأبى نعيم.

ويقول: ما ناظرت أحداً قط، إلا أحببت أن يوفق، ويسدد، ويعان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ[١]

وهذا محمد بن إسحاق الثقفى يقول سمعت أحمد بن الضحاك - وكان من البكائين - يقول: رأيت فيما يرى النئم شريح بن يونس - رحمه الله - فقلت له: ما فعل بك ربك يا أبا الحارث؟

فقال: غفر لى، ومع ذلك جعل قصرى إلى جنب قصر محمد بن بشير بن عطاء الكندى. فقلت: يا أبا الحارث، أنت عندنا أكبر من محمد بن بشير، فقال: لا تقل ذاك، فإن الله عز وجل جعل له حظًا فى عمل كل مؤمن ومؤمنة، أتدرون لماذا؟ لم كانت هذه المكانة؟

لأنه كان يقول إذا دعا ربه: اللهمَّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، والكائنين منهم[٢]

ونفع الأقربين أكثر وجوبًا، وأعظم أجرًا قال أبو قلابة: وأى رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم أو ينفعهم الله به ويعينهم الله به ويغنيهم.

وهذا الاهتمام بالأقارب، كسب لقلوبهم، وصلة رحم، ورمز وفاء، وعنوان محبة، ودليل رحمة.

أيها الأحبة الكرام.

إنَّ أبواب النفع كثيرة لا تحصى ولا تستقصى، وقد أجملها الأستاذ الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ بقوله: «**كل معروف صدقة**»[٣]

وهذا كلام مهم جدًا، لأن كل واحد عليه فى كل يوم ثلاثمائة وستين صدقة

---

(١)، (٢) حلية الأولياء (٩/١١٨، ١١٩) لأبى نعيم.

(٣) المرجع السابق (١/١١٣).

مقابل ثلاثمائة وستين مفصلاً من مفاصله، لأن النبى ﷺ أخبرنا بقوله: «**كل سلامى من الناس صدقة**»(١)

وقال فيما رواه عنه أبو ذر رضي الله عنه «**ليس من نفس ابن آدم، إلا عليها صدقة، فى كل يوم طلعت فيه الشمس**»

قيل: يا رسول الله، ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ فقال: «**إنَّ أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد، والتكبير والتهليل، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدى الأعمى، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك**»(٢)

والأجر فى نفع المسلمين عظيم فقد جاء فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**من كان فى حاجة أخيه، كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة**»(٣) زاد ابن أبى الدنيا: «**ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام**»(٤) الله أكبر الصراط الذى سنعبره ونمر عليه جميعًا يوم العرض الأكبر على الله عز وجل الصراط الذى تنزلق عليه الأقدام يثبت الله قدمك عليه، إذا سعيت فى حاجة أخيك المسلم.

الجزاء من جنس العمل

يقول ابن عباس رضي الله عنه: من مشى فى حاجة أخيه، ليقضيها، فله بكل خطوة صدقه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٩٧).

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) **حسن**: رواه ابن أبى الدنيا والأصبهانى وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٢٦١٤).

تصوروا أيها الإخوة الكرام، إن السلف كانوا لا يرون لأنفسهم فضلاً على صاحب الحاجة، بل يرون الفضل لصاحب الحاجة، الذى علقها بهم.

قال ابن عباس: ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأنى بالسلام، ورجل وسع لى فى المجلس، ورجل اغبرت قدماه فى المشى إلى، إرادة التسليم على. وأما الرابع، فلا يكافئه عنى إلا الله عز وجل. من هو هذا الرابع؟

قال: رجل به أمر، فبات ليلته، يفكر بمن ينزله - واحد صار عنده حاجة، مضطر - يطلب من منْ يقضى له هذه الحاجة، ثم رآنى أهلاً لحاجته فأنزلها بى.

كان سيدنا على بن الحسين - رحمهما الله ورضى عنهما - يحمل الخبز إلى بيوت المساكين فى الظلام، فلما مات، فقدوا ذلك.

كان ناس من أهل المدينة يعيشون، ولا يدرون من أين معاشهم، فلما مات على ابن الحسين، فقدوا ذلك، فعلموا أنه الذى كان يأتيهم بالليل

وسيدنا عبد الله بن عباس يقول: لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرًا، أو جمعة، أو ما شاء الله، أحب إلى من حجة بعد حجة، ولطبق بدانق أهديه إلى أخ لى فى الله، أحب إلى من دينار أنفقه فى سبيل الله(١)

الربيع بن خثيم - رحمه الله تعالى - فى يوم من الأيام، قال لأهله: اصنعوا لنا خبيصًا - نوع من الحلوى معمول من التمر والسمن - فصنعوه له، فدعا رجلاً به خبل - أى أحمق يشبه المجنون - فجعل الربيع يلقمه، ولعابه يسيل، فلما ذهب، قال له أهله: لقد تكلفنا وتعبنا حتى صنعنا لك ذلك، وتعطيه لرجل لا يدرى ماذا يأكل؟ فقال الربيع:

لكُنَّ الله(٢)

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير، أنه قال لبعض إخوانه: يا أبا فلان، إذا

---

(١) حلية الأولياء (١/٣٢٨) لأبى نعيم.

(٢)حلية الأولياء (٢/٧ ١) لأبى نعيم.

كانت لك إلى حاجة، فلا تكلمنى فيها، ولكن اكتبها إلى فى رقعة، ثم أرفعها إلى، فإنى أرى فى وجهك ذل السؤال، وقد قال الشاعر

لا تحسبن الموت موت البلى
وإنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
أشدهما من ذاك لذل السؤال[١]

أيها الأحبة الكرام

إنَّ أبواب النفع كثيرة كما ذكرنا، ولكن الجهاد فى سبيل الله أعلى مراتب النفع والعزلة أدناها، قال أعرابى يا رسول الله، أى الناس خير؟ قال: «**رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل فى شعب من الشعاب، يعبد ربه، ويدع الناس من شره**»[٢] فالذى جاهد نفع الناس بتضحيته بروحه، بجوده بماله، لحمايتهم، ولصدِّ عدوهم، وهذا أكبر النفع. والناس يتفاوتون فى الخير ما بين منزلة المجاهد، ومنزلة المعتزل الكاف لشره عن الناس.

وتعظم المسئولية، ويقل العبء على من تولى أمر بضعة من المسلمين، لأنه أقدر على دفع الضر، أو جلب النفع بما أوتى من سلطان الإمرة، وحق الطاعة، وفى ذلك يقول ﷺ «**من ولى شيئًا من أمة محمد، فاستطاع أن يضر فيه أحدًا، أو ينفع فيه أحدًا فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم**»[٣]

فأمر المسلم يدور بين تكريم محسنهم، والعفو عن مسيئهم، أى بين تقديم نفع، أو دفع أذى، لأن بعض أصحاب المناصب كثيراً ما يجورون ويظلمون وهم لا يشعرون، فإذا ما وضعوا نصب أعينهم مهمة جلب المنفعة ودرء الأذى، عصموا أنفسهم من الوقوع فى الخطأ بإذن الله

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢١)

(٢) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأبو الترمذى والحاكم.

(٣) رواه البخارى وغيره

ومن الصور العملية لخلق النفع أن لا تستبقى أرضًا تملكها دون خدمة ولا زراعة، مع وجود أخ لك عاطل لا يعمل، وهو يستطيع أن ينتفع بها، وفى ذلك يقول مبعوث العناية الإلهية ﷺ: «**من كانت له أرض فليزرعها، فإن لم يزرعها، فليزرعها أخاه**»(١)

وكم لدى المسلمين من قدرات معطلة، وثروات مكنوزة، وطاقات مهدرة، ولا نلتفت إلى التفكير فى استغلالها فيما يعود بالنفع على المسلمون

جد بعملك. جد بخبرتك وتفكيرك تصدق بسعيك، لتكون دائمًا ممن جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر

كما قال النبى الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ «**عند الله خزائن الخير والشر، مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، وويل لمن جعله الله مفتاحًا للشر، مغلاقًا للخير**»(٢)

وقد جعل النبى ﷺ المؤمن مثلاً فى دوام النفع به، وشبه النخلة به، وكذلك بالنخلة. نخلة بالنقطة وبعدها نخلة لا يسقط ورقها صيفًا ولا شتاءً، نستفيد من رطبها، نستفيد من سعفها، من ظلها، قال ﷺ «**مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت منها من شىء نفعك**»(٣)

وقال: «**إنَّ من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم**» وفى رواية: «**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثونى ما هى؟**» يقول عبد الله بن عمر: فوقع الناس فى شجر البوادى، ووقع فى نفسى أنها النخلة، فاستحييت. ثم قالوا: ما هى يا رسول الله؟ قال «**هى النخلة**»(٤)

---

(١) رواه البخارى (٢١٧١) ومسلم (٢٨٦٢) واللفظ له وأحمد وابن ماجه والنسائى.

(٢) **حسن**: رواه الطبرانى وابن ماجه والترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٨ ٤١) وصحيح الترغيب برقم (٦٦)

(٣) **صحيح**: رواه الطبرانى وغيره عن ابن عمر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٥٨٤٨) والصحيحة.

(٤) رواه البخارى

وأمَّا النحلة بالحـاء بدون نقطة. فكلها فوائد وخيـرات، وكذلك المسلم نافع فى كل المجالات، قال أشرف الخلق ﷺ «**مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلا طيبًا، ولا تضع إلا طيبًا**»(١)

والمؤمن يحـرص على تقديم الخـير والـنفع إلى الآخرين، لوجـه الله، وابتغـاء مرضاته، ولا تتحكم به مـشاعر شخصية، أو مواقف عارضـة، فقد عاتب الله تبارك وتعالى صـديق هذه الأمة حين حلف أن لا ينفق علـى مسطح بن أثاثة، حلف أن لا يقدم له النفع والخـير، لأنه شارك فى حـديث الإفك، فلما نزل قـوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢].

قال أبو بكر بلى والله، إنا لنحب أن يغفر لنا، وأعـاد النفقة على مسطح نسأل الله عز وجل أن يجـعلنا من المتقـين، ومن الصالحين النافـعين لأنفـسنا ولإخواننا.
اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم ارزقنا الاعتماد عليك، والانقيـاد إليك، والحب فيك، والقـرب منك، والأدب معك. واغـفر لنا وارحمنا يا رب العالمين.

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان والطبـرانى وصححه الألبانى فى صـحيح الجامع (٥٨٤٧) والسلسلة الصحيحة برقم (٣٥٥).

الوصية رقم (٤٧)
اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم

عن النعمان بن بشير ﷺ قال: تصدق عليَّ أبى ببعض، فقالت أمى عمرة بن رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبى إلى النبى ﷺ ليشهده على صدقتى، فقال له رسول الله ﷺ: «**أفعلت هذا بولدك كلهم؟**» قال: لا

قال: «**اتقوا الله، واعدلوا فى أولادكم**» فرجع أبى، فرد عطيته[١]

أحبتى فى الله.

كونوا منفذين لهذه الوصية المباركة، واعدلوا بين أبنائكم، لأن الله عز وجل كما أنه أوصى الأبناء ببر الآباء، وجعل حقهم عظيمًا عليهم، وقرنه بحقه وتوحيده، فقال: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [النساء: ٣٦] وقال: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء: ٢٣]

وقال سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ: ثلاث آيات مقرونات بثلاث، لا تقبل واحدة بغير قرينتها: ﴿**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول..**﴾ فمن أطاع الله، ولم يطع الرسول، لم يقبل منه. وقال: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة..**﴾ فلم يصلِّ ولم يزكِّ، لم يقبل منه.

وقال: ﴿**أن اشكر لى ولوالديك..**﴾ فمن شكر الله، ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

وحذر المولى عز وجل من عاقبة الحقوق تحذيرًا شديدًا، وجعل هذا التحذير مستفيضًا فى كتاب الله، وفى سنة رسوله ﷺ قال تعالى محذرًا: ﴿**فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ**

(١) رواه مسلم وأحمد وغيرهما.

وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣] وغيرها من الآيات والأحاديث.

فكذلك جعل على الآباء حقوقًا للأبناء، مثل التربية والنفقة، والعدل بينهم. وفي وصية النبي ﷺ التي رواها لنا الصحابي الجليل: النعمان بن بشير ﷺ: «**اتقوا الله، واعدلوا بين أبنائكم**» وجاءت هذه الوصية بالتكرار للتأكيد على أهميتها، والتحذير من ضدها وهو الظلم، وعدم التسوية بين الأولاد، فقال ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم، اعدلوا بين أولادكم**»(١)

وعند البيهقي: «**اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم**» وعند الطبراني: «**اعدلوا بين أولادكم في النحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف**»(٢)

كل ذلك فيه إشارة إلى العدل بين الأولاد في النحلة أي العطية - وعدم المساواة بين الأبناء، وعدم العدل بينهم يُفضي إلى العقوق ويؤدي إليه، فيقول من حرمه أبوه، أو نقص من حقه: ظلمني أبي، وفضل أخي عليَّ ونحو ذلك. فيتسلل إلى نفسه شيء من البغض والكراهية لأبيه، ومن الناحية الأخرى، يزرع الشيطان بذور الشحناء بينه وبين أخيه الآخر، الذي أعطى أكثر منه، وقد جاءت الشريعة الإسلامية بسد كل طريق يوصل إلى الحقد والشحناء، والعداوة والبغضاء بين المسلمين عموماً، فكيف بالأخ نحو أخيه وشقيقه؟

وبعض العلماء فهم أن العدل بين الأولاد لا يختص بالعطية، بل مثلها التودد في الكلام ونحوه.

قال الدميري - رحمه الله - لا خلاف أن التسوية بينهم - أي الأولاد - مطلوبة حتى في التقبيل

ولقد كان بعض السلف يحرص على التسوية بين أولاده، حتى في القُبلات.

أحبتي في الله. . أجل

---

(١) **صحيح**: صححه الألباني في صحيح الجامع (٧ ١)

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦ ١).

إنّ عدم العدل بين الأولاد فى الهدية، أو العطيــة، أو الهبة، أو أى أمر من أمور الحياة، سبب للعقوق، وسبب لكراهية بعضهم لبعض، ودافع للعداوة بين الإخوة.

إنها ظاهرة من أخطر الظواهر النفسية فى تعقيد الولد وانحرافه، وتحوله إلى حياةَ الرذيلة والشقاء والإجرام.

المفاضلة بين الأولاد خطيرة، وهى من أعظم العــوامل التى تسبب الانحراف عن منهج الشريعة الصحيحة، والصراط المستقيم.

والمفاضلة بين الأولاد تخــتلف فمنها المفاضلة فى العطاء، والمفــاضلة فى المعاملة والمفــاضلة فى المحــبة والود، والمفــاضلة فى العطف والحنان. وكــله مذمــوم ممنوع شرعًا وكم من المآسى والأحزان التى تعج بها البيوت نتيجة للظلم وعدم العدل بين الأبناء، مما يتــسبب عنه وجــود الكراهية والبــغضاء بــين الإخوة فى البيــت الواحد، والسبب هم الآباء أو الأمهات

وهناك أمر هــام ينبغى أن ننبــه عليه، وهو يدخل ضــمن المفاضلة وعــدم العدل والمســاواة، وهو تفضــيل بعض الأحفــاد على بعض، فقــد يكون للأب أو الأم أبناء وبنات، فيتزوجون وينجبون ذرية، فــتجد أن الأب يلاطف ويمازح بعض أحفاده دون البعض، أو يفــضل بعضهم على بعض فى المعــاملة، فى العطاء، فى المحبة، حــينئذ تقع الكارثة، والمصــيــبــة الكبــرى من البــغض والكره، والغــيظ للأجــداد من الأبناء والأحفاد نظرًا لعدم التسوية بينهم فى المعاملة، أو فى الملاطفة والمحبة.

أيها الأحبة الكرام.

وقد يكون هناك سبب للتمضيل بين الأبناء ومن هذه الأسباب:

١ - أن يكون الطفل من اجنس الذى لا يرغب فيه جــهلاً، لكونه أنثى: لكن ما ذنب الطفلِ الذى يولد أنثى؟ هل هو الذى خلق نفسه؟ إن الذى يرزق بالذكر أو بالأنثى، أو بهما معــاً، إنما هو الخلاق العليم جــل جلاله. ﴿ يهب لمن يشاءُ إِنَاثًا ويهبُ لمن يشَاءُ الذُّكُور ﴿٤٩﴾ أَوْ يزَوِّجُهُمْ ذُكْرانا وإناثًا ويجعلُ من يشاء عقيما ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥].

ألا يعلم هذا المسكين أنها لو كانت أنثى لكانت سببًا فى حجبه عن النار، إن أحسن معاملتها، وإن أحسن تربيتها؟ قال الأستاذ الأعظم، والنبى الأكرم ﷺ: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين**» وضم أصابعه[١]

ألم يسمع هذا المسكين إلى قول الرسول الأمين ﷺ: «**من ابتلى من هذه البنات بشئ، فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار**»[٢]؟

فهل أحسنت إلى ابنتك أو بناتك؟ أم أهنتهن، وأذقتهن المرارة، وجرعتهن **كأس** الحرمان؟

٢ - ومنها: أن يكون أحد الأبناء قليل الحظ من الجمال أو الذكاء: لكن إذا كان ذلك كذلك، فما ذنب هذا الولد إذا كان قليل الجمال، أو كان قبيح الخلقة، أو كان قليل الذكاء؟

إنَّ هذه أمور لا يملكها الولد، ولا يملكها الأب، بل لا يملكها إلا صاحب الخلق والأمر ﴿**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾ فالأمر كله بيد الله، والأمر كله إليه من قبل ومن بعد فلا يحق للآباء أن يفضلوا بينهم لمثل هذه الأمور. كما ينبغى أن يتجنبوا المقارنة بين أبنائهم، كأن يقول لأحدهم: انظر إلى فلان، إنه ذكى متفوق، بينما أنت خامل كسول، لا يمكن أن تنجح أو تتفوق. لأن هذا يؤدى إلى شعوره بالإحباط، ووقوعه تحت وطأة التوتر والصراع النفسيين، كما يؤدى إلى الانطواء والعزلة.

٣ - ومن أسباب التفضيل أن يكون أحدهم محبوبًا دون الآخر، لهدوئه وسكينته، وحسن أخلاقه. أما الآخر فهو مشاكس مشاغب، وهذه كسابقتها، فينبغى أن يُعلم أن الله عز وجل هو الذى وضع الهدوء والسكينة فى طبعه، ثم يرجى من الوالد أن يعود الآخر ويعلمه الأخلاق ويكسبه الهدوء والسكينة. فالأبناء والبنات

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

غراس، فلننظـر أين نغرسهـا؟ وبم نغذيها؟ وبم نسـقيهـا؟ حتى يكون الغـرس يانعًا مثمرًا.

٤ - وربما يكون أحد الأبناء مصابًا بعاهة خلقية فى جسده، فهذا يحتاج إلى كثير من الحنان والعطف والمودة، حتى يخرج من محنته

أحبتى فى الله.

اتقوا الله فى أبنائكم، واعدلوا بينهم فى كل أمور حـياتهم، ولا تفرقوا بين أحد منهم، فهم أبناء بطن واحد، ورجل واحد، وقد تكون الأم واحدة.

يقول يزيد بن معاوية: أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس، فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر، ما تقول فى الولد؟

قال: يا أمـير المؤمنين، ثمـار قلوبنا، وعماد ظهـورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسـماء ظـليلة، وبهم نصـول على كل جليلة، فـإن طلبـوا فـأعطهم وإن غـضبـوا فأرضهم، يمنحـوك ودهم، ويحبوك جهـدهم، ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيـلاً، فيملوا حياتك، ويتمنوا وفاتك، ويكرهوا قربك.

فقال له معاوية: لله درك يا أحنف، لقد دخلت على وأنا مملوء غضبًا وغيظًا على يزيد، فلما خرج الأحنـف من عنده، رضى عن يزيد، وبعث إليه بمائتى ألف درهم، ومائتى ثوب[١]

وجاء رجل إلى عـبد الله بن المبـارك يشكو إليه ولده، فـقال له: أدعـوت عليه؟ قال: نعم، قال: أنت أفسدته.

فهذا أمر خطير، وهو الدعاء على الأولاد، فكما أن الدعاء لهم مستجاب إن شاء الله، فالدعـاء عليهم مـستـجاب، فليـحذر الآباء من أن يدعـوا على أبنائهم فى كل صغيـرة وكبيرة، فـهذا من أشد الأمور خطرًا فى انحـراف الأبناء، قال ﷺ: **«ثلاث دعوات مستجابات: دعوة مظلوم ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»**.

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى (٢/ ٢٩٥)

فـينبغـى على الآباء والأمهـات الإكـثار من الـدعاء للأبناء بالـهداية والصـلاح والتوفـيق، فهم زينة الحيـاة الدنيا، كمـا قال تعالى فى كـتابه: ﴿ **الْمالُ والْبَنُون زِينَةُ الْحياة الدُنْيَا** ﴾ [الكهف: ٤٦] وهم نعمـة من نعم الله عز وجل، ولا يـعرف هذه النعمة، ولا قدرها إلا من حُرمها

قال الحسن بن علـى ﷺ بينما رسول الله ﷺ يحدث أصحـابه، إذ جاء صبى حتى انتهى إلى أبيه، فى ناحية القوم، فمـسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلاً، فـجاءت ابنة له، حتى انتهت إليـه فمسح رأسهـا وأقعدها فى الأرض، فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا على فخذك الأخرى**» فحملها على فخذه الأخرى، فقال ﷺ: «**الآن عدلت**»[١]

وروى عن عمر بن عبد العزير رحمه الله - أنه ضم ابنًا له، وكان يحبه، فقال له: يا فلان، والله إنى لأحـبك، ولكنى لا أستطيع أن أوثرك على أخيك بلقـمة[٢] ومن لم يعدل بين أولاده، أو يساوِ بينهم بالمعروف، وبالحق والقسطاس المستقيم، فقد نكب عن جادة الصواب.

قال ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**»[٣]

أحبتى فى الله.

ماذا قال العلماء فى العدل بين الأولاد فى العطية؟

يقول الإمام البخارى - رحمـه الله إذا أعطى الوالد بعض ولده شيئًا لم يجز حتى يعدل بينهم، ويعطى الآخر مثله

---

(١) رواه البيهـقى فى شعب الإيمان (٨٧) وابن عـدى فى الكامل (٧/ ١٥١) وابن أبى الدنيا فى العيال واللفظ له (ص ٢٢) برقم (٣٦)

(٢) العيال لابن أبى الدنيا (ص ٢٣) رقم (٤)

(٣) **صحيح**: متفق عليه

واختلف العلماء فى وجوب التسوية بين الأولاد فى العطية على قولين:

القول الأول: ذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أن التسوية بينهم فى العطايا مستحبة، وليست واجبة، لأن الصديق رضي الله عنه فضّل عائشة رضي الله عنها على غيرها من أولاده فى الهبة، وفضل عمر رضي الله عنه ابنه عاصمًا بشئ من العطية على غيره من أولاده، ولأن فى بعض روايات حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه **«فأشهد على هذا غيرى»** مما يدل على الجواز(١)

وعلى هذا قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: قوله ﷺ: **«أشهد على هذا غيرى»** هذا أمر تهديد لا إباحة، فإن تلك العطية، كانت جورًا بنص الحديث، ورسول الله ﷺ لا يأذن لأحد يشهد على صحة الجور، ومن ذا الذى كان يشهد على تلك العطية، وقد أبى رسول الله ﷺ أن يشهد عليها، وأخبر أنها لا تصلح، وأنها جور، وأنها خلاف العدل، ومن العجيب أن يحمل قوله: **«اعدلوا بين أولادكم»** على غير الوجوب، وهو أمر مطلق، مكرر ثلاث مرات، والعدل واجب فى كل حال، فلو كان الأمر به مطلقًا، لوجب حمله على الوجوب، فكيف وقد اقترن به عشرة أشياء تؤكد وجوبه، فتأملها فى ألفاظ القصة(٢)

القول الثانى: وذهب الحنابلة وأبو يوسف من الحنفية، وهو رواية عن الإمام مالك، وهو قول ابن المبارك وطاووس، إلى وجوب التسوية بين الأولاد فى الهبة، فإن خص بعضهم بعطية، أو فاضل بينهم فيها، فهو آثم، ووجبت عليه التسوية بأحد أمرين:

إمَّا برد ما فضل به البعض، وإما بإتمام نصيب الآخرين، ويشهد لذلك حديث النعمان بجميع ألفاظه(٣)

الراجح: هو القول الثانى، وهو وجوب التسوية بين الأبناء فى العطية والهبة.

---

(١) الموسوعة الفقهية (١١/ ٣٥٩)
(٢) تحفة المودود (ص ٢٨٠)
(٣) الموسوعة (١١/ ٣٥٩)

أيها الأحبة الكرام.

وقد أجاز العلماء التفضيل إذا كان هناك مسوغ شرعى، كأن يكون أحدهم مقعداً لا يستطيع العمل، أو كونه صاحب عيال كثر، ولا يكفى راتبه بالإنفاق عليهم، أو كونه مشتغلاً بطلب العلم

وتصرف العطية عن بعض الأولاد، إن كان فاسقًا، أو عاصيًا، أو مبتدعًا، كأن يصرف هذه العطية فى شرب الخمر، أو فيما حرمه الله عز وجل وهذا مروى عن الإمام أحمد ومن وافقه من العلماء.

ويجوز التفضيل فى العطية أيضًا إذا سمح بها بقية الإخوة بذلك.

سؤال:

إذا أعطى الأب واحدًا من أولاده وميزه بالعطاء دون البعض الآخر، بلا مسوغ شرعى، ثم مات هذا الأب قبل أن يرجع فيما خصه به، فهل تمضى هذه العطية لهذا المفضل، والإثم والذنب على الأب؟ أم يشرك فيها سائر الإخوة، ويكونون فيها سواء بحيث تقسم بينهم؟

الجواب: ذهب فريق من الفقهاء إلى القول الأول، أى تمضى العطية، ويأخذها المفضَّل.

وذهب فريق آخر إلى أنها تقسم بينهم، لأن فى تخصيص واحد بها ظلماً وقد نهى الله عز وجل عن الظلم وحرمه على نفسه، وعلى عباده، فكيف تمضى العطية، وهى ظلم؟! وهذا هو الأصح أنها توزع حتى لا يقع النزاع والخصومة بينهم، ولأن ذلك يفضى إلى القطيعة والبغضاء، بل إنهم قد يقتتلون من أجل ذلك الأمر، وقد يؤدى بهم إلى كراهية والدهم، فحفظًا للأواصر، وصلة الرحم، وإبراءً للذمة، وخلاصًا لوالدهم من الإثم، والعقوبة، كان الصحيح فى ذلك هو توزيع العطية بين الورثة حسب ما جاء فى كتاب الله عز وجل فى آيات الميراث. والله أعلم ونسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علمنا، ونسأله أن يجنبنا الزلل ويجنبنا الظلم، وأن يهدينا سواء السبيل.

اللهمَّ لك نسأل، وبك نتوسل، وعليك نتوكل فلا تكلنا، وبعزتك نستنصر فانصرنا

اللهم يا منفس كربة كل مكروب، ويا كاشف الضر والبلوى عن أيوب ويا من أقَرَّ بيوسف عن صفيه ونبيه يعقوب، ونجى نوحًا من الغرق وإبراهيم من الحرق، ويونس من الظلمات، وسلم موسى من شر الجبابرة العتاة، وأعاذ محمدًا من شياطين الإنس والجن، اجبر كسرنا وأغن فقرنا، وارحم ضعفنا، وانصرنا على من عادانا، واغفر لنا ولجميع المسلمين، يا رب العالمين

الوصية رقم (٤٨)

* اتقوا الله وأجملوا فى الطلب *

عن أبى أمامة ﷺ أن رسول ﷺ قال: «**إنَّ روح القدس نفث فى روعى، أنَّ نفسًا لن تموت، حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله عز وجل، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته**»[1]

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

هذه الوصية المباركة تتضمن عدة أمور أولاً: الرزق مضمون. ثانيًا: الأجل محتوم. ثالثًا: بيان بعض أسباب الرزق. رابعًا: بيان سبب تقتير الرزق على بعض العباد.

فهيا بنا لنقف سويًّا مع هذه الوصية النورانية الجليلة، التى لو فهمناها فهمًا عميقًا لكنَّا أسعد الناس فى الدنيا والآخرة.

إنَّ رسول الله ﷺ يخبرنا هنا فى هذه الوصية أن روح القدس ـ من هو روح القدس ـ إنه جبريل عليه السلام. لكن لماذا سمى بهذا الاسم؟ قال العلماء: لأنه يأتى بما فيه حياة القلب، فهو الذى ولاه ربه ومولاه خصوصية إنزال الكتب الإلهية التى بها تحيا الأرواح الربانية والقلوب الجسمانية مثل القرآن والإنجيل والتوراة، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، ونحو ذلك. فهو كالمبدأ لحياة القلب، كما أن الروح مبدأ لحياة الجسد، وأضيف إلى القدس، لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب. لكن لماذا خصه الله بذلك مع أن جميع الملائكة كذلك؟ لأن روحانيته أتم وأكمل.

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقى فى الشعب والبغوى فى شرح السنة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٢٠٨٥) والسلسلة الصحيحة برقم (٢٨٦٦)

قال الإمام الرازى - رحمه الله -: وإطلاق الروح عليه مجاز. وتسميته بالروح على منهج التشبيه، فكما أن الروح سبب لحياة الإنسان، فجبريل عليه السلام سبب فى حياة القلوب بالعلوم والمعارف.

قال أهل العلم: نفث فى روعى أى ألقى الوحى فى خلدى وبالى أو فى نفسى وقلبى وعقلى. فماذا ألقى فى خلده وروحه وعقله ﷺ؟

أولاً: أن النفس البشرية التى خلقها الله عز وجل، وقدر لها العيش فى هذه الدنيا، لن تموت حتى تستكمل أجلها، الذى أجله الله لها، وكتبه لها منذ أن كانت نطفة فى رحم الأم. ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾.

ثانيًا أن النفس البشرية لن تموت، حتى تستوعب رزقها المقسوم لها والمقدر لكل أحد، بحسب إرادة الله عز وجل وتقديره ومشيئته.

ثم يوصينا أستاذ البشرية ﷺ بأن نثق بأن هذا الرزق مضمون ولنطلبه بالطرق الجميلة الحلال بغير كد ولا حرص، ولا تهافت على الحرام والشبهات، واعلموا أنه لا ينال ما عنده سبحانه وتعالى إلا بطاعته لا بمعصيته. أحبتى فى الله.

إنَّ الكثير من الناس يشغل بالهم، بل إنَّ شغلهم الشاغل هو طلب الرزق وكيف يعثر عليه ويجلبه لنفسه أو لأسرته، وقد يلجأ بعضهم إلى طرق ملتوية ومحرمة للحصول على الرزق، وما علم أولئك أن الحرام يمحق البركة، وجهلوا الأسباب التى شرعها الله عز وجل لتكون جالبة للأرزاق، وبها تفتح بركات السماء، ويتسع بها رزق العبد، أتدرون ما هى هذه الأسباب؟

١ - **أولها: الاستغفار:** أكثروا من الاستغفار، يبارك لكم الكبير المتعال قال سبحانه: ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا..** ﴾ [نوح: ١ - ١٢].

قال الإمام القرطبى - رحمه الله -: هذه الآية دليل على أن الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار.

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: إذا تبتم واستغفرتموه، وأطعتموه، كثر الرزق عليكم.

وجاء رجل إلى الحسن البصرى - رحمه الله - فشكا إليه الجدب، فقال له: استغفر الله، وجاء آخر فشكا إليه فقره، فقال له: استغفر الله.

وجاء آخر، فقال له: ادع الله أن يرزقنى ولدًا، فقال له: استغفر الله. فقال أصحاب الحسن: ما هذا؟ لقد سألوك فى مسائل شتى، وأجبتهم بجواب واحد، وهو الاستغفار، فقال - رحمه الله - ما قلت من عندى شيئًا إنَّ الله عز وجل يقول: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾** [نوح: ١ - ١٢]

٢ - الثانى: التوكل على الله عز وجل:

ولذلك قال سيد المتوكلين، وخاتم النبيين، وحبيب رب العالمين ﷺ: **«لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»**(١) قال صاحب تحفة الأحوذى - رحمه الله - فى قوله «حق توكله» بأن تعلموا يقينًا أن لا فاعل إلا الله، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع من الله عز وجل، ثم تسعون فى الطلب على الوجه الجميل، والتوكل هو إظهار العجز والاعتماد على المتوكل عليه، لرزقكم كما يرزق الطير فى جو السماء، فإنها تغدو ضامرة البطون من الجوع، وتروح آخر النهار ممتلئة البطون شبعانة

وكان سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ يقول ـ اعملوا لله، ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضول الدنيا، فإن فضول الدنيا عند الله رجز، هذه طير السماء تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحصد ولا تحرث، والله يرزقها، فإن قلتم: إن بطوننا أعظم من بطون الطير، فهذه الوحوش من البقر والحمير وغيرها تغدو وتروح، ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده وابن ماجه والنسائى وابن حبان والحاكم والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

ولما قال شقيق البلخى لحاتم الأصم: منذ صحبتنى أى شىء تعلمته منى؟

قال: تعلمت ست كلمات. قال: وما هن؟

قال: رأيت كل الناس فى شك من أمر الرزق، وإنى توكلت على الله. ﴿**وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها..**﴾ وعلمت أنى من هذه الدواب واحد، فلم أشغل نفسى بشىء قد تكفل لى به ربى.

قال تعالى: ﴿**ومن يتوَكَّلْ عَلَى اللَّه فَهُو حسْبُهُ إنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَل اللَّهُ لكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق: ٣]

٣ ومن أسباب استجلاب الرزق: عبادة الله، والتفرغ لها والاعتناء بشأنها:

قال الله عز وجل في الحديث القدسي الجليل: «**يا ابن آدم، تفرغ لعبادتى، أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإن لا تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك**»(١)

والتفرغ المطلوب لا يعنى ترك كسب الأرزاق، فيصير العبد عالة على غيره، بل المقصود أن يفرغ العبد قلبه أثناء العبادة عما سواه، فمثلاً الصلاة، لا تكن من الذين يصلون بأجسادهم وقلوبهم تحلق يمينًا وشمالاً

٤ - ومن أسباب سعة الرزق: تقوى الله عز وجل:

فى السر والعلانية، والخوف منه، وامتثال أمره، واجتناب نهيه، والبعد عن معاصيه، قال تعالى: ﴿**ومن يَتَّقِ اللَّهَ يجعل لَّهُ مخْرجًا (٢) ويرْزُقْهُ منْ حيْثُ لا يحْتَسبُ**﴾ [الطلاق٢، ٣].

قال ابن كثير - رحمه الله -: أى ومن يتق الله فيما أمر به، وترك ما نهاه عنه، يجعل له من أمره مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى من جهة لا تخطر بباله.

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة (٣٤٢٣٢) فى زوائد الزهد (٣٤٢٣٢) وزوائد الزهد لابن المبارك (٨٤٨).

قال ابن مسعود ﷺ: إنَّ أكبر آية فى القرآن فرحًا ﴿**ومن يَتَّقِ اللَّهَ يجْعَل لَّهُ مخْرجًا..**﴾ [الطلاق: ٢] فتقوى الله من أعظم الأسباب التى تؤدى إلى سعة الرزق. قال سبحانه: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا واتَّقَوْا لَفتحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَات مِّن السماء والأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخذْنَاهُم بمَا كانُوا يَكْسبُون**﴾ [الأعراف: ٩٦] فهذه نصوص قرآنية تدل على أن الرزق يتسع بإقامة التقوى وشرع الله عز وجل، والخوف منه. فأين الذين يخافون على أرزاقهم إذا تركوا العمل المحرم؟ أين الذين يظنون أنه لن يتقدم اقتصاد المسلمين إلا إذا ارتبط باقتصاد الغرب من اليهود والنصارى؟! ألم يقرءوا هذه الآية؟! ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفتحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّن السَّمَاء وَالأَرْضِ..**﴾ [الأعراف: ٩٦] إنه ليس بالرزق القليل أو البسيط، ولكنه فتح من الأرض، وفتح من السماء، ولو فتح الله باب السماء للعبد، والمجتمع الصالح، أو الأمة التقية، فهل يستطيع أحد أن يوقفه أو يمنعه؟ أو حتى ينقصه أو يقلله؟ فلماذا يربطون اقتصادهم بمن عصى القوى الجبار؟! ولماذا يخافون من أزمات اقتصادية وبين أيدينا هذه الآيات الواضحات البينات: ﴿**وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَة لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا**﴾ [الجن: ١٦] وقال: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإنجيل وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِهِمْ لأَكَلُوا من فَوْقِهِم ومن تحْت أَرْجُلِهِم..**﴾ [المائدة: ٦٦]

٥ – ومنها صلة الرحم

الأقارب، لك أخوات، لك عمات، لك خالات، حينما تصلهم وتعطيهم وتأخذ بأيديهم، يزداد رزقك. قال ﷺ: «**من سره أن يبسط له فى رزقه، أو ينسأ له فى أثره، فليصل رحمه**»(١)

ولهذا بوب الإمام البخارى – رحمه الله – فى الصحيح، فقال: [باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم].

ولعلنا ينتابنا الاستغراب، وتتملكنا الدهشة، عندما نجد أن بعض المسلمين قد

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم وأبو داود وأحمد.

فتح الله لـهم أبوابًا واسعـة من الرزق، مع أنهم قليلو النشاط، وقـليلو الخبرة، **فإذا** فتشت عن سر ذلك، وجدته وصولاً لرحمه

بل لا تندهشـوا ولا تتعـجبـوا إذا قلتم لكم: بأن بعض العصـاة والفسـاق، **بل** وبعض الفجرة قد تـزداد أرزاقهم، وتكثر أموالهم، بسبب صلتهم للأرحـام، اسمعوا إلى ما أخبرنا به سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، حين يقول: «**ما من ذنب أجدر أن يعـجل الله تعالى لصـاحبـه العقـوبة فى الدنيا مع مـا يدخره له فى الآخـرة من قطيـعة الرحم، والخيـانة والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابًا، صلة الرحم، حـتى إن أهل البيت ليكونوا فجـرة، فتنمـو أموالهم، ويكثر عـددهم، إذا تواصلوا**»[1] فاجتـهدوا فى صلة الأرحام، فإنها ترضى رب الأرض والسموات.

٦ - ومن أسباب فتح أبواب الرزق الإنفاق فى سبيل الله:

فمتى أنفق العبد من مـاله، كثر ماله، ألم يقل مولانا الكريم: ﴿**وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين**﴾.

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - فى تفـسير الآية: أى مهما أنفقتم من شيء، مما أمركم الله به، وأباحـه لكم، فهو يخلفكم ويخلفه عليكم فى الدنـيا بالبدل؛ وفى الآخرة بالجـزاء والثواب. ولهـذا لما أمر الله عز وجل بالإنفـاق فى سبيل الله، قال بعدها: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم**﴾.

قال الإمـام ابن القيـم - رحمه الله - إنَّ وعـد الشيطان لابـن آدم ليس شفـقة عليه، وليس نصيحـة له، وأما الله عز وجل فإنه يعد عبده مغـفرة منه لذنوبه وفضلاً بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه، إما فى الدنيا، أو الآخرة. وقد قال الله عز وجل فى الحديث القـدسى الجليل: «**يا ابن آدم، أنفق، أُنفق عليك**» ورسول الله ﷺ يقول لبلال: «**أنفق يا بلال، ولا تخش من ذى العرش إقلالاً**».

---

(١) **حسن**: رواه ابن حبان فى صحيحه وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٥٣٧).

وقال ﷺ: «**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهمَّ أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعط ممسكًا تلفًا**»

٧ - ومن الأسباب: الإحسان إلى الضعفاء والمساكين:

فعن مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أنَّ له فضلاً على من دونه، فقال له النبى ﷺ: «**هل تنصرون، وترزقون إلا بضعفائكم**»(١)

وقال: «**ابغونى فى ضعفائكم، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**»(٢)

٨ - ومنها: الهجرة فى سبيل الله:

فإن كنت فى بيئة أو مجتمع يحول بينك وبين طاعة الله عز وجل، يحول بينك وبين عبادة الله عز وجل، أو إقامة شرعه، فاهجر هذا المجتمع وتحول عنه، لأن سبب وجودك فى هذه الدنيا، سبب وجودك على وجه هذه البسيطة إنما هو لأجل العبادة. ﴿ **وما خَلَقْتُ الْجن والإنس إلاَّ ليعْبُدون** ﴿٥٦﴾ **ما أُرِيدُ منْهُم مّن رِّزْقٍ وما أُرِيدُ أَن يُطْعمونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧]

والهجرة نوعان: ١ - هجرة فى سبيل الشيطان. وهى أن تسافر إلى بلاد الكفر بلاد يجاهر فيها بالعصيان، وترتكب فيها الفواحش على قارعة الطريق هذه هجرة فى سبيل الشيطان.

٢ - وهجرة أخرى فى سبيل الرحمن، وهى أن تدع مجتمعك الذى تعيش فيه، الذى ضاق فيه رزقك، وضاقت فيه نفسك عن إقامة شرع الله، فتغادره إلى بلد أو مجتمع آخر فيه صعوبات، لكنك تؤثر مرضاة الله، وتصون نفسك ومن تعول عن الحرام، هذا المهاجر يقول عنه الله عز وجل فى كتابه الحكيم: ﴿ **ومن يهاجر فِي سبِيلِ اللَّه يجدْ فِي الأَرْضِ مُراغَما كثيرا وسَعَةً ومن يخْرُجْ منْ بَيْته مُهَاجِرًا**

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى والنسائى

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٤١).

إِلَى اللَّهِ ورسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقد وَقَع أَجْرُهُ عَلَى اللَّه وَكان اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١].

فالهجرة أحد أسباب وفرة الرزق.

٩ -- ومن أسباب الزيادة فى الرزق المتابعة بين الحج والعمرة:

وذلك بزيارة بيت الله الحرام، كلما سنحت لك الفرصة، سواء كان ذلك بحج أو عمرة، ألم يقل النبى ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة**»[١] وفى رواية: «**أديموا الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة**»[٢]

قال أهل العلم: إزالة المتابعة بين الحج والعمرة للفقر، كزيادة الصدقة للمال.

أحبتى فى الله.

لا تشغلوا أنفسكم بأمر الرزق، فإن الله عز وجل قد تكفل به كما ذكرت لكم، ولا تخضعوا لأحد مهما كانت رتبته، أو مكانته من أجل مسألة الرزق لأن الرزق ليس بيد أحد إلا الله عز وجل.

لا تخضعن لمخلوق على طمع
فإن ذلك نقص منك فى الدين
لن يستطيع العبد أن يعطيك خردلة
إلا بإذن الذى سواك من طين
ولا تصاحب قويًا تستعز به
وكن عفيفًا وعظم حرمة الدين

أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام، فقال له:

---

(١) صحيح: رواه الترمذى والنسائى عن ابن مسعود وصححه الألبانى فى تخريج المشكاة (٢٥٢٤) وصحيح الترغيب برقم (١١٣٣)

(٢) صحيح: السلسلة الصحيحة (١١٨٥) رواه الدارقطنى عن جابر وصحيح الجامع (٢٥٣).

يا موسى، خمس كلمات ختمت لك بهن التوراة، إن عملت بهن نفعك العلم كله، وإلا لم ينفعك شيء.

الأولى: كن واثقًا من رزق مضمون لك، ما دامت خزائنى مملوءة، وخزائنى لا تنفذ أبدًا.

الثانية: يا موسى، لا تخف من ذي سلطان، مادام سلطانى باقيًا، وسلطانى لا يزول أبدًا.

الثالثة: يا موسى، لا تَر عيب غيرك، ما دام فيك عيب، والمرء لا يخلو من عيب أبدًا.

الرابعة: يا موسى، لا تدع محاربة الشيطان، ما دام روحك فى بدنك فإن الشيطان لا يدع محاربتك أبدًا

الخامسة: ياموسي، لا تأمن مكري حتى تدخل الجنة، وفي الجنة أصاب آدم ما أصاب، فلا تأمن مكري أبداً.

يا ابن آدم، اقبل على فإنى عليك مقبل، ومتى رمت طلبى فاطلبنى بقلبك بدليل: ما وسعتنى سمائى ولا أرضى، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن. يا ابن آدم، أنا وحقى لك محب، فبحقى عليك كن لى محبًّا.

لا تنسوا العهد الذى بيننا من يوم: ﴿**ألست بربكم..**﴾.

إخوانى:

ينبغى للمسلم أن لا يقف إلا بباب مولاه، ولا يبغى عوضًا سواه، ولا يدعو إلا إياه، ولا يجعل بينه وبينه حجابًا، ويسأله حاجته القليل منها والكثير. قال موسى عليه السلام: يا رب، أسألك القليل والكثير؟ قال: سلنى كل شئ، حتى ملح عجينك، وعلف شاتك.

ونحن نسألك يا ربنا أن توسع أرزاقنا. اللهم وسع أرزاقنا، اللهم بارك لنا في

أرزافنا، اللهم إن كان رزقنا بعيـدا فقربه، وإن كان قريبا فبـارك لنا فيه. اللهم بارك لنا فى أوقاتنا وبارك لنا فى أولادنا، وبارك لنا فى أزواجنا، وارزقـنا العمل الصالح يا رب العالمين.

الوصية رقم (٤٩)

* استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان *

عن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذى نعمة محسود**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أيها الأحبة الكرام.

كونوا بفضل الله وكرمه عليكم إن شاء الله تعالى منفذين **لهذه الوصية النبوية** المباركة، التى يوصيكم فيها أستاذ البشرية، ومعلم الإنسانية ﷺ **فيها بأن تكونوا** لأسراركم كاتمين محافظين عن الناس واستعينوا بالله على الظفر بها. **ثم علل طلب** الكتمان لها بقوله: «**فإن كل ذى نعمة محسود**» يعنى: إن أظهرتم حوائجكم **للناس،** حسدوكم.

أحبتى فى الله.

من الحزم والحكمة أن يحتفظ المسلم بأسراره الخاصة، **يطوى عليها قلبه، ويغلق عليها** فؤاده، ويمسك عنها لسانه، **يطبق** شفتيه، ليكون **فى مأمن من كيد الكائدين،** ومن تدبير الحاسدين الحاقدين

والمسلم وإن حسنت أخلاقه، وسمت سلوكياته، **لا يمكن أن يُرضى كل من** حوله من الناس، **ولا يستطيع أن يكسب مودة كل الناس، ولا محبة كل الناس.** لماذا؟

---

(١) **صحيح:** رواه الطبرانى فى الكبير (٩ ١٦٦) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع **(٩٤٣)** والصحيحة (١٤٥٣)

لأن رضا الناس غـاية لا تدرك. وكل إنسان له محـبون مخلصـون، وله أعداء ناقمون حاسدون.

فالمحب يـريد له الخير، والحـاقد يريد له الشـر، وإذا علم سره تمكـن من إلحاق الأذى به، وربما أصابه فى مـقتل كما يقـولون، وقضى على مسـتقبله، وأفسـد عليه خططه وتدبره.

لذا كان على المسلم أن يحفظ الأسرار ويكتمها كما أرشد بذلك رسول الله ﷺ.

قال ابن حبان البستى - رحمه الله -

فالواجب على من سلك سـبيل ذوى الحجا لزوم مـا انطوى عليه الضميـر بتركه إبداء المكنون فيـه، لا إلى ثقة، ولا إلى غـيره، فإن الدهر لابد أن يضـرب ضرباته، فيوقع ضـد الوصل بينهما بحالة من الأحوال، فـيخرجه وجود ضـد ما انطوى عليه قديمًا من وفائه إلى صحة الخروج بالكلية إلى جفائه، بإبداء مكتوماته، والكشف عن مخبآته[١]

أحبتى فى الله.

قديمًـا قالوا: إن أمناء الأسرار، أقـل وجودًا من أمناء الأموال، وحـفظ الأموال أيسـر من كتـمان الأسرار، لأن إحـراز الأموال منـيعة بـالأبواب والأقفـال، وأحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق[٢]

ومن عجيب الأمور أن الأموال كلما كثـرت خزانها، كان أوثق لها، أما الأسرار فكلما كثرت خزانها، كان أضيع لها.

وهذا الصحـابى الجليل عمـرو بن العاص رضي الله عنه يضع خبـرته وتجاربه فى مـجال الأسرار الخاصة بين أيدينا، حتى نترجمها عمليًا· يقول إذا أفشيت سرى إلى صديقى وأظهره، كان اللوم علىَّ لا عليه.

(١) روضة العقلاء لابن حبان.

(٢) المستطرف فى كل فن مستظرف ص ٢٢٨

قيل له: وكيف ذلك؟

قال: لأنى كنت أولى بصيانته منه.

وقال: عجبت من الرجل يفر من القدر، وهو مواقعه، ومن الرجل يرى القذاة فى عين أخيه، ويدع الجذع فى عينه.

وعجبت من الرجل يخرج الضغن من موضع، ويدع الضغن فى نفسه. وما ندمت على أمر قط، فلمتُ نفسى على تندمى عليه، وما وضعت سرى عند أحد فلمته على أن يفشيه، كيف ألومه وقد ضقت به[1]؟

إذا ضاق صدر المرء عن بعض سره
فألقاه فى صدرى فصدرى أضيق
ومن لامنى فى أن أضيع سره
وضيعه قبلى فذو السر أخرق

وقال المناوى فى فيض القدير

قال بعض الحكماء: من كتم سره، كان الخيار إليه، ومن أفشاه، كان الخيار عليه. وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنع من بلوغ مأربه ولو كتمه، كان من سطوته آمنًا، ومن عواقبه سالمًا، وبنجاح حوائجه فائزًا

وقال بعضهم: سرك مى دمك، فإذا تكلمت فقد أرقته.

وقال أنوشروان: من حصن سره، فله بتحصينه خصلتان: الظفر بحاجته والسلامة من السطوات.

وفى منثور الحكم: انفرد بسرك، ولا تودعه حازمًا فيزول، ولا جاهلاً فيحول[2]

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان.

(٢) فيض القدير للمناوى ١/ ٦٣

وكتمان الأسرار طريق النجاة كما بين الحكماء، يقول علي بن أبي طالب ﷺ:
سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره

أحبتي في الله.

والأسرار أنواع:

الأول: ما أمر الشرع بكتمانه، وهذا واجب على المسلم أن يكتمه ويحفظه مثل: أسرار الزوجية. سر الزوجين وما يحدث بينهما **فالحياة الزوجية الميثاق الغليظ** الذي أخذه الله عليهما

الحياة الزوجية وحدة سكن للنفس، وهدوء الأعصاب، وراحة للبال، وطمأنينة للروح، وهي وحدة حصانة وصيانة وستر، هي وحدة تفاهم وأمل وعمل، وحدة بناء للغد، ورعاية للأبناء، وامتداد للحياة، ورؤية لجمال الحياة. ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُن..**﴾ [البقرة: ١٨٧]

وقال سبحانه ﴿**ومنْ آيَاته أَنْ خلق لَكُم مّن أَنفُسكُمْ أَزْوَاجًا لّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وجَعَل بَيْنَكُم مَّودَّةً ورحْمة..**﴾ [الروم ٢١]

يقول أستاذ البشرية ﷺ «**إنَّ من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**»(١)

فهذا الرجل، أو تلك المرأة من شر الناس عند الله تبارك وتعالى، بل وصل الأمر إلى أن يشبهه النبي ﷺ بشيطان أتى شيطانة على قارعة الطريق، والناس ينظرون إليهما

فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**عسى رجل يحدث بما يكون بينه وبين أهله، أو عسى امرأة تحدث بما يكون بينها وبين زوجها، فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في ظهر الطريق، فغشيها والناس ينظرون**»(٢)

---

(١) رواه مسلم (١٤٣٧)

(٢) **حسن**: رواه الطبراني وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٨ ٤).

وفى السلسلة الصحيحة:

«**ألا هل عست امرأة أن تخبر القوم بما يكون من زوجها إذا خلا بها؟ ألا هل عسى رجل أن يخبر القوم بما يكون منه إذا خلا بأهله؟** فقامت منهن امرأة سفعاء الخدين، فقالت: والله إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن. قال: **فلا تفعلوا ذلك، أفلا أنبئكم ما مثل ذلك؟ مثل شيطان أتى شيطانة بالطريق، فوقع بها، والناس ينظرون**»[١]

ولقد أدرك السلف مكانة البيت المسلم، فحافظوا على سره، وصانوه من أن تلوكه الألسن، وهذا مثال لا على سبيل الحصر

أراد أحدهم أن يطلق امرأته، فقيل له: ما الذى يريبك منها؟

أجاب: العاقل لا يهتك سر امرأته.

فلما طلقها فقيل له: لم طلقتها؟

أجاب: ما لى ولامرأة غيرى؟!

أيها الأحبة الكرام.

ولنا من سرٍّ أذيع فى بيت النبوة العظة والعبرة.

كان رسول الله ﷺ فى بيت حفصة وفى يومها، فخرجت لبعض شأنها، وعند عودتها أخبرت بأن مارية القبطية - أم إبراهيم - فى خلوة مع المصطفى ﷺ فقالت: يا رسول الله، أفى ليلتى وفى حجرتى يا رسول الله؟ ما كنت لتصنع ذلك لولا هوانى عليك. فترضاها رسول الله ﷺ حتى حرم نفسه على مارية، وحلف لها أن لا يصيبها، وطالبها بالكتمان.

فهدأت نفسها، ولكن كيف تكتم السر، وقد اهتزت مكانتها فى مجتمع الأسرة، فلترد اعتبارها بإعلانه. فسارعت إلى عائشة رضي الله عنها وألقت بالسر وأباحت به لها.

---

(١) السلسلة الصحيحة برقم (٣١٥٣).

فبدأت حملة عداء ضد مارية. حتى نزلت الآيات المباركة: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا..**﴾ [التحريم: ١ - ٣] فالعاقل من حافظ على أسرار بيته، والأحمق من ابتلى بشهوة الكلام فهتك الأسرار وأذاعها

والعاقلة من حافظت على سرها، والحمقاء من نشرت واقع حياتها للفارغين التافهين.

النوع الثاني من الأسرار: ما طلب صاحبه كتمانه:

وهذا لا يجوز لك إنشاؤه، ولا يجوز للمسلم كشف ذلك السر، ولو بعد القطيعة، وهذا إفشاؤه خيانة عظمى قال ﷺ: «**إذا حدّث الرجل بالحديث ثم التفت فهي أمانة**».

والكرام ينأون بأنفسهم عن أخلاق اللئام، فقد رأينا هؤلاء الكرام يربون أبناءهم على حفظ الأسرار، وعدم إشاعتها، فها هي أم أنس بن مالك رضي الله عنهما يتأخر عنها ولدها أنس، فتسأله: ما حبسك؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قال: إنها سر، قالت: لا تحدثن بسر رسول الله ﷺ أحدًا.

وذات يوم أسر معاوية رضي الله عنه إلى الوليد بن عتبة حديثًا، فقال الوليد لأبيه: يا أبتي، إنّ أمير المؤمنين أسرَّ إلى حديثًا، وما أراه يطوى عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به، فإن من كتم سرًّا، كان الخيار له ومن أفشاه، كان الخيار عليه.

قال الوليد: يا أبتي، وإنَّ هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه؟ قال: لا والله يا بني، ولكن لا أحب أن تذلل لسانك بأحاديث السر

قال الوليد: فأتيت معاوية رضي الله عنه فأخبرته، فقال: يا وليد أعتقك أخي من رق الخطأ

إذا المــرء أفـــــشى ســـــره بـلســـــانـه
ولام عليـــه غـــيـــره فـــهـــو أحـــمق
إذا ضـــاق صـــدر المرء عن ســـر نفـــســـه
فـــصـدر الـذى يسـتــودع الســر أضـيق(١)

النوع الثالث من الأسرار: فهو ما اطلع عليه بسبب العمل أو المهنة، وهذه قضية مهمة جداً.

مثال هذا النـوع: يوجد طبيب، وبحكم عمل هذا الطبـيب قد يطلع على بعض أسرار الناس، لو كان طبيبـا نفسانيًا مثلا، فيفشـى تلك الأسرار فلا يجوز وكذلك لو كان طبيبًا للنساء أو يعـالج الرجال. فقد يطلع على بعض الأسرار أو عورات الناس من حوله، فلا يجوز له إفشاؤها.

وكذلـك لو كان هناك مـحاسب فى شـركة من الشـركات، وعرف أسـرار هذه الشركة من أرباح وخسائر فلا يجوز له إفشاؤها.

أيها الأحبة الكرام.

كان أصحـاب رسول الله ﷺ أحفظ ما يكون للأسـرار. فالسيدة حـفصة بنت عمر ﵄ حـين تأيمت من زوجها (خنيس بن حـذافة السهمى) وكـان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى بالمدينة، يقـول عمر بن الخطاب ﵁ أتيت عثمـان بن عفان ﵁ فعرضت عليـه حفصة فقـال: سأنظر فى أمرى، فلبث ليالى ثم لقـينى، فقال: لقد بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا، فقال عمـر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت، زوجتك حفـصة، فصمت أبو بكر، فلم يرجع إلى شيئـا، وكنت أوجد عليه منى على عثمان، فلبثت ليالى، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقينى أبو بكر. فـقلت له: لعلك وجدت على حـين عرضت على حـفصـة، فلم أرجع إليك شيئًا؟ قال عمر نعم.

---

(١) ديوان الإمام الشافعى.

قال أبو بكر بم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت على حفصة إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها - أى لنفسه - فلم أكن لأفتنى سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله لقبلتها[١]

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه حفظ سر رسوله وصديقه وحبيبه رسول الله ﷺ.

وعن يحيى بن الجزار قال دخل ناس من أصحاب رسول الله ﷺ على أم سلمة، فقالوا لها: يا أم المؤمنين، حدثينا عن سر رسول الله ﷺ فقالت: كان سره وعلانيته سواء. تقول: ثم ندمت على ذلك وحزنت على أنى أفشيت سر رسول الله فلما دخل رسول الله ﷺ أخبرته، فقال. «**أحسنت**»[٢] أى أحسنت فى أنك أخبرت هؤلاء الناس أن النبى لا يتعامل مع الناس بوجه، ثم هو فى بيته يتعامل بوجه آخر. بل كانت أحواله ﷺ فى الخلق والتقوى والورع فى بيته، وخارج بيته واحدة لا تتبدل ولا تتغير

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: ركب رسول الله ﷺ بغلته، وأردفنى خلفه، وكان رسول الله ﷺ إذا تبرز كان ما تبرز فيه هدف يستتر به أو حائش نخل، فدخل حائطًا - أى بستانًا - لرجل من الأنصار، فإذا فيه بعير له، فلما رأى النبى ﷺ حنَّ إليه، وذرفت عيناه، فنزل رسول الله ﷺ فمسح ذِفراه - أى خلف أذنه - وسراته - أى أعلاه - فسكن، فقال رسول الله: «**من رب هذا الجمل؟**» فجاء شاب من الأنصار، فقال: أنا يا رسول الله. فقال له الرسول ﷺ: «**ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها؟ فإنه شكاك إلىَّ، وزعم أنك تجيعه وتدئبه**»

ثم ذهب رسول الله ﷺ فى الحائط، وقضى حاجته، ثم توضأ ثم جاء والماء يقطر من لحيته على صدره، فأسر إلى شيئًا لا أحدث به أحدًا، يقول عبد الله بن

---

(١) رواه البخارى

(٢) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده.

جعفر فحرجنا عليه - أى ألححنا عليه - أن يحدثنا به، فقال: لا أفشى على رسول الله ﷺ سره، حتى ألقى الله تعالى[1]

أرأيتم إلى هذا الصحابى الجليل ﷺ كيف ألح عليه الصحب الكرام، لكنه رفض، وأصر على عدم إفشائه السر حتى تنتهى حياته؟

وهذه فاطمة الزهراء ابنة الحبيب المصطفى ﷺ تأتى إليه فلما رآها، رحب بها، وقال لها: «**مرحبًا بابنتى**» ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارَّها، فبكت بكاءً شديدًا، فلما رأى جزعها، سارَّها الثانية، فضحكت، فقلت لها - أى عائشة - خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار - أى الأسرار ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت. ما كنت أفشى على رسول الله ﷺ سره.

فلما توفى رسول الله ﷺ تقول عائشة ﷺ: عزمت عليك بمالى عليك من الحق لما حدثتينى ما قال لك رسول الله ﷺ.

فقالت فاطمة ﷺ: أما الآن، فنعم، أما حين سارَّنى فى المرة الأولى، فأخبرنى أن جبريل كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة أو مرتين، وأنه عارضه الآن مرتين، وقال: «**إنى لأظن الأجل إلا قد اقترب، فاتقى الله واصبرى، فإنه نعم السلف أنا لك**».

قالت: فبكيت بكائى الذى رأيت، فلما رأى جزعى سارَّنى الثانية، فقال «**يا فاطمة، أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة**»؟فضحكت ضحكى الذى رأيت[2]

أحبتى فى الله.

كونوا منفذين لهذه الوصية العظيمة المباركة، وكونوا أمناء على الأسرار واعلموا أن هذه الوصية من الرسول الأعظم. تعلمها من بعده سلف الأمة فهذا سيدنا العباس

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد وأبو داود وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢)

(٢) رواه البخارى (٣٦٢٤) ومسلم (٢٤٥).

عم الرسول ﷺ يوصى ابنه عبـد الله، وهو فى شبابه لما رأى عـمر بن الخطاب ﷺ يقربه ويقدمه فى مجالسه، قائلاً له: «لا تفشين له سرًّا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تجرين عليه كذبًا، ولا تعصين له أمرًا، ولا يطلعن منك على خيانة».

قال الشعبى - رحمه الله - كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف[1]

فـــجــزاهم الله عـن دين الرسـول فـمـا
أحلـى مــآثرهـم فى ســالـف الحــقب
لـولا لطـائف صـنـع الله مـــا نبــتـت
تـلـك المكـارم فى لحـم ولا عــصـب

إلهنا هذا ذلنـا ظاهر بين يديك، وهذا حـالنا لا يخـفى عليـك، منك نطلب الوصول إليك، وبك نستدل عليك، فاهدنا بـنورك إليك، وأقمنا بصدق العبودية بين يديك.

إلهنا، بك نستنصر فانصرنا، وعليك نتـوكل فلا تكلنا، وبك نسأل فلا تخيبنا. وببـابك نقف فـلا تطردنا، ومن فـضلك نرغب فلا تحـرمنا، وبجنابك نـنتسب فـلا تبعدنا.

إلهنا. ماذا فـقد من وجدك؟ وماذا وجـد من فقدك؟ من فـقدك فقد فـقد كل شىء، ومن وجدك فقد وجد كل شىء.

اللهم إنا محتاجون فأعطنا، وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا. وهب لنا قدرة على طاعتـك. وراحة فى قلوبنا بالتـوكل عليك، واغفـر لنا يا رب العالمين، واختـم لنا بخير فأنت حسبنا ونعم الوكيل

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالى (٢/ ١٩٥)

الوصية رقم (٥٠)
ابدأ بمن تعول

عن أبى أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«يا ابن آدم، إنك إن تبـذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول»**(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كونوا منفـذين لهذه الوصية المباركـة، والتى يحث فيها النـبى الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ أمته الكريمة على الإنفاق فى وجوه الخير، وبذل الصدقة.

يقول الإمام النووى - رحمه الله - فى معناها:

معناه: إن بذلت الفاضل عن حاجتك، وحاجة عيالك، فهو خير لك لبقاء ثوابه، وإن أمسكته، فهو شر لك، لأنه إن أمسك عن الواجـب استحق العقاب عليه، وإن أمسك عن المندوب، فقد نقص ثوابه وفوت مصلحة نفسه فى آخرته، وهذا كله شر(٢)

أحبتى الكرام.

المال مال الله عز وجل وقد اسـتخلف - تعالى - عباده فيه، لـيرى كيف يعملون ثم هو سائلهم عنه إذا قدموا بين يديه، من أين جمعوه؟ وفيم أنفقوه؟ فمن جمعه من حله، وأحسن الاستـخلاف فيه، فصـرفه فى طاعة الله ومرضاته، أثيب على حـسن تصرفه، وكان ذلك من أسباب سعادته، ومن جمعه من حرام، أو أساء الاستخلاف فيه، فصرفه فيما لا يحل عوقب، وكان ذلك من أسباب شقاوته، إلا أن يتغمده الله برحمته.

---

(١) رواه مسلم والترمذى وذكره الألبانى فى صحيح الترغيب (٩١٦)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى (٣/ ٤٨٧) وتحفة الأحوذى (٦/ ١٢٨).

وإن من أعظم ما شرع الله تعالى (النفقة) وحث عباده عليها وقد شرعت النفقة، أو الصدقة لأغراض متعددة، ومن هذه الأغراض:

١ - سد خلة المسلمين وحاجتهم.

٢ - معونة الإسلام وتأييده

وقد جاءت نصوص كثيرة، وآثار عديدة، تبين فضائل هذه العبادة الجليلة، وآثارها، وتوجد الدوافع لدى المسلم للمبادرة بفعلها.

ومن هذه الفضائل:

١ - أن الصدقة تدل على رفعة منزلة صاحبها، لأنها من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عز وجل، ودليل ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**وإنّ أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مؤمن، تكشف عنه كربًا، أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا**»(١)

بل إنَّ الصدقة لتباهى غيرها من أعمال البر، وتفخر عليها، وفى ذلك يقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: إنَّ الأعمال تتباهى، فتقول الصدقة أنا أفضلكم.

وهذه الرفعة للصدقة تشمل صاحبها، فهو بأفضل المنازل، كما قال ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل فيه حقًّا، فهذا بأفضل المنازل..**»(٢)

وهذا النفر هو صاحب اليد العليا - أى اليد المتصدقة، كما أخبرنا بذلك سيد الأولين والآخرين ﷺ كما جاء فى رواية أخرى للوصية التى بين أيدينا. «**اليد**

---

(١) **حسن**: رواه أبو الشيخ فى الثواب، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٥٥) وصحيح الجامع (١٧٦).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح رواه أحمد وابن ماجة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤ ٣)

العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله..» [(١)]

وهذا الصنف المنفق، المتصدق كما هو من أهل المعروف فى الدنيا فهو من أهل المعروف فى الآخرة، قال ﷺ: «**أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة**»[(٢)]

وهو من خير الناس، لنفعه إياهم، وقد جاء فى الحديث المرفوع: «**خير الناس، أنفعهم للناس**»[(٣)]

ولا تقتصر رفعة المنفق على الآخرة، بل رفعته فى الدنيا قبل الآخرة، لأن من جاد، ساد، ومن بخل، رذل. بل قال محمد بن حبان: كل من ساد فى الجاهلية والإسلام، حتى عرف بالسؤدد، وانقاد له قومه، ورحل إليه القاصى والدانى، لم يكن كمال سؤدده، إلا بإطعام الطعام، وإكرام الضيف.

٢ - الصدقة وقاية لصاحبها من عذاب الله، وسبب فى دخوله الجنة:

حتى ولو كانت بشق تمرة. نعم حتى ولو كانت بشق تمرة، يقول ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»[(٤)] وفى رواية: «**من استطاع منكم أن يستتر من النار، ولو بشق تمرة، فليفعل**»[(٥)]

وقال لعائشة ﵂ يومًا: «**ياعائشة، استترى من النار، ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان**»[(٦)]

---

(١) رواه مسلم والبخارى وأحمد وغيرهم.

(٢) **صحيح**: رواه الطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٨٩) وصححه فى صحيح الجامع برقم (٣١ ٢).

(٣) **حسن**: حسنه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (٢٦٢٣) وقد تخرج فى موضع آخر.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه مسلم وهو فى صحيح الجامع برقم (١٧ ٦).

(٦) **حسن**: رواه أحمد باسناد حسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٨٦٥)

٣ - النفقة تنفس الكروب، كما قال النبى المحبوب ﷺ: **«من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر، أو يضع عنه»**(١) من مفاتيح تخطى الأهوال: التيسير على المحتاج، أو إعطاء الفقير، أو فرج عن المكروب. ساعد مُدانًا. لذا أخبرك الحسن البصرى - رحمه الله - فقال: «أدركت أقوامًا كانوا يعزمون على أهليهم، أن لا يحرموا سائلاً ولا يردوه خائبًا»

ويحفزكم أبو اليسر، إذ يقول: أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول: **«إنَّ أول الناس يستظل فى ظل يوم القيامة، لرجل أنظر معسرًا، حتى يجد شيئًا، أو الصدقة عليه بما يطلبه، يقول: ما لى عليك صدقة، ابتغاء وجه الله، ويحرف صحيفته»**(٢) ونجمل القول بقول المعصوم ﷺ **«أيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عرى، كساه الله تعالى من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع، أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ، سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم»**(٣)

٤ - النفقة تطفئ حريق ذنوبك ألم يقل خير البرايا ﷺ: **«الصدقة تطفئ الخطيئة، كما يطفئ الماء النار»**.

يا جرحى الذنوب. ها هو المرهم. يا أسير الأوزار، جاءك السراج. وليس المعنى أن تعصى ثم تتصدق، فماذا تركت للمغبون؟ ألم يقل رب الأرض والسموات: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ..**﴾ [هود: ١١٤] وهذا نص عام يشمل فعل كل الحسنات، وفعل الخيرات، والإنفاق والصدقات أعظم الحسنات والخيرات، فهى داخلة بالأولوية.

أيها العبد الضعيف أنفق ولا تبخل على إخوانك من فقراء المسلمين، فالرزق بيد

---

(١) رواه مسلم والطبرانى فى الأوسط وغيرهما

(٢) **حسن**. رواه الطبرانى فى الكبير (١٩/ ١٦٧) رقم (٣٧٧).

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

الرزاق، يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء: ﴿وفى السماء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: لو أنَّ رجلاً أنفق مثل جبل أحد، فى طاعة الله، لم يكن من المسرفين.

أنفق ولا تبخل. «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمَّ أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعط ممسكًا تلفًا**»(١)

أنفق ولا تبخل. ﴿**ومن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عن نَّفْسه واللَّهُ الْغَنِي وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**﴾ [محمد: ٣٨] لا تخش فقرًا، فإن الله عز وجل قد تكفل لمن أنفق بالخلف ما دام فى طاعته ومرضاته. ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شيْءٍ فَهُوَ يُخْلفُهُ وَهُو خَيْرُ الرَّازِقِين..**﴾ [سبأ: ٣٩] رسول الله ﷺ يقول لبلال بن رباح ﷺ: «**أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالاً**»(٢) وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال..**»(٣) بل تزيده وتباركه.

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت
على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية
ولايضر مع الإقبال إنفاق

يا بخيل أنفق. لا تتردد ففضائل الإنفاق والبذل والعطاء أكثر من أن تحصى. قال عبيد بن عمير ﷺ: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، فمن أطعم لله عز وجل، أشبعه الله، ومن سقى لله عز وجل، سقاه الله، ومن كسا لله عز وجل، كساه الله.

---

(١) صحيح. رواه البخارى ومسلم.

(٢) صحيح. رواه البزار والطبرانى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥١٢) وصحيح الترغيب (٩٢١).

(٣) رواه مسلم والترمذى.

وما أجمل مقولة بعضهم: أنفق ما فى الجيب، يأتيك ما فى الغيب.

٥ - الإنفاق والبذل فى طاعة الله ومرضاته يبارك المال، ويزيد الأرزاق، ألم يقل النبى ﷺ لأسماء بنت أبى بكر ﵄ حين قالت له: ما لى مال إلا ما أدخل علىَّ الزبير، فقال: «**أنفقي ولا تحصى، فيحصى الله عليك، ولا توعى، فيوعى الله عليك**»(١)

والتجربة المحسوسة تثبت أن «**المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤونة**» وأن العبد يأتيه بقدر عطيته ونفقته، فمن أكثر، أُكثر له، ومن منع، مُنع منه، ومن أمسك، أُمسك عليه.

السيدة عائشة ﵂ جاءها مسكين وهى صائمة، وليس فى بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاتها: أعطيه إياه.

فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه

فقالت: أعطيه إياه. قالت الجارية ففعلت.

قالت: فلما أمسينا، أهدى لنا أهل بيت - أو إنسان - ما كان يهدى لنا - شاة، وكفّنها - أى غطاها بالخبز فدعتنى، فقالت: كلى من هذا، هذا خير من قرصك(٢)

أحبتى الكرام.

ما أكثر الخير فى شريعة الإسلام، وما أجهل المرء إذا فرط فى اغتنام هذه الأبواب، ومن أبواب الخير فى شريعة الإسلام [النفقة على الزوجة والأولاد] ولذا قال النبى ﷺ فى الوصية:

(وابدأ بمن تعول):

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى.

(٢) موطأ الإمام مالك ٢/ ٩٩٧

أليس الرجل يعول زوجته وأولاده؟ أليست النفقة على الزوجة والأولاد واجبة على الزوج؟ أليس الرجل يعاقب إذا لم يقم بهذه النفقة؟

إذًا ما دام يعاقب بتركها، فيثاب بفعلها يؤجر، لأنه يطيع الله عز وجل فى قوله تعالى ﴿**وعَلَى الْمَوْلُود لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكسوَتُهُن بالْمعروف..**﴾ [البقرة: ٢٣٣] يؤجر لأنه لم يضيع من يعول، كما يفعل كثير من الناس، وقد قال ﷺ «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت**»[١] ورواه مسلم بلفظ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته**»[٢]

يؤجر لأنه يعمل لا لنفسه فقط، بل لنفسه وزوجته، وأولاده، ومجتمعه وأمته يؤجر لأنه يتحرى الحلال من المال والطعام والشراب، ولا يغذيهم على الحرام. يؤجر لأنه يعلم أنه سيسأل عن هؤلاء، قال ﷺ «**إنَّ الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ ذلك أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**»[٣] وقال: «**كلكم راع فى أهله، ومسئول عن رعيته..**»[٤]

وأهل العلم على أن النفقة على الزوجة واجبة على الزوج، كل على حسبه. استدلالاً بقوله تعالى: ﴿**لِيُنفقْ ذُو سَعَة من سعته ومن قُدر عَلَيْه رِزقُهُ فَلْيُنفق ممَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاها..**﴾ [الطلاق: ٧]

واستدلوا من السنة بقوله ﷺ: «**اتقوا الله فى النساء، فإنهن عوان عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**»[٥]

---

(١) رواه مسلم بنحوه وأبو داود والنسائى والحاكم وأحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

(٥) رواه مسلم.

أحبتى فى الله .

إن بعض الناس - هدانا الله وإياهم - ينفق، بل ويبسط يده بالنفقة على الغرباء، فيعطى هذا، ويطعم هذا، ويضيف هذا، ويسعى فى حاجة هذا أما فى بيته فتجده من أشد الناس بخلاً وشحًا، وإمساكًا

ألم يعلم مثل هذا أن أولى الناس بماله ونفقته، هى زوجته وأولاده ومن يعول، الأقرب منهم فالأقرب.

ألم يقل النبى ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**»(١)؟

ألم يقل المعلم الأعظم، والرسول الأكرم ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل، دينار ينفقه على عياله، ودينار ينفقه على فرسه فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله**»(٢)

قال المنذرى فى الترغيب: قال أبو قلابة: بدأ بالعيال، ثم قال: وأى رجل أعظم أجرًا من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم الله به، أو ينفعهم الله به ويغنيهم. وقال صلوات ربى وسلامه عليه: «**دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا، الذى أنفقته على أهلك**»(٣)

فإذا أراد المسلم الثواب العظيم، فأعظم الثواب فى النفقة على الزوجة والعيال لكن إن أردت الرياء والسمعة، فهما محبطان للأعمال، ومضيعان للأجر والثواب. يقول سيد الأحباب ﷺ لسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: «**وأنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله، إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعل فى فىِّ - أى فم - امرأتك**»(٤)

---

(١) **صحيح**. رواه الترمذى والدارمى والحاكم وصححه الألبانى فى المشكاة (٣٢٥٢) وصحيح الترغيب برقم (١٩٢٤)

(٢) رواه مسلم والترمذى.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخارى ومسلم.

وفى رواية: «**إنك مهما أنفقت على أهلك من نفقة، فإنك تؤجر، حتى اللقمة ترفعها إلى فيِّ امرأتك**»(١)

وعن أبى مسعود البدري رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذا أنفق الرجل على أهله، وهو يحتسبها، كانت له صدقة**»(٢) فقوله ﷺ (وهو يحتسبها) يدل على اشتراط النية فى هذه النفقة، فمن لا نية صالحة له، لا أجر له. وهكذا فى جميع أعمال العبادة. فاحتسب الأجر عند الله، وتذكر أنك بنفقتك تطعم بطونًا جائعة، تموت إذا فقدت الطعام والشراب. تذكر أنك تكسو مسلمة، إن لم تكسها، صارت عارية متبرجة. تذكر أنك تدخل السرور على زوجتك وأولادك بما تقدمه لهم من طعام أو شراب أو كسوة. تذكر أنك تسعد نفسك والآخرين معك بهذا الإنفاق. واليد العليا، خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول.

لما أمر النبى ﷺ أصحابه، فقال لهم: «**تصدقوا**»

فقال رجل: يا رسول الله، عندى دينار.

قال: «**أنفقه على نفسك**» قال: إن عندى آخر.

قال: «**أنفقه على زوجتك**» قال: عندى آخر

قال: «**أنفقه على ولدك**» قال: عندى آخر

قال: «**أنفقه على خادمك**» قال: عندى آخر.

قال: «**أنت أبصر به**»(٣)

وقال ﷺ: «**من أنفق على نفسه نفقة يستعف بها، فهى صدقة، ومن أنفق على امرأته وولده، وأهل بيته، فهى صدقة**»(٤)

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

(٣) **صحيح**: رواه ابن حبان فى صحيحه وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (١٩٥٨).

(٤) **حسن**: رواه الطبرانى بإسنادين أحدهما حسن كما ذكره المنذرى وحسنه الألبانى فى صحيح =

حتى كوب الماء الذى تعطيه إياهم، وهو فى متناول الجميع، تؤجر عليه.

فعن العرباض بن سارية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ الرجل إذا سقى امرأته من الماء، أُجر»**[1] فأتيتها - أى زوجتى - فسقيتها، وحدثتها بما سمعت من رسول الله ﷺ. فمتى سوف تسارع كما سارع هذا الصحابى الجليل مقتديًا ومتأسيا بسلف هذه الأمة؟ متى تضع اللقمة فى فم أولادك وعيالك؟ متى تمازح أهلك، وتدخل السرور عليهم محتسبًا ذلك عند الله تعالى؟!

متى تحسن عشرتهم ومعاملتهم؟ متى تشعرهم بالمودة والأمان والاطمئنان؟

أسأل الله جل فى علاه أن يُفرج كروبنا، ويقضى حاجاتنا بفضله وجوده وكرمه، يا أكرم الأكرمين، ويا أجود الأجودين

اللهم إن لم نكن أهلاً لأن نبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغنا فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة. اللهم أدخلنا الجنة مع الأبرار

اللهم إياك أملنا، وما عندك طلبنا، ولإحسانك تعرضنا، ورحمتك رجونا، ومن عذابك أشفقنا، وإليك بأثقال الذنوب هربنا، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم:

= الترغيب برقم (١٩٥٧)

(١) **حسن**: رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب برقم (١٩٦٣)

الوصية رقم (٥١)

* اصرف بصرك *

عن جرير بن عبد الله البجلى ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فقال: «**اصرف بصرك**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

كونوا منفذين لهذه الوصية النبوية المباركة، والتى توجهنا إلى أمر هام يقع فى حياتنا الاجتماعية وغيرها، وهو النظر إلى الغير نظر الفجأة - والمقصود به: أن يقع بصره على امرأة أجنبية، أو صادف نظره صورة خليعة، معروضة على شاشات التلفاز، أو الإنترنت، أو ما شابه ذلك بغير قصد، فإنه لا عقاب عليه فى أول نظرة، وينبغى أن يصرف بصره فى الحال، فإن فعل ذلك فلا إثم عليه، وإلا فيحرم عليه ويكون بذلك آثمًا فقد قال ﷺ لسيدنا على بن أبى طالب ﷺ «**يا على، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**»(٢)

وربنا تعالى إذا حرم شيئًا لم يحرمه إلا لما فيه من المفاسد، وإذا أحل شيئًا، فإنما يحله لنا لما فيه من المصالح، ولذلك فإن ربنا عز وجل لم يحرم النظر بكافة أشكاله وألوانه وصوره، وإنما حرم النظر إلى النسوان والمردان، سواء كان ذلك عبر وسائل الإعلام المرئية، أو عبر حاسة العين مباشرة. لماذا؟

لأن العين تعد نعمة من أعظم النعم التى أنعم الله عز وجل بها على الإنسان فنعمه

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى.

(٢) **حسن**: رواه أحمد فى مسنده وأبو داود والترمذى والدارمى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٧٩٥٣)

سبحانه لا تعد، ولا تحصى ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** .. ﴾ [النحل ١٨] وقال سبحانه: ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** .. ﴾ [لقمان: ٢].

فمن الواجب علينا شكر هذه النعمة، ويتمثل في شكر المتفضل علينا بهذه النعمة، وهو أن نستخدمها فيما لأجله خلقت، ولما يعود على صاحبها من النفع والفائدة في الدنيا والآخرة.

يقول تعالى موجهًا عباده: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ** .. ﴾ [النور: ٣، ٣١].

في هاتين الآتيين يأمر الله عز وجل الرجال والنساء بغض البصر لكونه أصلاً لحفظ الفرج.

يقول ابن القيم - رحمه الله - بعد أن ساق هاتين الآيتين: لما كان غض البصر أصلاً لحفظ الفرج، بدأ به، ولما كان تحريمه تحريم الوسائل، فيباح للمصلحة الراجحة، ويحرم إذا خيف منه الفساد، ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة، لم يأمر بغضه مطلقًا، بل أمر بالغض منه، فأما حفظ الفرج فواجب بكل حال، لا يباح إلا بحقه، فلذلك عم الأمر بحفظه.

وذكر الإمام القرطبي في تفسيره: أن النظر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثرت السقوط من جهته، ووجب التحذير منه.

ويقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في تفسير الآيه: النظر داعية إلى فساد القلب، قال بعض السلف: والنظر سهم إلى القلب، فلهذا أمر الله تعالى بحفظ الفروج، كما أمر بغض الأبصار، التي هي بواعث إلى ذلك.

وذكر الإمام ابن كثير - رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿ **ذلك أزكى لهم** ﴾ أي أطهر لقلوبهم، وأتقى لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره، أورثه الله نورًا في بصيرته، ونورًا في قلبه.

وقدم سبحانه غض البصر على حفظ الفرج، لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور، وغض البصر من أجل الأدوية لعلاج القلب، وفيه حسم لمادتها، وبامتثال المؤمن لغض البصر، وحفظ الفرج، يسلم من حبائل الشيطان، وهواجس النفس، وبلبلة الفكر، وضياع دينه ودنياه، ويسلم المجتمع من إشاعة الفواحش والفوضى الجنسية بين أفراده قال شجاع بن شاة الكرمانى - رحمه الله -

من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة.

أحبتى فى الله.

والسنة المطهرة قد أكدت وحذرت كذلك، قال ﷺ: «**إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فالعين تزنى، وزناها النظر، واللسان يزنى وزناه النطق، والرجل تزنى وزناها الخطى، واليد تزنى وزناها البطش، والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**»[1]

كل الحوادث مبدؤها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم من نظرة فتكت بقلب صاحبها

فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها

فى أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته

لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

قال سفيان: قال عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ: إياك والنظرة، فإنها تزرع فى القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة.

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

وقال الشاعر الحكيم:

ليس الشجاع الذى يحمى مطيته
يوم النزال ونار الحرب تشتعل
لكن من غض طرفًا أو ثنى بصراً
عن الحرام فذاك الفارس البطل

وهذا حسان بن سنان يخرج يوم عيد، فلما رجع، قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة قد نظرت إليها اليوم؟! فلما أكثرت قال: ويحك! ما نظرت إلا فى إبهامى منذ خرجت من عندك، حتى رجعت إليك

وقال سفيان: كان الربيع بن خثيم يغض بصره، فمر به نسوة، فأطرق حتى ظن النسوة، أنه أعمى، فتعوذن بالله من العمى

فهكذا كان السلف يخافون من الله عز وجل، ويحفظون أبصارهم عما حرم الله عز وجل، لماذا؟

لأنهم علموا أن البصر نعمة من الله عز وجل، فاستعملوه فيما خلق لأجله، يعلمون أنه خلق لهم بصراً لينظروا به عظيم ملكه. ﴿**أَوَلَمْ ينظُرُوا فى مَلَكُوت السموات وَالأَرْضِ وَمَا خَلَق اللَّهُ من شيْءٍ وأنْ عسىٰ أَن يَكُونَ قَد اقْتَرَب أَجَلُهُمْ..**﴾ [الأعراف: ١٨٥]

علموا أن الله عز وجل أحاطه بمزيد من العناية والرعاية والحفظ، فحفظوه قال مولانا فى كتابه: ﴿**قُلْ هُو الَّذى أنشَأَكُمْ وجعل لَكُمُ السَّمْع وَالأَبْصَار وَالأَفْئدَةَ قَليلا مَّا تشْكُرُونَ**﴾ [الملك: ٢٣]

قال السعدى - رحمه الله - خص هذه الأعضاء لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من هذه الأبواب الثلاثة.

وقد جعل الله عز وجل العين فى أعلى الرأس، فهى كالمصابيح فُوق المنارة، لتتمكن من مطالعة الأشياء، فلم يكن لها موضع يليق بها إلا الرأس. لم يجعلها

فى الأعضاء التى تمتهن كاليدين والرجلين، فتتعرض للآفات بمباشرة الأعمال والحركات، ولم يجعلها فى الأعضاء التى فى وسط البدن، كالبطن والظهر، فيعسر عليك التلفت والإطلاع على الأشياء

فليحذر المسلم من النظر إلى ما متع الله به غيره فى هذه الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿ **لا تمدنَّ عينيك إلىٰ ما متَّعنا به أزواجا منهم..** ﴾ [الحجر ٨٨] لا تستعمل بصرك فى معصية الله عز وجل، واحذر أن تكون العقوبة سلب تلك النعمة. والنظرة المحرمة سهم من سهام إبليس اللعين كما قال النبى الأمين ﷺ: «**النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة، أورث الله قلبه حلاوة يجدها إلى يوم القيامة**»[1] والشيطان دائمًا وأبدًا عدو للإنسان فلماذا نوافقه؟ لماذا نطيعه؟ وهو الذى قال لمولانا: ﴿ **لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ﴿١٦﴾ ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين.** ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]

والإنسان لو عبد ربه طوال عمره، ولم يعصه طرفة عين، فإن ذلك كله لا يوازى شكر هذه النعمة، نعمة البصر

اسمعوا هذا الحديث الطويل الذى رواه الحاكم فى المستدرك، وصحح إسناده وضعفه آخرون.

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال «**خرج من عندى خليلى جبريل آنفًا، فقال: يا محمد، والذى بعثك بالحق، إن لله عبدًا من عبيده، عبد الله تعالى خمس مائة سنة على رأس جبل فى البحر، عرضه وطوله ثلاثون ذراعًا فى ثلاثين ذراعًا، والبحر محيط به، أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج الله عز وجل له عينًا عذبة بعرض الأصبع تبض بماء عذب، فتستنقع فى أسفل الجبل، وشجرة رمان تخرج له كل ليلة رمانة، فتغذيه يومه، فإذا أمسى نزل، فأصاب من الوضوء، وأخذ تلك الرمانة فأكلها، ثم قام لصلاته، فسأل ربه عز وجل عند وقت الأجل أن**

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد وأخرجه أحمد فى مسنده.

يقبضه ساجدًا، وأن لا يجعل للأرض، ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً، حتى يبعثه وهو ساجد، قال: ففعل، فنحن نمر عليه إذا هبطنا، وإذا عرجنا، فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة، فيوقف بين يدى الله عز وجل، فيقول له الرب: أدخلوا عبدى الجنة برحمتي، فيقول: رب بل بعملي، فيقول الرب: أدخلوا عبدى الجنة برحمتي فيقول: ربِّ بل بعملي، فيقول الله عز وجل للملائكة: قايسوا عبدى بنعمتي عليه، وبعمله، فتوجد نعمة البصر، قد أحاطت بعبادة خمس مائة سنة، وبقيت نعمة الجسد، فضلاً عليه، فيقول: أدخلوا عبدى النار، قال: فيُجر إلى النار، فينادي: رب برحمتك، أدخلني الجنة، فيقول: ردوه فيوقف بين يديه، فيقول: يا عبدى، من خلقك، ولم تك شيئًا؟ فيقول: أنت يارب، فيقول: كان ذلك من قبلك أو برحمتي؟ فيقول: بل برحمتك فيقول: من قواك لعبادة خمس مائة عام؟ فيقول: أنت يارب، فيقول: من أنزلك فى جبل وسط اللجة، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج مرة فى السنة، وسألتنى أن أقبضك ساجدًا، ففعلت ذلك بك؟ فيقول: أنت يارب.. فقال الله عز وجل: فذلك برحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة، أدخلوا عبدى الجنة فنعم العبد كنت يا عبدى، فيدخله الله الجنة..»(١)

والشاهد فى هذا الحديث الطويل، أن نعمة البصر رجحت عبادة خمسمائة عام.

فما أجلها من نعمة.

أحبتى الكرام

وهناك نوع من أنواع النظر غير نظر الفجاءة التى نص عليه حديث الوصية وهو النظر إلى الزينة الباطنة من المرأة، فهذا النوع أشد حرمة من النظر المفاجئ. ومثله كمثل الخمر فهى أشد حرمة من الميتة والدم ولحم الخنزير.

وليحذر المؤمن من إطلاق بصره أو نظره فى بيوت الآخرين، فهو من النظر المحرم.

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ١٧/ ٤٩٩ برقم (٧٧٤٥) وصحح إسناده وضعفه العلماء.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: ومن النظر الحرام: النظر إلى العورات وهى قسمان:

١ـ عورة وراء الثياب ٢ـ وعورة وراء الأبواب.

وعورة ما وراء الأبواب قال فيها النبى ﷺ: «**لو أنَّ امرأً اطلع عليك بغير إذن، فخذفته بحصاة، ففقأت عينه، لم يكن عليك جناح**»(١)

وقال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: وكما يتناول غض البصر عن عورة الغير وما أشبهها من النظر إلى المحرمات، فإنه يتناول الغض عن بيوت الناس، فبيت الرجل يستر بدنه، كما تستره ثيابه، التى على البدن، كما جمع بين اللباسين فى قوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** ﴾ [النحل: ٨١] فكل منهما يكون وقاية من الأذى الذى يكون سمومًا مؤذيًا كالحر والشمس والبرد، وما يكون من بنى آدم من النظر بالعين وغير ذلك.

أحبتى فى الله.

وهناك النظر المباح، وهناك النظر المسنون.

فمن النظر المباح: نظر الزوج إلى زوجته، والزوجة إلى زوجها، ينظر كل منهما إلى ما يريد النظر إليه من جسد الآخر، سواء كان هذا النظر بشهوة أم بغير شهوة. إلى الدبر أم إلى الفرج أى مكان فى الجسد، وقد استدل أهل العلم على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ..** ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦]

وفى السنة المطهرة عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، قال: قلت: يا رسول الله، عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (٥٢٤٦).

قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك، أو ما ملكت يمينك**»[١]

وعن عائشة ﵂ قالت. كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد[٢]

فلو لم يكن النظر بينهما مباحًا، ما تجرد كل واحد منهما بين يدى صاحبه، ولكن من كمال الأدب، كما ذكر العلماء: غض البصر، إذا لم يكن هناك حاجة. ففى شمائل الصديق ﵁ أنه ما نظر إلى عورته قط، ولا مسها بيمينه، فإذا كان هذا فى عورة نفسه، فما ظنك فى عورة الغير؟!

أحبتى فى الله

ومن أحكام النظر أنه يجوز النظر إلى المرأة العجوز الكبيرة السن، التى لا أرب للرجال فيها، فلا بأس بالنظر إلى وجهها، كما فى قوله تعالى: ﴿**وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ..**﴾ [النور: ٦٠]

قال القرطبى - رحمه الله - عند تفسيرها إنما خص القواعد بذلك لانصراف الأنفس عنهن، إذ لا مذهب للرجال فيهن، فأبيح لهن ما لم يبح لغيرهن، وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن[٣]

وجاء فى المغنى لابن قدامة: والعجوز التى لا يشتهى مثلها، لا بأس بالنظر منها إلى ما يظهر غالبًا، وفى معنى ذلك الشوهاء، التى لا تشتهى.

ومن الأحكام المتعلقة بالنظر أيضًا: جواز نظر الرجل إلى ذوات محارمه وهن كذلك، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ**

---

(١) **حسن**: رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣ ٢).

(٢) رواه مسلم وأبو داود.

(٣) تفسير القرطبى.

إِخْوانهنَّ أَوْ بني إِخْوَانهنَّ أَوْ بني أَخَوَاتهنَّ أَوْ نسَائهنَّ أَوْ ما مَلَكت أَيمانُهُنَّ أَو التَّابعين غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَة من الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذين لَم يظْهَرُوا عَلَى عورات النِّسَاء..﴾ [النور: ٣١]

وعن أنس ﷺ أن النبى ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة ﷺ ثوب إذا قبعت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها، فلما رأى النبى ﷺ ما تلقى، قال: «**ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك**»[(١)]

ولكن من هم المحارم الذين يجوز أن ينظر إلى نسائهم؟ لا شك أن المحارم الذين يجوز لهم النظر هم: الآباء، والأجداد، من أب وأم، وآباء الأزواج، وأبنائهن، وأبناء أزواجهن، والإخوة مطلقًا، وأبناء الإخوة والأخوات، والأعمام والأخوال، والمحارم من الرضاع، وأدلة ذلك الآية السابقة، وأجمع العلماء على أن الأعمام والأخوال والمحارم من الرضاع يأخذون حكم المحارم المذكورين فى الآية.

أما غيرهم فلا يجوز نظرهم إلى المرأة، ولا المرأة عليهم، كأبناء الأعمام وأبناء الأخوال، وإخوان الزوج، فإن النبى ﷺ قد جعل مجرد دخولهم على النساء من الموت، وذلك حين قال: «**الحمو الموت**»[(٢)]

أحبتى فى الله.

ومن أحكام النظر أنه يسن نظر الخاطب إلى مخطوبته، إذا نوى نكاحها وعزم عليه، ودليل ذلك ما رواه مسلم من حديث أبى هريرة ﷺ قال كنت عند النبى ﷺ فأتاه رجل، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنظرت إليها؟**» قال: لا، قال: «**فاذهب، فانظر إليها، فإن فى أعين الأنصار شيئًا**»[(٣)]

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى المشكاة برقم (٣١٢) وصحيح سنن أبى داود برقم (٦ ٤١)

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٣) رواه مسلم.

وعن سهل بن سعد ﷺ أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله، جئت لأهب لك نفسى، فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعّد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه[١]

وعن جابر ﷺ قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فقدر أن يرى معها بعضها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**»[٢]

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ أنه خطب امرأة، فقال له النبى ﷺ: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»[٣]

قال العلماء: أى يكون بينكما الألفة والمحبة، لأن تزوجها إذا كان بعد معرفة فلا يكون بعدها ندامة فى الغالب، وهذا من حكمة التشريع الإسلامى.

اللهم يا خير مقصود، وأكرم مسئول، يا رفيع الدرجات، ومنزل البركات وفاطر الأرض والسموات، يا من ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتنا إليك أن تغفر لنا وترحمنا، وتعفو عنا وتكرمنا يوم القيامة برؤية وجهك الكريم بجودك وكرمك وفضلك يارب العالمين يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين، يا من ليس معه رب يُدعى، ويا من ليس فوقه خالق يخشى، يا رب العالمين.

---

(١) رواه البخارى.

(٢) **حسن**: رواه أبو داود وحسنه الألبانى فى صحيح سنن أبى داود.

(٣) **حسن**: رواه الترمذى وابن ماجة وحسنه الألبانى

الورصية رقم (٥٢)
أكرموا ضيوفكم *

عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال «**من كان يؤمن بالله واليـوم الآخر، فليكرم ضيفه**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

إنَّ إكرام الضيف من القيم الـرفيعة، والخصال الحمـيدة، التى سادت بين العرب قبل الإسلام.

ولما بزغ فـجر الإسـلام، وأشـرق نوره، جاءت تعـاليـمه لتـرسى دعـائم تلك الأخلاق، وتعمق جذورها فى نفوس أهل الإيمان.

إنّ إكرام الضيف سمة بارزة للسمو الأخـلاقى، الذى تدعو إليه تعاليم الشريعة، والتخلق بهـا، وجعلتـه (أى إكرام الضيف) مظهـرًا من مظاهر تمام الإيمان وكـماله، فجـاءت الوصية التى مـعنا يقول فـيها الحـبيب: «**من كان يؤمن بالله واليـوم الآخر، فليكرم ضيفه**».

وليس المقـصود من الوصيـة أو الحديث نفى مطلـق الإيمان عمن لم يـأت بهذا الخلق أو غـيرها مـن الخصـال، إنما أريد به المبـالغة فى الحث عـلى المسارعـة فى الامتثال لهذا الأمر، وهو إكرام الضيف.

إن إكرام الضيف من الصفات الجمـيلة، ومكارم الأخلاق، وجميل الخصال التى تحلى بها أنبياء الله عليهم السلام، وحـث عليها المرسلون، واتصف بها الأجواد كرام

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم.

النفوس. فمن عرف بالضيافة، عرف بشرف المنزلة ولقد حثنا معلمنا وأستاذنا، ومخرجنا من الظلمات إلى النور، سيدنا محمد ﷺ فى غير هذه الوصية، فقالﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه جائزته**» قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «**يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك، فهو صدقة عليه**»[١]

وفى رواية أخرى: «**الضيافة ثلاثة أيام، وجائزته يوم وليلة، ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه**».

قالوا: يا رسول الله، وكيف يؤثمه؟ قال: «**يقيم عنده، ولا شيء له يقريه به**»[٢] وقال النبى المصطفى، والرسول المجتبى ﷺ «**إن لزورك عليك حقًا**»[٣] ويقر النبى ﷺ سلمان الفارسى على قوله لأبى الدرداء: «**إنَّ لضيفك عليك حقًا**»[٤]

وعن ابن عباس ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ يوم تبوك، فقال: «**ما من الناس رجل أخذ بعنان فرسه، فيجاهد فى سبيله تعالى ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل فى غنمه يقرى ضيفه، ويؤدى حقه**»[٥] وقد وعى المؤمنون فى الصدر الأول ذلك جيدًا، وفهموا المراد منه، فصار للضيافة شأن عظيم فى حياتهم. فهذا موقف من المواقف العظام التى تكتب بمداد من الذهب، لأنها فى قمة الخلق الحسن.

جاء رجل إلى الحبيب محمد ﷺ فقال إنى مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق، ما عندى إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك. لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء.

فقال الحبيب ﷺ: «**من يضيف هذا الليلة رحمه الله؟**».

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته:

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

(٢) رواه مسلم وأحمد والألبانى فى صحيح الجامع (١ ٣٩).

(٣) رواه البخارى ومسلم.

(٤) رواه الترمذى.

(٥) **صحيح**: رواه أحمد فى مسنده بإسناد صحيح

هل عندك شىء؟ قالت: لا، إلا قوت صبيانى

قال: فعلليهم بشىء، فإذا دخل ضيفنا، فأطفئ السراج، وأريه أنا نأكل، فإذا أهوى ليأكل، فقومى إلى السراج، حتى تطفئه.

قال: فقعدوا، وأكل الضيف، فلما أصبح غدا على النبى ﷺ، فقال: **«لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة»**[١]

لقد كان خليل الرحمن لا يأكل إلا ومعه ضيف، فإن لم يجد ضيفًا ظل يبحث عنه، حتى يجده، ومن أشهر ما روى عنه أنه عليه السلام نزل عليه ضيف فقدم له طعامًا وجلس ليأكل معه، فسمَّى إبراهيم ربه تيمنًا وتبركًا وجهر بالبسملة، لعل ضيفه يسمع ليقولها هو الآخر، لكنه لم يفعل، فقال له الخليل إبراهيم يا أخى، اذكر الله على طعامك، فإنها سنة الأبرار فقال له الضيف: ومن هو الله الذى تأمرنى بذكره؟ فأجابه إبراهيم عليه السلام: الذى خلقنى وخلقك، ورزقنى ورزقك.

قال الرجل: أنا لا أعرف شيئًا من هذا، ولا أومن به، فغضب إبراهيم عليه السلام، وقال له: إمَّا أن تذكر الله على طعامنا، وإما أن لا تأكله، فقام الرجل، وترك الطعام.

لكن استيقظت سجية الكرم الفطرى فى قلب الخليل، فأنزل عليه وحياً يعاتبه: يا إبراهيم، هذا العبد وسعته فى أرضى منذ سبعين سنة، يأكل رزقى، ويعبد غيرى، أفلا تسعه فى بيتك ساعة واحدة؟ فخرج الخليل، وبحث عن الرجل حتى وجده، فقال له: يا هذا، ارجع معى إلى البيت لتنال حق ضيافتك.

فقال الرجل: لا أعود إليك حتى تذكر لى السبب، فقال له إبراهيم عليه السلام: لقد عاتبنى فيك ربى.

فقال الرجل: إنَّ ربًّا يعاتب حبيبه من أجل عدوه لهو جدير بأن يعبد ويطاع، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك يا إبراهيم خليل الله.

---

(١) رواه مسلم.

ثم دخل وسم الله، وأكل وهو موحد بالله جل وعلا

وقد امتدح مولانا خليله إبراهيم عليه السلام، فقال لحبيبه محمد ﷺ: **﴿هَلْ أَتَاكَ حديثُ ضَيْفِ إبراهيم الْمُكْرَمين ﴿٢٤﴾ إذْ دخَلُوا عَلَيْه فَقَالُوا سلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُون ﴿٢٥﴾ فَرَاغ إِلَىٰ أَهْلِه فَجاء بعجْلٍ سمينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾** [الذاريات: ٢٤ - ٢٧].

وقيل للخليل عليه السلام بم اتخذك الله خليلاً؟ قال: بثلاث: ما خُيرت بين شيئين، إلا اخترت الذى لله على غيره، ولا اهتممت بما تكفل لى به، ولا تغديت، ولا تعشيت إلا مع ضيف.

وقالوا: أول من سن القرى - أى الضيافة - إبراهيم الخليل - عليه السلام - وأول من ثرد الثريد وهشمه هاشم، وأول من أفطر جيرانه على طعامه عبد الله بن عباس ﵄ وهو أول من وضع موائد على الطريق.

أحبتى فى الله

وعلى المضيف عدم احتقار القليل، بل يجود بالموجود، حتى ولو بشق تمرة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن احتقار القليل

فعن أبى هريرة ﵁ قال كان النبى ﷺ يقول: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة**»(١)

وعنه أيضًا قال: «**خير الناس للمساكين: جعفر بن أبى طالب ينقلب، فيطعمنا ما كان فى بيته، حتى إن كان ليخرج العكة** - وهى وعاء من جلد يوضع فيه السمن والعسل - **ليس فيها شئ، فنشقها، فنلعق ما فيها**(٢)».

قال ابن حبان - رحمه الله - يجب على العاقل ابتغاء الأضياف، وبذل الكسر، لأن نعمة الله إذا لم تُصن بالقيام فى حقوقها، ترجع من حيث بدأت ثم لا ينفع من

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى.

(٢) رواه البخارى.

زالت عنه التلهف عليها، ولا الإفكار فى الظفر بها، وإذا رأى حق الله فيها، استجلب النماء والزيادة، واستأخر الأجر فى القيامة، واستصغر إطعام الطعام.

وعنصر قرى الضيف، هو ترك استحقار القليل، وتقديم ما حضر للأضياف لأن من حقر منع إكرام الضيف بما قدر عليه، وترك الادخار عنه

وقد سئل الأوزاعى - رحمه الله -: ما إكرام الضيف؟ قال: طلاقة الوجه، وطيب الكلام.

فتأملوا - رحمكم الله - فقه هذا الإمام المبارك، الذى جعل إكرام الضيف فى طلاقة الوجه، وطيب الكلام، وقارنوا بين حال أهل زمانكم، فالضيافة عندهم بتكثير الطعام، حتى نجد كثيراً من الناس، من يمتنع من الضيافة، لعدم وجود اللحم فى حال وجود الضيف، والقاصد لوجه الله، يجود بالموجود، ولا يتكلف التكلف، الذى هو فوق الطاقة، وأما ما دون ذلك، فلا بأس به، بل هو محمود.

عن أبى هريرة ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم، فإذا هو بأبى بكر وعمر، فقال: «**ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة**»؟

قالا: الجوع يا رسول الله.

قال: «**وأنا والذى نفسى بيده، ما أخرجنى إلا الذى أخرجكما، قوموا**» فقاموا معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس فى بيته، فلما رأته المرأة، قالت: مرحبًا وأهلاً وسهلاً برسول الله، ومن معه. فقال لها: «**أين فلان؟**» يعنى زوجها، قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، وبينما هم كذلك إذ جاء الرجل الأنصارى، فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه، ثم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافًا منى. فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر - والعذق هو سباطة النخلة - فقال الأنصارى: كلوا من هذه، وأخذ المدية، فقال له رسول الله ﷺ «**إياك والحلوب**» فذبح لهم، فأكلوا من الشاة، ومن ذلك التمر، وشربوا[١]

ومن تمام الضيافَة، أن تفرح بمقدم ضيفك، وأن تظهر له البشر وأن تلاطفه بحسن

---

(١) رواه مسلم والبيهقى.

الحديث، وتشكره على تفضله ومجيئه، وتقوم بخدمته، وتظهر له الغنى، وبشاشة الوجه.

فقد قيل البشاشة فى الوجه خير من القرى، وقد نظم بعضهم هذا الكلام شعرًا، فقال:

إذا المرء وافى منزلاً منك قاصدًا
قراك وأرمته لديك المسالك
فكن باسما فى وجهه متهللاً
فقل: مرحبا أهلاً ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى
عجولاً ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل ببيت سالف متقدم
تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى
فكيف بمن يأتى وهو ضاحك

وقال آخر

الله يعلم أنه ما سرنى
شىء كطارقة الضيوف النزل
مازلت بالترحيب حتى خلتنى
ضيفًا لهم والضيف رب المنزل

أخذها من قول بعضهم:

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا
نحن الضيوف وأنت رب المنزل

قال ابن حبان - رحمه الله ومن إكرام الضيف: طيب الكلام، وطلاقة

الوجه، والخدمة بالنفس، فإنه لا يذل من خدم أضيافه، كما لا يعز من استخدمهم، أو طلب لقراه أجرًا.

ومن الاحتفاظ بالمروءة أن يتجنب الرجل تكليف زائريه، ولو بعمل خفيف كأن يكون بالقرب من الضيف كتاب، فيطلب منه مناولته إياه، أو أن يكون بجانبه الزر أو المفتاح الكهربائى، فيشير إليه بالضغط عليه، أو يأمره بإدارة أقداح الشاى على الضيوف، ونحو ذلك.

قال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز قال لى رجاء بن حيوة ما رأيت رجلاً أكمل أدبًا، ولا أجمل عشرة من أبيك، وذلك أنى سهرت معه ليلة، فبينما نحن نتحدث، إذ أطفىء المصباح، وقد نام الغلام - أى الخادم -، فقلت: يا أمير المؤمنين، قد غشى المصباح - أى انطفأ -، أفتوقظ الغلام، ليصلح المصباح؟

فقال. لا تفعل.

فقلت: أفتأذن لى أن أصلحه؟

فقال: لا، لأنه ليس من المروءة أن يستخدم الإنسان ضيفه، ثم قام هو بنفسه، وحط رداءه عن منكبيه، وأتى إلى المصباح، فأصلحه، وجعل فيه الزيت، وأشخص الفتيل، ثم رجع وأخذ رداءه وجلس، ثم قال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز

وأنشد بعضهم:

وإنى لطليق الوجه للمبتغى القرى
وإن فنائى للقرى لخصيب
أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله
فيخصب عندى والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب

أما إذا قام الزائر، وتكرم بخدمة مزوره، فلا بأس فى ذلك، خصوصًا إذا كان

المزور له حق، أو كان من أهل الفضل والعلم والتقى، أو كان الزائر ممن تُلغى الكلفة بينه وبين المزور

ومن إكرام الضيف: إكـرام صحبتهم، واسـتعلامهم عن أسـمائهم، والحذر من احتقار أى واحد منهم.

قال عبد الله بن عباس ﷺ أعز الناس على جليسى، الذى يتخطى الناس إلى، أما والله، إن الذباب يقع عليه، فيشق على، وسئل ﷺ: من أكرم الناس عليك؟

قال: جليسى حتى يفارقنى

أحبتى الكرام

ما هى آداب الضـيافة بالتفـصيل؟ نرجع إلى كتاب منهـاج الصالحين ففـيه ذلك مفصلاً

اللهم يا رحمن يا رحيم، يا حى يا قيـوم. يا ذا الجلال والإكرام، يا صانع كل مصنوع. ويا جابر كل كسير، ويا مؤنس كل وحيد، ويا قريبًا غير بعيد، وياحاضرًا غير غائب. يـا سابق الفوت، يا سامع الصوت، يا كاسى العظام لحـمًا بعد الموت. أعتق رقـابنا من النار وارحمنا برحمـتك يا أرحم الراحمين، وانصـرنا على أعدائنا يا أكرم الأكرمين، واغفر لنا ذنوبنا ي قوى يا عزيز، يارب العالمين.

الوصية رقم (٥٣)
* من حلف بالله فليصدق *

عن ابن عمر ﭬ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يحلف بأبيه، فقال له: «**لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله، فليصدق، ومن حلف له بالله، فليرض، ومن لم يرض بالله، فليس من الله**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى الكرام.

اتقوا الله ربكم، وكونوا منفذين لوصية نبيكم، والتى تتضمن تعظيم القسم بربكم، واحفظوا أيمانكم، ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم، ولا تجعلوا أيمانكم ذريعة إلى معاصيكم، فإن شأن اليمين عند الله عظيم وخطير، والتساهل بها أمر جسيم، فليست اليمين مجرد كلمة تمر على اللسان، ولكنها عهد وميثاق، يُسأل عنه العبد بين يدى الملك الديان، فينبغى أن يلتزم الحالف الصدق، وأن يوفيه حقه، وإلا كان الحالف عرضة للشقاء والخسران.

ولقد أقسم ربنا عز وجل فى كتابه ببعض مخلوقاته، وحق له أن يقسم فهو الذى خلقنا، وهو الذى رزقنا، وهو الذى يحيينا ويميتنا، وهو الذى بيده الأمر كله.

يقسم تارة بالذاريات ذروا، والحاملات وقرا، والمقسمات أمرًا ويقسم تارة بالطور، والكتاب المسطور، وتارة يقسم بالنجم إذا هوى وتارة يقسم بالصافات صفًّا، وتارة يقسم بيوم القيامة، وتارة يقسم بالبلد الأمين، وتارة يقسم بالفجر، وتارة يقسم

---

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه برقم (١ ٢١) وصحيح الجامع برقم (٧٢٤٧).

بالضحى، وغير ذلك، له سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته. أما أنت يا ابن آدم فلا يجوز لك أن تقسم أو تحلف إلا بالله الذى خلقك فسواك، فعدلك. لا يجوز لك أن تقسم بغيره سبحانه بل إذا حلفت بغيره فقد ضللت الطريق. قال ﷺ: «**من حلف بغير الله، فقد أشرك**»(١) وفى رواية: «**من حلف بغير الله، فقد كفر**»(٢)

وقال: «**من حلف بالأمانة، فليس منا**»(٣) وفى رواية: «**ليس منا من حلف بالأمانة**»(٤) وعن قتيلة بنت صيفى الجهنية، قالت: أتى حبر من الأحبار رسول الله ﷺ فقال له: يا محمد! نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون. قال: «**سبحان الله! وما ذاك؟**» قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة، قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «**إنه قد قال، فمن حلف، فليحلف برب الكعبة.**».

قال الحبر يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله ندًا. **قال: سبحان الله! وما ذاك؟** قال: تقولون: ما شاء الله، وشئت. قالت: فأمهل رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «**إنه قد قال، فمن قال: ما شاء الله، فليقل معها، ثم شئت**»(٥)

أحبتى فى الله.

إنما شرعت اليمين تعظيمًا لرب العالمين، وتوحيدًا لإله الأولين والآخرين وقيامًا بحق الرب الخالق، جل فى علاه، وشرعت لتأكيد الأخبار الصادقة وحفظًا لحقوق العباد، وقطعًا للنزاع والخصام، وكل ما من شأنه أن يسبب الشحناء والقطيعة بين المسلمين. فهى شريعة من شرائع الله المحكمة، وشعيرة من شعائره المعظمة، وبينة للحقوق محترمة.

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى وأحمد والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤ ٦٢).

(٢) **صحيح**: رواه ابن حبان والترمذى وحسنه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما وصححه الألبانى فى الصحيحة (٤٢ ٢) وصحيح الترغيب (٢٩٥٢).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى الصحيحة (٩٤) وصحيح الجامع (٣ ٦٢).

(٤) **صحيح**: رواه أحمد وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٣٦).

(٥) **صحيح**: رواه أحمد والبيهقى وغيرهما وصححه الألبانى فى صحيح الجامع والصحيحة (١١٦٦).

والواجب على المسلم أن يعظم يمين الله، عملاً بقوله تعالى: ﴿ **واحفظُوا أَيْمانَكُم..** ﴾ [المائدة: ٨٩]

وقال تعالى: ﴿**وَلا تجعَلُوا اللَّهَ عرضةً لأَيْمانكُمْ أن تبروا وتَتَقُوا وَتُصْلحوا بين النَّاسِ وَاللَّهُ سميعٌ عليمٌ**﴾ [البقرة: ٢٢٤]

وقد نهانا رسولنا ﷺ عن الحلف بالآباء والأمهات فقال. «**لا تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»(١)

وأمرنا في هذه الوصية أن نكون صادقين في أيماننا، فقال «**من حلف بالله، فليصدق..**».

ومن حلف بالله كاذبًا، فهذا هو اليمين الغموس، وسمى بذلك لأنه يغمس صاحبه في نار جهنم - والعياذ بالله - وهو من كبائر الذنوب قال ﷺ «**إنَّ من أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين واليمين الغموس**»(٢) واليمين الغموس لا كفارة لها إلا التوبة والندم، والاستغفار والرجوع إلى الله عز وجل مادامت لا تتعلق بحق آدمى، أما إذا تعلقت بحق آدمى، فتكون ظلمًا، أو أكل مال بغير الحق، فهى من الكبائر أيضا، فعن ابن مسعود ﷺ كنا نعد من الذنب الذى ليس له كفارة: اليمين الغموس، قيل. وما اليمين الغموس؟ قال: الرجل يقتطع بيمينه مال الرجل(٣)

فلابد من رد المظالم، وإلا وقع صاحب اليمين الفاجرة اليمين الغموس فيما أفصح عنه الحبيب ﷺ فيما صح عنه من قوله «**من حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم، هو فيها فاجر، لقى الله، وهو عليه غضبان**» وقوله ﷺ «**من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة**»

---

(١) سبق تخريجه فى أول الوصية.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى والطبرانى وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٨٣٢)

(٣) **صحيح**: رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (١٨٣٣).

قالوا: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟

قال: «**وإن كان قضيبًا من أراك**»(١) أى سواك.

أحبتى الكرام.

ومن الناس من يتساهل باليمين، فيتخذها وسيلة لترويج سلعته، ومن فعل ذلك، فقد حُق عليه قول النبى الأكرم، والرسول الأعظم ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟

قال: «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(٢)

وقال ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة**» اختصم الأشعث بن قيس، هو ويهودى فى أرض، فقال رسول الله ﷺ للأشعث: «**ألك بينة؟**» قال: لا قال: «**فلك يمينه**»(٣) قال الأشعث. إذًا يحلف ويأخذ مالى، فنزلت الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٧٧] ومن حلف لك بالله فصدقه، حتى وإن كان كاذبًا، فكذبه على نفسه.

روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «**رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له عيسى عليه السلام: سرقت؟ قال: كلا والذى لا إله إلا هو، فقال عيسى. آمنت بالله، وكذبت نفسى**»(٤)

وعلى المسلم ألا يحلف إلا على خير، فلا يحلف على فعل محرم، أو ترك واجب أو فعل مكروه كقطيعة رحم، وعدم فعل الخير، فإن فعل ذلك فلا ينفذ

---

(١) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه ومالك فى الموطأ

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه

(٣) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما

(٤) رواه مسلم.

يمينه، بل يكفر عنه أفضل وأعظم، قال ﷺ: «**إنى لأحلف على يمين، فأرى غيرها خيرًا منها، فآتى الذى هو خير، وأكفر عن يمينى**»[١] ويقول ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة ﷺ: «**وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها، خيرًا منها، فكفر عن يمينك، وأت الذى هو خير**»[٢]

وفى سنن النسائى عن أبى الأحوص، عن أبيه، قال: قلت. يا رسول الله، أرأيت ابن عم لى أتيته، أسأله فلا يعطينى ولا يصلنى، ثم يحتاج إلى فيسألنى، وقد حلفت، أن لا أعطيه، ولا أصله، فأمرنى أن آتى الذى هو خير، وأكفر عن يمينى[٣]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نذر، ولا يمين فيما لا يملك ابن آدم، ولا فى معصية الله، ولا فى قطيعة رحم**»[٤]

قال الإمام الثورى - رحمه الله - فى جامعه: الأيمان أربعة: يمينان يكفران، وهو أن يقول الرجل: والله لا أفعل، فيفعل. أو يقول: والله لأفعلن ثم لا يفعل. ويمينان لا يكفران: أن يقول: والله ما فعلت، وقد فعل، أو يقول: والله لقد فعلت، وما فعل.

قال الإمام النووى فى المجموع: أما اليمينان الأوليان فلا اختلاف فيهما بين العلماء على ما قال سفيان الثورى، وأما اليمينان الأخريان فقد اختلف فيهما أهل العلم، فإن كان الحلف حلف على أنه لم يفعل كذا وكذا، أو أنه قد فعل كذا وكذا عند نفسه صادقًا يرى أنه على ما حلف عليه، لا كفارة عليه فى قول مالك وسفيان وكذلك قال أحمد، وقال الشافعى: لا إثم عليه، وعليه الكفارة[٥]

---

(١) **صحيح**: صحيح سنن أبى داود للألبانى (٣٢٧٦) وصحيح سنن ابن ماجه (٧ ٢١).

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما (متفق عليه).

(٣) **صحيح**: صحيح سنن النسائى للألبانى (٣٧٨٨) وصحيح سنن ابن ماجه (٩ ٢١).

(٤) **حسن**: صحيح سنن أبى داود (٣٢٧٤)

(٥) المجموع شرح المهذب للإمام النووى (١٨/ ١٣).

أحبتى الكرام.

وكفارة اليمين بالله تعالى، إذا حنث فيها - وهى منعقدة - ثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع، وقد ذكرها الله تعالى فى كتابه، حيث قال: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٨٩].

فبينت الآية الكريمة أن كفارة اليمين المعقودة واجبة على التخيير ابتداء من:

١ - الإطعام ٢ - الكسوة. ٣ - تحرير رقبة.

فإن عجز عن الثلاث وجب صيام ثلاثة أيام، ولا يجوز التكفير بالصيام إلا بعد العجز عن الثلاثة الأول، وعلى هذا إجماع العلماء.

وقال الإمام النووى فى المجموع:

وقد أجمع المسلمون على مشروعية الكفارة فى اليمين بالله تعالى، والأحاديث دالة على أن الحنث فى اليمين أفضل من التمادى، إذا كان فى الحنث مصلحة، ويختلف باختلاف حكم المحلوف عليه.

فإن حلف على فعل واجب، أو ترك حرام فيمينه طاعة، والتمادى مستحب والحنث معصية، والعكس بالعكس. وإن حلف على فعل نقل فيمينه طاعة والتمادي مستحب والحنث مكروه، وإن حلف على ترك مندوب، فبعكس الذى قبله.

فقد حلف صديق هذه الأمة، أبو بكر ﷺ بعد حادثة الإفك، أن لا ينفق على مسطح بن أثاثة، وكان من أقربائه. فنزل القرآن معاتبًا: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢] وكفر

أبو بكر عن يمينه، وأنفق على مسطح، بل أعاد ما قطعه عنه، وقال: أحب أن يعفو الله عنى.

اللهم انهج بنا مناهج المفلحين. وألبسنا حلة الإيمان واليقين، وخصنا منك بالتوفيق المبين، ووفقنا لقول الحق واتباعه، وخلصنا من الباطل وابتداعه، وكن لنا مؤيداً، ولا تجعل لفاجر علينا يداً.

وارزقنا علمًا نافعًا، وعملاً متقبلاً وشفاء من كل داء، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. يارب العالمين

الوصية رقم (٥٤)

* إذا حكمتم فاعدلوا *

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله محسن يحب المحسنين**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتى فى الله.

العدل خلق عظيم من أخلاق القرآن الكريم، وخلق من أخلاق النبى الكريم ﷺ لأن السيد عائشة ﷺ لما سئلت عن أخلاق الحبيب المصطفى، والنبى المجتبى ﷺ قالت: «**كان خلقه القرآن**» ولقد جاء هذا الكتاب لينشئ أمة، ولينظم مجتمعًا، لقد جاء دعوة عالمية إنسانية، لا تعصب فيها لقبيلة، أو أمة، أو جنس، وإنما العقيدة وحدها هى الآصرة والرابطة والقومية والعصبية.

ومن ثم جاء بالمبادئ، التى تكفل للبشرية سعادتها وسلامتها

جاء بالعدل الذى يكفل لكل الأفراد والجماعات، يكفل للغنى والفقير، والقوى والضعيف، والحقير والعظيم، تكفل لهم قاعدة ثابتة فى التعامل لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض. إنها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع.

وإلى جوار العدل. (الإحسان) الذى يلطف من حدة العدل الصارم، الحازم. إنه يدع الباب مفتوحًا لمن أراد أن يتسامح، إيثارًا لود القلوب، وشفاء لغل الصدور. ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوى جرحًا، أو يكسب فضلاً

(١) **حسن**: رواه الطبرانى فى الأوسط برقم (٥٨٩٦) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٩٤).

لأجل هذا جاءت الوصية التى معنا مقترنة بالإحسان، الذى هو صفة من صفاته سبحانه، مثل العدل، فالله هو العدل

فكونوا أحبتى فى الله منفذين لهذه الوصية المباركة، كونوا عادلين فى جميع شؤون حياتكم. وكونوا محسنين، فقد أمر رب العزة والجلال بذلك فى كتابه الكريم وفى آية واحدة، جامعة لكل خصال الخير والبر، آمرة بها، ناهية عن كل خصال الشر والإثم، محذرة منها، قال سبحانه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل: ٩] وقال سبحانه: ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..** ﴾ [النساء: ٥٨]

وقال مناديا على أهل الإيمان، آمرًا لهم بأن يتخلقوا بالعدل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾ [النساء ١٣٥] إنه نداء للذين آمنوا، نداء لهم بصفتهم الجديدة، وهى صفتهم الفريدة، صفتهم التى بها أنشئوا نشأة أخرى، وولدوا ميلاداً جديدًا.

وقال تعالى على لسان حبيبه محمد ﷺ ﴿ **وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ** ﴾ [الشورى: ١٥] وقال منـاديًا مرة أخرى بنـداء الإيمان ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٨] وقال مخاطبًا حبيبه ومصطفاه ﷺ: ﴿ **وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [المائدة: ٤٢]

وفى سنة الحبيب المصطفى ﷺ أحاديث كثيرة تبين قيمة العدل، وجزاء العادلين. يقول سيد الأولين والآخرين، وحبيب رب العالمين: «**إن المقسطين** – أى العادلين – **عند الله على منابر من نور، الذين يعدلون فى حكمهم، وأهلهم وماولوا**»(١)

---

(١) رواه مسلم.

إنها والله منزلة كـريمة، يوم يقوم الناس لرب العـالمين على منابر من نور يوم القيـامة. الناس فى الحـشر يتألمون وهم على منابر مـن نور فإن أردت أن تكون من هذه الزمرة الطيبـة، وفى هذه المكانة العالية فعليك بالعدل. يقـول الحبيب المصطفى ﷺ «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب، لكل ذى قربى ومسلم، وعفيف متعفف**»(١)

وأخبرنـا أن العدل من أعظم أسباب النجـاة، فقال صلوات ربى وسلامـه عليه: «**ثلاثٌ كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثـلاث مهلكات: فأما المنجيات، فالعدل فى الرضا والغضب..**»(٢)

ولقد أمـرنا رسول الله ﷺ بالعدل مع عـامة الناس وخاصتـهم، حتى الوالدمع أبنائه، فـقـال: «**اعـدلوا بين أبنائـكم، اعـدلوا بين أبنائكم، اعـدلوا بـين أبنائكم**»(٣) وقال: «**اتقوا الله، واعدلوا بين أولادكم فى العطاء**»(٤)

أحبتى فى الله.

بالعدل قامت السـموات والأرض، كان النبى ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبـر، فيخرص بينه وبـين اليهود، فجـمعوا حليًّا من نسائهم، فـقالوا: هذا لك، وخفف عنا.

فقال: يا معشـر اليـهود، والله إنكم لمن أبغـض خلق الله إلى، ومـا ذاك بحاملى على أن أحيف عليكم - أى أظلمكم والرشوة سحت، فقـالوا بهذا قامت السماء والأرض.

ورب العزة والجـلال هو العدل، الذى لا يظلم ولا يجـور فى أحكامه وأفـعاله، يعطى كل ذى حق حقه، ويضع كل شىء موضعه، ولا يصدر منه إلا العدل. الذى له أن يفعل ما يريد بحكمته وعلمه.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) **حسن**: رواه الطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥ ٣)

(٣) **صحيح**: تخرج فى موضع آخر

(٤) رواه البخارى.

وتخلق بالعدل رسوله الأمين ﷺ في جميع شئون حياته بل لكم أن تتصوروا عدله وهو صبى صغير يرتضع ثدى مرضعته حليمة السعدية. تقول السيدة حليمة: وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء من لبن، فحولته إلى الأيسر فأبى - أى رفض - وكانت تلك حاله بعد

قال أهل العلم: أعلمه الله تعالى أن له شريكًا - أى فى الرضاعة - فألهمه العدل.

ولما سرقت المرأة المخزومية، وكان أمرها يهم قريشًا، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: من يجترئ على ذلك إلا أسامه بن زيد الحب بن الحب، فكلمه أسامه، فغضب رسول الله ﷺ وقال له: **«أتشفع فى حد من حدود الله؟»** ثم قام فخطب. **«أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف، أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمدٌ يدها»**(١)

فتأملوا أيها الأحبة الكرام قسمه العظيم على إقامة الحد، حتى ولو كان على ابنته فاطمة ﵁ التى هى بضعة منه، لو أنها اقترفت مما يوجب ذلك - وقد أعاذها الله منه - فدل ذلك على مبلغ حرصه على إقامة العدل بين الناس، ولو كان على ذى القربى، أو الشريف فى قومه، الحسيب فى نسبه، حرصًا على إقامة العدل، وصونًا لحرمات الله أن تنتهك شيئًا فشيئًا، كما فعلت بنو إسرائيل، حتى أهلكهم الله عز وجل.

ولما كان حرصه ﷺ على إقامة العدل بهذه المثابة، كان استياؤه عظيمًا. من ذلك الأعرابى الجلف - المسمى بذى الخويصرة التميمى - الذى أتاه، وهو يقسم قسمًا، فقال له: يا محمد، اعدل فقال له ﷺ: **«ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت، إن لم أكن أعدل»**(١)

---

(١) رواه البخارى (٣٤٧٥) فى كتاب الحدود ومسلم (١٦٨٨) فى الحدود أيضًا.

(٢) رواه البخارى.

وقد رأى الصحب الكرام - رضوان الله عليهم - أن هذا الأعرابى حلال دمه باتهامه النبى ﷺ بترك العدل، وهو الذى ائتمنه الله عز وجل على وحيه، وزكاه بعظيم الأخلاق، وكريم الشيم والصفات، وطهره الله من دنس الرذائل، وحب الدنيا. مما جعل عمر رضي الله عنه يقول: يا رسول الله، ائذن لى أن أضرب عنقه.

فقال ﷺ: «**دعه، فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية**»(١)

أيها الأحبة الكرام.

ولما قدم على الرسول العادل ﷺ حارثة بن شرحبيل وأخوه يطلبان زيد بن حارثة، الذى اختطف وعمره ثماني سنوات، ثم بيع على أنه عبد، فاشتراه حكيم بن حزام رضي الله عنه من بلاد الشام، وقدم به إلى مكة ووهبه لعمته السيدة خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها وأرضاها - فقامت بإهدائه إلى النبى ﷺ ولما علم به أبوه وعمه أنه فى مكة عند محمد، جاءا يطلبان فكاكه، وفداءه من الرق.

وقالا له: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومك، أنتم جيران الله، تفكون العانى، وتطعمون الجائع، وقد جئناكم فى ابننا (عبدك) لتحسن إلينا فى فدائه، فقال النبى ﷺ: «**أو غير ذلك؟**» فقالا: لا قال: «**أدعوه وأخيره، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارنى، فوالله ما أنا بالذى أختار على من اختارنى أحدًا**».

فقالا له: لقد زدت على النّصف - أى أنصفتنا وزيادة - فدعاه رسول الله ﷺ فلما جاء، قال له: «**من هذان؟**» قال: هذا أبى حارثة بن شرحبيل، وهذا عمى كعب، فخيّره النبى ﷺ فاختار رسول الله ﷺ وفضّل المقام معه(٢)

فأى عدل أعظم من هذا العدل؟!

ولما قدم الآراشى - أى نسبة إلى مكان يسمى (أرش) باليمن ليأخذ دينًا كان

---

(١) رواه البخارى فى المناقب ومسلم (٦٣ ١) فى الزكاة.

(٢) الطبقات الكبرى ٣/ ٤٢ لابن سعد وسيرة ابن هشام مع الروض الأنف (١/ ٢٨٧) والإصابة لابن حجر (١/ ٥٦٣)

على أبى جهل عمرو بن هشام، أراد أن يظلمه فيه، والرجل غريب، لا ناصر له ومن الذى يقدر على أخذ ماله من هذا الطاغية؟

غير أن الرجل قد دُل على النبى ﷺ ليأخذ حقه من أبى جهل، استهزاء به وسخرية منه، وتعليقًا لنيل حقه بالمستحيل، كما يبدو لمن دله عليه، لما يعلمه من البغض والكراهية والحقد فى قلب أبى جهل لرسول الله ﷺ لكنه قد غاب عنه ما كان عليه المصطفى ﷺ من الأخلاق الكريمة الفاضلة، في نصرة المظلوم، وإقامة العدل بين الناس.

لقد أقبل الرجل الغريب الأراشى على النبى ﷺ يقص عليه ما جرى له، ويستنجده على هذا الذى هو عدوٌ لهما، فقام النبى ﷺ وخرج مع الرجل حتى جاء بيت أبى جهل، فضرب عليه بابه، فقال أبو جهل: من هذا؟ فقال: «**محمد**» فخرج إليه وما فى وجهه قطرة دم، وقد انتقع لونه - أى تغير - فقال له: «**اعط هذا الرجل حقه**» فقال أبو جهل: لا يبرح حتى أعطيه الذى له، فدخل، ثم خرج إليه بحقه، فدفعه إليه، ثم انصرف النبى ﷺ وقال للأراشى: إلحق لشأنك، فأقبل الأراشى حتى وقف على من دله على رسول الله ﷺ وقال له: لقد جزاه الله خيرًا، وقد أخذت الذى لى. »[1]

فتأملوا مبلغ حرصه ﷺ على إقامة العدل بين الناس، ونصرة المظلوم، والأخذ على يدى الظالم، حيث قام بنفسه بأخذ ذلك، لم يمنعه من ذلك عداوة الخصم، ولم يبال بجوره عليه، ولا ردّه له، فلم يزل به حتى أخذ منه الحق. صلوات ربى وسلامه عليك يا رسول الله.

فهذه صور مشرقة من عدله مع الناس. قبل وفاة النبى ﷺ بعامين، أرسل أسامة ابن زيد على سرية خرجت للقاء بعض المشركين الذين يناوئون الإسلام والمسلمين، وكانت هذه أول مرة يتولى فيها أسامة يحدثنا بنفسه فيقول:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير وعيون الأثر (١/ ١١٢) لابن سيد الناس.

بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة، فصبحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف عنه الأنصارى، فطعنته برمحى حتى قتلته، فلما قدمنا إلى المدينة، بلغ رسول الله ﷺ ذلك فقال لى: **يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله**؟ فقلت: يا رسول الله، إنه إنما كان متعوذًا، قال: «**قتلته بعدما قال: لا إله إلا الله**؟» يقول أسامة: فمازال يكررها على حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم(١)

يا سبحان الله، هذا عدله مع من لم يسلموا فما بالنا بعدله مع أصحابه؟ ما بالنا بعدله مع أهل بيته الكرام؟

ها هى أمنا عائشة رضي الله عنها تقول لعروة بن الزبير ابن أختها أسماء تقول له: يا ابن أختى، كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم، من مكثه عندنا، وكان قلَّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعًا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس، حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها..»

وتقول رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فيعدل. قال عثمان، ويقول: «**هذه قسمتى**» ثم يقول: «**اللهمَّ هذا فعلى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك**»(٢)

وكان يومًا عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التى النبى ﷺ فى بيتها يد الخام، فسقطت الصحفة، فانفلقت، فجمع النبى ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام، الذى كان فى الصحفة، وهو يقول: «**غارت أمكم**» ثم حبس الخادم، حتى أتى بصحفة من عند التى هو فى بيتها،

---

(١) رواه البخارى (٣٩٣٥) ومسلم (١٤١).

(٢) **صحيح**: صححه حمزة الزين فى تخريج أحاديث المسند برقم (٢٤٩٩١) جـ (٥١٦/١٧) ورواه أبو داود (٢١٣٤) والترمذى (١١٤) وابن ماجه (١٩٧١) والحاكم (١٨٧/٢) وصححه ووافقه الذهبى وقال الألبانى فى تخريج المشكاة إسناده جيد برقم (٣٢٣٥).

فدفع الصحفة الصحيحة إلى التى كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة فى بيت التى كسرت»[١] الله أكبر. من الذى رباه؟ ومن الذى زينه بالأخلاق وحباه؟

إنه الله رب العالمين. صلوات ربى وسلامه عليك يا سيدى رَسول الله ما أعدلك وأنت تعدل صفوف الجيش يوم بدر، فتمر بسواد بن غزية وبطنه ناتئ - أى خارج - عن الصف فتطعنه فى بطنه بقدح كان فى يدك وتقول له: **«استو ياسواد»** فيقول لك سواد: لقد أوجعتنى يا رسول الله. وقد بعثك الله بالحق والعَدل، ثم طلب من الرسول ﷺ أن يقتص منه قائلاً له: أقدنى منك يا رسول الله، فلم تتردد، بل كشفت عن بطنك وقلت له «**استقد**» ولكن سواد بدلاً من أن يطعنك قصاصًا، أخذ يقبل بطنك، فتسأله: «**ما حملك على هذا يا سواد؟**»[٢] فيقول: يا رسول الله، حضر ما ترى، يعنى القتال، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعوت له بخير.

اللهمَّ إن قلوبنا وجوارحنا بيدك، لم تملكنا منها شيئًا، يا نور السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا كاشف السوء، يا مجيب دعاء المضطرين، ويا كاشف كرب المكروبين. ويا أرحم الراحمين يا من بك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وبك خاصمنا وإليك حاكمنا، اغفر لنا يا ربنا ما قدمنا، وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا

اللهم هب لنا من نعمتك، ما نشكرك عليه، ونكون من المحسنين، وامنحنا شكرًا جليلاً على حسن نعمائك، لنكون من الشاكرين.

ونسألك أن تلطف بنا لطفًا جميلاً، لا يدركه وهم الواهمين. إلهنا قد وجدناك رحيما، فكيف لا نرجوك، وجدناك ناصراً معينًا فكيف لا ندعوك؟ من لنا إذا قطعتنا؟ ومن ذا الدى يضرنا إذا نفعتنا؟ ومن ذا الذى يعذبنا إذا رحمتنا؟ ومن ذا الذى يمرضنا إذا عافيتنا. إنك أنت الأعز الأكرم، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه البخارى

(٢) الرحيق المختوم.

الوصية رقم (٥٥)

* خير الناس وشر الناس *

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ وقف على أناس جلوس، فقال لهم: «**ألا أخبركم بخيركم من شركم؟**» قال: فسكتوا حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال رجل: بلى يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا من شرنا، فقال: «**خيركم من يرجى خيره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره**»(١)

صدق رسول الله ﷺ

أحبتي الكرام.

من أي الفريقين تحبون أن تكونوا؟ من الفريق الخيِّر الذي يرجى منه الخير لنفسه، وللآخرين؟ أم من الفريق الآخر، الذي لا يرجى منه الخير، ولا يؤمن منه الشر؟

فخير الناس هو من يأمل الناس الخير من جهته، ويأمنون الشر من جهته وشر الناس من لا يؤمل الناس حصول الخير لهم من جهته، ولا يأمنون من شره.

قال الماوردي - رحمه الله -: يشير بهذا الحديث إلى أن عدل الإنسان مع أكفائه واجب، وذلك يكون بثلاثة أشياء:

١ - ترك الاستطالة. ٢ - ومجانبة الإذلال. ٣ - وكف الأذى.

لأن ترك الاستطالة آلف، ومجانبة الإذلال أعطف، وكف الأذى أنصف(٢)

إن من غلب خيره، أمنت القلوب من شره، ومتى قوى الإيمان في قلب عبدٍ، رُجي خيره، وأمن شره.

ومتى ضعف الإيمان في قلب عبدٍ، قل خيرهُ، وغلب شره.

أيها الأحبة الكرام.

إنَّ أجمل ما في هذه الدنيا أن يألف المسلم الناس، ويألفه الآخرون يحب

(١) **صحيح**: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح ورواه أحمد وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٠٣).
(٢) فيض القدير (٣/ ١٣٢) للمناوي.

الناس، ويحبه الناس. إذا ألمت به شدة، يجد القاصي والداني، والقريب والغريب حوله. حبا فيه لا تملقًا. ومشاركة له، لاعطفًا عليه. ومودة منهم لا شفقة. وهذا المنهج العظيم هو ما حرص الإسلام الحنيف على ترسيخه بين أتباعه، وذلك لكي يجعل من المجتمع نسيجًا فريدًا رائعًا. فلما كان هذا المعنى الجامع بين المسلمين وإسلامهم، فقد اكتسبوا به أخوة أصيلة، فوجبت عليهم بذلك حقوق لبعضهم على بعض، وواجبات بعضهم لبعض، وكلما ازدادت المخالطة، زادت الحقوق، مثل القرابة، والمجاورة، والصحبة، والصداقة، والضيافة، والأخوة فى الله عز وجل.

من هنا قال النبى ﷺ لأتباعه وأحبابه موجهًا لهم الوجهة الصادقة الوجهة التى تسمو بهم: **«خيركم من يرجى خيره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره»**.

وهذا الحديث الجليل أصل فى المروءة مع الخلق، وذلك أن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء، والخلق الجميل، ولا يظهر المسلم لإخوانه ما يكره هو منهم، وليتخذ الناس مرآة لنفسه، فكل ما كرهه، ونفر عنه من قول أو فعل، أو خلق، فليجتنبه، وما أحبه منهم، واستحسنه منهم فليفعله.

وروضة السنة الغناء طالما دندنت حول هذا المعنى السامى، فقال ﷺ: **«خير الناس، أحسنهم خلقًا»**[1] فهو يتعامل معهم بالأخلاق الحسنة الطيبة. يتعامل معهم بالبشر والتودد، والشفقة والحلم عنهم، والصبر عليهم. وترك التكبر عليهم، ويجتنب الغلظة والغضب، ويبتعد عن حسدهم، والحقد عليهم.

خرج إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - إلى بعض البرارى، فاستقبله رجل جندى، فقال له: أنت عبد؟

قال: نعم. فقال له: فأين العمران؟ فأشار إلى المقبرة.

فقال الجندى: إنما أردت العمران، فقال: هو المقبرة، فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه، ورده إلى البلد، فاستقبله أصحابه، فقالوا له: ماذا حدث؟ فأخبرهم الجندى ما قال له.

فقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم، فنزل الجندى عن فرسه، وقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه. فقيل له: أنت قلت له: أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألنى عبدُ من أنت؟ بل قال لى: أنت عبد؟ فقلت له: نعم، لأنى عبد لله عز وجل، فلما ضرب رأس، سألت الله له الجنة.

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٨٣٧) وصحيح الجامع (٣٢٨٧).

فقالوا: له: كـيـف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أنى أؤجـر على ما نالنى منه فلم أرد أن يكون نصيبى منه الخير، ونصيبه منى الشر[١]

وكان الفـضيل بن عياض - رحـمه الله - إذا قيل له إنَّ فـلانًا يقع فى عرضك فكان يقول: والله لأغيظنَّ منْ أَمرهُ! يعنى إبليس.

ثم يقول: اللهمَّ إن كان صادقًا، فاغفر لى، وإن كان كاذبًا، فاغفر له.

أحبتى الكرام.

وفى السنة المطهرة: «**المؤمن يألف ويؤلف، ولا خـيـر فـيـمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس**»[٢]

خيرهم أنفـعهم للناس بالإحسان إليـهم، وبمواساتهم بماله وجاهه فعن أبى سـعيد الخـدرى ﷺ قال: بينـما نحن فى سـفـر مع النبى ﷺ إذ جـاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يمينًا وشمالاً فقال رسول الله ﷺ: «**من كان معه فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومـن كان له فضل من زاد، فليـعد به على من لا زاد له**»[٣] قال: فذكـر من أصناف المال ما ذكر، حـتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فـضل فمن فى هذا الزمان يفعل ذلك؟

فكل ينفع بحسب قـدرته، وحسب حاله، فإن كـان طبيبًا، فلـيتجاوز عن قـيمة الكشف للمريض. وإن كان صيدلانيًّا، فليتجاوز عن قيمة الدواء، فهذا نفعه، وإن كان مدرسًا، فليساعد الطلاب فى دروسهم. وإن كان صانعًا أتقن صنعته، وإن كان خياطًا، فليتجاوز عن قيمة تخييط الثياب إذا كان صاحب الثوب فقيرًا، فهذا نفعه.

فالخـير هو النافع لمن حـوله. قال ﷺ: «**ما من مـسلم يغرس غـرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير، أو إنسان، إلا كان له به صدقة**»[٤]

وها هو الحبيب المصطفى ﷺ: يحض أمتـه على الخيرية والنفع، فينفع بعـضهم بعضًا، وعلى أن يسعى كل مسلم من أجل تفريج هم أخيه المسلم قال: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف**

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٧٦ للغزالى.
(٢) حسن: حسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٦٢).
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخارى ومسلم.

عنه كـربة، أو تقـضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جـوعًـا، ولأن أمشـى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلى من أن أعتكف فـى المسجد شهرًا، ومن كفَّ غضبـه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضـاه، ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام..»(١)

وعن ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم**»(٢)

فخير الناس أنفعهم للناس سواء بالمال أو بغيـره، فإنهم عباد الله وعياله، وأحبهم إليه أنفعـهم لعياله، أى أشرفهم عنده، أكثـرهم نفعًا للناس بنعمة يسديـها، أو نقمة يزويها عنهم دينًا أو دنيا، ومنافع الدين أشرف قدرًا، وأبقى نفعًا.

قال ﷺ: «**أحب العباد إلى الله، أنفعهم لعياله**»(٣)

قال القاضى: ومحبة العبد لله، إرادة إكرامه، واستعماله فى الطاعة، وصونه عن المعصـية، وفى الحـديث رد على من رفض الدنيـا بالكلية من النسـاك، وترك الناس وتخفى للعبادة محتجًا بآية: ﴿**وما خَلَقْتُ الْجنَّ وَالإنس إلاَّ ليَعْبُدُون**﴾ [الذاريات: ٥٦] وخفى عليه أن أعظم عبادة لله عز وجل ما يكون نفعها عائدًا لمصالح عباده.

أحبتى فى الله.

ولا ينبغى للمسلم العاقل أن يكافئ الشـر بمثله، ولا أن يتخذ الشتم واللعن على عدوه سلاحًا، إذ لا يستعان على العدو بمثل إصلاح العيوب وتحصين العورات، حتى لا يجد العدو إليه سبيلاً

ولهذا قال أستاذ البشرية، وفقيه الإنسانية ﷺ: «**إنَّ شر الناس منزلة يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء فحشه**»(٤)

أى لأجل قبح فعله وقوله، أو لأجل اتقاء فحـشه، أى مجاوزة الحد الشرعى فى أقواله أو أفـعاله. وهذا أصل فى ندب المداراة، إذا ترتب عليهـا دفع ضرر، أو جلب

---

(١) **حسن**: رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٦).
(٢) **حسن**: رواه ابن أبى الدنيـا فى قضـاء الحـوائج وحسنه الألبـانى فى صـحيح الجـامع برقم (٢١٦٤).
(٣) **حسن**: حسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم (١٧٢).
(٤) رواه البخارى ومسلم وأحمد وغيرهم

منفعــة، بخلاف المداهنة، فهى حــرام مطلقًا، لماذا؟ لأنها بذل الدين لصــلاح الدنيا، لكن المداراة عكسها بذل الدنيا لصــلاح الدين أو الدنيا، وذلك بنحو رفق بالجاهل فى تعليمــه، أو بفاسق فى نهيه عن المنكر، وترك إغــلاظ وتألف ونحوها، وهذه مطلوبة محبوبة. متى؟ إذا أتى من وراء ذلك منفعة، فإن لم يترتب على ذلك منفعة، بأن لم يتق شره بها، كما هو معروف من بعض الناس فــلا تشرع، فما كل حال يعذر، وما كل حالٌ يغفر.

وقــال بعض أهل العلــم: يؤخــذ من هذا الحــديث، أن مــلازمــة الرجل للشــر والفحش حتى يخشاه الناس، اتقاء شره، من الكبائر.

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جـاره بوائقه**» قيــل: وما بوائقــه؟ قال: «**شره وأذاه**»(١)

فهذا من شر الناس، لماذا؟

لأنه إذا كان مضرًا لجاره، كان كاشــفًا لعورته، حريصًا على إنزال البوائق به، فدل حاله على فساد عقيدته، ونفاق طويته، أو امتهانه ما عظم الله حرمته، وأكد وصلته.

قال ابن أبى جمرة: حفظ الجار من كمــال الإيمان، وكان أهل الجاهلية يحافظون عليه، ويحصل امــتثال الوصية به، بإيصــال ضروب الإحسان بقدر الطاقــة، كهدية، وسلام، وطلاقــة وجه، وتفقــد حال، ومعــاونة، وغير ذلك، وكف أسـباب الأذى الحسية والمعنوية عنه، وتفاوت مراتب ذلك، بالنسبة للجار الصالح وغيره(٢)

أحبتى فى الله.

وخير الناس من طال عــمره، وحسن عمله، كما ورد ذلك فى حــديث الترمذى وأحمد أن النبى ﷺ قال «**خيركم من طال عمره، وحسن عمله**»(٣)

وخــير الناس كــما قــال النبى ﷺ: «**خــير النــاس ذو القلب المخمــوم واللســان الصادق**» قيل: وما القلب المخموم؟

قال: «**هو التقى النقى، الذى لا إثم فيه، ولا بغى ولا حسد**».

---

(١) **صحيح**: رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم.
(٢) فيض القدير للمناوى.
(٣) **صحيح**: رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩٦).

قيل: فمن على أثره؟

قال: «**الذى يشنأ الدنيا** - أى يبغضها - **ويحب الآخرة**».

قيل: فمن على أثره؟

قال: «**مؤمن فى خلق حسن**»[١]

خير الناس كما قال ﷺ: «**خير الناس رجل يجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه، ثم مؤمن فى شعب من الشعاب يعبد الله ربه، ويدع الناس من شره**»[٢]

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الصف: ١٠، ١١]

فهذا هو الأول، وأما الثانى فلا يقدر على الجهاد، فيستحب فى حقه العزلة ليسلم ويسلم غيره منه.

وقد زاد الإمام مسلم على هذا الحديث: «**يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا فى خير**» وللنسائى من حديث ابن عباس رفعه: «**ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه..**» الحديث، وفيه: «**ألا أخبركم بالذى يتلوه؟ رجل معتزل فى غنيمة يؤدى حق الله فيها**» وأخرجه الترمذى واللفظ له[٣]

اللهم يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك الستر، يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون. ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يا من يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا، وتجاوز عما أنت أعلم به منا، وأدخلنا الجنة برحمتك وأجرنا من النار، وكن لنا وليًا فى الدنيا والآخرة، وانصرنا على القوم الكافرين، يارب العالمين.

---

(١) **صحيح**: رواه البيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩١).

(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه.

(٣) فتح البارى لابن حجر

مراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم وعلومه:

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

الجامع لأحكام القرآن القرطبى

تفسير القرآن العظيم ابن كثير

الكشاف الزمخشرى

مختصر تفسير المنار محمد رشيد رضا

الوسيط لشيخ الأزهر د/ محمد سيد طنطاوى

تفسير السعدى السعدى

مفاتيح الغيب الفخر الرازى

روح المعانى الألوسى

الدر المنثور السيوطى

فى ظلال القرآن سيد قطب

أسباب النزول السيوطى

الإتقان فى علوم القرآن السيوطى

ثانيًا: كتب الحديث:

الجامع الصحيح البخارى

صحيح مسلم بشرح النووى النووى

سنن أبى داود للألبانى

سنن الترمذى	الألبانى
سنن ابن ماجه	الألبانى
سنن النسائى	الألبانى
مسند الإمام أحمد	الإمام أحمد بتحقيق حمزة الزين
صحيح الجامع وضعيفه	للألبانى
السلسلة الصحيحة	للألبانى
كشف الخفاء	العجلونى
المصنف	لابن أبى شيبة
المستدرك	الحاكم
المعجم الكبير	الطبرانى
المعجم الأوسط	الطبرانى
المعجم الصغير	الطبرانى
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	ابن حجر الهيثمى
صحيح الترغيب والترهيب	الألبانى
مشكاة المصابيح	الألبانى
تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذى	الأحوذى
شرح ابن بطال	ابن بطال
عون المعبود بشرح سنن أبى داود.	
فيض القدير	المناوى
جامع العلوم والحكم	لابن رجب الحنبلى

ثالثًا : كتب الفقه :

صحيح فقه السنة	أبو مالك
سبل السلام	الصنعانى
نيل الأوطار	الشوكانى
المجموع شرح المهذب	النووى
المهذب	الشيرازى
المغنى مع الشرح الكبير	لابن قدامة
موسوعة الفقه الإسلامى الكويتية	نخبة من العلماء
الفتاوى الكبرى	ابن تيمية
حاشية قليوبى وعميرة	قليوبى وعميرة
أعلام الموقعين عن رب العالمين	لابن القيم

رابعًا : كتب السيرة والتراجم :

تهذيب قصص الأنبياء	للثعالبى
البداية والنهاية	لابن كثير
زاد المعاد	لابن القيم
السيرة النبوية	لابن هشام
السيرة النبوية	د/ على الصلابى
الرحيق المختوم	للمباركفورى
أسد الغابة	لابن الأثير
سير أعلام النبلاء	للذهبى

خامساً: كتب الزهد والرقائق:

إحياء علوم الدين	الغزالى
مختصر منهاج القاصدين	المقدسى
تهذيب موعظة المؤمنين	القاسمى
صفة الصفوة	ابن الجوزى
علو الهمة	د/ إسماعيل المقدم
بستان الواعظين	ابن الجوزى
التذكرة فى أحوال الموتى	القرطبى
رحلة إلى الدار الآخرة	محمود المصرى
رهبان الليل	د/ سيد العفانى
الجزاء من جنس العمل	د/ سيد العفانى
ترطيب الأفواه	د/ سيد العفانى
تعطير الأنفاس	د/ سيد العفانى
سمير الصالحين	الشهاوى
عقيدة المؤمن	أبو بكر الجزائرى
لطائف المعارف	لابن رجب
صيد الخاطر	لابن الجوزى
التذكرة فى الوعظ	لابن الجوزى
التبصرة	لابن الجوزى
الفوائد	لابن القيم

مفتاح دار السعادة	لابن القيم
مدارج السالكين	لابن القيم
عدة الصابرين	لابن القيم
روضة المحبين	لابن القيم
ذم الهوى	لابن الجوزى
الكبائر	الذهبى
الزواجر	لابن حجر الهيتمى
تلبيس إبليس	لابن الجوزى
حلية الأولياء	لأبى نعيم
حياة الصحابة	الكاندهلوى
غذاء الألباب	للسفارينى
الآداب الشرعية	لابن مفلح
المواعظ والمجالس	لابن الجوزى
اللطائف	لابن الجوزى
روضة العقلاء	لابن حبان
أدب الدنيا والدين	للماوردى
شرح الصدور	السيوطى
مكارم الأخلاق	الخرائطى
مساوئ الأخلاق	الخرائطى
ذم الدنيا	لابن أبى الدنيا

الكتاب	المؤلف
مجموعة رسائل ابن أبى الدنيا	
مجموعة رسائل ابن رجب	
طريق الهجرتين	لابن القيم
الزهد	لابن المبارك
الزهد	الإمام أحمد
المواهب اللدنية	القسطلانى
إشراقات	د/ عائض القرنى
تنبيه المغترين	الشعرانى
المدهش	لابن الجوزى
المستخلص فى تزكية الأنفس	سعيد حوى
نداءات الرحمن لأهل الإيمان	محمد بحيرى
صفقات غالية	محمد بحيرى
موسوعة نضرة النعيم	مجموعة من العلماء
منهاج المسلم	لأبى بكر الجزائرى
تنبيه الغافلين	للسمرقندى
البحر الرائق	أحمد فريد
شد الرحال إلى الله	شريف شحاتة
المستطرف فى كل فن مستظرف	للأبشيهى

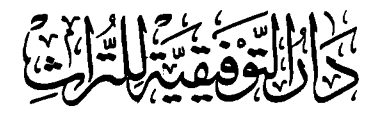
فهرس المجلد الأول من الوصايا المنبرية

الموضوع	الصفحة

ثالثًا: عبادات توصلك إلى الجنة

رابعًا: محظورات في العقيدة والأخلاق

خامساً: الزهد والرقائق


دار التوفيقية للتراث